١٦- كتَاب الدَعَوات

٢٥٠- باب الأمر بالدعاء وفضله وبيان جمل من أدعيته ﷺ

قَالَ الله تَعَالَى: ﴿وقَالَ رَبُّكُمُ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ﴾[غافر: ٦٠]، وقال تَعَالَى: ﴿ادْعُوا رَبَّكُمْ تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً إِنَّهُ لا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ﴾[الأعراف: ٥٥].

وقال تَعَالَى: ﴿وَإِذا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ﴾ الآية [البقرة: ١٨٦]، وقال تَعَالَى: ﴿أَمَّنْ يُجِيبُ الْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ السُّوءَ﴾[النمل: ٦٢].

الحديث رقم (١٤٦٧)

١٤٦٧- وعن النعمان بن بشيرٍ رضي الله عنهما، عن النبيِّ ﷺ، قَالَ: ((**الدُّعَاءُ هُوَ العِبَادَةُ**)). رواه أَبُو داود والترمذيُّ[1]، وقال: (حديث حسن صحيح).

ترجمة الراوي:

النعمان بن بشير: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (١٦٠).

الشرح الأدبي

الدعاء يقوم على علاقة قلبية بين العبد، وربه وهو ما يجعل له خصوصية على العبادات التي تقوم على الحركات الظاهرة مع عمل القلب لأن ظهورها قد يوقع في العجب، أو الرياء أما الدعاء فهو في القلب لا يطلع عليه إلا الله، بالإضافة إلى أن الدعاء يتضمن اعترافا من العبد بضعفه، وذلته وفقره إلى ربه، مع اعترافه بقوة الله، وعزه، وغناه فهو محض العبادة، وخالصها، وهو ما أشار إليه الحديث في العبارة الموجزة البليغة التي وردت في ألفاظ قليلة بمعان كثيرة في قوله (الدعاء هو العبادة) وقد ورد في

---

(١) أخرجه أبوداود (١٤٧٩)، والترمذي (٢٩٦٩) واللفظ له. وصحّحه ابن حبان (الإحسان ٨٩٠)، وقال الحاكم (١/ ٤٩٠): هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه. أورده المنذري في ترغيبه (٢٤٢١).

أسلوب القصر الذي يحصر العبادة في الدعاء، وقصر حقيقي على سبيل المبالغة، لأنه تضمن نفيا عاما بأن كل ما عدا الدعاء لا يعتد به بجواره بإثباته أن الدعاء هو كل العبادة، وهو مبالغة في بيان فضل الدعاء، وتوسيط ضمير الفصل (هو) يؤكد المعنى ويرفع طبقة الكلام في طبقات الفخامة، والقوة.

المضامين الدعوية

أولاً: من موضوعات الدعوة: فضل الدعاء.

ثانيًا: من موضوعات الدعوة: الترغيب.

أولاً – من موضوعات الدعوة: فضل الدعاء:

وهذا واضح من الحديث، والحديث فيه زيادة: ثم قرأ هذه الآية: ﴿ٱدْعُونِىٓ أَسْتَجِبْ لَكُمْ ۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِى سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ﴾[1]،[2]. وأخرجه الترمذي عن أنس بلفظ "الدعاء مخ العبادة"[3]. وأخرج الترمذي وابن ماجه من حديث أبي هريرة مرفوعًا: "ليس شيء أكرم على الله تعالى من الدعاء"[4].

قال الطيبي: قوله: "الدعاء هو العبادة" أتى بضمير الفصل، والخبر المعرف باللام، ليدل على الحصر، وأن العبادة ليست غير الدعاء، قال القاضي البيضاوي: لما حكم بأن الدعاء هو العبادة الحقيقية، التي يستأهل أن يسمى عبادة، من حيث إنه يدل على أن فاعله مقبل بوجهه إلى الله تعالى معرض عما سواه، لا يرجو ولا يخاف إلا منه. استدل عليه بالآية، فإنها تدل على أنه مأمور به، إذا أتى به المكلف قبل منه لا محالة. وترتب عليه المقصود ترتب الجزاء على الشرط. والمسبَّب على السبب. وما كان كذلك، كان أتم العبادات وأكملها. ويقرب منه الرواية الأخرى، فإن مخ الشيء خالصه. قال

---

(١) سورة غافر، آية: ٦٠.

(٢) انظر: صحيح ابن حبان، ٣/٨٩٠، وانظر: تخريج المحقق له.

(٣) أخرجه الترمذي ٣٣٧١، وضعفه الألباني (ضعيف سنن الترمذي ٦٦٩).

(٤) أخرجه الترمذي ٣٣٧٠، وابن ماجه ٣٨٢٩، وحسنه الألباني (صحيح سنن ابن ماجه ٣٠٨٧).

الراغب[١]: العبودية إظهار التذلل، والعبادة أبلغ منها لأنها غاية التذلل، ولا يستحقها إلا من له غاية الإفضال. وأقول: يمكن أن يحمل العبادة على المعنى اللغوي، أى الدعاء ليس إلا إظهار غاية التذلل والافتقار والاستكانة. قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ أَنتُمُ ٱلْفُقَرَآءُ إِلَى ٱللَّهِ ۖ وَٱللَّهُ هُوَ ٱلْغَنِىُّ ٱلْحَمِيدُ﴾[٢]، الجملتان واردتان على الحصر، وما شرعت العبادات إلا لخضوع الباري وإظهار الافتقار إليه، وينصر هذا التأويل ما بعد الآية المتلوة: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِى سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ ﴾[٣]، حيث عبر عن عدم الافتقار والتذلل بالاستكبار، ووضع "عبادتي" موضع دعائي. وجعل جزاء ذلك الاستكبار: الصغار والهوان.

وعن أبي هريرة رضي الله عنه : قال: "ليس شيء أكرَم على الله من الدعاء"، "أكرم" نصب خبر "ليس". فإن قلت: كيف التوفيق بين هذا الحديث وبين قوله تعالى: ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا۟ إِلَى ٱلْأَرْضِ كَمْ أَنۢبَتْنَا فِيهَا مِن كُلِّ زَوْجٍ كَرِيمٍ ﴿٧﴾﴾[٤]، قلت: كل شيء يشرف في بابه، فإنه يوصف بالكرم، قال الله تعالى ﴿ أَنۢبَتْنَا فِيهَا مِن كُلِّ زَوْجٍ كَرِيمٍ ﴾[٥]، وإنما كان أكرم الناس أتقاهم لأن الكرم من الأفعال المحمودة، وأكرمها ما يقصد به أشرف الوجوه، وأشرف الوجوه ما يقصد به وجه الله. فمن قصد ذلك بمحاسن أفعاله فهو التقي. فإذن أكرم الناس أتقاهم، وعلى هذا حكم الدعاء لأنه مخ العبادة كما مرّ[٦].

قال حسين المغربي: "إنما كان الدعاء مخ العبادة لأمرين:

---

(١) المفردات، ٣١٩.

(٢) سورة فاطر، آية: ١٥.

(٣) سورة غافر، آية: ٦٠.

(٤) سورة الحجرات، آية: ١٣.

(٥) سورة الشعراء، آية: ٧.

(٦) شرح الطيبي على مشكاة المصابيح ٢/٣٠٥-٣٠٦.

أحدهما: أنه امتثال أمر الله حيث قال: ﴿ٱدۡعُونِيٓ﴾[١]. فهو محض العبادة وخالصها.

الثاني: إذا رأى نجاح الأمور من الله قطع أمله عمن سواه ودعاه لحاجته وحده، وهذا هو أصل العبادة، لأن الغرض من العبادة الثواب عليها، وهو المطلوب بالدعاء، وهذا عند كل من تكمل له المعرفة، ومن كملت له المعرفة فالعبادة عنده إنما هي لمجرد التعظيم والامتثال، والله أعلم"[٢].

وقال عبدالله البسام: "قال ابن تيمية: "الدعاء نوعان: دعاء عبادة ودعاء مسألة، وكل دعاء عبادة مستلزم لدعاء المسألة. وكل دعاء مسألة متضمن لدعاء العبادة.. قال تعالى: ﴿ٱدۡعُواْ رَبَّكُمۡ تَضَرُّعٗا وَخُفۡيَةً﴾[٣]. وقال: ﴿بَلۡ إِيَّاهُ تَدۡعُونَ فَيَكۡشِفُ مَا تَدۡعُونَ إِلَيۡهِ إِن شَآءَ﴾[٤]. وأمثال هذا في القرآن كثير في دعاء المسألة. وهو يتضمن دعاء العبادة "أي: عبادة الله وحده وإخلاص العبادة له وعدم الإشراك في عبادته"؛ لأن السائل أخلص سؤاله لله، وذلك من أفضل العبادات، وكذلك ذاكر الله والتالي لكتابه فهو طالب من الله في المعنى"[٥].

وقال ابن تيمية: "إذا دعا الداعي الله سبحانه – فقد يحصل له بالدعاء من معرفة الله ومحبته والثناء عليه والعبودية له والافتقار إليه ما هو أفضل وأنفع من مطلوبه ذلك، كما قال بعض السلف: يا ابن آدم لقد بورك لك في حاجة أكثرت فيها قرع باب سيدك. وقال بعضهم: إنه ليكون لي إلى الله حاجة فادعوه، فيفتح لي من باب معرفته ما أحب معه ألا يُعَجّل لي قضاءها لئلا ينصرف قلبي عن الدعاء"[٦].

---

(١) سورة غافر، آية: ٦٠.

(٢) البدر التمام شرح بلوغ المرام من أدلة الأحكام: القاضي حسين محمد المغربي، ١١١٩هـ، تحقيق الدكتورمحمد شحود خرفان، دار الوفاء، ط١، ١٤٢٥هـ، ٣٧٦/٥.

(٣) سورة الأعراف، آية: ٥٥.

(٤) سورة الأنعام، آية: ٤١.

(٥) توضيح الأحكام، ٤١٩/٦. وهو تلخيص لكلام ابن تيمية في مجموع الفتاوى، ٨/١٠-١٢، ط العبيكان، ١٥/١٠-١٥ ط ابن قاسم.

(٦) مجموع الفتاوى، ٥٨٢/١١، ط العبيكان، ٢٨٥/٢٢ ط ابن قاسم.

وقال ابن عثيمين: "إن الدعاء هو العبادة، ووجه ذلك من النظر أن الإنسان إذا دعا ربه، فقد اعترف لله عز وجل بالكمال وإجابة الدعاء، وأنه على كل شيء قدير. وأن العطاء أحب إليه من المنع، ثم لم يلجأ إلى غيره، لم يدع غير الله، لا ملكًا ولا نبيًا ولا وليًا ولا قريبًا ولا بعيدًا، وهذا هو حقيقة العبادة، وبذلك تعرف أنك إذا دعوت الله أُثبت على هذا الدعاء سواء استجيب لك أم لا، لأنك تعبدت لله عز وجل وعبدت الله فإذا قلت يارب اغفر لي، يارب ارحمني، يارب ارزقني، يارب اهدني،. فهذه عبادة تقربك إلى الله عز وجل ويكتب الله لك بها ثوابًا عنده يوم القيامة"[1].

ثانيًا - من موضوعات الدعوة: الترغيب:

لقد رغب النبي ﷺ في الدعاء بأن أخبر أنه هو العبادة، وفي هذا ترغيب ما بعده ترغيب، وحث ما بعده حث للمدعوين على الدعاء والتزامه والعمل به في كل أوقاتهم وشؤونهم، فالله سبحانه وتعالى يقول: ﴿ وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴾[2].

---

(١) شرح رياض الصالحين، ٢/١٥٤٨.

(٢) سورة الذاريات، آية : ٥٦.

الحديث رقم (١٤٦٨)

١٤٦٨- وعن عائشة رَضِيَ اللهُ عَنْهَا، قالت: كَانَ رسُولُ اللهِ ﷺ يَستَحِبُّ الجَوَامِعَ مِنَ الدُّعَاءِ، وَيَدَعُ مَا سِوَى ذَلِكَ. رواه أَبُو داود[1] بإسناد جيدٍ.

ترجمة الراوي:

ام المؤمنين عائشة بنت أبي بكر الصديق: تقدمت ترجمتها في الحديث رقم (٢).

غريب الألفاظ:

الجوامع من الدعاء: هي التي تجمع الأغراض الصّالحة والمقاصد الصحيحة، أو تجمع الثناء على الله تعالى وآداب المسألة، وقيل: هي ما كان لفظه قليلاً ومعناه كثيرًا[2].

الشرح الأدبي

تشير أم المؤمنين عائشة إلى عادته في الاختيار بين ما يدعو به فيختار الأدعية الجامعة ن وقد جاء في أسلوب خيري غرضه الإرشاد إلى سنة البني ﷺ وقولها: (من الدعاء) وهو ما جمع مع الوجازة خير الدنيا والآخرة نحو (ربنا آتنا في الدنيا حسنة) الآية أو هو ما يجمع الأغراض الصالحة والمقاصد الصحيحة أو ما يجمع الثناء على الله وآداب المسألة والفضل للمتقدم (ويدع) أن يترك (ما سوى ذلك) من الأدعية إشارة إلى معنى ما يراد به من الجوامع فيختلف معنى السوى بحسب اختلاف تفسير الجوامع فعلى الأول ينزل ذلك على غالب الأحوال لا كلها فقد قال المنذري: كان يجمع في الدعاء تارة ويفصل أخرى[3].

---

(١) برقم (١٤٨٢). وصحّحه ابن حبان (الإحسان ٨٦٧)، وقال الحاكم (١/٥٣٩): هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه.

(٢) النهاية في (ج م ع).

(٣) فيض القدير شرح الجامع الصغير المؤلف: عبد الرؤوف المناوي الحديث (٧٠٣٩).

المضامين الدعوية[(١)]

أولاً: من موضوعات الدعوة: استحباب الجوامع من الدعاء.

ثانيًا: من موضوعات الدعوة: حرص الصحابة رضي الله عنهم على الاقتداء بالنبي ﷺ في دعائه.

ثالثًا: من موضوعات الدعوة: فضل أنس بن مالك رضي الله عنه.

أولاً - من موضوعات الدعوة: استحباب الجوامع من الدعاء:

هذا واضح من قول عائشة رضي الله عنها: كان رسول الله ﷺ يستحب الجوامع من الدعاء، ومن فعله ﷺ كما في حديث أنس رضي الله عنه.

قال الطيبي: "قوله: (الجوامع من الدعاء) قال ابن الأثير في النهاية: هي التي تجمع الأغراض الصالحة والمقاصد الصحيحة، أو تجمع الثناء على الله تعالى وآداب المسألة"[(٢)].

قال المظهر: "هي ما كان لفظه قليلاً ومعناه كثيرًا، جمع فيه خير الدنيا والآخرة، نحو قوله تعالى: ﴿رَبَّنَآ ءَاتِنَا فِي ٱلدُّنۡيَا حَسَنَةً وَفِي ٱلۡأٓخِرَةِ حَسَنَةً﴾[(٣)]"[(٤)].

ونقل العظيم آبادي القول بأنه: "نحو اللهم إني أسألك العفو والعافية في الدين والدنيا والآخرة[(٥)]، وكذا: اللهم إني أسألك الهدى والتقى والعفاف والغنى[(٦)] ونحو سؤال الفلاح والنجاح (ويدع) أي: يترك (ما سوى ذلك)، أي: مما لا يكون جامعًا بأن يكون خالصًا بطلب أمور جزئية، كارزقني زوجة حسنة، فإن الأولى والأحرى منه ارزقني

---

(١) تم دمج المضامين الدعوية لهذا الحديث -١٤٦٨- مع المضامين الدعوية للحديث رقم (١٤٦٩).

(٢) النهاية في غريب الحديث في (ج م ع).

(٣) سورة البقرة، آية: ٢٠١.

(٤) شرح الطيبي على المشكاة، ٤/٢١٣ - ٢١٤.

(٥) هو من دعاء النبي ﷺ: "اللهم إني أسألك العفو والعافية في الدنيا والآخرة، اللهم أسألك العفو والعافية في ديني ودنياي وأهلي ومالي..." أخرجه أبو داود، ٥٠٧٤، وابن ماجه، ٣٨٧١ وابن حبان، ٩٦١ من حديث ابن عمر رضي الله عنهما، وانظر تخريجه بتوسع في صحيح ابن حبان والحديث صححه الألباني (صحيح سنن ابن ماجه، ٣١٢١).

(٦) أخرجه مسلم ٢٧٢١، مرفوعًا.

الراحة في الدنيا والآخرة فإنه يعمها وغيرها"[١].

وقال ابن عثيمين: "حديث عائشة رضي الله عنها أن النبي صلى الله عليه وسلم كان يحب الجوامع من الدعاء ويدع ما سوى ذلك، يعني: أنه إذا دعا يختار من الدعاء أجمعه، كلمات جامعة عامة، ويدع التفاصيل، وذلك لأن الدعاء العام أبلغ في العموم والشمول من التفاصيل، فمثلاً إذ أراد أن يدعو الإنسان ربه أن يدخله الجنة قال: اللهم أدخلني الجنة، ولا يحتاج إلى أن يفصل ويقول فيها كذا وكذا، لأنه قد يكون هناك أشياء لا يعلمها، فيكون هذا التفصيل كالحاصل لها، فإذا دعا دعاءً عامًا كان هذا أشمل وأجمل ...

ومن أجمع ما يكون من الدعاء حديث أنس رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم كان يكثر أن يقول في دعائه: (ربنا آتنا في الدنيا حسنة وفي الآخرة حسنة وقنا عذاب النار) فإن هذا الدعاء أجمع الدعاء: "ربنا آتنا في الدنيا حسنة" يشمل كل حسنات الدنيا من زوجة صالحة ومركب مريح وسكن مطمئن وغير ذلك، وفي الآخرة حسنة، كذلك يشمل حسنة الآخرة كلها، من الحساب اليسير وإعطاء الكتاب باليمين والمرور على الصراط بسهولة والشرب من حوض الرسول صلى الله عليه وسلم ودخول الجنة إلى غير ذلك من حسنات الآخرة، فهذا الدعاء من أجمع الأدعية. بل هو أجمعها. لأنه شامل. وكان أنس رضي الله عنه يدعو بذلك، وإذا دعا بشيء آخر دعا بذلك أيضًا. يعني كأنه رضي الله عنه لا يدعه أبدًا إذا دعا، وهذا يدل على فضيلة هذا الدعاء وأنه ينبغي للإنسان أن يدعو به، ولهذا كان الرسول صلى الله عليه وسلم يختم به أشواط الطواف، يقول بين الركن اليماني والحجر الأسود: ((رَبَّنَا آتِنَا فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي الآخِرَةِ حَسَنَةً وَقِنَا عَذَابَ النَّارِ))[٢]، في آخر كل شوط والله أعلم"[٣].

وقال القاضي عياض: عن إكثار النبي صلى الله عليه وسلم من الدعاء بهذه الآية، قال: "هذا

---

(١) عون المعبود ٦٧٩.

(٢) أخرجه أبو داود ١٨٩٢، من حديث عبدالله بن السائب رضي الله عنه وحسنه الألباني (صحيح سنن أبي داود، ١٦٦٦).

(٣) شرح رياض الصالحين ١٥٤٩/٢.

لجمعها معاني الدعاء كله، من أمر الدنيا والآخرة، والحسنة هنا عندهم النعمة، فسأله نعم الدنيا والآخرة، والوقاية من عذاب النار"[١].

وقال أبو العباس القرطبي: "لأنها من الدعوات الجوامع التي تتضمن خير الدنيا والآخرة، وذلك أن حسنة نكرة في سياق الطلب فكانت عامة، فكأنه يقول: أعطني كل حالة حسنة في الدنيا والآخرة"[٢].

وقال عبدالله البسام: "هذا الدعاء من أجمع الأدعية وأشملها وأكملها، ومن أنفع الأدعية وأجلها وأحسنها، ذلك أنه جمع خيري الدنيا والآخرة، والوقاية من الشر وأسبابه، فشمل من حسنة الدنيا سؤال كل مطلوب ومرغوب من حصول العلوم النافعة والأعمال الصالحة، والعافية من الأمراض والأسقام والسلامة من المشاكل والأزمات والنكبات، والتوفيق بالزوجة الصالحة التي تعجبه إن نظر إليها، وترضيه إن حضر عندها، وتحفظه في نفسها وولده وماله إن غاب عنها، وحصول الأولاد البررة الصلحاء الذين بهم تقر العين وترضى النفس ويسر القلب، وحصول الأمن في الأوطان والاستقرار في البيوت والدور.

وحصول الرضا والقناعة بما قسم الله تعالى وأعطى الحياة السعيدة والمعيشة الهنية الرغيدة.

أما حسنة الآخرة فهي النعمة الكبرى، والسعادة العظمى والحياة الباقية والنعيم المقيم، وأعلاها رضا الرب ودخول جنته التي فيها النظر إلى وجهه الكريم، والحظوة بيوم المزيد وما في الجنة من نعيم لا يفنى وشباب لا يبلى وحياة سعيدة لا تنتهي، وتمتع دائم بملاذ لا تنقطع مما لا يدور في الخيال، ولا يحيط به البال، فلا تعلم نفس ما أخفى لهم من قرة أعين جزاء بما كانوا يعملون، مما لم تره عين، ولم تسمع به أذن، ولم يخطر على بال بشر.

أما الوقاية من عذاب النار فإنها كمال النعيم وتمام الأنس، والحصول على الأمن

---

(١) إكمال المعلم ٨/١٩٠.

(٢) المفهم ٧/٣٠.

وزوال الهم والغم وذهاب الخوف والكرب، فمن زحزح عن النار وأدخل الجنة فقد فاز"[١].

ثانيًا- من موضوعات الدعوة: حرص الصحابة ﷺ على الاقتداء بالنبي ﷺ في دعائه:

هذا واضح من فعل أنس رضي الله عنه فقد كان إذا أراد أن يدعو بدعوة دعا بها، وإذا أراد أن يدعو بدعاء دعا بها فيه [٢]، وهذا ما فعله أيضًا عندما كان يطلب منه الدعاء، فعن ثابت البناني أنهم قالوا لأنس بن مالك رضي الله عنه: ادْعُ اللَّهَ لَنَا، فَقَالَ: اللَّهُمَّ آتِنَا فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً، وَفِي الآخِرَةِ حَسَنَةً، وَقِنَا عَذَابَ النَّارِ. قَالُوا: زِدْنَا، فَأَعَادَهَا. قالوا: زِدْنَا، فَأَعَادَهَا. فَقَالُوا: زِدْنَا، فقال: مَا تُرِيدُونَ؟ سَأَلْتُ لَكُمْ خَيْرَ الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ. قال أَنسٌ رضي الله عنه: وَكَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يُكْثِرُ أَنْ يَدْعُوَ بِهَا: ((اللَّهُمَّ آتِنَا فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً، وَفِي الآخِرَةِ حَسَنَةً، وَقِنَا عَذَابَ النَّارِ))[٣].

كما روى أنس بن مالك رضي الله عنه أيضًا أن رسول الله ﷺ عاد رجلاً من المسلمين قد خفت فصار مثل الفرخ فقال له رسول الله ﷺ: ((هَلْ كُنْتَ تَدْعُو بِشَيْءٍ أَوْ تَسْأَلُهُ إِيَّاهُ؟)) قَالَ: نَعَمْ. كُنْتُ أَقُولُ: اللَّهُمَّ مَا كُنْتَ مُعَاقِبِي بِهِ فِي الآخِرَةِ، فَعَجِّلْهُ لِي فِي الدُّنْيَا. فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ: ((سُبْحَانَ اللَّهِ لاَ تُطِيقُهُ ـ أَوْ لاَ تَسْتَطِيعُهُ ـ أَفَلاَ قُلْتَ: اللَّهُمَّ آتِنَا فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي الآخِرَةِ حَسَنَةً وَقِنَا عَذَابَ النَّارِ))، قَالَ: فَدَعَا اللَّهَ لَهُ. فَشَفَاهُ))[٤].

قال ابن كثير: "جمعت هذه الدعوة كل خير في الدنيا، وصرفت كل شر، فإن الحسنة في الدنيا تشمل كل مطلوب دنيوي من عافية، ودار رحبة، وزوجة حسنة، ورزق واسع، وعلم نافع، وعمل صالح، ومركب هنيء، وثناء جميل إلى غير ذلك مما اشتملت

---

(١) توضيح الأحكام، ٦/٤٤٢، ٤٤٣.

(٢) صحيح مسلم ٢٦ - ٢٦٩٠.

(٣) أخرجه أبو يعلى في مسنده ٣٣٩٧، وابن حبان ٩٣٨، وقال محققه: إسناده صحيح، وانظر: الدر المنثور، للسيوطي ٢/٤٤٩.

(٤) أخرجه مسلم ٢٦٨٨.

عليه عبارات المفسرين، ولا منافاة بينها فإنها كلها مندرجة في الحسنة في الدنيا. أما الحسنة في الآخرة فأعلى ذلك: دخول الجنة، وتوابعه من الأمن من الفزع الأكبر في العرصات، وتيسير الحساب وغير ذلك من أمور الآخرة الصالحة. وأما النجاة من النار فهو يقتضي تيسير أسبابه في الدنيا من اجتناب المحارم والآثام وترك الشبهات والحرام"[١].

وعن أبي نعامة عن ابن لسعد أنه قال: سَمِعَنِي أبي وَأَنا أَقُولُ: اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ الْجَنَّةَ وَنَعِيمَهَا وَبَهْجَتَهَا وَكَذَا وَكَذَا، وَأَعُوذُ بِكَ مِنَ النَّارِ وَسَلَاسِلِها وَأَغْلَالِهَا وَكَذَا وَكَذا، فَقالَ يَابُنَيَّ إِنِّي سَمِعْتُ رَسُولَ الله ﷺ يَقُولُ: ((سَيَكُونُ قَوْمٌ يَعْتَدُونَ فِي الدُّعاءِ، فَإِيَّاكَ أَنْ تَكُونَ مِنْهُمْ إِنَّكَ إِنْ أُعْطِيتَ الْجَنَّةَ أُعْطِيتَهَا وَما فِيهَا، وَإِنْ أُعِذْتَ مِنَ النَّارِ أُعِذْتَ مِنْهَا وَما فِيهَا منَ الشَّرِّ))[٢].

ثالثًا- من موضوعات الدعوة: فضل أنس بن مالك رضي الله عنه:

قال الذهبي عنه: " المفتي، المقرئ، المحدِّث، راوية الإسلام، خادم رسول الله ﷺ وقرابته من النساء، وتلميذه، وتبعه، وآخر الصحابة موتًا، روى عن النبي ﷺ علمًا جمًا...، وكان أنس رضي الله عنه يقول: ((قَدِمَ النَّبِيُّ ﷺ الْمَدِينَةَ وَأَنَا ابْنُ عَشْرٍ. وَمَاتَ وَأَنَا ابْنُ عِشْرِينَ. وَكُنَّ أُمَّهَاتِي يَحْثُثْنَنِي عَلَىٰ خِدْمَتِهِ ﷺ))(٣)، فصحب أنس رضي الله عنه نبيه ﷺ أتم الصحبة، ولازمه أكمل الملازمة منذ هاجر وإلى أن مات وغزا معه غير مرة وبايع تحت الشجرة.

قال الأعمش: "كتب أنس رضي الله عنه إلى عبدالملك بن مروان - يعني لما آذاه الحجاج - إني خدمت رسول الله ﷺ تسع سنين والله لو أن النصارى أدركوا رجلاً خدم نبيهم لأكرموه.

قال المثنى بن سعيد: سمعت أنسًا يقول: ما من ليلة إلا وأنا أرى فيها حبيبي ثم يبكي، مات سنة ٩٣هـ مسنده ٢٢٨٦ حديثا"[٤].

---

(١) تفسير القرآن العظيم ٥٥٨/١.

(٢) أخرجه أبو داود ١٤٨٠، وصححه الألباني (صحيح سنن أبي داود، ١٣١٣).

(٣) أخرجه مسلم ٢٠٢٩.

(٤) سير أعلام النبلاء ٣٩٥/٣ - ٤٠٦ ومراجعه ومصادره.

الحديث رقم (١٤٦٩)

١٤٦٩- وعن أنس رضي الله عنه قَالَ: كَانَ أكثرُ دعاء النبيّ ﷺ: ((**اللَّهُمَّ آتِنَا فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً، وَفِي الآخِرَةِ حَسَنَةً، وَقِنَا عَذَابَ النَّارِ**)) متفقٌ عَلَيْهِ[1].

زاد مسلم في روايتهِ قَالَ: وَكَانَ أَنَسٌ إِذَا أرادَ أنْ يَدْعُوَ بدَعْوَةٍ دَعَا بهَا، وَإِذَا أرادَ أنْ يَدْعُوَ بدُعَاءٍ دَعَا بهَا فيهِ.

ترجمة الراوي:

أنس بن مالك: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (٤).

الشرح الأدبي

ما قيل في الدعاء السابق يقال في هذا الحديث لن الموقف واحد، وهو موقف التذلل، والدعاء فهي انسب الصيغ لموقف التهالك في التضرع، والتذلل المحقق لإجابة الدعاء ثم إنه دعاء جامع موجز (فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً، وَفِي الآخِرَةِ حَسَنَةً، وَقِنَا عَذَابَ النَّارِ) ووجه اجتماع الخير فيه أنه طلب عموم حسنة الدنيا عن طريق تنكير لفظ حسنة والتنكير هو انعدام التخصيص مما يعني العموم كما ان التنكير يفيد التعظيم أي آتنا حسنة عظيمة من شأنها أن تحقق غرض الحياة في كل مناحيها، وحسنها يقتضي عدم طغيانها على الآخرة لأن ما يطغى على الآخرة من متاع الدنيا لا يكون حسنا، وكذلك الوجه في حسنة الآخرة، وقيل حسنة الدنيا إتباع الهدى وحسنة الآخرة مرافقة الرفيق الأعلي، وعذاب النار حجاب المولى لعله كان يكثر هذا الدعاء، لأنه من الجوامع التي تحوز جميع الخيرات الدنيوية والأخروية وبيانه أنه كرر الحسنة ونكرها وقد تقرر في علم المعاني أن النكرة إذا أعيدت كانت غير الأولى فالمطلوب في الأولى الحسنات الدنيوية من الاستقامة، والتوفيق، والوسائل إلى اكتساب الطاعات والمبرات بحيث تكون مقبولة عند الله وفي الثانية ما يترتب عليها من الثواب والرضوان في العقبى وفي

---

(١) أخرجه البخاري (٦٣٨٩) واللفظ له، ومسلم (٢٦٩٠/٢٦). أورده المنذري في ترغيبه (٥٣٤٦) وعزاه إلى البخاري وحده.

تفسير الآية أقوال كثيرة كلها ترجع إلى المعنى الأعم منها قول بعضهم في الدنيا حسنة أي الطاعة والقناعة أو العافية وفي الآخرة حسنة أي تخفيف الحساب ورفع العذاب ودخول الجنة وحصول الرؤية ولعل الاكتفاء في طلب الحفظ بعذاب النار إيماء إلى أن ما عداه أمر سهل بل يكون سببا لمحو السيئات أو لرفع الدرجات فكأنه قال وقنا كل سيئة في الدنيا بخلاف الحسنة الشاملة في الدنيا والعقبى عبر عن السيئة بقوله عذاب النار والمراد سيئة يترتب عليها عذاب النار احترازا من سيئة تمحوها التوبة أو الشفاعة أو المغفرة والله تعالى أعلم وقال الطيبي قوله وقنا عذاب النار تتميم أي إن صدر منا ما يوجبه من التقصير والعصيان فاعف عنا وقنا عذاب النار، والله أعلم [1].

المضامين الدعوية [2]

---

(١) ينظر شرح مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح، المؤلف: الملا على القاري.

(٢) تم دمجها مع مضامين الحديث السابق.

الحديث رقم (١٤٧٠)

١٤٧٠- وعن ابن مسعودٍ رضي الله عنه: أنَّ النبيَّ ﷺ كَانَ يقول: ((**اللَّهُمَّ إنِّي أسْأَلُكَ الهُدَى، والتُّقَى، والعَفَافَ، والغِنَى**)). رواه مسلم[1].

ترجمة الراوي:

عبدالله بن مسعود: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (٣٧).

غريب الألفاظ:

التُّقى: جمع تُقاةٍ: وهي الخشية والخوف[2].

العفاف: الكفُّ عما لا يحلُّ ولا يجمُل من قول أو فعل[3].

الشرح الأدبي

لفظ (اللهم) مختص بنداء الله، وله خصوصية في الدعاء، لأنه مجمع الأسماء الحسنى (والنداء بصيغة (اللهم) نداء تفخيم وتعظيم، وأصل الأسلوب يا الله حذفت أداة النداء، وعوض عنها الميم في آخر لفظ الجلالة وقيل: زيدت الميم للتعظيم، والتفخيم فالسائل إذا قال: (اللهم إني أسألك) كأنه قال: (أدعو الله الذي له الأسماء الحسني والصفات العلى، بأسمائه وصفاته فأتي بالميم المؤذنة بالجمع في آخر هذا الاسم إيذانا بسؤاله تعالى بأسمائه كلها، والداعي مندوب إلى أن يسأل الله تعالى بأسمائه، وصفاته كما في الاسم الأعظم...) قال الحسن البصري (اللهم) مجمع الدعاء، وقال النضر بن شميل من قال (اللهم) فقد دعا الله بجميع أسمائه)[4] ثم إنه أكد هذا المعنى بإن إلحاحا في الطلب والمفردات المطلوبة في الدعاء مفردات ثرية ذات دلالة واسعة (الهُدَى، والتُّقَى،

---

(١) برقم (٢٧٢١/٧٢)، وتقدم برقم (٧١).

(٢) اللسان والوسيط في (و ق ى).

(٣) الوسيط في (ع ف ف).

(٤) ينظر دراسة الأساليب الإنشائية في صحيح الترغيب والترهيب للحافظ المنذري ص ٣٢٨، د. ناصر راضي الزهري، رسالة مخطوطة في كلية اللغة العربية جامعة الزهر بأسيوط.

والعَفَافَ، والغِنَى) فالهدى يوحي بالضياء، والرشاد، والتوفيق المؤذن بالفلاح الدنيوي، والأخروي، والتقى حذر يمنع من الإقدام على ما يوقع في المحذور ويوجب العقوبة، وعلى الجملة فهو معنى يمنع جميع المحذورات، والعفاف إحساس قلبي بكف الباطن عن مجرد الرغبة في الحرام أو ما فيه انتقاص لعزة النفس المؤمنة المنبعثة من توكلها على الله، والغنى يتضمن معاني الصفات السابقة بالإضافة إلى وجود ما يحتاج إليه مما لا غنى له عنه فلا يضطر للسؤال، مع شعور داخلي بالنعم يبعثه على الرضا.

المضامين الدعوية[1]

(١) تقدم ذكرها في شرح الحديث رقم (٧١).

الحديث رقم (١٤٧١)

١٤٧١- وعن طارق بن أَشْيَمَ ﷺ قَالَ: كَانَ الرَّجُلُ إِذَا أَسْلَمَ عَلَّمَهُ النَّبِيُّ ﷺ الصَّلَاةَ ثُمَّ أَمَرَهُ أَنْ يَدْعُوَ بِهَؤُلَاءِ الكَلِمَاتِ: ((**اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِي، وَارْحَمْنِي، وَاهْدِنِي، وَعَافِنِي، وَارْزُقْنِي**)). رواه مسلم[١].

وفي روايةٍ له[٢] عن طارق: أنَّه سمع النبيَّ ﷺ، وأتاهُ رَجُلٌ فَقَالَ: يَا رسول اللَّهِ، كَيْفَ أَقُولُ حِينَ أَسْأَلُ رَبِّي؟ قَالَ: ((**قُلْ: اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِي، وَارْحَمْنِي، وَعَافِنِي، وارْزُقْنِي، فإِنَّ هؤلَاءِ تَجْمَعُ لَكَ دُنْيَاكَ وَآخِرَتَكَ**)).

ترجمة الراوي:

طارق بن أَشْيَم: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (٣٩١).

غريب الألفاظ:

أسأل ربي: من السؤال بمعنى الطلب والرجاء[٣].

الشرح الأدبي

يشير استخدام كان إلى العادة -غالبا-، ويؤكد ذلك صياغة المعنى في ثوب الشرط الدال على اطراد الفعل حيث ربط إسلام العبد بتعليم الرسول ﷺ له الصلاة وهذا الدعاء، وهو ما يدل على أهمية هذا الدعاء الجامع اليسير الذي لا يحتاج معه حديث الإسلام إلى عناء في حفظه، وفهمه، وهو في ذات الوقت يربطه بربه في علاقة يشعر فيها بحاجته إليه، وهذا الدعاء الجامع الموجز مناسب لهذا المقام، وقوله (ثم أمره أن يدعو) يشير الربط بثم إلى وقت قطعه في تعليمه الصلاة، وتمكينها في نفسه، قبل تعليمه هذا الدعاء الجامع، وبناء عبارة الدعاء بهذه الكيفية أنسب لحال حديث

---

(١) أخرجه مسلم (٢٦٩٧/٣٥).

(٢) برقم (٢٦٩٧/٣٦). أورده المنذري في ترغيبه (٤٩٦٥).

(٣) النهاية في (س أ ل).

الإسلام فقوله (اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِي، وَارْحَمْنِي، وَاهْدِنِي، وَعَافِنِي، وَارْزُقْنِي) مع سهولته، ووجازته تضمن من المعاني طلب المغفرة، وهي التخلص من سيئات الشرك، وطلب الرحمة وهي ما يحتاجه الإنسان في كل أموره، والهداية تتضمن الرشاد في ما يستقبل من حياته، والعافية هي السلامة من كل شر من نفسه أو من غيره، ثم ختمها له بما يرغبه فيها، ويزيده تمسكا بها وهو طلب الرزق، والنفس كلفة بما يجلب لها عاجل الخير، وبذلك تكون هذه الصيغة جامعة لخير الدنيا، والآخرة، ولذلك قال في الرواية الثانية (فَإِنَّ هَؤُلَاءِ تَجْمَعُ لَكَ دُنْيَاكَ وَآخِرَتَكَ) وقد أكد الجملة بما يحقق مضمون الخبر، واستخدم الإشارة تعظيما لهذه الكلمات، والتعبير بالجمع يفيد الترغيب لدلالته على كثرة الخير، والجار، والمجرور المؤذن بالاختصاص، والطباق بين، قوله دُنْيَاكَ وبين قوله وَآخِرَتَكَ يؤكد معنى شمول خيرها للدارين.

المضامين الدعوية

أولاً: من وسائل الدعوة: التعليم.

ثانيًا: من موضوعات الدعوة: أهمية الصلاة.

ثالثًا: من مهام الداعية: دلالة المدعو على الدعاء بجوامع الدعاء.

أولاً- من وسائل الدعوة: التعليم:

هذا واضح من قول الصحابي: كان الرجل إذا أسلم علّمه النبي ﷺ الصلاة ثم أمره أن يدعو بهؤلاء الكلمات، وفي رواية عند مسلم: كان رسول الله ﷺ يعلّم من أسلم يقول: ((اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِي وَارْحَمْنِي وَاهْدِنِي وَارْزُقْنِي))[1].

ولذا كان التعليم من نهج النبي ﷺ في تبليغ الدعوة، وعلى الداعية الناجح أن يقتدي به في ذلك، فيعلّم المدعوين ما يجهلونه، يقول الشيخ محمد الغزالي عن أهمية التعليم: "الاهتداء إلى الحق نعمة جزيلة وانشراح الصدر به خير غزير، وأول ما يجب على أصحاب الحق -وقد عرفوه- أن يفتحوا عيون الآخرين على ضوئه وأن يعرفوا الجاهلين

---

(١) أخرجه مسلم ٣٤ - ٢٦٩٧.

به، وأن يجعلوه في الحياة واضحًا كشعاع الشمس شائعًا كأمواج الهواء، ذاك ما يفرضه الحق على أصحابه ألا يجعلوه عليهم حكرًا وألا يحرموا من نفعه أحدًا، وألا يدعوا نفسًا تعيش بعيدة عن هداه، وليس ذلك -بداهة- عن طريق القسر، بل عن طريق لفت الأنظار وإيضاح الخفي وشرح المبهم"[١].

ولا شك أن التعليم من وسائل الدعوة الفعالة، التي قد تكون أنسب ما تكون عند بداية إقبال المدعو على الدعوة، فيأتي التعليم لترسيخ مبادئ الدعوة وشعائرها في نفوس المدعوين، وكذلك عندما يريد الداعية أن يثبت أمرًا من أمور الدعوة في أفئدة المدعوين.

ثانيًا- من موضوعات الدعوة: أهمية الصلاة:

هذا واضح من كون النبي ﷺ يعلّم الرجل إذا أسلم - يعلّمه الصلاة. قال ابن عثيمين: "لأن الصلاة هي أهم أركان الإسلام بعد الشهادتين، أركان الإسلام خمسة: شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمدًا رسول الله، وإقام الصلاة، وإيتاء الزكاة، وصوم رمضان وحج بيت الله الحرام، وأعظم أركانه بعد شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمدًا رسول الله، الصلاة، فكان النبي ﷺ يعلّم الرجل إذا أسلم كيف يصلي"[٢].

وقال د. صالح الفوزان: "الصلاة هي آكد أركان الإسلام بعد الشهادتين وقد شرعت على أكمل وجوه العبادة وأحسنها، وقد تضمنت هذه الصلاة كثيرًا من أنواع العبادة، من ذكر لله، وتلاوة لكتابه، وقيام بين يدي الله، وركوع وسجود ودعاء وتسبيح وتكبير، وهي رأس العبادات البدنية ولم تخل منها شريعة رسول من رسل الله عليهم الصلاة والسلام، وقد فرضها الله على نبيه محمد ﷺ خاتم الرسل ليلة الإسراء والمعراج في السماء بخلاف سائر الشرائع، فدلّ ذلك على عظمتها وتأكد وجوبها ومكانتها عند الله، وقد جاء في فضلها ووجوبها على الأعيان أحاديث كثيرة، وفرضيتها معلومة من دين الإسلام بالضرورة، فمن جحدها فقد ارتد عن دين الإسلام،

---

(١) مع الله: دراسات في الدعوة والدعاة، محمد الغزالي ص ٣٠٢.

(٢) شرح رياض الصالحين ٢/١٥٥١.

يستتاب فإن تاب وإلا قتل بإجماع المسلمين"[1].

وقال عبدالله البسام: "والصلوات الخمس أكبر أركان الإسلام بعد الشهادتين، وأفضل الأعمال بعدهما لكونها وضعت على أكمل وجوه العبادة وأحسنها، ولجمعها ما تفرق من العبودية، وتضمنها أقسامها وأنواعها، فهي تكبير الله وتحميده تعالى، والثناء عليه وتهليله وحمده، وتنزيهه وتقديسه، وتلاوة كتابه، والصلاة والسلام على رسوله محمد ﷺ وعلى آله، ودعاء للحاضرين وجميع عباد الله الصالحين، وهي قيام وركوع وسجود وجلوس، وخفض ورفع، فكل عضو في البدن، وكل مفصل فيه له من هذه العبادة حظه، ورأس ذلك كله القلب الحاضر.

فرضها الله تعالى على عباده ليذكرهم بحقه، وليستعينوا بها على تخفيف ما يلقونه من مشاق هذه الحياة الدنيا.

والمجتمع الإنساني بحاجة إلى قوة إيمان ترفع نفسية أفراده على وجه الاستمرار إلى المثل العليا لئلا ترتبط الأفراد بالحاجات المادية والمصالح الشخصية، مما يؤدي إلى الفساد في الأرض.

إن الإنسان إذا لم تتصل روحه بمبدعها، ظهرت فيه مظاهر الاكتئاب، فالصلاة طمأنينة في القلب عند المصائب، وراحة للضمير عند النوائب.

قال تعالى: ﴿ٱسْتَعِينُوا۟ بِٱلصَّبْرِ وَٱلصَّلَوٰةِ﴾[2]. وهي زاجرة عن المنكرات، قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلصَّلَوٰةَ تَنْهَىٰ عَنِ ٱلْفَحْشَآءِ وَٱلْمُنكَرِ﴾[3]. ومكفرة للسيئات، قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلْحَسَنَٰتِ يُذْهِبْنَ ٱلسَّيِّـَٔاتِ﴾[4].

فالصلاة رأس القربات، وغرة الطاعات، لما فيها من تحقيق المناجاة ورافعة

---

(١) الملخص الفقهي ١/٩٣ - ٩٤ ط دار العاصمة.

(٢) سورة البقرة، الآية: ١٥٣.

(٣) سورة العنكبوت، الآية: ٤٥.

(٤) سورة هود، الآية: ١١٤.

الدرجات"[١].

ثالثًا- من مهام الداعية: دلالة المدعو على الدعاء بجوامع الدعاء:

هذا واضح من قول النبي ﷺ للرجل: قل: اللهم اغفر لي وارحمني وعافني وارزقني، فإن هؤلاء تجمع لك دنياك وآخرتك.

وعن سعد بن أبي وقاص قال: جاء أعرابي إلى رسول الله ﷺ فقال: علِّمْنِي كَلامًا أَقُولُهُ. قَالَ: ((قُلْ : لاَ إِلَهَ إِلاَّ اللَّهُ وَحْدَهُ لاَ شَرِيكَ لَهُ، اللَّهُ أَكْبَرُ كَبِيرًا وَالْحَمْدُ لِلَّهِ كَثِيرًا، سُبْحَانَ اللَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ، لاَ حَوْلَ وَلاَ قُوَّةَ إِلاَّ بِاللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَكِيمِ)). قَالَ: فَهَؤُلاَءِ لِرَبِّي. فَمَا لِي؟ قَالَ: ((قُلِ اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِي وَارْحَمْنِي وَاهْدِنِي وَارْزُقْنِي))[٢].

قال ابن عثيمين: "(اللهم اغفر لي)، يعني الذنوب، والكافر إذا أسلم غفر الله له ذنوبه، كما قال تعالى: ﴿قُل لِّلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ إِن يَنتَهُواْ يُغْفَرْ لَهُم مَّا قَدْ سَلَفَ﴾[٣]، ولكن مع ذلك فطلب المغفرة يستمر حتى بعد الإسلام فيكون من كل مسلم؛ لأن الإنسان لا يخلو من الذنوب، كما جاء في الحديث: ((كلُّ ابْنِ آدَمَ خَطَّاء، وَخيْرُ الْخَطَّائِينَ التَّوَّابُونَ))[٤].

"وارحمني": يعني: أسبغ عليّ رحمتك، ففيه طلب المغفرة، والمغفرة النجاة من السيئات والآثام والعقوبات، وفيه طلب الرحمة، والرحمة: حصول المطلوبات، لأن الإنسان لا يتم له الأمر إلا إذا نجا من المكروب وفاز بالمطلوب

"واهدني": الهداية هداية علم وبيان وهداية توفيق ورشد.

"وعافني وارزقني": عافني أي: من كل مرض، والأمراض نوعان: مرض قلبي كما قال تعالى: ﴿فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ فَزَادَهُمُ ٱللَّهُ مَرَضًا﴾[٥]، ومرض جسمي في الأعضاء والبدن،

---

(١) توضيح الأحكام ١/٣٧٢.

(٢) أخرجه مسلم ٢٦٩٦.

(٣) سورة الأنفال، آية: ٣٨.

(٤) أخرجه الترمذي ٢٤٩٩، وابن ماجه ٤٢٥١، وحسنه الألباني (صحيح سنن ابن ماجه ٣٤٢٨).

(٥) سورة البقرة، آية: ١٠.

وإذا سألت الله العافية فالمراد من هذا ومن هذا، ومرض القلب أعظم من مرض البدن، لأن مرض البدن إذا صبر الإنسان واحتسب الأجر من الله صار رفعة في درجاته وتكفيرًا لسيئاته والنهاية فيه الموت، والموت مآب كل حي ولا بد منه.

لكن مرض القلب - والعياذ بالله - فيه فساد الدنيا والآخرة إذا مرض القلب بالشك أو الشرك أو النفاق أو كراهة ما أنزل الله أو بغض أولياء الله أو ما أشبه ذلك، فقد خسر الإنسان دنياه وآخرته، ولهذا ينبغي لك إن سألت الله العافية أن تستحضر أنك تسأل الله العافية من مرض القلب والبدن، مرض القلب الذي مداره على شك أو شرك أو شهوة.

وكذلك اللفظ الآخر الذي ذكره المؤلف -أي: النووي- أن النبي ﷺ سأله رجل عما ينفعه وما يحتاجه؟ فأمره أن يدعو بهذا الدعاء: اللهم اغفر لي وارحمني واهدني وعافني وارزقني، فينبغي للإنسان أن يحرص على هذا الدعاء الذي علمه النبي ﷺ أمته، والذي يبادر بتعليمه من أسلم، (ارزقني) يعني الرزق الذي يقوم به البدن من الطعام والشراب واللباس والمسكن وغير ذلك. والرزق الذي يقوم به القلب وهو العلم النافع والعمل الصالح، وهذا يشمل هذا وهذا. فالرزق نوعان: رزق يقوم به البدن، ورزق يقوم به القلب والدين، والإنسان إذا قال (ارزقني) فهو يسأل الله هذا وهذا، والله الموفق"[1].

---

(١) شرح رياض الصالحين، ١٥٥١/٢.

الحديث رقم (١٤٧٢)

١٤٧٢- وعن عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما، قَالَ: قَالَ رَسُولُ الله ﷺ: ((اللَّهُمَّ مُصَرِّفَ القُلُوبِ صَرِّفْ قُلُوبنَا عَلَى طَاعَتِكَ)). رواه مسلم[١].

ترجمة الراوي:

عبدالله بن عمرو بن العاص: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (١٣٨).

غريب الألفاظ:

صَرِّف: وجِّه[٢].

الشرح الأدبي

هذا الحديث يدور حول معنى جامع من معان الدعاء التي تعد من جوامع كلمه ﷺ لأن القلب هو ملك الجوارح المصرف لها، وهي منقادة إليه، والله تعالى مالك القلوب يصرفها كيف يشاء، والدعاء بصيغة اللهم يناسب المعنى المطلوب في الدعاء لأنه دعاء بالقلب لإصلاح القلب في خشوع، وتضرع، والجناس بين (مصرف، ويصرف) يؤكد المعنى ويشير إلى العلاقة بين الاسم ومسماه والذي يوجب عل العبد أن يسأل النعمة ممن يملكها مع إقراره ضمنا بها لله تعالى والجناس بين القلوب، وقلوبنا يشعر العبد بملك الله لجميع القلوب بمعنى أن يستطيع أن يصرف قلوب العباد لمحبة هذا العبد، أو لبغضه، لنفعه أو لضره، كما انه يصرف قلبه لما فيه طاعة الله، وفوز العبد، أو لما فيه معصية الله، وهلاك العبد، وتصريف القلب للطاعة تحبيبها إليه، وشغله بها ثم إن التعبير بالتصريف يشير إلى تمام الملك، والسيطرة، والقدرة الموجهة لكل ذرة في الكون ثم إنه دعا بصيغ الجمع وهو أمر يندب الداعي إليه لكي يشفع لعاصيهم إذا جاء في رفقة صالحهم، والله كريم يكرم الصالحين، ويكرم بهم غيرهم كما مر في قوله (هؤلاء القوم لا يشقى بهم جليسهم).

---

(١) برقم (١٧/٢٦٥٤).

(٢) الوسيط في (ص ر ف).

المضامين الدعوية

أولاً: من موضوعات الدعوة: سؤال الله تثبيت القلوب وتصريفها على طاعته.

ثانيًا: من موضوعات الدعوة: أهمية القلب في الطاعة.

أولاً- من موضوعات الدعوة: سؤال الله تثبيت القلوب وتصريفها على طاعته:

الحديث في صحيح مسلم لفظه: عن عبدالله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما قال: أنه سمع رسول الله ﷺ يقول: (إن قلوب بني آدم كله بين إصبعين من أصابع الرحمن كقلب واحد، يصرفه حيث يشاء)، ثم قال رسول الله ﷺ: (اللهم مصرف القلوب، صرّف قلوبنا على طاعتك).

وقال رسول الله ﷺ: ((مَا مِنْ قَلْبٍ إلاَّ بَيْنَ إِصْبَعَيْنِ مِنْ أَصَابِعِ الرَّحْمنِ. إنْ شَاءَ أَقَامَهُ وَإِنْ شَاءَ أَزَاغَهُ. وَكَانَ رَسُولُ اللَّهِ يَقُولُ: يَا مُثَبِّتَ الْقُلُوبِ ثَبِّتْ قُلُوبَنَا عَلَى دِينِكَ))[1].

وعن عبدالله بن عمر رضي الله عنهما قال: ((أكثر ما كان النبيُّ ﷺ يَحلف: لا ومقلّبِ القلوب))[2]، وقد بوّب البخاري على هذا الحديث من كتاب التوحيد باب مقلب القلوب وقول الله تعالى: ﴿وَنُقَلِّبُ أَفْئِدَتَهُمْ وَأَبْصَارَهُمْ﴾[3]، قال ابن حجر: "قال الراغب: تقليب الشيء: تغييره من حال إلى حال، والتقليب التصرف، وتقليب الله القلوب والبصائر صرفها من رأي إلى رأي"[4]. فمعنى الحديث: أن الله يتصرف في قلوب عباده بما شاء لا يمتنع عليه شيء منها ولا تفوته إرادة، وقال البيضاوي: "في نسبة تقلب القلوب إلى الله إشعار بأنه يتولى قلوب عباده ولا يكله إلى أحد من خلقه، وفي دعائه ﷺ: يا مقلب القلوب ثبت قلبي على دينك، إشارة إلى شمول ذلك للعباد حتى الأنبياء عليهم السلام ورفع توهم من يتوهم أنهم يستثنون من ذلك، وخص نفسه بالذكر إعلامًا بأن نفسه الزكية

---

(١) أخرجه ابن ماجه ١٩٩، وصححه الألباني (صحيح سنن ابن ماجه ١٦٥).

(٢) أخرجه البخاري ٧٣٩١.

(٣) سورة الأنعام، آية: ١١٠.

(٤) المفردات ٤١١.

إذا كانت مفتقرة إلى أن تلجأ إلى الله سبحانه، فافتقار غيرها ممن هو دونه أحق بذلك"[١].

وقال أبو العباس القرطبي: "إن أحوال القلوب منتقلة غير ثابتة ولا دائمة، فحق العاقل أن يحذر على قلبه من قلبه، ويفزع إلى ربه في حفظه"[٢].

"ولهذا ينبغي على لإنسان -كما يقول ابن عثيمين رحمه الله- أن يسأل الله دائما أن يثبته وأن يصرف قلبه على طاعته ... وقوله: "صرف قلوبنا على طاعتك"، قد يتبادر إلى الذهن أن الأولى أن يقال: (إلى طاعتك)، لكن قوله: (على طاعتك)، أبلغ، يعني قلّب القلب على الطاعة فلا ينقلب على معصية الله، لأن القلب إذا تقلب على الطاعة صار ينتقل من طاعة إلى أخرى، من صلاة إلى ذكر إلى صدقة إلى صيام إلى علم إلى غير ذلك من طاعة الله، فينبغي لنا أن ندعو بهذا الدعاء: (اللهم مصرف القلوب صرف قلوبنا على طاعتك)"[٣].

ثانيًا- من موضوعات الدعوة: أهمية القلب في الطاعة:

وهذا يتضح في قوله ﷺ: "اللهم مصرف القلوب صرف قلوبنا على طاعتك)، قال ابن عثيمين: "إنما خص القلب، لأن القلب إذا صلح، صلح الجسد كله، وإذا فسد فسد الجسد كله"[٤].

وقال العز بن عبدالسلام: "القلوب مصدر كل خير وشر"[٥]، وقد قال رسول الله ﷺ: ((إِنَّ اللَّهَ لاَ يَنْظُرُ إِلَىٰ صُوَرِكُمْ وَأَمْوَالِكُمْ. وَلَكِنْ يَنْظُرُ إِلَىٰ قُلُوبِكُمْ وَأَعْمَالِكُمْ))[٦].

---

(١) فتح الباري ٢٣٧/٣.

(٢) المفهم ٦٧٣/٦.

(٣) شرح رياض الصالحين ١٥٥٢/٢.

(٤) السابق ١٥٥٢/٢.

(٥) شجرة المعارف والأحوال وصالح الأقوال والأعمال ص ٥٨.

(٦) أخرجه مسلم ٢٥٦٤.

وفي رواية: ((التَّقْوَى هٰهُنَا)). وَيُشِيرُ إِلَى صَدْرِهِ ثَلاَثَ مَرَّاتٍ[١].

قال النووي: "معناها: أن الأعمال الظاهرة لا يحصل بها التقوى، إنما تحصل بما يقع في القلوب من عظمة الله تعالى وخشيته ومراقبته"[٢].

وقال النبي ﷺ: ((أَلاَ وَإِنَّ فِي الْجَسَدِ مُضْغَةً ، إِذَا صَلَحَتْ صَلَحَ الْجَسَدُ كُلُّهُ وَإِذَا فَسَدَتْ، فَسَدَ الْجَسَدُ كُلُّهُ، أَلاَ وَهِيَ الْقَلْبُ))[٣].

قال ابن حجر: "وخصّ القلب بذلك لأنه أمير البدن، وبصلاح الأمير تصلح الرعية وبفساده تفسد، وفيه تنبيه على تعظيم قدر القلب والحث على صلاحه"[٤].

وقال النووي: "وفي هذا الحديث التأكيد على السعي في صلاح القلب وحمايته من الفساد"[٥].

وقال ابن رجب الحنبلي: "إن صلاح حركات العبد بجوارحه واجتنابه المحرمات واتقاءه للشبهات بحسب صلاح حركة قلبه.

فإذا كان قلبه سليما، ليس فيه إلا محبة الله، ومحبة ما يحبه الله وخشية الوقوع فيما يكرهه، صلحت حركات الجوارح كلها، ونشأ عن ذلك اجتناب المحرمات كلها وتوقي الشبهات حذرا من الوقوع في المحرمات.

وإن كان القلب فاسدا قد استولى عليه اتباع الهوى وطلب ما يحبه ولو كرهه الله فسدت حركات الجوارح كلها، وانبعثت إلى كل المعاصي والمشتبهات بحسب اتباع هوى القلب.

ولهذا يقال: القلب مَلِكُ الأعضاء وبقية الأعضاء جنوده، وهم مع هذا جنود طائعون له منبعثون في طاعته، وتنفيذ أوامره، لا يخالفونه في شيء من ذلك، فإن كان الملك

---

(١) أخرجه مسلم ٣٢ - ٢٥٦٤.

(٢) شرح صحيح مسلم ١٢٢/١٦/٨ ط/ دار عالم الكتب.

(٣) أخرجه البخاري ٥٢، ومسلم ١٥٩٩.

(٤) فتح الباري، ١٥٦/١ ط/ الريان.

(٥) شرح صحيح مسلم، ٢٩/١١/٦ ط/ دار عالم الكتب.

صالحا كانت هذه الجنود صالحة وإن كان فاسدا كانت جنوده بهذه المشابهة فاسدة، ولا ينفع عند الله إلا القلب السليم كما قال تعالى ﴿يَوْمَ لَا يَنفَعُ مَالٌ وَلَا بَنُونَ ۝ إِلَّا مَنْ أَتَى ٱللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ﴾[1].

وكان النبي ﷺ يقول في دعائه "اللهم إنى أسألك قلبا سليما"[2] فالقلب السليم هو السالم من الآفات والمكروهات كلها وهو القلب الذي ليس فيه سوى محبة الله وخشيته وخشية ما يباعد منه.

وفي مسند أحمد عن أنس عن النبي ﷺ قال: "لا يستقيم إيمان عبد حتى يستقيم قلبه"[3].

والمراد باستقامة إيمانه: استقامة أعمال جوارحه، فإن أعمال جوارحه لا تستقيم إلا باستقامة القلب، ومعني استقامة القلب: أن يكون ممتلئا من محبة الله تعالى ومحبة طاعته وكراهة معصيته.

وقال الحسن لرجل: دَاوِ قلبك فإن حاجة الله إلى العباد صلاح قلوبهم: يعني أن مرادَه منهم ومطلوبَه صلاح قلوبهم فلا صلاح للقلوب حتى تستقر فيها معرفة الله وعظمته ومحبته وخشيته ومهابته ورجاؤه والتوكل عليه وتمتلئ من ذلك وهذا هو حقيقة التوحيد وهو معنى قول لا إله إلا الله، فلا صلاح للقلوب حتى يكون إلهها الذي تألهه وتعرفه وتحبه وتخشاه هو إله واحد لا شريك له، ولو كان في السموات والأرض إله يُؤْلَه سوى الله لفسدت بذلك السموات والأرض كما قال تعالى ﴿لَوْ كَانَ فِيهِمَآ ءَالِهَةٌ إِلَّا ٱللَّهُ

---

(١) سورة الشعراء، الآيتان: ٨٨، ٨٩ .

(٢) أخرجه أحمد، ١٧١١٤/٢٨، ١٧١٣٣، والترمذي، ٣٤٠٧، والنسائي، ٥٤/٣، ١٣٠٥، عن شداد بن أوس أن رسول الله ﷺ كان يقول في صلاته: "اللهم إني أسألك الثبات في الأمر، والعزيمة على الرشد، وأسألك شكر نعمتك، وحسن عبادتك، وأسألك قلبًا سليمًا، ولسانًا صادقًا، وأسألك من خير ما تعلم، وأعوذ بك من شر ما تعلم، وأستغفرك لما تعلم"، وقال محققو المسند: حديث حسن بطرقه.

(٣) أخرجه أحمد ٣٤٣/٢٠، ١٣٠٤٨، وتمامه: "ولا يستقيم قلبه حتى يستقيم لسانه، ولا يدخل الجنة رجل لا يأمن جاره بوائقه، وقال محققو المسند: إسناده ضعيف.

لَفَسَدَتَا ﴾[١].

فعلم بذلك أنه لا صلاح للعالم العلوي والسفلي معًا حتى تكون حركات قلوب أهله كلها لله وحركات الجسد تابعة لحركات القلب وإرادته، فإن كانت حركته وإرادته لله وحده فقد صلح وصلحت حركات الجسد كله، وإن كانت حركة القلب، وإرادته لغير الله فسد، وفسدت حركات الجسد بحسب فساد حركة القلب[٢].

(١) سورة الأنبياء، الآية: ٢٢ .

(٢) جامع العلوم والحكم، ١/٢١٠-٢١٢.

الحديث رقم (١٤٧٣)

١٤٧٣- وعن أَبي هريرة رضي الله عنه، عن النبيِّ ﷺ، قَالَ: ((تَعَوَّذُوا بِاللهِ مِنْ جَهْدِ البَلاَءِ، وَدَرَكِ الشَّقَاءِ، وَسُوءِ القَضَاءِ، وَشَمَاتَةِ الأَعْدَاءِ)) متفق عَلَيْهِ[١].

وفي روايةٍ[٢] قَالَ سفيان: أَشُكُّ أنِّي زِدْتُ واحدةً مِنْهَا.

ترجمة الراوي:

أبو هريرة: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (٧).

غريب الألفاظ:

جهد البلاء: الحالة الشاقة[٣].

الدرك: الإدراك واللحاق[٤].

الشقاء: الهلاك ويطلق على السبب المؤدي إلى الهلاك[٥].

سوء القضاء: يكون في أمور الدنيا وفي أمور الآخرة، فهو عام في النفس والمال والأهل والولد والخاتمة والمعاد والمراد بالقضاء هنا المقضي لأن حكم الله كله حسن لا سوء فيه[٦].

شماتة الأعداء: الشماتة: فرح العدو ببلية تنزل بمن يعاديه[٧].

الشرح الأدبي

تعميم الخطاب في الأمر بالتعوذ يشير إلى أهميته، بحيث لا يختص بأحد دون أحد،

---

(١) أخرجه البخاري (٦٦١٦) واللفظ له، ومسلم (٢٧٠٧/٥٣).

(٢) أخرجها البخاري عقب الحديث (رقم ٦٣٤٧)، ومسلم عقب الحديث الذي تقدم، واللفظ له.

(٣) النهاية في (ج هـ د).

(٤) فتح الباري ١٥٢/١١.

(٥) فتح الباري ١٥٢/١١.

(٦) فتح الباري ٢٥٣/١١.

(٧) النهاية في (ش م ت).

وتعلق العوذ بالله يعطيه بُعدا يشعر بالطمأنينة والأمن لقدرته على تحقيق العوذ، وصرف المستعاذ منه، لأنه لا يصح التعوذ إلا بمن قدر على إزالة ما استعيذ به منه، وفي العبارة تناسب في ترتيب المعاني وهي عبارة جامعة، لأن المكروه إما أن يلاحظ من جهة المبدأ وهو سوء القضاء، أو من وجهة المعاد، وهو درك الشقاء إذ شقاوة الآخرة هي الشقاء الحقيقي، أو من جهة المعاش، وذلك إما من جهة غيره، وهو شماتة الأعداء أو من جهة نفسه، وهو جهد البلاء، وفيها تناسب في المعاني، والألفاظ من حيث جعله الجهد للبلاء، والدرك للشقاء، والسوء للقضاء، والشماتة للأعداء، وفي العبارة حسن تقسيم في تتبع المستعاذ منه في الدنيا، والآخرة، وفيها سجع بديع يحقق لها قبول النفس، وسهولة الحفظ وخفة في السمع تحقق الإنصات، وفيها ازدواج بين جملها أعطاها إيقاعا خاصا يجعلها متناسقة متوازنة.

المضامين الدعوية

أولاً: من أساليب الدعوة: الأمر.

ثانيًا: من موضوعات الدعوة: الاستعاذة من كل مكروه في الدنيا والآخرة.

ثالثًا: من آداب الداعية والمدعو: الافتقار إلى الله والتذلل له.

أولاً - من أساليب الدعوة: الأمر:

هذا واضح من قوله ﷺ: (تعوذوا بالله من جهد البلاء ودَرَك الشقاء وسوء القضاء وشماتة الأعداء)، وهذا الأمر فيه شفقة من النبي ﷺ على أمته، وحث لهم على الاستعاذة من هذه الأشياء لعظم خطرها، وقد كان النبي ﷺ يستعيذ من هذه الأمور فلفظ مسلم: ((أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ كَانَ يَتَعَوَّذُ مِنْ سُوءِ الْقَضَاءِ، وَمِنْ دَرَكِ الشَّقَاءِ، وَمِنْ شَمَاتَةِ الأَعْدَاءِ، وَمِنْ جُهْدِ الْبَلاَءِ))[1].

وقال ابن هبيرة: "في هذا الحديث أن رسول الله ﷺ أمر بالتعوذ من هذه الأشياء"[2].

(١) أخرجه مسلم ٥٣ - ٢٧٠٦.

(٢) الإفصاح عن معاني الصحاح، ٤٠٩/٦.

ثانيًا - من موضوعات الدعوة: الاستعاذة من كل مكروه في الدنيا والآخرة:

قال ابن حجر: "إن كل أمر يكره يلاحظ فيه جهة المبدأ وهو سوء القضاء وجهة المعاد وهو دَرَك الشقاء، لأن شقاء الآخرة هو الشقاء الحقيقي، وجهة المعاش وهو جهد البلاء، وأما شماتة الأعداء فتقع لكل من وقع له كل من الخصال الثلاثة، وقال ابن بطال وغيره: "جهد البلاء كل ما أصاب المرء من شدة ومشقة وما لا طاقة له بحمله ولا يقدر على دفعه"[1].

وقال ابن عثيمين: "جهد البلاء أي من البلاء الذي يبلو الجهد أي: الطاقة، والبلاء نوعان: بلاء جسمي كالأمراض، وبلاء ذكري معنوي بأن يبتلى الإنسان بمن يتسلط عليه بلسانه، فينشر معايبه ويخفي محاسنه وما أشبه ذلك، هذا من البلاء الذي يشق على الإنسان، وربما يكون مشقة هذا على الإنسان أبلغ من مشقة جهد البدن، فيتعوذ الإنسان بالله من جهد البلاء، أما البلاء البدني فأمره ظاهر، أمراض في الأعضاء أوجاع في البطن، في الصدر، في الرأس، في الرقبة في أي مكان، هذا من البلاء وربما يكون أيضًا من البلاء قسم ثالث وهو ما يبتلى الله به العبد من المصائب العظيمة الكبيرة، فمن الناس من يعبد الله على حرف، فإن أصابه خير اطمأن به وإن أصابته فتنة انقلب على وجهه، نجد إيمانًا مثلاً متزعزعًا، أدنى شبهة تَرِدُ عليه تصرفه عن الحق، تجده لا يصبر، أدنى بلاء يصيبه يصرفه عن الحق فيتسخط على قضاء الله وقدره، وربما يقع في قلبه أشياء لا تليق بالله عز وجل من أجل هذا البلاء.

"ومن درك الشقاء"، أي: ومن أن يدركك الشقاء، والشقاء ضد السعادة، السعادة سببها العمل الصالح، والشقاء سببه العمل السيئ، فإذا استعذت بالله من درك الشقاء فهذا يتضمن الدعاء بألا تعمل عمل الأشقياء.

(ومن سوء القضاء)، سوء القضاء يحتمل معنيين: المعنى الأول: أن أقضي قضاء سيئًا، والمعنى الثاني: أن الله يقضي على الإنسان قضاء يسوءه، القضاء يعني الحكم،

---

(١) فتح الباري، ١١/١٤٩ ط السلفية.

فالإنسان ربما يحكم بالهوى، ويتعجل الأمور ولا يتأنى ويضطرب، هذا سوء قضاء، كذلك القضاء من الله، قد يقضي الله عز وجل على الإنسان قضاء يسوؤه ويحزنه، فتستعيذ بالله عز وجل من سوء القضاء.

(ومن شماتة الأعداء)، الأعداء جمع عدو، وقد ذكر الفقهاء ضابطًا للعدو فقالوا: من سره ما ساء في شخص أو غمه فرحه فهو عدوه، كل إنسان يسره ما ساءك أو يغمه فرحك فهو عدو لك.

وشماتة الأعداء أن الأعداء يفرحون عليك يفرحون بما أصابك، والعدو لا شك أنه يفرح في كل ما أصاب الإنسان من بلاء، ويحزن في كل ما أصابه من خير، فأنت تستعيذ بالله عز وجل من شماتة الأعداء، فأمرنا الرسول ﷺ أن نتعوذ بالله من هذه الأمور الأربعة، فينبغي للإنسان أن يمتثل أمر الرسول ﷺ وأن يستعيذ بالله منها لعل الله أن يستجيب له، والله الموفق"[1].

وقال ابن هبيرة: "في هذا الحديث أن رسول الله ﷺ أمر بالتعوذ في هذه الأشياء:

- وجهد البلاء: شدته، وقل ما يعرض البلاء لمؤمن إلا ويكفر حوبًا[2] أو يرفع درجة، فإذا اشتد خيف منه، فلذلك استعاذ رسول الله ﷺ منه[3].

- ودَرَك الشقاء: هو لحوق الشقاء.

- وسوء القضاء، ضد حسن القضاء، فيجوز أن يكون المراد به الجور في الحكم، وأن يحكم الحاكم بأحكام زائغة عن الحق، فيكون على معنى قول من قال: والقضاء خطر؛ أي والحكم خطر.

- وأما شماتة الأعداء، فإن أعدى الأعداء إبليس، ولا شماتة له أعظم من دخول الإنسان النار، وأن ينصرف من بين يدي ربه، وقد يئس من رحمته، فهذا هو أقطع

---

(١) شرح رياض الصالحين ١٥٥٢/٢ - ١٥٥٣.

(٢) الحوب: الإثم والذنب. انظر: المصباح المنير ١٨٧.

(٣) قال القرطبي في المفهم، ٣٥/٧: المتعوذ منه أن يلحقه شقاء في الدنيا يتعبه ويثقله. وفي الآخرة: يعذبه... وروى عن ابن عمر رضي الله عنهما قال: جهد البلاء: قلة المال وكثرة العيال.

الشماتة، وما دون هذا من شماتة الأعداء أهل الدنيا؛ فإنه صعب مؤلم كنكاء القرح بالقرح[١]، والله يعيذنا من ذلك في الدنيا والآخرة بكرمه وجوده)[٢].

ثالثًا- من آداب الداعية والمدعو: الافتقار إلى الله والتذلل له:

هذا واضح من أمر النبي ﷺ بالاستعاذة بالله من هذه الأمور. قال ابن حجر: "قال ابن الجوزي: فيه مشروعية الاستعاذة، ولا يعارض ذلك كون ما سبق في القدر لا يرد، لاحتمال أن يكون مما قضى، فقد يقضي على المرء مثلاً بالبلاء ويقضي أنه إن دعا كشف، فالقضاء محتمل للدافع والمدفوع، وفائدة الاستعاذة والدعاء إظهار العبد فاقته لربه وتضرعه إليه"[٣].

وقال أبو العباس القرطبي: "وإنما دعا النبي ﷺ بهذه الدعوات، وتعوذ بهذه التعوذات إظهارًا للعبودية وبيانًا للمشروعية، ليقتدي بدعواته ويتعوذ بتعويذاته"[٤].

و"الدعاء عبادة وله أثر بالغ وفائدة عظيمة، ولولا ذلك لم يأمرنا الحق عز وجل بالدعاء ولم يرغب النبي ﷺ فيه، فكم رفعت محنة بالدعاء، وكم من مصيبة أو كارثة كشفها الله بالدعاء، وقد أورد القرآن الكريم جملة من الأدعية استجابها الله تعالى بمنّه وفضله وكرمه، وكان من جملة أسباب النصر في بدر دعاء النبي ﷺ، والدعاء سبب أكيد لغفران المعاصي، ولرفع الدرجات ولجلب الخير، ودفع الشر، ومن ترك الدعاء فقد سدّ على نفسه أبوابًا كثيرة من الخير، وقال الغزالي: فإن قلت فما فائدة الدعاء والقضاء لا مرد له؟

فاعلم أن من القضاء رد البلاء بالدعاء، فالدعاء سبب لرد البلاء واستجلاب الرحمة، كما أن الترس سبب لرد السهام، والماء سبب لخروج النبات من الأرض، فكما أن الترس يدفع السهم فيتدافعان، فكذلك الدعاء والبلاء يتعالجان.

---

(١) نكأت القرحة إذا قشرتها، ونكأت في العدو، إذا قتلت وأثخنت، انظر: المصباح المنير، ٧٦٧.

(٢) الإفصاح عن معاني الصحاح ٤٠٩/٦.

(٣) فتح الباري ١٤٩/١١ ط السلفية.

(٤) المفهم ٣٥/٧.

وليس من شرط الاعتراف بقضاء الله تعالى ألا يحمل السلاح، وقد قال تعالى: ﴿وَلْيَأْخُذُوا حِذْرَهُمْ وَأَسْلِحَتَهُمْ﴾[1]، كما أنه ليس من شرطه ألا يسقي الأرض بعد بث البذر، فيقال: إن سبق القضاء بالنبات نبت البذر، وإن لم يسبق لم ينبت، بل ربط الأسباب بالمسببات هو القضاء الأول الذي كلمح البصر أو هو أقرب، وترتيب تفصيل المسببات على تفاصيل الأسباب على التدريج والتقدير هو القدر، والذي قدر الخير قدره بسبب، والذي قدر الشر قدر لرفعه سببًا، فلا تناقض بين هذه الأمور عند من انفتحت بصيرته، ثم في الدعاء من الفائدة أنه يستدعي حضور القلب مع الله وهو منتهى العبادات، ولذلك قال ﷺ: ((الدُّعَاء مُخُّ العِبَادَةِ))[2].

والغالب على الخلق ألا تنصرف قلوبهم إلى ذكر الله عز وجل إلا عند إلمام حاجة وإرهاق ملمة، فإن الإنسان إذا مسه الشر فذو دعاء عريض، فالحاجة تحوج إلى الدعاء، والدعاء يرد القلب إلى الله عز وجل بالتضرع والاستكانة، فيحصل به الذكر الذي هو أشرف العبادات، ولذلك صار البلاء موكلاً بالأنبياء عليهم السلام ثم الأولياء ثم الأمثل فالأمثل، لأنه يرد القلب بالافتقار والتضرع إلى الله عز وجل، ويمنع من نسيانه، وأما الغنى فسبب للبطر في غالب الأمور، فإن الإنسان ليطغى أن رآه استغنى"[3].

---

(١) سورة النساء، آية: ١٠٢.

(٢) أخرجه الترمذي ٣٣٧١، وضعفه الألباني، (ضعيف سنن الترمذي، ٦٦٩)، والحديث صحيح بلفظ "الدعاء هو العبادة"، أخرجه أبو داود ١٤٧٩، والترمذي ٣٣٧٢، من حديث النعمان بن بشير رضي الله عنه، وصححه الألباني (صحيح سنن أبي داود ١٣١٢).

(٣) إحياء علوم الدين ٥٩٢/١ - ٥٩٣، والموسوعة الفقهية ٢٥٩/٢٠ - ٢٦٠.

الحديث رقم (١٤٧٤)

١٤٧٤- وعنه، قَالَ: كَانَ رسُولُ اللَّه ﷺ يقول: ((اللَّهُمَّ أصْلِحْ لِي دِينِي الَّذِي هُوَ عِصْمَةُ أمْرِي، وأصْلِحْ لِي دُنْيَايَ الَّتي فِيهَا مَعَاشِي، وأصْلِحْ لِي آخِرَتِي الَّتي فِيهَا مَعَادي، وَاجْعَلِ الحيَاةَ زِيَادَةً لِي فِي كُلِّ خَيْرٍ، وَاجْعَلِ المَوتَ رَاحَةً لِي مِنْ كُلِّ شَرٍّ)). رواه مسلم[١].

ترجمة الراوي:

أبو هريرة: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (٧).

غريب الألفاظ:

عصمة أمري: العصمة: المنعة والحفظ وعصمة أمري: ما أعتصم به في جميع أموري[٢].

معاشي: المعاش: ما يعاش به أو فيه، وما تكون به الحياة من مطعم ومشرب ونحوه[٣].

معادي: ما أعود وأصير إليه يوم القيامة[٤].

الشرح الأدبي

معنى الحديث يدور حول الدعاء بشمول خيري الدنيا، والآخرة وقد قام على عدة ألوان بلاغية منها الطباق بين ديني الذي يعني الآخرة، وبين دنياي ليقرر عمومها بالإصلاح، وقوله (عصمة أمري) أي ما يعتصم به، العصمة المنع والحفظ، وقيل معناه أن الدين حافظ جميع أموري فإن من فسد دينه فسد جميع أموره وخاب وخسر في غيبته وحضوره وحزنه وسروره، وكذلك الطباق بين معاشي، ومعادي ليشمل حركة الإنسان في الدنيا رقيا في عمل الدنيا، والآخرة، وضبطا له وفق الصلاح الذي فطر الله الناس

---

(١) برقم (٧١/٢٧٢٠).

(٢) النهاية في (ع ص م)، ودليل الفالحين ١٥٣١.

(٣) القاموس المحيط في (ع ي ش).

(٤) النهاية في (ع و د).

عليه، والذي يسري مع ما جاء به الرسول ﷺ كما قابل بين قوله (وَاجْعَلِ الحَيَاةَ زِيَادَةً لِي فِي كُلِّ خَيْرٍ) وبين قوله، (وَاجْعَلِ المَوتَ رَاحَةً لِي مِنْ كُلِّ شَرٍّ) ليحدد الحياة التي يريدها في طاعة الله لا تتخلف عنها حتى يدركها الموت الذي يمنع انحرافها عن طريق الله، لأن الموت أيسر على المؤمن من حياة على معصية تسلم إلى النار، ولذلك عبر بلفظ راحة الذي يوحي بالخلاص من مقابله وهو التعب، والعناء من شرور الدنيا بكل أشكالها لاسيما ما يسلم إلى عذاب الآخرة، والمتأمل لتكرار كلمة (أصلح) في الحديث يدرك أنها المعنى الذي يقرره الدعاء، ويسعى لتحقيقه لأن مفهومه المرجو يضبط حركة العبد في الدنيا بما يتناغم مع الآخرة بحيث ينتقل من صلاح في الدنيا يترتب عليه صلاح في الآخرة.

المضامين الدعوية

أولاً: من موضوعات الدعوة: الحرص على جوامع الدعاء.

ثانيًا: من فقه الداعية: مراعاة الأولويات في الدعاء.

ثالثًا: من موضوعات الدعوة: الحرص على سؤال الله إصلاح الدين وخيري الدنيا والآخرة.

أولاً – من موضوعات الدعوة: الحرص على جوامع الدعاء:

هذا واضح من الحديث، فقد دعا النبي ﷺ بصلاح الدين، وصلاح الدنيا، وصلاح الآخرة، والزيادة من كل خير في الدنيا وجعل الموت راحة من كل شر، فقد جمع ﷺ بين خيري الدنيا والآخرة.

قال الطيبي: "قوله: (عصمة أمري)، هو من قوله تعالى: ﴿وَٱعۡتَصِمُواْ بِحَبۡلِ ٱللَّهِ جَمِيعٗا﴾[1]، أي: بعهد الله، وهو الدين، وإصلاح الدنيا عبارة عن الكفاف فيما يحتاج إليه، وأنه يكون حلالاً ومعينًا على الطاعة، وإصلاح المعاد: اللطف والتوفيق على طاعة الله وعبادته، وطلب الراحة بالموت إشارة إلى قوله ﷺ: ((وَإِذَا أَرَدْتَ فِتْنَةَ قَوْمٍ فَتَوَفَّنِي

---

(١) سورة آل عمران، آية: ١٠٣.

غَيْرَ مَفْتُونٍ))[١].

وقد كان النبي ﷺ يستحب الجوامع من الدعاء، ويدع ما سوى ذلك[٢]، قال ابن الأثير: "هي التي تجمع الأغراض الصالحة والمقاصد الصحيحة أو تجمع الثناء على الله تعالى وآداب المسألة"[٣]. وقال ابن هبيرة: "هذا الحديث يشمل على دعاء شامل، وهو من جوامع الكلم التي أوتيها رسول الله ﷺ"[٤].

ثانيًا- من فقه الداعية: مراعاة الأولويات في الدعاء:

وذلك اقتداءً بالنبي ﷺ، فقد بدأ بالدعاء بإصلاح الدين الذي هو عصمة الأمر، ثم ثنّاه بالدعاء بإصلاح الدنيا التي هي معاش الإنسان، يعمل فيها لآخرته وهي طريقه إليها، فبصلاح الدين والدنيا تتصلح الآخرة بإذن الله، والتي هي معاده وقراره وحياته الحقّة، ولا سبيل إلى صلاح الآخرة إلا بصلاح الدين والدنيا ولهذا بدأ بهما النبي ﷺ.

ثم إن الإنسان في الحياة الدنيا معرض للخير والشر؛ فالإنسان في الخير يزداد وفي الشر يتعرض للنقصان والفتنة، لذا دعا النبي ﷺ أن تكون حياته طريقًا للزيادة من كل خير يعود عليه في دينه ودنياه، وإلا كان الموت راحة من كل شر وأذى يلحق بالدين والدنيا، فدعا النبي ﷺ بالزيادة في الخير في الحياة، كما دعا بأن الموت يكون راحة من الشر والأذى.

والمتدبر في هذا الدعاء يجد الأولويات في الدعاء: فالدعاء بصلاح الدين ثم بصلاح الدنيا ثم بصلاح الآخرة ثم الزيادة من كل خير في الحياة، وجعل الموت خلاصًا من الشر والفتنة.

قال ابن هبيرة: (هذا الحديث يشتمل على دعاء شامل، وهو من جوامع الكلم التي أوتيها رسول الله ﷺ.

---

(١) أخرجه الترمذي ٣٢٣٣، وصححه الألباني (صحيح سنن الترمذي ٢٥٨٠).

(٢) شرح الطيبي على المشكاة ٢٠١/٥.

(٣) النهاية في غريب الحديث ١٦٤.

(٤) الإفصاح عن معاني الصحاح ٨١/٨.

فأما قوله: "أصلح لي ديني" فإنه بدأ بالأهم، وهو الدين، ثم وصفه بأنه عصمة الأمر في الدنيا من الهلكة، وفي الآخرة من النار.

ثم ذكر بعد ذلك الدنيا فقال: "وأصلح لي دنياي"، والدنيا صفة لموصوف محذوف، والمحذوف هو الحياة، فإذا قلت الدنيا؛ فمعناه الحياة الدنيا؛ فلما أضافها ﷺ فقال: "دنياي" أضاف الصفة إليه ﷺ.

ثم ذكر العذر في سؤاله إصلاحها؛ بأن قال: "التي فيها معاشي" يعني التي أعيش فيها لأعبدك، ومن المعاش الكسب والسعي في الأرض لاستجلاب الرزق وذلك قد يكون عبادة لله عز وجل، ثم عقب ذلك بأن قال: "وأصلح لي آخرتي التي فيها معادي" فرتب ﷺ الآخرة بعد الدنيا من حيث إنها بعدها زمانًا ووقتًا، ثم ذكرها ﷺ ليكون ذكره لها إيمانًا بها وإقرارًا بالمعاد إليها، ثم طلب ﷺ ليكون ذكره بعد ذلك كله، أن يجعل الله سبحانه وتعالى الحياة زيادة له في كل خير؛ لأن الحياة إنما يقصد بها المؤمنون أن يزدادوا من الخير عند ربهم جل جلاله.

ثم قال: "واجعل الموت راحة لي من كل شر" فأراد ﷺ أن يجعل الموت راحة له من كل شر، لا من عبادة الله سبحانه وخدمته، فإن العبادة خير"[1].

ويمكن أن يستأنس في هذا المقام بدعاء النبي ﷺ: ((اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ الْهُدَى وَالتُّقَى، وَالْعَفَافَ وَالْغِنَى))[2].

فقد بدأ ﷺ بسؤال (الهدى والتقى)، وهما يتناولان - كما يقول الطيبي: "كل ما ينبغي أن يهتدي إليه من أمر المعاش والمعاد ومكارم الأخلاق، وكل ما يجب أن يتقى من الشرك والمعاصي ورذائل الأخلاق"[3]، ثم ثنّى ﷺ بطلب العفاف والغنى ولا شكّ أنهما يأتيان بعد الهدى والتقى، وهما دونهما في المنزلة والدرجة، فلا ينفعان إذا لم يكن هناك هدى وتقى، فقد قال النووي: "العفاف: التنزه عما لا يباح والكف عنه،

---

(١) الإفصاح عن معاني الصحاح، ٨/٨١، ٨٢.

(٢) أخرجه مسلم ٢٧٢١.

(٣) شرح الطيبي على المشكاة ٥/٢٠١.

والغنى هنا غنى النفس والاستغناء عن الناس وعما في أيديهم"[1].

ثالثًا- من موضوعات الدعوة: الحرص على سؤال الله إصلاح الدين وخيري الدنيا والآخرة:

فقد "بدأ النبي ﷺ بالدين، الذي به يعتصم الإنسان من الشر ويعتصم من الأعداء، لأنه كلما صلح الدين اعتصم به من كل شر، وصلاح الدين يكون بالإخلاص لله والمتابعة لرسول الله ﷺ، فمن أشرك بالله فدينه غير صالح، من صلّى رياءً أو تصدق رياء أو صام رياء أو قرأ القرآن رياء أو ذكر الله رياءً أو طلب العلم رياءً، فكل هذا عمله غير صالح والعياذ بالله.

وقوله: (هو عصمة أمري)، يعني الذي أعتصم به من الشر والفتن وغير ذلك، (وأصلح لي دنياي التي فيها معاشي)، الدنيا معاش تقيم فيه أو تسكن فيها إلى أن تموت، ولكنها ليست دار قرار، وأين الذين استقروا فيها؟ أين الملوك وأبناء الملوك؟ أين الأغنياء؟ أين الأثرياء؟ أين الفقراء؟ أين الأسياد؟ كلهم ذهبوا فصاروا أحاديث،وأنت في يوم من الأيام ستكون أحاديث، فالدنيا معاش فقط وليست قرارًا، ولكنها إن وفق الإنسان فيها إلى العمل الصالح وجعلها منفعة للآخرة، فيا حبذا، وإن كانت الأخرى وصار يعمل للدنيا لا للآخرة خسر الدنيا والآخرة والعياذ بالله، ولهذا قال (التي فيها معاشي)، فقط معاش يعيش الإنسان ثم يتركها.

(وأصلح لي آخرتي التي إليها معادي)، الآخرة هي التي إليها المعاد، ولا مفر منها... المهم أن كل إنسان معاده إلى الآخرة، ولهذا قال "أصلح لي آخرتي التي فيها معادي"، وصلاح الآخرة أن الله تعالى ينجيك من عذاب النار ويدخلك الجنة.

(واجعل الحياة زيادة لي في كل خير، واجعل الموت راحة لي من كل شر)، الإنسان إذا وفق في هذه الحياة وصار يزداد خيرًا كل يوم يكتسب عملاً صالحًا ويحس بذلك بنفسه وتجده يفرح إذا عمل عملاً صالحًا ويقول: ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى هَدَىٰنَا لِهَـٰذَا وَمَا كُنَّا

---

(١) شرح صحيح مسلم ٤٣/١٧/٩ ط/ دار عالم الكتب.

﴿لِنَهْتَدِيَ لَوْلَآ أَنْ هَدَىٰنَا ٱللَّهُ﴾[١]، كل يوم يزداد يصلي، يسبح، يقرأ، يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر، يلقى أخاه بوجه طلق إلى آخره، خيرات كثيرة فكلما ازداد الإنسان في حياته خيرًا كانت حياته خيرًا.

(واجعل الموت راحة لي من كل شر)، الموت فَقْدُ الحياة، لكن دعا النبي ﷺ أن يجعل الله الموت له راحة من كل شر؛ لأن الإنسان لا يدري ما يصيبه في هذه الدنيا، قد يبقى في الدنيا طويلاً لكنه ينتكس والعياذ بالله، يفسد دينه، قد يبقى في الدنيا وتحدث فتن عظيمة يتعب فيها، يقول: ليت أمي لم تلدني، يا ليتني مت قبل هذا وكنت نسيًا منسيًا، يجد فتنًا عظيمة لكن قد يكون الموت الذي عجّله الله له راحة من كل شر.

ولهذا كان الرسول ﷺ يدعو بهذا الدعاء: (واجعل الموت راحة لي من كل شر)، فعليك يا أخي المسلم بهذا الدعاء: (اللهم أصلح لي ديني الذي هو عصمة أمري، وأصلح لي دنياي التي فيها معاشي، وأصلح لي آخرتي التي إليها معادي، واجعل الحياة زيادة لي في كل خير، واجعل الموت راحة لي من كل شر)[٢].

قال عبدالله البسام: "وخلاصة آخر هذا الدعاء اجعل عمري مصروفًا فيما تحب وجنبني ما تكره"[٣].

---

(١) سورة الأعراف، آية: ٤٣.

(٢) شرح رياض الصالحين ٢/١٥٥٥ - ١٥٥٦.

(٣) توضيح الأحكام، ٦/٤٤٥.

الحديث رقم (١٤٧٥)

١٤٧٥- وعن علي ﵁ قال: قال لي رسولُ الله ﷺ: ((قُلْ: اللَّهُمَّ اهْدِني، وسَدِّدْني))[١].

وفي رواية: ((اللَّهمَّ إنِّي أسألُكَ الهُدَى والسَّدَادَ)). رواه مسلم[٢].

ترجمة الراوي:

عليّ بن أبي طالب: تقدمت ترجمته في الحديث (٧٦٨).

غريب الألفاظ:

سددني: وفقني واجعلني منتصبًا في جميع أموري مستقيمًا، وأصل السداد الاستقامة والقصد في الأمور[٣].

الهدى: الرشاد والدلالة، يقال هداه الله للدين هدى، وهديته الطريق وإلى الطريق هداية، أي: عرفته[٤].

السداد: الاستقامة، وهو القصد في الأمر والعدل فيه[٥].

الشرح الأدبي

عندما يقول الراوي ﵁ (قال لي رسول الله ﷺ) فيعمد إلى الجار، والمجرور (لي) فيقدمه على فاعل القول (رسول الله ﷺ) فإنه يقرر اختصاصه بهذا القول، وانفراده بسماعه، وليس انفراده بالعمل به دون غيره، وإخبار علي ﵁ بهذا الاختصاص يوحي باعتزازه به، وقد كان الصحابة -رضوان الله عليهم يعتزون بما

---

(١) أخرجه مسلم (٢٧٢٥/٧٨).

(٢) بعد حديث (٢٧٢٥/٧٨، بدون رقم). وزاد بعدهما: (واذكر بالهدى هدايتك الطريق والسّداد، سداد السّهم).

(٣) شرح مسلم، النووي ١٦٠٠.

(٤) النهاية في (هـ د ى).

(٥) النهاية في (س د د)، شرح صحيح مسلم، النووي ١٦٠٠.

يختصهم به رسول الله ﷺ، وحُقَّ لهم لاسيما إن كان حبيبا محببا للرسول ﷺ له فضل رفقة، وملازمة له ﷺ كعلي رضي الله عنه الذي تربى ونشأ معه والدعاء الذي علمه إياه دعاء من جوامع الكلام بليغ شديد الإيجاز يناسب عليا رضي الله عنه من حيث فصاحته، ومن حيث حالته العامة، وقوله (اللهم) لفظ له خصوصية، وشمول في نداء الله بأسمائه الحسنى، وصفاته العلى، وقوله (اهدني) لفظ جامع لعموم النور الذي تستضيء به أركان البصيرة، والبصر فلا يقع منها إلا على صواب في الاختيار، وتوفيق في العمل، وقوله (وسددني) أمر قصد به الدعاء بتصويب الخطأ يستلزم حسن الاختيار الذي قاده إليه فعل الهداية، فالأمر الأول لطلب الهداية إلى الأصلح، والأمر الثاني لطلب الاستمرار عليه، والسداد أي الصواب في أثناء هذا العمل بما يضمن استمرار أثر النور حتى تمام العمل، وقبوله، لأن قبوله هو تمام السداد فيه ولذلك وردت الرواية الثانية في صيغة الجملة الاسمية الدالة على الثبات، والدوام (اللَّهمَّ إنِّي أسْألُكَ الهُدَى والسَّدَادَ) لأن الاسم لا يرتبط بالزمن كالفعل الذي ورد في الرواية الأولى، وقد صدر السؤال فيها مؤكدا إلحاحا في الدعاء وتأكيدا للفاقة.

المضامين الدعوية

أولاً: من أساليب الدعوة: الأمر.

ثانيًا: من موضوعات الدعوة: الدعاء بالسداد والهداية.

ثالثًا: من آداب المدعو: الدعاء بالثبات على الهدى والسداد والزيادة منهما.

أولاً – من أساليب الدعوة: الأمر:

هذا واضحٌ من أمر النبي ﷺ علي بن أبي طالب رضي الله عنه: قل: اللهم اهدني وسددني، وفي الرواية الأخرى: قل: اللهم إني اسألك الهدى والسداد.

قال الطيبي: "قال القاضي البيضاوي: أمره بأن يسأل الله تعالى الهداية والسداد".

ومن هذا القبيل ما رواه سعيد بن أبي وقاص رضي الله عنه قال: جاء أعرابي إلى رسول الله ﷺ فقال: علمني كلامًا أقوله، قال: قل: ((: لاَ إِلَـهَ إلاَّ اللَّهُ وَحْدَهُ لاَ شَرِيكَ لَـهُ، اللَّهُ أَكْبَرُ كَبِيرًا وَالْحَمْدُ للَّهِ كَثِيرًا سُبْحَانَ اللَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ، لاَ حَوْلَ وَلاَ قُوَّةَ إِلاَّ بِاللَّهِ

الْعَزِيزِ الْحَكِيمِ)). قَالَ: فَهَؤُلَاءِ لِرَبِّي. فَمَا لِي؟ قَالَ: ((قُلْ: اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِي وَارْحَمْنِي وَاهْدِنِي وَارْزُقْنِي))[1].

وهذا الأمر إنما لدلالة المدعو على ما ينفعه من الدعاء في الدنيا والآخرة.

ثانيًا- من موضوعات الدعوة: الدعاء بالسداد والهداية:

هذا واضحٌ من أمر النبي ﷺ عليًا رضي الله عنه بأن يدعو قائلاً: (اللهم اهدني وسددني)، والحديث في مسلم لفظه: (قل: اللهم اهدني وسددني، واذكر بالهدي هدايتك الطريق، والسداد سداد السهم)، وكذلك الشأن في الرواية الثانية.

قال النووي: "أما السَّداد هنا بفتح السين، وسداد السهم تقويمه ومعنى: سددني: وفقني واجعلني مصيبًا في جميع أموري مستقيمًا، وأصل السداد الاستقامة والقصد في الأمور، وأما الهدى هنا فهو الرشاد ويذكر ويؤنث، ومعنى "اذكر بالهدى هدايتك الطريق والسداد سداد السهم"، أي: تذكر في حال دعائك بهذين اللفظين، لأن هادي الطريق لا يزيغ عنه، ومسدّد السهم يحرص على تقويمه ولا يستقيم رميه حتى يقومه، وكذا الداعي ينبغي أن يحرص على تسديد عمله وتقويمه ولزومه السنة، وقيل: ليتذكر بهذا لفظ السداد والهدى لئلا ينساه"[2].

قال الطيبي: "قال القاضي البيضاوي: أمره بأن يسأل الله تعالى الهداية والسداد، وأن يكون في ذكره مخطرًا بباله أن المطلوب هداية كهداية من ركب متن الطريق، وأخذ في المنهج المستقيم، وسداد يشبه سداد السهم نحو الغرض والمعنى: أن يكون في سؤاله طالبًا غاية الهدى، ونهاية السداد. أقول: وفيه معنى قوله تعالى: ﴿فَٱسۡتَقِمۡ كَمَآ أُمِرۡتَ﴾[3]، ﴿ٱهۡدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلۡمُسۡتَقِيمَ﴾[4]، أي: هداية لا أميل بها إلى أحد طرفي الإفراط والتفريط"[5].

---

(١) أخرجه مسلم ٢٦٩٦.

(٢) شرح صحيح مسلم ٤٦/١٧/٩ ط/ دار عالم الكتب.

(٣) سورة هود، آية: ١١٢.

(٤) سورة الفاتحة، آية: ٦.

(٥) شرح الطيبي على المشكاة ٢٠١/٥ - ٢٠٢.

قال أبو العباس القرطبي: "هذا الأمر منه ﷺ يدل على أن الذي ينبغي له أن يهتم بدعائه فيستحضر معاني دعواته في قلبه، ويبالغ في ذكرها بلفظه بضرب من الأمثال، وتأكيد الأقوال، فإذا قال: اهدني الصراط المستقيم، وسددني سداد السهم الصائب كان أبلغ وأهم من قوله: اهدني وسددني فقط وهذا واضح"[١].

ثالثًا- من آداب المدعو: الدعاء بالثبات على الهدى والسداد والزيادة منهما:

وهذا واضحٌ من قول النبي ﷺ لعلي بن أبي طالب رضي الله عنه: (قل: اللهم اهدني وسددني)، وفي الرواية الأخرى: (اللهم إني أسألك الهدى والسداد)، قال ابن حبان: "كل ما في هذه الأخبار (اللهم اهدني) (اللهم إني أسألك الهدى)، وما يشبهها من الألفاظ إنما أريد به الثبات على الهدى والزيادة فيه، إذ محال أن يؤمن المؤمن بسؤال الزيادة وقد هداه الله قبل ذلك"[٢].

وقال ابن هبيرة: "هذا الحديث يدل على أن رسول الله ﷺ حضه على سؤال الهدى والسداد، وأنه ذكر له ما يجمع له في ذكره إياه بين حفظ النطق ومعرفة المعنى، فإنه قال: "أذكر بالهدى هدايتك الطريق" وذلك أن السلوك إلى الحق على سبيل السنة يشابهه سلوك الطريق إلى المقصد في الطريق المعروفة، فمتى مال عن الطريق يمينًا أو يسارًا فقد جانب الهداية، والسداد هو التصويب، وسداد السهم التصويب وأن يريد به التنصيص والتحقيق، وأن لا تزيله الأهواء"[٣].

ويقول ابن القيم عن الزيادة في الهدى: "قال: تكرر في القرآن جعل الأعمال القائمة بالقلب والجوارح سبب الهداية والإضلال، فيقوم بالقلب والجوارح أعمال تقتضي الهدى اقتضاء السبب لمسببه والمؤثر لأثره، وكذلك الضلال، فأعمال البر تثمر الهدى، وكلما ازداد منها ازداد هدىً، وأعمال الفجور بالضد، وذلك أن الله سبحانه يحب أعمال البر فيجازي عليها بالهدى والفلاح ويبغض أعمال الفجور ويجازي عليها بالضلال

---

(١) المفهم ٥٣/٧، ٥٤.

(٢) صحيح ابن حبان ٢٢٧/٣.

(٣) الإفصاح عن معاني الصحاح ٢٨٧/١.

والشقاء، وأيضًا فإنه البَرُّ ويحب أهل البر، فيقرب قلوبهم منه بحسب ما قاموا به من البر، ويبغض الفجور وأهله فيبعد قلوبهم منه بحسب ما اتصفوا به من الفجور فمن الأصل الأول قوله تعالى: ﴿الٓمٓ ۝١ ذَٰلِكَ ٱلۡكِتَٰبُ لَا رَيۡبَۛ فِيهِۛ هُدٗى لِّلۡمُتَّقِينَ﴾[1]، وهذا يتضمن أمرين:

أحدهما: أنه يهدي به من اتقى مساخطه قبل نزول الكتاب، فإن الناس على اختلاف مللهم ونحلهم قد استقر عندهم أن الله سبحانه يكره الظلم، والفواحش والفساد في الأرض، ويمقت فاعل ذلك، ويحب العدل والإحسان والجود والصدق والإصلاح في الأرض ويحب فاعل ذلك، فلما نزل الكتاب أثاب سبحانه أهل البر بأن وفقهم للإيمان به جزاء لهم على برهم وطاعتهم، وخذل أهل الفجور والفحش والظلم بأن حال بينهم وبين الاهتداء به.

والأمر الثاني: أن العبد إذا آمن بالكتاب واهتدى به مجملاً وقبل أوامره وصدق بأخباره - كان ذلك سببًا لهداية أخرى تحصل له على التفصيل فإن الهداية لا نهاية لها ولو بلغ العبد منها ما بلغ، ففوق هدايته هداية أخرى، وفوق تلك الهداية هداية أخرى إلى غير غاية.

فكلما اتقى العبد ربه إلى هداية أخرى، فهو في مزيد هداية ما دام في مزيد من التقوى، وكلما فوّت حظًا من التقوى فاته حظ من الهداية بحسبه، فكلما اتقى زاد هداه، وكلما اهتدى زادت تقواه"[2].

---

(١) سورة البقرة، الآيتان: ١ - ٢.

(٢) الفوائد ص ١٨٨ - ١٩٠.

الحديث رقم (١٤٧٦)

١٤٧٦- وعن أنس رضي الله عنه قَالَ: كَانَ رسولُ الله ﷺ يقولُ: ((**اللَّهُمَّ إنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنَ العَجْزِ، وَالكَسَلِ، وَالجُبْنِ، والهَرَمِ، والبُخْلِ، وأعُوذُ بِكَ مِنْ عَذَابِ القَبْرِ، وأعوذُ بِكَ مِنْ فِتْنَةِ المَحْيَا وَالمَمَاتِ**))[١].

وفي رواية[٢]: ((**وَضَلَعِ الدَّيْنِ، وَغَلَبَةِ الرِّجَالِ**)). رواه مسلم.

ترجمة الراوي:

أنس بن مالك: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (٤).

غريب الألفاظ:

الهرم: الكبر والضعف، والمقصود به صيرورة الرجل خرفًا من كبر السن بحيث لا يميز بين الأمور المعتدلة المحسوسة والمعقولة[٣].

ضَلَع الدين: أصل الضلَع: الاعوجاج، والمراد به هنا: ثقل الديْن وشدته وذلك حيث لا يجد مَنْ عليه الدين وفاءً ولاسيما مع المطالبة[٤].

غلبة الرجال: شدة تسلطهم كاستيلاء الرعاع هرجًا ومرجًا[٥].

الفِتنةُ: الامتحان والاختبار[٦].

الشرح الأدبي

جميع أحاديث الاستعاذة التي مرت في الباب تدل آثارها على أنه ينبغي سؤال الله

---

(١) (٥٠/٢٧٠٦)، وأخرجه أيضًا البخاري (٦٣٦٧) أخرجه من حديث سليمان التيمي، عن أنس. تنبيه: تبع المؤلفُ فيه المنذريَّ في ترغيبه (٣٨٣٠) حيث عزاه إلى مسلم، وزاد: وغيره. وأورده الحميدي في جمعه (٥٣٦/٢، رقم ١٩٠٠) في المتفق عليه.

(٢) أخرجها البخاري (٢٨٩٣)، و (٦٣٦٣) ولم يخرجه مسلم بهذا اللفظ.

(٣) النهاية في (هـ ر م)، دليل الفالحين ١٥٣٢.

(٤) فتح الباري ١١/١٧٨.

(٥) فتح الباري ١١/١٧٨.

(٦) النهاية في (ف ت ن).

والرغبة إليه في كل ما ينزل بالمرء من حاجاته، وأن يعيّن كل ما يدعو فيه، ففي ذلك إطالةُ الرغبة إلى الله تعالى، والتضرع إليه، وذلك طاعة الله تعالى، وكان النبي ﷺ يتعوذ بالله من كل ذلك، ويعينه باسمه، وإن كان الله قد عصمه من كل شر، ليلزم نفسه خوف الله تعالى، وإعظامه، وليسُنَّ ذلك لأمته، ويعلمهم كيف الاستعاذة من كل شيء فإنها تحقق جملة من الفوائد منها: أنها عبادة محبوبة لله - تعالى -، ومنها: أن يستشعر العبد الافتقار إلى ربه في كل أمر وإن دق ولا يستحي من سؤاله ذلك، ومنها: أنها تحقق للعبد الأمن مما يخشاه، ومنها: أنها تحقق له الأمن النفسي بالشعور بالطمأنينة وهذا الحديث يؤكد هذا المعنى، ويفصِّل في طلب العوذ أمورا لها فضل تأثير على العبد، والجمع بين (العَجْزِ، وَالكَسَلِ، وَالجُبْنِ، والهَرَمِ، والبُخْلِ) فيه مراعاة نظير لأنه جمع أمورا تعوق حركة السير في مصالح الدنيا، والآخرة، فالعجز فقدان القدرة التي تمنع التمام، (والكسل) هو ضعف الهمة وإيثار الراحة للبدن على التعب وإنما استعيذ منه لأنه يبعد عن الأفعال الصالحة، وقوله، (والجبن) لأنه قد يؤدي إلى ترك الحق، أو إحقاق الباطل خوفا على مكسب دنيوي، وما أكثره في زماننا ! وقد ابتلي الناس منه بلاء شديدا من منافقي العصور الذين يحرصون على مصالح شخصية، ويضيعون دين الناس، ودنياهم (والهرم) ضد الشباب، وهو: كبر السن الذي يؤدي إلى تماوت الأعضاء وتساقط القوى وإنما استعاذ منه لكونه من الأدواء التي لا دواء لها، وفي قوله (من فتنة المحيى) طباق يؤكد استيعاب الدارين بالاستعاذة المحيي والممات مصدران ميميان بمعنى الحياة والموت وفتنة المحيى أن يفتتن بالدنيا ويشتغل بها عن الآخرة وفتنة الممات أن يخاف عليه من سوء الخاتمة عند الموت وعذاب القبر مما يعرض له عند مساءلة الملكين ومشاهدة أعماله السيئة في أقبح الصور أعاذنا الله منه بمنه وكرمه.

المضامين الدعوية

أولاً: من مهام الداعية: دلالة المدعوين على ما يدعون به.

ثانيًا: من آداب الداعية والمدعو: الاستعاذة بالله من كل ما يجعلهما مقصرين في عبادة الله تعالى.

ثالثًا: من موضوعات الدعوة: الاستعاذة من فتنة المحيا والممات وعذاب القبر.

رابعًا: من موضوعات الدعوة: الاستعاذة من ثقل الدين وغلبة الرجال.

أولاً - من مهام الداعية: دلالة المدعوين على ما يدعون به:

وهذا واضح من دعائه ﷺ في هذا الحديث.

قال ابن حجر: "وقد استشكل دعاؤه ﷺ بما ذكر مع أنه معصوم مغفور له ما تقدم من ذنبه وما تأخر، وأجيب بأجوبة: أحدها أنه قصد التعليم لأمته، ثانيها: أن المراد السؤال منه لأمته فيكون المعنى هنا: أعوذ بك لأمتي، ثالثها: سلوك طريق التواضع وإظهار العبودية وإلزام خوف الله وإعظامه والافتقار إليه وامتثال أمره في الرغبة إليه، ولا يمتنع تكرار الطلب مع تحقق الإجابة، لأن ذلك يحصل الحسنات ويرفع الدرجات. وفيه تحريض لأمته على ملازمة ذلك، لأنه إذا كان مع تحقق المغفرة لا يترك التضرع فمن لم يتحقق ذلك أحرى بالملازمة"[١].

ومن هذا القبيل ما روته عائشة رضي الله عنها أن رسول الله ﷺ كان يدعو في الصلاة: ((اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنْ عَذَابِ الْقَبْرِ. وَأَعُوذُ بِكَ مِنْ فِتْنَةِ الْمَسِيحِ الدَّجَّالِ. وَأَعُوذُ بِكَ مِنْ فِتْنَةِ الْمَحْيَا وَالْمَمَاتِ. اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنَ الْمَأْثَمِ وَالْمَغْرَمِ)) قَالَتْ: فَقَالَ لَهُ قَائِلٌ: مَا أَكْثَرَ مَا تَسْتَعِيذُ مِنَ الْمَغْرَمِ يَا رَسُولَ اللَّهِ فَقَالَ: ((إِنَّ الرَّجُلَ إِذَا غَرِمَ، حَدَّثَ فَكَذَبَ. وَوَعَدَ فَأَخْلَفَ))[٢].

وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال: إن رسول الله ﷺ كان يعلمهم هذا الدعاء كما يعلمهم السورة من القرآن، يقول: ((قُولُوا: اللَّهُمَّ إِنَّا نَعُوذُ بِكَ مِنْ عَذَابِ جَهَنَّمَ، وَأَعُوذُ بِكَ مِنْ عَذَابِ الْقَبْرِ، وَأَعُوذُ بِكَ مِنْ فِتْنَةِ الْمَسِيحِ الدَّجَّالِ، وَأَعُوذُ بِكَ مِنْ فِتْنَةِ الْمَحْيَا وَالْمَمَاتِ))[٣].

ثانيًا- من آداب الداعية والمدعو: الاستعاذة بالله من كل ما يجعلهما مقصرين في عبادة الله تعالى:

وهذا واضح من الحديث في قوله ﷺ: (اللهم إني أعوذ بك من العجز والكسل

---

(١) فتح الباري، ابن حجر ٣١٩/٢ ط/ السلفية.

(٢) أخرجه البخاري ٨٣٢، ومسلم ٥٨٩.

(٣) أخرجه مسلم ٥٩٠.

والجبن والهرم والبخل)، وقد بوّب ابن حبان على هذا الحديث في صحيحه، ذكر ما يستحب للمرء أن يتعوذ بالله عز وجل من الكسل في الطاعات والهرم القاطع عنها[١].

قال النووي: "وأما الكسل فهو عدم انبعاث النفس لخير وقلّة الرغبة مع إمكانه[٢]، وأما العجز فعدم القدرة عليه، وقيل: هو ترك ما يجب فعله، والتسويف به، وكلاهما تستحب الإعاذة منه، أما استعاذته ﷺ من الهرم فالمراد به الاستعاذة من الرد إلى أرذل العمر كما جاء في الرواية التي بعدها[٣]، وسبب ذلك ما فيه من الخرف واختلال العقل والحواس والضبط والفهم وتشويه بعض المناظر، والعجز عن كثير من الطاعات، والتساهل في بعضها، وأما استعاذته ﷺ من الجبن والبخل، فلما فيهما من التقصير عن أداء الواجبات، والقيام بحقوق الله تعالى، وإزالة المنكر والإغلاظ على العصاة، وأنه بشجاعة النفس وقوتها المعتدلة تتم العبادات، ويقوم بنصر المظلوم والجهاد، وبالسلامة من البخل يقوم بحقوق المال وينبعث للإنفاق والجود ولمكارم الأخلاق، ويمتنع من الطمع فيما ليس له، قال العلماء: واستعاذته ﷺ من هذه الأشياء لتكمل صفاته في كل أحواله، وشَرَعه أيضًا تعليمًا، وفي هذه الأحاديث دليل لاستحباب الدعاء والاستعاذة من كل الأشياء المذكورة وما في معناها"[٤].

(في هذا الحديث من الفقه شرف هذه الكلمات، والحض على تعلمهن فإنهن عوذ؛ إلا أنه يفصحن عن معان إذا فكر فيها المؤمن تعوذ من كل شيء من ذلك. فأول ذلك البخل، وحده منع الحق الذي فرضه الله تعالى في الأموال، وهو الزكاة، فإذا أخرج الرجل زكاة ماله لم يسم بخيلاً، إلا أن البخل قد يعرض في غير المال، مثل أن يبخل الرجل بالسلام الكامل أو بالبشر في وجه أخيه أو بالخبر الطيب الذي يسر قلبه به ونحو ذلك، وإن من أبخل البخل وأقطعه أن يبخل الرجل على أخيه المسلم بفضل ربه

---

(١) صحيح ابن حبان ٢٨٩/٣، رقم ١٠٠٩.

(٢) قال ابن هبيرة: إنما استعاذ من الكسل لأنه من أهم ما استعيذ منه، إذ هو سبب للتواني في الطاعات. الإفصاح عن معاني الصحاح، ١١٣/٢. وانظر: المفهم للقرطبي، ٣٤/٧.

(٣) أخرجه البخاري ٤٧٠٧، ومسلم ٢٧٠٦.

(٤) شرح صحيح مسلم ٣٠/١٧/٩ ط/ دار عالم الكتب.

سبحانه، فيحسده أو يبخل عليه بمال غيره إذا رزقه الله منه، وإن من قبيح البخل البخل بالعلم مع علم العالم ان علمه يزكو على الإنفاق.

وأما الجبن: فإن شعبه متفرقة، وإن من أفظعه ان يجبن عن معاملة الله في تصديق وعوده، ثم تقديم العوائد على مقتضيات شرعه.

وأما أرذل العمر: فحالة يتناهى فيها الضعف لعلو السن وتكاثف العجز فيعود الإنسان كَلاً على الناس وثقلاً على غيره، ويعجز عن عبادة الله عز وجل وتحمل أعباء حوائج الناس، وقد يكون أرذل العمر زمان البطالة وأخلاق الصبيان)[١].

ثالثًا - من موضوعات الدعوة: الاستعاذة من فتنة المحيا والممات وعذاب القبر:

وهذا واضح من قوله ﷺ: (أعوذ بك من عذاب القبر، وأعوذ بك من فتنة المحيا والممات)، قال ابن دقيق العيد: "في الحديث إثبات عذاب القبر وهو متكرر مستفيض في الروايات عن رسول الله ﷺ والإيمان به واجب، وفتنة المحيا ما يتعرض له الإنسان مدة حياته من الافتتان بالدنيا والشهوات والجهالات، وأشدها وأعظمها - والعياذ بالله تعالى - أمر الخاتمة عند الموت؛ وفتنة الممات، يجوز أن يراد بها الفتنة عند الموت، أضيفت إلى الموت لقربها منه، وتكون فتنة المحيا - على هذا - ما يقع قبل ذلك في مدة حياة الإنسان وتصرفه في الدنيا، فإن ما قارب شيئًا يعطي حكمه، فحالة الموت تُشَبَّه بالموت، ولا تعد من الدنيا، ويجوز أن يكون المراد بفتنة الممات: فتنة القبر كما صحّ في حديث أسماء: ((أنَّكم تُفتَنُونَ في قُبورِكمْ مِثْلَ أو قريبًا مِنْ فِتنةِ المسيحِ الدَّجَّال))[٢]، ولا يكون على هذا متكررًا مع قوله: (من عذاب القبر)، لأن العذاب مرتب على الفتنة، والسبب غير المسبب ولا يقال: إن المقصود زوال عذاب القبر، لأن الفتنة نفسها أمر عظيم وهول شديد يستعاذ بالله من شرّه"[٣].

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: كان رسول الله ﷺ يدعو: ((اللَّهمَّ إني أعوذُ بكَ مِن

(١) الإفصاح عن معاني الصحاح ٢٤١/١.

(٢) أخرجه البخاري ٨٦، ومسلم ٩٠٥.

(٣) إحكام الإحكام ص ١٦٦ - ١٦٧، وانظر: فتح الباري، ابن حجر العسقلاني ٢١٩/٢.

عذابِ القَبرِ، ومِن عذابِ النارِ، ومن فِتنةِ المَحيا والمَماتِ، ومن فتنةِ المسيحِ الدَّجَّالِ))[١]، وفي لفظ لمسلم: ((إِذَا فَرَغَ أَحَدُكُمْ مِنَ التَّشَهُّدِ الآخِرِ فَلْيَتَعَوَّذْ بِاللَّهِ مِنْ أَرْبَعٍ: مِنْ عَذَابِ جَهَنَّمَ. وَمِنْ عَذَابِ الْقَبْرِ. وَمِنْ فِتْنَةِ الْمَحْيَا وَالْمَمَاتِ. وَمِنْ شَرِّ الْمَسِيحِ الدَّجَّالِ))[٢]، قال ابن دقيق العيد: "والحديث الذي ذكره عن مسلم فيه زيادة كون الدعوات مأمورًا بها بعد التشهد وقد ظهرت العناية بالدعاء بهذه الأمور، حيث أمرنا به في كل صلاة وهي حقيقة بذلك، لعظم الأمر فيها، وشدة البلاء في وقوعها، ولأن أكثرها - أو كلها - أمور إيمانية غيبية، فتكررها على الأنفس يجعلها ملكة لها، وفي لفظ مسلم أيضًا فائدة أخرى: وهي تعليم الاستعاذة وصيغتها فإنه يمكن التعبير عنها بغير هذا اللفظ، ولو عبّر بغيره لحصل المقصود وامتثل الأمر، ولكن الأولى قول ما أمر به الرسول ﷺ"[٣].

وقال ابن حجر: "وقيل: أراد بفتنة المحيا الابتلاء مع زوال الصبر، وبفتنة الممات السؤال في القبر مع الحيرة، وهذا من العام بعد الخاص، لأن عذاب القبر داخل تحت فتنة الممات، وفتنة الدجال داخلة تحت فتنة المحيا"[٤].

رابعًا - من موضوعات الدعوة: الاستعاذة من ثقل الدين وغلبة الرجال:

الحديث ساقه البخاري في كتاب الدعوات مطولاً، تحت باب: التعوذ من غلبة الرجال، وفيه قول أنس رضي الله عنه: فكُنت أَخدم رسولَ الله ﷺ كلما نَزَلَ فكنتُ أسمعه يُكثرُ أن يقول: ((اللهمَّ إني أعوذُ بك من الهمِّ والحَزَن، والعجزِ والكَسَل، والبُخْل والجُبن، وَضَلَع الدَّين وغلبةِ الرِّجال))[٥].

قال ابن حجر: "قوله: (وضَلَع الدين)، أصل الضَلَع -وهو بفتح المعجمة واللام- الاعوجاج، فقال: ضلع -بفتح اللام- يضلع أي مال. والمراد هنا ثقل الدين وشدته وذلك

---

(١) أخرجه البخاري ١٣٧٧، ومسلم ٥٨٨.

(٢) أخرجه مسلم ١٣٠ - ٥٨٨.

(٣) إحكام الأحكام ١٦٧.

(٤) فتح الباري ٢/٣١٩.

(٥) أخرجه البخاري ٦٣٦٣.

حيث لا يجد من عليه الدين وفاءً ولاسيما مع المطالبة، وقال بعض السلف: ما دخل همُ الدَيْنِ قلبًا إلا أذهب من العقل ما لا يعود إليه، قوله: (وغلبة الرجال)، أي: شدة تسلطهم كاستيلاء الرعاع هرجًا ومرجًا"[١].

وقال ابن حجر كذلك: "استعاذ من أن يغلبه الرجال، لما في ذلك من الوهن في النفس والمعاش"[٢].

وعن عائشة ﵂: أن رسول الله ﷺ كان يدعو في الصلاة: «اللّهمَّ إني أعوذُ بكَ من عذاب القبرِ، وأعوذ بكَ من فِتنةِ المسيحِ الدَجّالِ، وأعوذُ بكَ من فتنةِ المحيا وفتنةِ المَماتِ. اللّهمَّ إني أعوذُ بكَ مِنَ المأْثمِ وَالمَغْرَمِ. فقال له قائلٌ: ما أكثرَ ما تَستعيذُ منَ المغرَمِ؟ فقال: إنَّ الرجلَ إذا غَرِمَ حَدَّثَ فكذَب، ووَعدَ فأَخْلَفَ»[٣].

وقال ابن حجر: "المغرم: أي الدين والمراد به ما يستدان فيما لا يجوز ثم يعجز عن أدائه، ويحتمل أن يراد به ما هو أعم من ذلك، وقد استعاذ ﷺ من غلبة الدين"[٤].

وقال عبدالله البسام: "الدين إذا غلب يسبب الهم والغم، ويكون صاحبه في قلق وتعب بدني وقلبي وفكري، وهذا هو ما استعاذ منه، لأن حقوق الآدميين مبنية على الشح، ولذا استعاذ النبي ﷺ من المغرم وهو الدين، وقال ﷺ مبينًا آثار الدين السيئة وعواقبه الوخيمة، (إن الرجل إذا غرم حدث فكذب، ووعد فأخلف)"[٥].

وقال ابن القيم: "جمع النبي ﷺ بين المأثم والمغرم، فإن المأثم يوجب خسارة الآخرة، والمغرم يوجب خسارة الدنيا"[٦].

---

(١) فتح الباري ١٧٤/١٢ ط/ السلفية.

(٢) المرجع السابق ١٧٨/١٢ ط/ السلفية.

(٣) أخرجه البخاري ٨٣٢، ومسلم ٥٨٩.

(٤) فتح الباري ٣١٩/٢، ط السلفية.

(٥) توضيح الأحكام ٤٣٥/٦.

(٦) الفوائد ٩١.

الحديث رقم (١٤٧٧)

١٤٧٧- وعن أَبي بكر الصديق رضي الله عنه: أنَّه قَالَ لرسُولِ الله ﷺ: عَلِّمْنِي دُعَاءً أَدْعُو بهِ في صَلاَتِي، قَالَ: ((قُلْ: اللَّهُمَّ إنِّي ظَلَمتُ نَفْسِي ظُلْمًا كَثِيرًا، وَلاَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ إلاَّ أنْتَ، فَاغْفِرْ لي مَغْفِرَةً مِنْ عِنْدِكَ، وارْحَمْنِي، إنَّكَ أنْتَ الغَفُورُ الرَّحِيمُ)) متفق عَلَيْهِ[1].

وفي روايةٍ[2]: ((وفي بيتي)) وَرُوِيَ: ((ظلمًا كثيرًا)) ورُوِي: ((كبيرًا)) [3] بالثاء المثلثة وبالباء الموحدة؛ فينبغي أنْ يجمع بينهما فيقال: كثيرًا كبيرًا.

ترجمة الراوي:

أبو بكر الصديق: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (٨١).

الشرح الأدبي

تكرار مثل هذا السؤال من أبي بكر رضي الله عنه كما ورد سابقا يدل على شدة حرصه على الخير، وقوله (علمني) طلب استرشاد وتعليم يؤكد ذلك، وقول الرسول ﷺ (قُلْ: اللَّهُمَّ إنِّي ظَلَمتُ نَفْسِي) توجيه إلى ما فيه الكمال، لأَنَّ الإِنْسَان لا يَعْرَى عَنْ تَقْصِير وَلَوْ كَانَ صِدِّيقًا وقيل: بَلْ فِيهِ أَنَّ الإِنْسَان كَثِير التَّقْصِير وَإِنْ كَانَ صِدِّيقًا لأَنَّ النِّعَم عَلَيْهِ غَيْر مُتَنَاهِيَة وَقُوَّته لا تُطِيق بِأَدَاءِ أَقَلّ قَلِيل مِنْ شُكْرهَا بَلْ شُكْره مِنْ جُمْلَة النِّعَم أَيْضًا فَيَحْتَاج إِلَى شُكْر هُوَ أَيْضًا كَذَلِكَ فَمَا بَقِيَ لَهُ إِلاَّ الْعَجْز وَالاعْتِرَاف بِالتَّقْصِيرِ الْكَثِير، وقوله (ولا يغفر الذنوب إلا أنت) جملة معترضة بين قوله (ظلمت نفسي ظلما كثيرا) وبين قوله (فاغفر لي مغفرة) وفائدة هذه الجملة الإشارة إلى الإقرار بأن الله هو الذي يغفر الذنوب وليس ذلك لغيره وفي الحقيقة هو إقرار أيضا بالوحدانية، لأن مَنْ صفته غفران الذنوب هو الموصوف بالوحدانية، والتنوين في قوله (مغفرة) يدل على التعظيم أي أنه غفران لا يكتنه كنهه، وقوله (من عندك) إشارة إلى مزيد ذلك

---

(١) أخرجه البخاري (٦٣٢٦)، ومسلم (٢٧٠٥/٤٨) ولفظهما سواء.

(٢) أخرجها مسلم عقب الحديث رقم (٥٨٩/٤٩، بدون رقم).

(٣) قال مسلم في روايته: (وقال قتيبة: كثيرًا، ولفظ ليث: (كبيرًا).

التعظيم، لأن ما يكون من عنده لا يحيط به وصف الواصفين وقال ابن الجوزي: هو طلب مغفرة متفضل بها لا يقتضيها سبب من جهة العبد من عمل صالح وغيره وحاصله هب لي المغفرة وإن لم أكن أهلا لها بعملي وكمل الكلام وختمه بقوله (وارحمني إنك أنت الغفور الرحيم) وفي هاتين الصفتين مقابلة حسنة، لأن قوله (الغفور) مقابل لقوله اغفر لي وقوله (الرحيم) مقابل لقوله ارحمني، وفيه لف ونشر مرتب.

المضامين الدعوية

أولاً: من موضوعات الدعوة: سؤال المدعو التعليم من العالم.

ثانيًا: من وسائل الدعوة: التعليم.

ثالثًا: من موضوعات الدعوة: التضرع والتذلل عند الدعاء بطلب المغفرة والرحمة.

أولاً - من موضوعات الدعوة: سؤال المدعو التعليم من العالم:

هذا واضحٌ من قول أبي بكر الصديق ﵁ لرسول الله ﷺ: (علّمني دعاءً أدعو به في صلاتي).

قال أبو العباس القرطبي: "إنما خص الصلاة، لأنها بالإجابة أجدر، وقد قال ﷺ: «أَقْرَبُ مَا يَكُونُ الْعَبْدُ مِنْ رَبِّهِ وَهُوَ سَاجِدٌ، فَأَكْثِرُوا الدُّعَاءَ»[1]"[2].

وقال ابن حجر: "وفي هذا الحديث من الفوائد أيضًا استحباب طلب التعليم من العالم، خصوصًا في الدعوات المطلوب فيها جوامع الكلم"[3].

ومن هذا القبيل ما رواه سعد بن أبي وقاص ﵁ قال: جاء أعرابي إلى رسول الله ﷺ فقال: علمني كلامًا أقوله: قال: ((قُلْ: لاَ إِلَهَ إِلاَّ اللّهُ وَحْدَهُ لاَ شَرِيكَ لَهُ، اللّهُ أَكْبَرُ كَبِيرًا وَالْحَمْدُ للّهِ كَثِيرًا سُبْحَانَ اللّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ، لاَ حَوْلَ وَلاَ قُوَّةَ إِلاَّ بِاللّهِ الْعَزِيزِ الْحَكِيمِ)). قَالَ: فَهَـٰؤُلاَءِ لِرَبِّي. فَمَا لِي؟ قَالَ: ((قُلِ اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِي وَارْحَمْنِي وَاهْدِنِي وَارْزُقْنِي))[4].

---

(١) أخرجه مسلم ٤٨٢.

(٢) المفهم ٧٢/٧.

(٣) فتح الباري ٢/ ٣٢٠ ط السلفية.

(٤) أخرجه مسلم ٢٦٩٦.

ومن ذلك ما رواه طارق بن أشيم رضي الله عنه أنه سمع النبي ﷺ وأتاه رجل فقال: يا رسول الله كيف أقول حين أسأل ربي؟ قال: ((قُلِ: اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِي وَارْحَمْنِي وَعَافِنِي وَارْزُقْنِي)) وَيَجْمَعُ أَصَابِعَهُ إِلاَّ الإِبْهَامَ ((فَإِنَّ هؤُلاَءِ تَجْمَعُ لَكَ دُنْيَاكَ وَآخِرَتَكَ))[1].

ثانيًا - من وسائل الدعوة: التعليم:

هذا واضح من قول النبي ﷺ: (قل: اللهم إني ظلمت نفسي ظلمًا كثيرا ...)، جوابا على قول أبي بكر رضي الله عنه: علمني دعاء أدعو به في صلاتي.

وقد كان النبي ﷺ يعلّم أصحابه الدعاء، كما قال سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه: كان النبي ﷺ يعلّمنا هؤلاء الكلمات كما تعلّم الكتابة: ((اللهمَّ إني أعوذُ بك منَ البُخلِ، وأعوذ بكَ منَ الجبن، وأعوذ بك من أن نُرَدَّ إلى أرذلِ العُمرِ، وأعوذ بك من فتنةِ الدُّنيا وعذابِ القبر))[2].

ومن ذلك حديث الدعاء عند الاستخارة[3]، فعن جابر بن عبدالله رضي الله عنهما قال: ((كان النبيُّ ﷺ يُعلِّمنا الاستِخارةَ في الأمور كلِّها كالسُّورةِ منَ القرآن))[4].

قال ابن حجر: "وفي الحديث شفقة النبي ﷺ على أمته وتعليمهم جميع ما ينفعهم في دينهم ودنياهم"[5].

وقال ابن أبي العز: "والذي عليه أكثر الخلق من المسلمين وسائر أهل الملل وغيرهم أن الدعاء من أقوى الأسباب في جلب المنافع ودفع المضار"[6].

ثالثًا - من موضوعات الدعوة: التضرع والتذلل عند الدعاء بطلب المغفرة والرحمة:

وهذا واضحٌ من الحديث: (اللهم إني ظلمت نفسي ظلمًا كثيرًا، ولا يغفر الذنوب إلا أنت، فاغفر لي مغفرة من عندك وارحمني إنك أنت الغفور الرحيم).

---

(١) أخرجه مسلم ٣٦ - ٢٦٧٩.

(٢) أخرجه البخاري ٦٣٩٠.

(٣) كما بوّب على ذلك البخاري في صحيحه الحديث رقم ٦٣٨٢.

(٤) أخرجه البخاري ١١٦٢، ٦٣٨٢، ٧٣٩٠.

(٥) فتح الباري ١١/١٨٧ ط السلفية.

(٦) شرح العقيدة الطحاوية ٢/٦٧٦.

قال ابن حجر: "قوله: (ظلمت نفسي)، أي: بملابسة ما يستوجب العقوبة أو ينقص الحظ، وفيه أن الإنسان لا يعرى عن تقصير ولو كان صدّيقًا، قوله (ولا يغفر الذنوب إلا أنت)، فيه إقرار بالوحدانية واستجلاب للمغفرة، وهو كقوله: ﴿وَٱلَّذِينَ إِذَا فَعَلُواْ فَٰحِشَةً أَوْ ظَلَمُوٓاْ أَنفُسَهُمْ ذَكَرُواْ ٱللَّهَ فَٱسْتَغْفَرُواْ لِذُنُوبِهِمْ وَمَن يَغْفِرُ ٱلذُّنُوبَ إِلَّا ٱللَّهُ﴾[1]، فأثنى على المستغفرين، وفي ضمن ثنائه عليهم بالاستغفار لوح بالأمر به كما قيل: إن كل شيء أثنى الله على فاعله فهو آمر به، وكل شيء ذمّ فاعله فهو ناهٍ عنه، قوله: (مغفرة من عندك)، قال الطيبي: "دلّ التنكير على أن المطلوب غفران عظيم لا يدرك كنهه، ووصفه بكونه من عنده سبحانه وتعالى مريدًا لذلك العظم، لأن الذي يكون من عند الله لا يحيط به وصف كما في قوله تعالى: ﴿ءَاتَيْنَٰهُ رَحْمَةً مِّنْ عِندِنَا وَعَلَّمْنَٰهُ مِن لَّدُنَّا عِلْمًا﴾[2]"[3]. وقال ابن دقيق العيد: (يحتمل وجهين: أحدهما: الإشارة إلى التوحيد المذكور كأنه قال: لا يفعل هذا إلا أنت فافعله لي أنت، والثاني: - وهو أحسن - أنه إشارة إلى طلب مغفرة متفضل بها لا يقتضيها سبب من العبد من عمل حسن ولا غيره فهي رحمة من عنده بهذا التفسير ليس للعبد فيها سبب وهذا تبرؤ من الأسباب والإدلال بالأعمال والاعتقاد في كونها موجبة للثواب وجوبًا عقليًا)[4].

وبهذا جزم ابن الجوزي فقال: "المعنى: هب لي المغفرة تفضلاً وإن لم أكن لها أهلاً بعملي، قوله: (إنك أنت الغفور الرحيم)، هما صفتان ذكرتا ختمًا للكلام على جهة المقابلة لما تقدم، فالغفور مقابل لقوله: (اغفر لي)، والرحيم مقابل لقوله: (ارحمني)، وهي مقابلة مرتبة"[5].

---

(١) سورة آل عمران، آية: ١٣٥.

(٢) سورة الكهف، آية: ٦٥.

(٣) شرح الطيبي على المشكاة ٢/٣٧٣.

(٤) إحكام الأحكام ١٦٨.

(٥) فتح الباري، ٢/٣٢٠ ط/ السلفية، وانظر: شرح رياض الصالحين، ابن عثيمين ٢/١٥٥٧.

وقال ابن هبيرة: (في هذا الحديث من الفقه: أن الدعاء في الصلاة جائز؛ لقول أبي بكر ﷺ: يا رسول الله علمني دعاء أدعو به في صلاتي؛ ولم ينكر عليه.

وفيه أيضًا أنه لا يدعى في الصلاة إلا بما ورد في الأخبار، لأن أبا بكر ﷺ لم يستجز أن يدعو في الصلاة إلا بما يتلقنه من رسول الله ﷺ، فأما غير الصلاة فيدعو فيها بما يشاء[1].

وفيه من الفقه أيضًا أن الدعاء على الإطلاق ينبغي أن يتوخى به النطق المأثور عن رسول الله ﷺ، وأن لا تواجه عظم الرب سبحانه إلا بالآداب النبوية المؤيدة بالعصمة.

وفيه أيضًا من الفقه أنه قال: "قل اللهم" وهذا الاسم، هو الاسم الأعظم من حيث إنه الأشهر والأظهر، ولذلك يقال: السواد الأعظم، أي الأشهر الأظهر، ولهذا الاسم خصائص منها لحوق هذه الميم في النداء به، وليس في الأسماء كلها ما تلحقه هذه الميم في النداء غيره.

وفي العربية إنها عوض من حرف النداء، إلا أنه قد جاء في الشعر الجمع بينها وبين حرف النداء للضرورة. ومن خصائصه أيضًا لحوق تاء القسم به، وانه المراد بقوله: ﴿ٱللَّهُ نُورُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾[2]. أي هذا الاسم هو قولنا "الله نور السماوات والأرض"، فله يتراحم المتراحمون، وبخوفه يكف الظالمون، ويهدَّد المسرفون، ويأمل الخلف المتصدقون.

وقوله: "إني ظلمت نفسي ظلمًا كثيرًا" فيه من الفقه: أن رسول الله ﷺ أصل له هذا الحديث تأصيلاً عامًا شاملاً لكل دعاء، وبيان ذلك أن الطلب من الله سبحانه وتعالى يناسبه ويلائمه الافتقار إليه، والحاجة، والمسكنة، كما يباينه وينافيه الإدلال والتغاني في الركون إلى نوع عبادة أو طاعة؛ فإذا اعترف الطالب لله عزوجل بأنه قد أتى

---

(١) لكن القرطبي المالكي قال: وقد قدمنا أنه يجوز أن يدعى في الصلاة بكل دعاء كان بالفاظ القرآن أو بألفاظ السنة أو غيرها خلاف لمن منع ذلك إذا كان بالفاظ الناس وهو أحمد بن حنبل وأبو حنيفة، المفهم ٧/٣٣.

(٢) سورة النور، الآية: ٣٥ .

ما مقتضاه الفقر والحاجة إلى فضله وعفوه، استهدف لعطائه ونزول شآبيب رحمته.

وقال له: قل: "اللهم إني ظلمت نفسي ظلمًا كثيرًا، فاغفر لي مغفرة من عندك، وارحمني، إنك أنت الغفور الرحيم".

يعني ﷺ: أنك إذا تطهرت من ظلم نفسك، وغفر لك ورحمك، كانت هذه مقدمات بين يدي طلبك، فحسن حينئذ منك الطلب، ولم يصادف العطاء حاجزًا من ظلم يمنع نيل العهد الذي ذكره سبحانه في قوله: ﴿لَا يَنَالُ عَهْدِى ٱلظَّٰلِمِينَ﴾[1]. ولا ذنب لم يمح بعد فيكون الاشتغال بمحوه عند المؤمن أهم من الطلب لغيره، فكأنه ﷺ يقول له: فإذا دعوت بهذا الدعاء انتفت الحواجز بينك وبين العطاء، فاطلب حينئذ ما شئت، وادع بما أردت.

ثم فيه أيضًا أنه قال: "قل اللهم إني ظلمت نفسي ظلمًا كثيرًا" فجاء بذكر الظلم على أسلوب النكرة، ولم يعرفه بالألف واللام، فكان ينصرف إلى الظلم الذي هو الشرك، فلما أسند المغفرة إلى الله عز وجل قال: "ولا يغفر الذنوب إلا أنت" فجمعها بالألف واللام فقال: "الذنوب" والمراد بها الذنوب المعروفة المشهورة. ثم قوله: "فاغفر لي مغفرة من عندك" المعنى أنها لا تكون بسبب من عندي فتفنى وتنقضي؛ لأنه كل ما يكون مطلعه من فانٍ فإنه يفنى ويضمحل، إنما المراد أن تكون المغفرة من الله الباقي فتبقى. ثم قال بعد ذلك "وارحمني" إذ الغَفْر في وضع اللغة: الستر والتغطية، فقد يغطى الشيء ولا تعقبه الرحمة، وقد يستر الأمر ولا يمحوه الصفح. فلما قال: فاغفر لي مغفرة من عندك وارحمني، كان طلبًا لمحو السيئة وتطييب أثرها.

ثم قال: "إنك أنت الغفور الرحيم" فقوله "إنك" الكاف في خطاب الله تعالى والتاء أيضًا في أماكن إسناد النعم إليه: ﴿صِرَٰطَ ٱلَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ﴾[2]. فلما جاء إلى ذكر الغضب قال: ﴿غَيْرِ ٱلْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ﴾ وإلى الضلالة قال: ﴿وَلَا ٱلضَّآلِّينَ﴾. وقال:

---

(١) سورة البقرة، الآية: ١٢٤.

(٢) سورة الفاتحة، الآية: ٧.

"إنك" بالكاف ثم ألحقها بقوله: "أنت"، وهو عماد عند الكوفيين.

وفيه فائدة فوق قولنا: "إنك أنت الغفور الرحيم" لأن المعنى بقوله: إنك أنت الغفور الرحيم، أنه تعين لهذا المعنى، أنه ليس لغيرك، فكأنه قال: لا غفور ولا رحيم على الحقيقة غيرك"[1].

(١) الإفصاح عن معاني الصحاح، ١/٥٠-٥٢. وانظر المفهم للقرطبي، ٣٢/٧، ٣٣.

الحديث رقم (١٤٧٨)

١٤٧٨- وعن أَبي موسى رضي الله عنه، عن النَّبيِّ ﷺ: أنَّه كَانَ يدْعُو بهذا الدُّعَاء: ((اللَّهُمَّ اغفِرْ لِي خَطِيئَتِي وَجَهْلِي، وإسرافِي في أمْرِي، وَمَا أنْتَ أعْلَمُ بِهِ مِنّي، اللَّهُمَّ اغفِرْ لِي جِدِّي وَهَزْلِي؛ وَخَطَئِي وَعَمْدِي؛ وَكُلُّ ذَلِكَ عِنْدِي، اللَّهُمَّ اغفِرْ لي مَا قَدَّمْتُ وَمَا أخَّرْتُ، وَمَا أسْرَرْتُ وَمَا أعْلَنْتُ، وَمَا أنتَ أعْلَمُ بِهِ مِنّي، أنْتَ المُقَدِّمُ، وأنْتَ المُؤَخِّرُ، وأنْتَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ)) متفق عَلَيْهِ[1].

ترجمة الراوي:

أبو موسى الأشعري: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (٨).

الشرح الأدبي

دعاؤه ﷺ (اللَّهُمَّ اغفِرْ لِي خَطِيئَتِي وَجَهْلِي، وإسرافِي في أمْرِي، وَمَا أنْتَ أعْلَمُ بِهِ مِنّي) طلب للمغفرة على وجه ملازمة الخضوع لله تعالى، واستصحاب حال العبودية والاعتراف بالتقصير شكرًا لما أولاه ربه تعالى مما لا سبيل له إلى مكافأة بعمل، فكما كان يصلي ﷺ حتى ترم قدماه، فيقال له: قد غفر الله لك ما تقدم من ذنبك وما تأخر فيقول: « أفلا أكون عبدًا شكورًا ». فكان اجتهاده في الدعاء، والاعتراف بالذل والتقصير، والإعواز والافتقار إلى الله تعالى شكرًا لربه، كما كان اجتهاده في الصلاة حتى ترم قدماه شكرًا لربه، إذ الدعاء لله تعالى من أعظم العبادة له، وليسُنّ ذلك لأمته ﷺ فيستشعروا الخوف، والحذر ولا يركنوا إلى الأمن، وإن كثرت أعمالهم وعبادتهم لله تعالى، وقوله (اللَّهُمَّ اغفِرْ لِي جِدِّي وَهَزْلِي) فيه طباق يستغرق حالتي الإنسان بين الجد والهزل بالمغفرة، وبين قوله: (وَخَطَئِي) و(عَمْدِي) طباق يستغرق بالمغفرة حالتي العلم والجهل، وعطف العمد على الخطأ إما عطف الخاص على العام باعتبار أن الخطيئة أعم من التعمد أو من عطف أحد المتقابلين على الآخر بأن يحمل

---

(١) أخرجه البخاري (٦٣٩٨)، و(٦٣٩٩)، ومسلم (٧٠/٢٧١٩) واللفظ له.

الخطيئة على ما وقع على سبيل الخطأ وقوله: (وكل ذلك عندي) إيغال في بيان الاعتراف، والذل ومعناه: ممكن أي موجود أي أنا متصف بهذه الأمور فاغفرها لي قاله تواضعا أو أراد ما وقع سهوا أو ما قبل النبوة أو محض مجرد تعليم لأمته، وقوله :(اللهم اغفر لي ما قدمت، وما أخرت) طباق يستغرق الزمان بمغفرة ما وقع فيه (وما أسررت، وما أعلنت) طباق يستوعب المكان بمغفرة ما فيه أي ما أظهرت أو ما حدثت به نفسي، وما تحرك به لساني قاله تواضعا وإجلالا لله تعالى أو تعليما لأمته (أنت المقدم) أي بعض العباد إليك بتوفيق الطاعة أو أنت المقدم لي بالبعث في الآخرة (وأنت المؤخر) بخذلان بعضهم عن التوفيق فتؤخره عنك أو أنت المؤخر لي بالبعث في الدنيا أو أنت الرافع والخافض أو المعز والمذل (وأنت على كل شيء قدير) تذييل يؤكد ما سبق أي أنت الفعال لكل ما تشاء.

غريب الألفاظ:

وإسرافي: من الإسراف ويطلق على الإسراف والتبذير في النفقة لغير حاجة، أو في غير طاعة الله، والغالب على ذكر الإسراف في الحديث النبوي: الإكثار من الذنوب والخطايا[١].

جِدي: الجدُّ: الاجتهاد في الأمر، وهو ضد الهزل[٢].

هزلي: لعبي[٣].

المضامين الدعوية

أولاً: من موضوعات الدعوة: إجلال النبي ﷺ ربه سبحانه وتعظيمه في الدعاء.

ثانيًا: من موضوعات الدعوة: التفصيل في مقام الدعاء.

ثالثًا: من موضوعات الدعوة: التذللّ والتضرع إلى الله سبحانه في الدعاء.

---

(١) النهاية في (س ر ف)، وفتح الباري ٢٠١/١١.

(٢) القاموس المحيط في (ج د د).

(٣) النهاية في (هـ ز ل).

أولاً - من موضوعات الدعوة: إجلال النبي ﷺ ربه سبحانه وتعظيمه في الدعاء:

هذا واضح من هذا الدعاء، وقوله في آخره: (أنت المقدم وأنت المؤخر،وأنت على كل شيء قدير).

وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال: كان النبيُّ ﷺ إذا قام منَ الليل يتهجَّدُ قال: ((اللَّهمَّ لكَ الحمدُ أنتَ قيِّمُ السماواتِ والأرضِ ومن فيهنَّ، ولكَ الحمدُ لكَ مُلكُ السماواتِ والأرضِ ومن فيهنَّ، ولكَ الحمدُ أَنتَ نورُ السماواتِ والأرضِ وَمَنْ فِيهنّ، ولكَ الحمدُ أنتَ ملكُ السماواتِ والأرضِ، ولك الحمدُ أَنتَ الحقُّ، ووَعدُكَ الحقُّ، ولِقاؤكَ حقٌّ، وقولُكَ حقٌّ، والجَنَّةُ حقٌّ، والنَّارُ حقٌّ، والنبيُّونَ حقٌّ، ومحمدٌ ﷺ حقٌّ، والساعةُ حقٌّ. اللّهمَّ لكَ أسلمتُ، وبكَ آمنتُ، وعليكَ تَوكلتُ، وإليكَ أنبتُ، وبكَ خاصمتُ وإليكَ حاكمتُ، فاغفِرْ لي ما قدَّمتُ وما أخَّرتُ، وما أسرَرتُ وما أعلنتُ، أنتَ المقدِّمُ وأنتَ المؤخِّرُ لا إلهَ إلاَّ أنت أو لا إله غيرُك))[1].

قال ابن حجر: "قوله: (فاغفر لي)، قال ذلك مع كونه مغفورًا له، إما على سبيل التواضع والهضم لنفسه وإجلالاً وتعظيمًا لربه، أو على سبيل التعليم لأمته لتقتدي به، كذا قيل. والأولى أنه لمجموع ذلك، وإلا لو كان للتعليم فقط لكفى فيه أمرهم بأن يقولوا"[2].

وفي حديث علي بن أبي طالب رضي الله عنه عن رسول الله ﷺ أنه كان إذا قام إلى الصلاة قال: ((وَجَّهْتُ وَجْهِيَ لِلَّذِي فَطَرَ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضَ حَنِيفًا وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ. إِنَّ صَلاَتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لله رَبِّ الْعَالَمِينَ لاَ شَرِيكَ لَهُ وَبِذَلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا مِنَ الْمُسْلِمِينَ. اللَّهُمَّ أَنْتَ الْمَلِكُ لاَ إِلهَ إِلاَّ أَنْتَ. أَنْتَ رَبِّي وَأَنَا عَبْدُكَ. ظَلَمْتُ نَفْسِي وَاعْتَرَفْتُ بِذَنْبِي فَاغْفِرْ لِي ذُنُوبِي جَمِيعًا. إِنَّهُ لاَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ إِلاَّ أَنْتَ. وَاهْدِنِي لأَحْسَنِ الأَخْلاَقِ. لاَ يَهْدِي لأَحْسَنِهَا إِلاَّ أَنْتَ. وَاصْرِفْ عَنِّي سَيِّئَهَا. لاَ يَصْرِفُ عَنِّي سَيِّئَهَا إِلاَّ أَنْتَ. لَبَّيْكَ. وَسَعْدَيْكَ وَالْخَيْرُ كُلُّهُ فِي يَدَيْكَ. وَالشَّرُّ لَيْسَ إِلَيْكَ. أَنَا بِكَ وَإِلَيْكَ.

---

(١) أخرجه البخاري ٢١٢٠، ومسلم ٧٦٩.

(٢) فتح الباري ٣/٥ ط/ السلفية.

تَبَارَكْتَ وَتَعَالَيْتَ. أَسْتَغْفِرُكَ وَأَتُوبُ إِلَيْكَ. وَإِذَا رَكَعَ قَالَ: اللَّهُمَّ لَكَ رَكَعْتُ. وَبِكَ آمَنْتُ. وَلَكَ أَسْلَمْتُ. خَشَعَ لَكَ سَمْعِي وَبَصَرِي. وَمُخِّي وَعَظْمِي وَعَصَبِي. وَإِذَا رَفَعَ قَالَ: اللَّهُمَّ رَبَّنَا لَكَ الْحَمْدُ مِلْءَ السَّمَاوَاتِ وَمِلْءَ الأَرْضِ وَمِلْءَ مَا بَيْنَهُمَا وَمِلْءَ مَا شِئْتَ مِنْ شَيْءٍ بَعْدُ)). وَإِذَا سَجَدَ قَالَ: ((اللَّهُمَّ لَكَ سَجَدْتُ. وَبِكَ آمَنْتُ. وَلَكَ أَسْلَمْتُ. سَجَدَ وَجْهِي لِلَّذِي خَلَقَهُ وَصَوَّرَهُ، وَشَقَّ سَمْعَهُ وَبَصَرَهُ. تَبَارَكَ اللهُ أَحْسَنُ الْخَالِقِينَ)) ثُمَّ يَكُونُ مِنْ آخِرِ مَا يَقُولُ بَيْنَ التَّشَهُّدِ وَالتَّسْلِيمِ ((اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِي مَا قَدَّمْتُ وَمَا أَخَّرْتُ. وَمَا أَسْرَرْتُ وَمَا أَعْلَنْتُ. وَمَا أَسْرَفْتُ. وَمَا أَنْتَ أَعْلَمُ بِهِ مِنِّي. أَنْتَ الْمُقَدِّمُ وَأَنْتَ الْمُؤَخِّرُ. لاَ إِلَهَ إِلاَّ أَنْتَ))[١].

وقال ابن حجر عن حديث ابن عباس رضي الله عنهما: "فيه زيادة معرفة النبي ﷺ بعظمة ربه وعظيم قدرته ومواظبته على الذكر والدعاء والثناء على ربه والاعتراف له بحقوقه والإقرار بصدق وعده ووعيده، وفيه استحباب تقديم الثناء على المسألة عند كل مطلوب، اقتداءً به ﷺ"[٢].

ثانيًا- من موضوعات الدعوة: التفصيل في مقام الدعاء:

وهذا واضحٌ من الحديث، وقد بوّب ابن حبان على هذا الحديث: ذكر ما يستحب للمرء أن يسأل الله جلّ وعلا التفضل عليه بمغفرة أنواع ذنوبه [٣]، وبوّب عليه كذلك: ذكر ما يستحب للمرء أن يسأل الرب جل وعلا المغفرة لذنوبه وإن كان في لفظه استقصاء [٤]، وقال ابن عثيمين: "إن النبي ﷺ سأل الله تعالى أن يغفر له ما قدم وما أخر، فقال: (اللهم اغفر لي ما قدمت وما أخرت وما أسررت وما أعلنت وما أنت أعلم به مني)، وهذا يغني عنه كلمة واحدة: (اللهم اغفر لي ذنبي كله)، لكن التفصيل في مقام الدعاء أمر مطلوب، لأنه يؤدي إلى أن يتذكر الإنسان كل ما عمل، مما أسرّ وأعلن وما علم وما لم يعلم، ولأنه كلما تمادى في سؤال الله عز وجل ازداد تعلقًا بالله

---

(١) أخرجه مسلم ٧٧١.

(٢) فتح الباري ٣/٥ ط/ السلفية.

(٣) صحيح ابن حبان ٣/٢٣٤، الحديث ٩٥٤.

(٤) المرجع السابق ٣/٢٣٧، الحديث ٩٥٧.

تعالى وخوفًا منه ورجاءً فلذلك كان النبي ﷺ يفصل فيما يسأل ربه عز وجل من مغفرة الذنوب وغير ذلك"[١].

ثالثًا- من موضوعات الدعوة: التذللّ والتضرع إلى الله سبحانه في الدعاء:

هذا واضح من الحديث، قال ابن حجر: "(رب اغفر لي خطيئتي)[٢]: الخطيئة الذنب، قوله (وجهلي): الجهل ضد العلم، قوله: (وإسرافي في أمري كله): الإسراف مجاوزة الحدّ في كل شيء، قال الكرماني: يحتمل أن يتعلق بالإسراف فقط، ويحتمل أن يتعلق بجميع ما ذكره، قوله: (اغفر لي خطاياي وعمدي)، وقع في رواية الكشميهني في طريق إسرائيل (خطئي)، وكذا أخرجه البخاري في الأدب المفرد بالسند الذي في الصحيح هو المناسب لذكر العمد، ولكن جمهور الرواة على الأول، والخطايا: جمع خطيئة، وعطف العمد عليها من عطف الخاص على العام، فإن الخطيئة أعمّ من أن تكون عن خطأ وعن عمد، أو هو من عطف أحد العامين على الآخر، قوله: (وجهلي وجدي)، وقع في مسلم (اغفر لي هزلي وجدي)، وهو أنسب والجد - بكسر الجيم - ضد الهزل قوله: (وكل ذلك عندي)، أي: موجود أو ممكن"[٣].

وقال النووي: "قيل: قاله تواضعًا، وعدّ على نفسه فوات الكمال ذنوبًا، وقيل: أراد ما كان عن سهو، وقيل: ما كان قبل النبوة، وعلى كل حال فهو ﷺ مغفور له ما تقدم من ذنبه وما تأخر، فدعا بهذا وغيره تواضعًا، لأن الدعاء عبادة.. قوله ﷺ: (أنت المقدم وأنت المؤخر)، يقدم من يشاء من خلقه إلى رحمته بتوفيقه، ويؤخر من يشاء عن ذلك لخذلانه"[٤].

---

(١) شرح رياض الصالحين ١٥٥٨/٢ - ١٥٥٩.

(٢) هذه رواية عند البخاري ٦٣٩٨.

(٣) فتح الباري ١٩٨/١١ ط السلفية.

(٤) شرح صحيح مسلم ٤٢/١٧/٩ - ٤٣. ط دار عالم الكتب، وقال القرطبي: أي المقدم لمن شئت بالتوبة والولاية والطاعة، والمؤخر لمن شئت بضد ذلك. والأولى: أنه تعالى مقدِّمُ كل مُقَدَّمٍ في الدنيا والآخرة. ومؤخِّرٌ كل مؤخَّرٍ، والمبدىء والمعيد، والقابض والباسط والخافض والرافع والضار والنافع، فهذه الأسماء لا تقال إلا مزدوجة، كما جاءت في الكتاب والسنة. المفهم، ٤٨/٧.

قال ابن حجر: "قال الطبري: بعد أن استشكل صدور هذا الدعاء من النبي ﷺ مع قوله تعالى: ﴿لِّيَغۡفِرَ لَكَ ٱللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِن ذَنۢبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ﴾[1] ما حاصله: أنه ﷺ امتثل ما أمره الله به من تسبيحه وسؤاله المغفرة إذا جاء نصر الله والفتح، قال: وزعم قوم أن استغفاره عما يقع بطريق السهو والغفلة أو بطريق الاجتهاد، مما لا يصادف ما في نفس الأمر، وتعقب بأنه لو كان كذلك للزم منه أن الأنبياء يؤاخذون بمثل ذلك فيكونون أشد حالا من أممهم، وأجيب بالتزامه، قال المحاسبي: الملائكة والأنبياء أشد لله خوفا ممن دونهم، وخوفهم خوف إجلال وإعظام، واستغفارهم من التقصير لا من الذنب المحقق، وقال عياض[2]: يحتمل أن يكون قوله (اغفر لي خطيئتي) وقوله: (اغفر لي ما قدمت وما أخرت) على سبيل التواضع والاستكانة والخضوع والشكر لربه، لما علم أنه قد غفر له، وقيل هو محمول على ما صدر من غفلة أو سهو، وقيل على ما مضى قبل النبوة، وقال قوم وقوع الصغيرة جائز منهم فيكون الاستغفار من ذلك، وقال القرطبي: في (المفهم)[3] وقوع الخطيئة من الأنبياء عليهم السلام جائز لأنهم مكلفون فيخافون وقوع ذلك ويتعوذون منه، وقيل قاله على سبيل التواضع والخضوع لحق الربوبية، ليقتدي به في ذلك"[4].

وقال ابن القيم: "لله سبحانه على عبده أمر أمره به، وقضاء يقضيه عليه، ونعمة ينعم بها عليه، فلا ينفك من هذه الثلاثة. والقضاء نوعان: إما مصائب، وإما معايب. وله عليه عبودية في هذه المراتب كلها. فأحب الخلق إليه من عرف عبوديته في هذه المراتب ووفاها حقها، فهذا أقرب الخلق إليه. وأبعدهم منه من جهل عبوديته في هذه المراتب، فعطلها علمًا وعملاً.

فعبوديته في الأمر امتثاله إخلاصًا واقتداءً برسول الله ﷺ. وفي النهى اجتنابه خوفًا منه وإجلالاً ومحبة.

---

(١) سورة الفتح، آية: ٢.

(٢) إكمال المعلم ٢١٤/٨.

(٣) المفهم ٤٨/٧.

(٤) فتح الباري، ابن حجر ١٩٨/١١، ط/ السلفية.

وعبوديته في قضاء المصائب الصبر عليها، ثم الرضا بها، وهو أعلى منه. ثم الشكر عليها، وهو أعلى من الرضا. وهذا إنما يتأتى منه إذا تمكن حبه من قلبه علم حسن اختياره له وبره به ولطفه به وإحسانه إليه بالمصيبة وإن كره المصيبة.

وعبوديته في قضاء المعايب المبادرة إلى التوبة منها والتنصل، والوقوف في مقام الاعتذار والانكسار، عالمًا بأنه لا يرفعها عنه إلا هو، ولا بقية شرها سواه، وأنها إن استمرت أبعدته من قربه وطردته من بابه؛ فيراها من الضر الذي لا يكشفه غيره، حتى إنه ليراها أعظم من ضر البدن. فهو عائذ برضاه من سخطه، وبعفوه من عقوبته، وبه منه مستجير، وملتجئ منه إليه، يعلم أنه إذا تخلى عنه وخلى بينه وبين نفسه فعنده أمثالها وشر منها، وأنه لا سبيل له إلى الإقلاع والتوبة إلا بتوفيقه وإعانته، وأن ذلك بيده سبحانه، لا بيد العبد؛ فهو أعجز وأضعف وأقل من أن يوفق نفسه أو يأتي بمرضاة سيده بدون إذنه ومشيئته وإعانته، فهو ملتجئ إليه متضرع ذليل مسكين، ملق نفسه بين يديه، طريح ببابه، مستخذٍ له، أذل شيء وأكسره له، وأفقره وأحوجه إليه، وأرغبه فيه، وأحبه له، بدنه متصرف في أشغاله، وقلبه ساجد بين يديه، يعلم يقينًا أنه لا خير فيه ولا له ولا به ولا منه، وأن الخير كله لله وفي يديه وبه ومنه؛ فهو ولي نعمته، ومبتدئه بها من غير استحقاق، ومجريها عليه مع تمقته إليه بإعراضه وغفلته ومعصيته.

فحظه سبحانه: الحمد والشكر والثناء، وحظ العبد الذم والنقص والعيب. قد استأثر بالمحامد والمدح والثناء، وولى العبد الملامة والنقائص والعيوب؛ فالحمد كله له، والخير كله في يديه، والفضل كله له، والثناء كله له، والمنة كلها له، فمنه الإحسان، ومن العبد الإساءة، ومنه التودد إلى العبد بنعمه، ومن العبد التبغض إليه بمعاصيه، ومنه النصح لعبده، ومن العبد الغش له في معاملته"[1].

---

(١) الفوائد ١٦٥، ١٦٦.

الحديث رقم (١٤٧٩)

١٤٧٩- وعن عائشة رضي الله عنها: أنَّ النبيَّ ﷺ كَانَ يقول في دُعَائِهِ: ((**اللَّهُمَّ إنِّي أعُوذُ بِكَ مِنْ شَرِّ مَا عَمِلْتُ ومنْ شَرِّ مَا لَمْ أعْمَلْ**)). رواه مسلم[1].

ترجمة الراوي:

أم المؤمنين عائشة بنت أبي بكر الصديق: تقدمت ترجمتها في الحديث رقم (٢).

الشرح الأدبي

الحديث ترويه أم المؤمنين عائشة، والأحاديث التي ترويها أم المؤمنين عائشة -رضي الله عنها- لها فضل توكيد لشدة قربها من الرسول ﷺ بحيث تحيط بدقائقه، وقوله (كَانَ يقول في دُعَائِهِ) في التعبير بفعل الكينونة الماضي تحقيق للفعل وثبوت له، وفيه دلالة على اعتياده - غالبا - وقوله (اللهم إني أعوذ بك من شر ما عملت) أي فعلت قال الطيبي أي من شر عمل يحتاج فيه إلى العفو، والغفران (ومن شر ما لم أعمل) استعاذ من شر أن يعمل في المستقبل مالا يرضاه بأن يحفظه منه، أومن شر أن يصبر معجبا بنفسه في ترك القبائح، فإنه يجب أن يرى ذلك من فضل ربه، أو لئلا يصيبه شر عمل غيره قال تعالى (واتقوا فتنة لا تصيبن الذين ظلموا منكم خاصة) (الأنفال ٢٥) ويحتمل أنه استعاذ من أن يكون ممن يحب أن يحمده بما لم يفعل، وبين قوله عَمِلْتُ، وقوله ما لم أعمل طباق سلب يؤكد إحاطة الاستعاذة بمختلف الأعمال إحاطة لا يترتب عليها تبعة.

المضامين الدعوية

أولاً: من موضوعات الدعوة: الاستعاذة بالله من شر ما عمل الإنسان ومن شر ما لم يعمل.

ثانيًا: من موضوعات الدعوة: الاستعاذة بالله من الوقوع في الذنوب والمعاصي.

---

(١) برقم (٢٧١٦/٦٦).

أولاً- من موضوعات الدعوة: الاستعاذة بالله من شر ما عمل الإنسان ومن شر ما لم يعمل:

وهذا واضح من الحديث: (اللهم إني أعوذ بك من شر ما عملت ومن شر ما لم أعمل)، قال النووي: "(أعمل) قالوا: معناه: من شر ما اكتسبته مما قد يقتضي عقوبة في الدنيا أو يقتضي في الآخرة، وإن لم أكن قصدته، ويحتمل أن المراد تعليم الأمة الدعاء"[1]، وقال السندي: "أي من شر ما فعلت من السيئات وما تركت من الحسنات، أو من شر كل شيء مما تعلق به كسبي"[2]، وقال القرطبي: "نبّه في هذا على معنى زائد، وهو أنه قد يعمل الإنسان العمل لا يقصد به إلا الخير، ويكون في باطن أمره شر لا يعلمه، فاستعاذ منه، ويؤيد هذا أنه قد روى في غير كتاب مسلم: "من شر ما علمت، وما لم أعلم، ويحتمل أن يريد به ما عمل غيره، فيما يظن أنه يقتدي به فيه"[3].

فالإنسان تقع منه الذنوب والمعاصي، وكذلك يترك بعض الحسنات، وكل ذلك تقصير في حق الله يستعيذ العبد بالله أن يعاقبه بذلك، وذلك لأن حال الإنسان مقارفة الذنب وفعل المعصية وقد قال النبي ﷺ: ((كلُّ ابْنِ آدَمَ خَطَّاء، وَخيْرُ الْخَطَّائِينَ التَّوَّابُونَ))[4].

والاستعاذة دعاء إلى الله عز وجل، والدعاء من توفيق الله، وفي ذلك يقول ابن القيم: "أساس كل خير أن تعلم أن ما شاء الله كان، وما لم يشأ لم يكن، فتيقن حينئذ أن الحسنات من نعمه، فتشكره عليها وتتضرع إليه أن لا يقطعها عنك. وأن السيئات من خذلانه وعقوبته، فتبتهل إليه أن يحول بينك وبينها، ولا يكلك في فعل الحسنات وترك السيئات إلى نفسك. وقد أجمع العارفون على أن كل خير فأصله بتوفيق الله للعبد، وكل شرّ فأصله خذلانه لعبده، وأجمعوا أن التوفيق أن لا يكلك إلى نفسك، وأن الخذلان هو أن يخلى بينك وبين نفسك.

---

(١) شرح صحيح مسلم، ٤٠/١٧/٩، ط/ دار عالم الكتب. وانظر إكمال المعلم، للقاضي عياض، ٢١٣/٨.

(٢) حاشية السندي على سنن النسائي ٦٧٥/٨.

(٣) المفهم ٤٦/٧.

(٤) أخرجه الترمذي ٢٤٩٩، وابن ماجه ٤٢٥١، وحسنه الألباني (صحيح سنن ابن ماجه، ٣٤٢٨).

فإذا كان كل خير، فأصله التوفيق، وهو بيدالله لا بيد العبد، فمفتاحه الدعاء والافتقار وصدق اللجوء والرغبة والرهبة إليه، فمتى أعطى العبد هذا المفتاح فقد أراد أن يفتح الله له، ومتى أضلّه عن المفتاح بقى باب الخير مرتجا[١] دونه.

قال أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه: (إني لا أحمل همّ الإجابة، ولكن همّ الدعاء فإذا ألهمت الدعاء فإن الإجابة معه).

وعلى قدر نية العبد وهمته ومراده ورغبته في ذلك، يكون توفيقه سبحانه وإعانته فالمعونة من الله تنزل على العبد على قدر هممهم وثباتهم ورغبتهم ورهبتهم، والخذلان ينزل عليهم على حساب ذلك.

فالله سبحانه أحكم الحاكمين وأعلم العالمين يضع التوفيق في مواضعه اللائقة به، والخذلان في مواضعه اللائقة به وهو العليم الحكيم، وما أتى من أتى إلا من قبل إضاعة الشكر، وإهمال الافتقار والدعاء ولا ظفر من ظفر بمشيئة الله وعونه إلا بقيامه بالشكر، وصدق الافتقار والدعاء، وملاك ذلك الصبر، فإنه من الإيمان بمنزلة الرأس من الجسد، فإذا قطع الرأس فلا بقاء للجسد)[٢].

ثانيًا- من موضوعات الدعوة: الاستعاذة بالله من الوقوع في الذنوب والمعاصي:

وهذا واضح من قوله ﷺ: (ومن شر ما لم أعمل)، والدليل على ذلك أن ابن حبان قد بوّب على هذا الحديث في صحيحه: ذكر ما يستحب للمرء أن يتعوذ بالله جلّ وعلا من المناقشة على جناياته في العقبى والوقوع في أمثالها في الدنيا[٣]، فإنه يغلب على الظن أن ابن حبان فهم من الحديث من ضمن ما فهم، التعوذ من الوقوع في الذنوب والمعاصي مستقبلاً.

ثم وجدت الطيبي نقل عن الأشرف قوله: "قيل: استعاذ من أن يعمل في مستقبل الزمان ما لا يرضاه الله، فإنه لا مأمن لأحد من مكر الله: ﴿فَلَا يَأْمَنُ مَكْرَ ٱللَّهِ إِلَّا

(١) أي: مغلقًا. المصباح المنير، ٢٥٩.

(٢) الفوائد، ص ١٤٥ – ١٤٦.

(٣) صحيح ابن حبان ٢٠٥/٣ رقم ١٠٢١.

﴿ٱلْقَوْمُ ٱلْخَسِرُونَ﴾[١]، وقيل: من أن يصير معجبًا بنفسه في ترك القبائح وسأله أن يرى ذلك من فضل ربه"[٢].

وعلى العموم فإنه كان من دعاء النبي ﷺ: ((وإذَا أَرَدْتَ بِعِبَادِكَ فِتْنَةً فَاقْبِضْنِي إلَيْكَ غَيْرَ مَفْتُونٍ))[٣]، وكذلك من دعائه ﷺ: ((اللهمَّ حَبِّبْ إلَيْنَا الإيمَانَ وزَيِّنْهُ في قُلُوبِنَا، وكَرِّهْ إلَيْنَا الكُفْرَ والفُسُوقَ والعِصْيَانَ، واجْعَلْنَا مِنَ الرَّاشِدِينَ. اللهمَّ تَوَفَّنَا مُسْلِمِينَ، وأَحْيِنَا مُسْلِمِينَ، وأَلْحِقْنَا بالصَّالِحِينَ، غَيْرَ خَزَايَا ولا مَفْتُونِينَ))[٤]، ولا شكَّ أن هذا الدعاء طلبٌ للحماية من الوقوع في الذنوب والتعرض لها، أو عدم المؤاخذة بالوقوع فيها.

ويتضمن هذا الدعاء إشارة إلى العبد أن يحبس نفسه عن المعاصي، لما في ذلك من نيل الدرجات العلا، وفي ذلك يقول ابن القيم: "طالب الله والدار الآخرة لا يستقيم له سيره وطلبه إلا بحبسين: حبس قلبه في طلبه ومطلوبه، وحبسه عن الالتفات إلى غيره، وحبس لسانه عما لا يفيد وحبسه على ذكر الله وما يزيد في إيمانه ومعرفته، وحبس جوارحه عن المعاصي والشهوات وحبسها على الواجبات والمندوبات، فلا يفارق الحبس حتى يلقى ربه، فيخلصه من السجن إلى أوسع فضاء وأطيبه، ومتى لم يصبر على هذين الحبسين وفرّ منهما إلى فضاء الشهوات، أعقبه ذلك الحبس الفظيع عند خروجه من الدنيا، فكل خارج من الدنيا إما متخلص من الحبس، وإما ذاهب إلى الحبس"[٥].

---

(١) سورة الأعراف، آية: ٩٩.

(٢) شرح الطيبي على المشكاة ١٨٩/٥.

(٣) أخرجه الترمذي ٣٢٣٣، وصححه الألباني (صحيح سنن الترمذي، ٢٥٨٠).

(٤) أخرجه أحمد ٤٢٤/٣، رقم ١٥٤٩٢، عن عبدالله الزرقي، وقال محققو المسند: رجاله ثقات ٢٤٦/٢٤ – ٢٤٧.

(٥) الفوائد ٨٣.

الحديث رقم (١٤٨٠)

١٤٨٠- وعن ابن عمر رضي الله عنهما، قَالَ: كَانَ مِن دعاءِ رسُولِ اللهِ ﷺ: ((اللَّهُمَّ إنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنْ زَوالِ نِعْمَتِكَ، وتَحَوُّلِ عَافِيَتِكَ، وفُجَاءةِ نِقْمَتِكَ، وَجَميعِ سَخَطِكَ)). رواه مسلم[1].

ترجمة الراوي:

عبدالله بن عمر بن الخطاب: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (١٢).

غريب الألفاظ:

فجاءة: الفجاءة: البغتة[2].

نقمتك: النقمة: المكافأة بالعقوبة[3].

الشرح الأدبي

هذا الحديث يشتمل على دعاء لحفظ النعم على من أنعم الله عليه بنعمة فيشمل جميع المسلمين فما منهم من أحد ليس لديه نعمة من الله، وقوله (اللهم إني) توجه لله بكامل الخضوع في اللفظ الدال على كمال الخضوع في القلب مع تهالك في الدعاء دل عليه توكيد العوذ، ووصل النعمة بكاف الخطاب يتضمن اعترافا بنسبتها إليها، وقوله من (زوال نعمتك) أي مفارقة النعمة، وقوله (وتحول عافيتك) أي انتقالها من السمع والبصر وسائر الأعضاء، والفرق بين الزوال، والتحول أن الزوال يقال في شيء كان ثابتا في شيء ثم فارقه والتحول تغير الشيء وانفصاله عن غيره فمعنى زوال النعمة ذهابها من غير بدل وتحول العافية إبدال الصحة بالمرض والغني بالفقر، وقال الطيبي رحمه الله تعالى أي تبدل ما رزقتني من العافية إلى البلاء، والداهية (وفجاءة نقمتك) بمعنى البغتة والنقمة المكافأة بالعقوبة والانتقام بالغضب والعذاب، وخصها بالذكر لأنها أشد

(١) برقم (٢٧٣٩/٩٦).

(٢) النهاية في (ف ج أ).

(٣) القاموس المحيط في (ن ق م).

(وجميع سخطك) هو من ذكر العام بعد الخاص استدراكا لشمول ما يوقع في هذا السخط أي ما يؤدي إليه أو جميع آثار غضبك.

المضامين الدعوية

أولاً: من موضوعات الدعوة: الاستعاذة بالله من زوال نعمته وتحول عافيته.

ثانيًا: من موضوعات الدعوة: التعوذ بالله من فجاءة نقمته.

ثالثًا: من موضوعات الدعوة: الاستعاذة من سخط الله.

أولاً - من موضوعات الدعوة: الاستعاذة بالله من زوال نعمته وتحول عافيته:

هذا واضح من دعاء النبي ﷺ: (اللهم إني أعوذ بك من زوال نعمتك وتحول عافيتك)، قال الطيبي: "قوله: "وتحول عافيتك"، قال المظهر: أي: من تبدل ما رزقتني من العافية إلى البلاء، فإن قلت: ما الفرق بين الزوال والتحويل؟ قلت: الزوال يقال في شيء كان ثابتًا في شيء ثم فارقه، والتحويل: تغيير الشيء وانفصاله عن غيره.. وحوّلت الشيء فتحوّل غيرتهُ إما بالذات وإما بالحكم، فمعنى زوال النعمة ذهابها من غير بدل، وتحويل العافية إبدال الصحة بالمرض، والسلامة بالبلاء"[1].

وقال ابن هبيرة: "في هذا الحديث من الفقه أن الداعي إذا دعى الله عز وجل واستعاذه من زوال نعمته؛ فإنما في ضمن دعائه أن يستعيذ بالله من أن يغير ما بنفسه؛ لأن القرآن نزل: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُوا۟ مَا بِأَنفُسِهِمْ﴾[2]. فيستعيذ من أن يغير ما بنفسه لئلا يزيل الله عز وجل ما أنعم به عليه.

وقوله: "وتحول عافيتك": أي: أنك قد عودتني منك العافية، فلا تحولني إلى البلاء، ويكون في ضمن هذا أن من العافية التي يعافي الله بها عبده أن يسامحه ويساهله ولا يناقشه؛ وقد عود الله عبده ذلك فإذا أَمَرّ وقت عبده في عافية منه، فإنما ذلك عن مساهلة الله وسماحته لا عن براءة العبد وسلامته، فإذا استعاذ العبد من أن يحول عنه

---

(١) شرح الطيبي على المشكاة ١٨٩/٥.

(٢) سورة الرعد، الآية: ١١ .

ما عوده إياه من هذه العافية؛ فقد احتظى بحظار من فضله عن سخطه"[١].

وقال عبدالله البسام: " قوله:" اللهم إني أعوذ بك من زوال نعمتك" الأمور كلها بيد الله تعالى، فهو المعطي وهو المانع لا راد لأمره، فالاستعاذة والاعتصام من زوال النعم هي في موضعها وواقعة موقعها، فهو يسأل معطيها أن لا يزيلها، وزوال النعم يكون غالبًا بسبب الذنوب، فهو يسأل ضمنًا العصمة من الذنوب التي هي سبب زوال النعم. قال تعالى: ﴿ظَهَرَ ٱلْفَسَادُ فِى ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِى ٱلنَّاسِ﴾[٢].

قوله: "وتحول عافيتك" فيه الاستعاذة بالله تعالى من أن ينقل العافية منه إلى غيرها، ويسأله بقاءها سابغة عليه، وهي تشمل العافية في الدين والبدن والوطن والأهل والمال، بأن تبقى سالمة مما يطرأ عليها فيزيلها أو يهلكها أو يذهبها"[٣].

ومن الأمثلة التاريخية لزوال نعمة الله وعافيته عن الظالمين، ما حدث لقوم سبأ، قال تعالى: ﴿لَقَدْ كَانَ لِسَبَإٍ فِى مَسْكَنِهِمْ ءَايَةٌ ۖ جَنَّتَانِ عَن يَمِينٍ وَشِمَالٍ ۖ كُلُوا۟ مِن رِّزْقِ رَبِّكُمْ وَٱشْكُرُوا۟ لَهُۥ ۚ بَلْدَةٌ طَيِّبَةٌ وَرَبٌّ غَفُورٌ ۝١٥ فَأَعْرَضُوا۟ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ سَيْلَ ٱلْعَرِمِ وَبَدَّلْنَٰهُم بِجَنَّتَيْهِمْ جَنَّتَيْنِ ذَوَاتَىْ أُكُلٍ خَمْطٍ وَأَثْلٍ وَشَىْءٍ مِّن سِدْرٍ قَلِيلٍ ۝١٦ ذَٰلِكَ جَزَيْنَٰهُم بِمَا كَفَرُوا۟ ۖ وَهَلْ نُجَٰزِىٓ إِلَّا ٱلْكَفُورَ ۝١٧ وَجَعَلْنَا بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ ٱلْقُرَى ٱلَّتِى بَٰرَكْنَا فِيهَا قُرًى ظَٰهِرَةً وَقَدَّرْنَا فِيهَا ٱلسَّيْرَ ۖ سِيرُوا۟ فِيهَا لَيَالِىَ وَأَيَّامًا ءَامِنِينَ ۝١٨ فَقَالُوا۟ رَبَّنَا بَٰعِدْ بَيْنَ أَسْفَارِنَا وَظَلَمُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ فَجَعَلْنَٰهُمْ أَحَادِيثَ وَمَزَّقْنَٰهُمْ كُلَّ مُمَزَّقٍ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ﴾[٤].

قال ابن كثير: "قوله تعالى: (إن في ذلك لآيات لكل صبّار شكور)، أي: إن في هذا الذي حلّ بهؤلاء من النقمة والعذاب، وتبديل النعمة وتحويل العافية، عقوبة على ما

(١) الإفصاح عن معاني الصحاح ٢٧٢/٤، ٢٧٣.

(٢) سورة الروم، الآية: ٤١.

(٣) توضيح الأحكام ٤٣٥/٦.

(٤) سورة سبأ، الآيات ١٥ - ١٩.

ارتكبوه من الكفر والآثام، لعبرة ودلالة لكل عبد صبّار على المصائب شكور على النعم"[١].

وقال الطاهر بن عاشور: "إن في هذه القصة عدة آيات وعبر، فحلة مساكنهم آية على قدرة الله ورحمته وإنعامه، وفيه آية على أنه الواحد المتصرف، وفي إرسال سير العرم عليها آية على انفراده وحده بالتصرف، وعلى أنه المنتقم وعلى أنه واحد، فلذلك عاقبهم على الشرك، وفي انعكاس حالهم من الرفاهة إلى الشظف آية على تقلب الأحوال، وتغير العالم وآية على صفات الأحوال لله تعالى من خلق ورزق وإحياء وإماتة، وفي ذلك آية من عدم الاطمئنان لدوام الحال في الخير والشر، وفيما كان من عمران إقليمهم واتساع قراهم إلى بلاد الشام آية على مبلغ العمران وعظم السلطان من آيات التصرفات، وآية أن الأمن أساس العمران، وفي تمنيهم زوال ذلك آية على ما قد تبلغه العقول من الانحطاط المفضي إلى اختلال أمور الأمة، وذهاب عظمتها، وفيما صاروا إليه من التروح عن الأوطان والتشتت في الأرض، آية على ما يلجئ الاضطرار إليه الناس من ارتكاب الأخطار والمكاره"[٢].

ثانيا- من موضوعات الدعوة: التعوذ بالله من فجاءة نقمته:

هذا واضح من لفظ الحديث "وفجاءة نقمتك" قال ابن هبيرة: "إن النعمة إذا جاءت فجأة بغتةً لم يكن هناك زمان يستدرك فيه، ولا وقت لإعتاب"[٣].

وقال عبدالله البسام: "الفجأة هي البغتة التي تأخذ الإنسان من حيث لا يكون عنده سابق إنذار وإخطار وتحذير فيؤخذ من مأمنه حينما تفجأه النقمة ويبغته العذاب، ولات حين مناص ولا مفر"[٤]، قال الله تعالى: ﴿أَفَأَمِنَ أَهْلُ ٱلْقُرَىٰٓ أَن يَأْتِيَهُم بَأْسُنَا بَيَٰتًا وَهُمْ نَآئِمُونَ ﴿٩٧﴾ أَوَأَمِنَ أَهْلُ ٱلْقُرَىٰٓ أَن يَأْتِيَهُم بَأْسُنَا ضُحًى وَهُمْ يَلْعَبُونَ ﴿٩٨﴾ أَفَأَمِنُوا۟ مَكْرَ ٱللَّهِ ۚ فَلَا

---

(١) تفسير القرآن العظيم ٥١٢/٦.

(٢) التحرير والتنوير ١٨٠/٢٢.

(٣) الإفصاح عن معاني الصحاح ٢٧٣/٤.

(٤) توضيح الأحكام ٤٣٥/٦.

يَأۡمَنُ مَكۡرَ ٱللَّهِ إِلَّا ٱلۡقَوۡمُ ٱلۡخَٰسِرُونَ﴾[١].

قال القاسمي: "(أفأمنوا مكر الله)، وهو أخذه العبد من حيث لا يحتسب، "فلا يأمن مكر الله إلا القوم الخاسرون"، أي: لا يأمن أحدٌ أخذه تعالى العبد من حيث لا يشعر مع كثرة ما رأى من أخذه العباد من حيث لا يحتسبون إلا القوم الذين خسروا عقولهم وأضاعوا فطرة الله التي فطر الناس عليها، والاستعداد القريب المستفاد من النظر في الآيات، فصاروا خاسرين إنسانيتهم، بل أخس من البهائم، وفي قوله تعالى: (أفأمنوا مكر الله)، تكرير للنكير في قوله: (أفأمن أهل القرى)، لزيادة التقرير"[٢].

قال الحسن البصري: "المؤمن يعمل بالطاعات وهو مشفق وجل خائف، والفاجر يعمل بالمعاصي وهو آمن"[٣].

وقال الطاهر بن عاشور: "وتقييد التعجيب من أمنهم مجيء البأس بوقتي البيات والضحى من بين سائر الأوقات، وبحالي النوم واللعب، من بين سائر الأحوال، لأن الوقتين أجدر بأن يحذر حلول العذاب فيهما، لأنهما وقتان للدعة، فالبيات للنوم بعد الفراغ من الشغل، والضحى للعب قبل استقبال الشغل، فكان شأن أولي النهى المعرضين عن دعوة رسل الله أن لا يأمنوا عذابه، بخاصة في هذين الوقتين والحالين، وفي هذا التعجيب تعريض بالمشركين المكذبين للنبي ﷺ أن يحلّ بهم ما حلّ بالأمم الماضية، فكان ذكر البيات ووقت اللعب أشد مناسبة بالمعنى التعريضي، تهديدًا لهم بأن يصيبهم العذاب بأفظع أحواله، إذ يكون حلوله بهم في ساعة دعتهم وساعة لهوهم نكاية بهم"[٤].

ثالثًا- من موضوعات الدعوة: الاستعاذة من سخط الله:

قد كان النبي ﷺ يستعيذ من سخط الله، كما جاء في الحديث "وجميع

---

(١) سورة الأعراف، الآيات: ٩٧ - ٩٩.

(٢) محاسن التأويل ٢٢٢/٧.

(٣) تفسير القرآن العظيم، ٤٥١/٣.

(٤) التحرير والتنوير، ٢٣/٩.

سخطك". قال ابن هبيرة: "وأما قوله: "وجميع سخطك" ففي ذلك أنه لما كان في تعديد مساخط الله سبحانه نوع ترويع تستجدي له قلوب المؤمنين لإعتاب أجمل ﷺ ذلك، وعدل عن تفصيله إلى قوله عليه السلام: "وجميع سخطك".

ثم من حسن الترتيب، وبديع التصريف أن بدأ في الاستعاذة من تحول العافية، لأنه من لطف الله تعالى به إدامة العافية عليه، وقد حرس خصاله من الالتفات ثم أتبع ذلك بالتعوذ من فجاءة النقمة، وهي أن يفجأ بالنقمة من قبل منذرات تنذر ومؤذنات تؤذن وتشعر، فتسبق الاستغفار وتعجل عن الإعتاب؛ ثم أتبع ذلك بالتعميم من الاستعاذة من جميع سخطه أعاذنا الله سبحانه من ذلك وإياكم"[١].

وقال عبدالله البسام: "قوله: "وجميع سخطك" تعميم بعد تخصيص، فهو يستعيذ بالله تعالى، ويعتصم من جميع الشرور والأمور التي توجب سخط الله تعالى، والذي يسخطه جل وعلا على عباده هو عموم المعاصي والذنوب من انتهاك المحرمات أو ترك الواجبات والله اعلم"[٢].

وعن عائشة رضي الله عنها قالت: فَقَدْتُ رَسُولَ اللّهِ لَيْلَةً مِنَ الْفِرَاشِ، فَالْتَمَسْتُهُ، فَوَقَعَتْ يَدِي عَلَى بَطْنِ قَدَمَيْهِ، وَهُوَ فِي الْمَسْجِدِ، وَهُمَا مَنْصُوبَتَانِ، وَهُوَ يَقُولُ: ((اللَّهُمَّ أَعُوذُ بِرِضَاكَ مِنْ سَخَطِكَ. وَبِمُعَافَاتِكَ مِنْ عُقُوبَتِكَ. وَأَعُوذُ بِكَ مِنْكَ. لاَ أُحْصِي ثَنَاءً عَلَيْكَ. أَنْتَ كَمَا أَثْنَيْتَ عَلَى نَفْسِكَ))[٣].

قال النووي: "قال الخطابي: في هذا معنى لطيف، وذلك أنه استعاذ بالله تعالى وسأله أن يجيره برضاه من سخطه، وبمعافاته من عقوبته، والرضاء والسخط ضدان متقابلان، وكذلك المعافاة والعقوبة، فلما صار إلى ذكر ما لا ضد له وهو الله سبحانه وتعالى استعاذ به منه لا غير، ومعناه الاستغفار من التقصير في بلوغ الواجب من حق عبادته والثناء عليه"[٤].

---

(١) الإفصاح عن معاني الصحاح ٢٧٣/٤.

(٢) توضيح الأحكام ٤٣٥/٦.

(٣) أخرجه مسلم ٤٨٦.

(٤) شرح صحيح مسلم ٢١٢/٤/٢.

وكان من دعاء النبي ﷺ لما دعا أهل الطائف إلى الإسلام فلم يجيبوه: ((اللهم إليك أشكو ضعف قوتي وقلة حيلتي وهواني على الناس، يا أرحم الراحمين، أنت أرحم بي، إلى من تكلني ؟ إلى عدو يتجهمني أم إلى قريب ملكته أمري، إن لم تكن غضبانًا علي فلا أبالي، غير أن عافيتك هي أوسع لي، أعوذ بنور وجهك الذي أشرقت له الظلمات وصلح عليه أمر الدنيا والآخرة، من أن تنزل بي غضبك أو تحل بي سخطك، لك العتبى حتى ترضى ولا حول ولا قوة إلا بك))[1].

---

(١) ذكره ابن كثير في البداية والنهاية ٣٣٩/٤، وعزاه لابن عساكر في تاريخ دمشق.

الحديث رقم (١٤٨١)

١٤٨١- وعن زيد بن أرقم رضي الله عنه ، قَالَ: كَانَ رَسُولُ اللهِ ﷺ ، يقول: ((**اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنَ العَجْزِ وَالكَسَلِ**[1]**، والبُخْلِ والهَرَمِ، وَعَذابِ القَبْرِ، اللَّهُمَّ آتِ نَفْسِي تَقْوَاهَا، وَزَكِّهَا أنْتَ خَيْرُ مَنْ زَكَّاهَا، أنْتَ وَلِيُّهَا وَمَوْلاَهَا، اللَّهُمَّ إنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنْ عِلْمٍ لا يَنْفَعُ؛ وَمِنْ قَلْبٍ لا يَخْشَعُ، وَمِنْ نَفْسٍ لاَ تَشْبَعُ؛ وَمِنْ دَعْوَةٍ لا يُسْتَجابُ لَهَا**)). رواه مسلم[2].

ترجمة الراوي:

زيد بن أرقم: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (٣٤٦).

غريب الألفاظ:

الهَرَم: الكبر والضعف، والمراد به: صيرورة الرجل خَرِفًا من كبر سن بحيث لا يميز بين الأمور المعتدلة المحسوسة والمعقولة[3].

زكِّها: طهرها[4].

أنت خير من زكاها: لفظة خير ليست للتفضيل، بل المعنى لا مُزكي لها إلا أنت[5].

وليها: ناصرها والقائم بها[6].

مولاها: المولى في اللغة بمعان عدة، ومولاها هنا بمعنى: ربها ومالكها وناصرها والمنعم عليها[7].

الشرح الأدبي

وكان النبي ﷺ يتعوذ بالله من كل ذلك، ويعينه باسمه، وإن كان الله قد عصمه من كل شر، ليلزم نفسه خوف الله تعالى، وإعظامه، وليسُنّ ذلك لأمته،

---

(١) عند مسلم زيادة: (الجبن).

(٢) برقم (٢٧٢٢/٧٣).

(٣) النهاية في (هـ ر م)، دليل الفالحين ١٥٣٢.

(٤) النهاية في (ز ك و)، شرح مسلم، النووي ١٥٩٩.

(٥) شرح مسلم، النووي ١٥٩٩.

(٦) النهاية في (د ل ي).

(٧) القاموس المحيط في (و ل ي).

ويعلمهم كيف الاستعاذة من كل شيء فإنها تحقق جملة من الفوائد منها: أنها عبادة محبوبة لله -تعالى-، ومنها: أن يستشعر العبد الافتقار إلى ربه في كل أمر وإن دق ولا يستحي من سؤاله ذلك، ومنها: أنها تحقق للعبد الأمن مما يخشاه، ومنها: أنها تحقق له الأمن النفسي بالشعور بالطمأنينة وهذا الحديث يؤكد هذا المعنى، ويفصِّل في طلب العوذ أمورا لها فضل تأثير على العبد، والجمع بين (العَجْزِ، وَالكَسَلِ، وَالجُبْنِ، والهَرَمِ، والبُخْلِ) فيه مراعاة نظير لأنه جمع أمورا تعوق حركة السير في مصالح الدنيا، والآخرة، فالعجز فقدان القدرة التي تمنع التمام، (والكسل) هو ضعف الهمة وإيثار الراحة للبدن على التعب وإنما استعيذ منه لأنه يبعد عن الأفعال الصالحة، وقوله، (والجبن) لأنه قد يؤدي إلى ترك الحق، أو إحقاق الباطل خوفا على مكسب دنيوي، وما أكثره في زماننا ! وقد ابتلي الناس منه بلاء شديدا من منافقي العصور الذين يحرصون على مصالح شخصية، ويضيعون دين الناس، ودنياهم (والهرم) ضد الشباب، وهو: كبر السن الذي يؤدي إلى تماوت الأعضاء وتساقط القوى وإنما استعاذ منه لكونه من الأدواء التي لا دواء، وقوله: (اللَّهُمَّ آتِ نَفْسِي تَقْوَاهَا، وَزَكِّهَا أَنْتَ خَيْرُ مَنْ زَكَّاهَا، أَنْتَ وَلِيُّهَا وَمَوْلاَهَا، اللَّهُمَّ إنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنْ عِلْمٍ لا يَنْفَعُ؛ وَمِنْ قَلْبٍ لا يَخْشَعُ، وَمِنْ نَفْسٍ لاَ تَشْبَعُ، وَمِنْ دَعْوَةٍ لا يُسْتَجابُ لَهَ) هذا العبارة، وغيرها من الأدعية المسجوعة دليل لما قاله العلماء أن السجع المذموم في الدعاء هو المتكلف فإنه يذهب الخشوع، والخضوع، والإخلاص، ويلهى عن الضراعة، والافتقار، وفراغ القلب فأما ما حصل بلا تكلف، ولا إعمال فكر لكمال الفصاحة ونحو ذلك، أو كان محفوظا فلا بأس به بل هو حسن، ومعنى وبين قوله(زكها، وزكاها) جناس يؤكد المعنى، ويقويه وكذلك بين قوله: (وليها، ومولاها) يؤكد الصلة الوثيقة بين نفس المؤمن وبارئها وأنه المتصرف فيها بما يصلحها، وقوله: (نفس لا تشبع) استعاذة من الحرص، والطمع، والشره وتعلق النفس بالآمال البعيدة، ومعنى زكها طهرها ولفظة خير ليست للتفضيل بل معناه لا مزكي لها إلا أنت كما قال أنت وليها، وقوله (ومن دعوة لا يستجاب لها) كناية عن رد صاحبها، وكونه على خلاف ما يحقق له الاستجابة لأن دعوة المؤمن إما أن تستجاب في الدنيا أو تدخر للآخرة أو يدفع عنه من البلاء بمثلها فهي لا تضيع أبداً.

المضامين الدعوية

أولاً: من موضوعات الدعوة: الاستعاذة من كل ما يؤدي إلى التقصير في العبادة.

ثانيًا: من موضوعات الدعوة: الاستعاذة من عذاب القبر.

ثالثًا: من آداب المدعو: الدعاء بتزكية النفس.

رابعًا: من موضوعات الدعوة: الاستعاذة من العلم غير النافع ومن القلب غير الخاشع ومن النفس التي لا تشبع ومن الدعوة التي لا تستجاب.

أولاً- من موضوعات الدعوة: الاستعاذة من كل ما يؤدي إلى التقصير في العبادة:

هذا واضحٌ من استعاذة النبي ﷺ بالله من العجز والكسل والبخل والهرم، وفي حديث أنس رضي الله عنه: كان رسول الله ﷺ يقول: ((اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنَ الْعَجْزِ وَالْكَسَلِ، وَالْجُبْنِ وَالْهَرَمِ، وَالْبُخْلِ))[1]، فلا شك أن كل هذه العلل تؤدي بالإنسان إلى أن يقصر في عبادة ربه، فاستعاذ منها النبي ﷺ، وذلك لأن "العجز: عدم القدرة على فعل الخير، وقيل: هو ترك ما يجب فعله والتسويف به، وكلاهما تستحب الإعاذة منه، أما استعاذته ﷺ من الهرم، فالمراد به الاستعاذة من الرد إلى أرذل العمر ... وسبب ذلك ما فيه من الخرف واختلال العقل والحواس والضبط والفهم وتشويه بعض المناظر والعجز عن كثير من الطاعات، والتساهل في بعضها، وأما استعاذته ﷺ من الجبن والبخل، فلما فيهما من التقصير عن أداء الواجبات والقيام بحقوق الله تعالى وإزالة المنكر، والإغلاظ على العصاة، ولأنه بشجاعة النفس وقوتها المعتدلة تتم العبادات، ويقوم بنصر المظلوم والجهاد[2]، وبالسلامة من البخل يقوم بحقوق المال، وينبعث للإنفاق والجود ولمكارم الأخلاق، ويمتنع من الطمع فيما ليس له"[3]. أي: أنّ هذه الأشياء

---

(١) أخرجه البخاري ٢٨٢٣، ٦٣٦٧، ومسلم ٢٧٠٦.

(٢) قال الشوكاني: الجُبْن: المهابة للأشياء والتأخر عن فعلها، وإنما تعوذ منه ﷺ لأنه يؤدي إلى عدم الوفاء بفرض الجهاد والصدع بالحق وإنكار المنكر، ويجر إلى الإخلال بكثير من الواجبات. نيل الأوطار، ٤٣٩، ط بيت الأفكار الدولية.

(٣) شرح صحيح مسلم ٣٠/١٧/٩، ط/ دار عالم الكتب.

معوقات عن عبادة الله سبحانه وتعالى، فاستعاذ منها النبي ﷺ، فما أجدر بالمدعو أن يستعيذ منها.

قال ابن القيم: "أصل الأخلاق المذمومة كلها: الكبر، والمهانة، والدناءة. وأصل الأخلاق المحمودة كلها: الخشوع، وعلو الهمة.

فالفخر، والبطر، والأشر، والعجب، والحسد والبغي، والخيلاء، والظلم، والقسوة، والتجبر، والإعراض، وإباء قبول النصيحة، والاستئثار، وطلب العلو، وحب الجاه والرئاسة، وأن يحمد بما لم يفعل، وأمثال ذلك، كلها ناشئة من الكبر.

وأما الكذب، والخسة، والخيانة، والرياء، والمكر، والخديعة، والطمع، والفزع، والجبن، والبخل، والعجز، والكسل، والذل لغير الله، واستبدال الذي هو أدنى بالذي هو خير، ونحو ذلك؛ فإنها من المهانة والدناءة وصغر النفس.

وأما الأخلاق الفاضلة: كالصبر، والشجاعة، والعدل، والمروءة، والعفة، والصيانة، والجود، والحلم، والعفو، والصفح، والاحتمال، والإيثار، وعزة النفس عن الدناءات، والتواضع، والقناعة، والصدق، والإخلاص، والمكافأة على الإحسان بمثله أو أفضل، والتغافل عن زلات الناس، وترك الاشتغال بما لا يعنيه، ولامة القلب من تلك الأخلاق المذمومة، ونحو ذلك؛ فكلها ناشئة عن الخشوع وعلو الهمة.

والله سبحانه أخبر عن الأرض بأنها تكون خاشعة، ثم ينزل عليها الماء فتهتز وتربو وتأخذ زينتها وبهجتها، فكذلك المخلوق منها إذا أصابه حظه من التوفيق.

وأما النار: فطبعها العلو والإفساد، ثم تخمد، فتصير أحقر شيء وأذله، وكذلك المخلوق منها. فهي دائمًا بين العلو إذا هاجت واضطربت، وبين الخسة والدناءة إذا خمدت وسكنت. والأخلاق المذمومة تابعة للنار والمخلوق منها، والأخلاق الفاضلة تابعة للأرض والمخلوق منه، فمن علت همته وخشعت نفسه اتصف بكل خلق جميل، ومن دنت همته وطغت نفسه، اتصف بكل خلق رذيل"[1].

---

(١) الفوائد ٢١٠، ٢١١.

ثانيًا- من موضوعات الدعوة: الاستعاذة من عذاب القبر:

لقد كان النبي ﷺ يستعيذ من عذاب القبر، فقال: "اللهم إني أعوذ بك من العجز والكسل والبخل والهرم وعذاب القبر". وكان النبي ﷺ يقول -كما في حديث أنس رضي الله عنه-: ((وَأَعُوذُ بِكَ مِنْ عَذَابِ الْقَبْرِ، وَمِنْ فِتْنَةِ الْمَحْيَا وَالْمَمَاتِ))[1]، قال ابن دقيق العيد: "في الحديث إثبات عذاب القبر، وهو متكرر مستفيض في الروايات عن رسول الله ﷺ والإيمان به واجب"[2]، وقال القرطبي: "والأحاديث في هذا المعنى كثيرة جدًا أخرجها الأثبات الثقات"[3].

وعن عائشة رضي الله عنها: أن يهوديةً دخلتْ عليها فذَكَرَتْ عذابَ القبرِ فقالت لها: أعاذَكِ اللهُ مِن عذابِ القبرِ. فسألَتْ عائشةُ رسولَ اللهِ ﷺ عن عذابِ القبرِ فقال: ((نَعَمْ، عذابُ القبرِ)). قالت عائشةُ رضي الله عنها: فما رأيت رسولَ اللهِ بعدُ صلَّى صلاةً إلاَّ تَعَوَّذَ مِن عَذابِ القبرِ[4].

وعن أنس بن مالك رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: ((إنَّ العبدَ إذا وُضِعَ في قبرِهِ وتولَّى عنه أصحابُه - وإنَّه ليَسمَعُ قرعَ نِعالِهم - أتاهُ مَلَكانِ فيُقعِدانِه فيقولانِ: ماكنتَ تَقولُ في هذا الرجُلِ؟ لمحمدٍ ﷺ. فأمَّا المؤمِنُ فيقولُ أشهدُ أنهُ عبدُ اللهِ ورسولُهُ. فيقالُ له: انظُرْ إلى مَقْعَدِك مِنَ النّارِ، قد أبدَلَكَ اللهُ بهِ مَقعدًا منَ الجنةِ، فيراهُما جميعًا، وأمّا المنافِقُ والكافرُ فيقالُ لهُ: ماكنتَ تقولُ في هذا الرجُلِ؟ فيقول: لا أدري، كنتُ أقولُ ما يقولُ الناسُ. فيقالُ: لا دَرَيتَ ولا تَلَيتَ. ويُضرَبُ بمطارِقَ من حديدٍ ضَربةً، فيَصيحُ صيحةً يَسمعُها مَن يَليهِ غيرَ الثقلَينِ))[5].

---

(١) أخرجه البخاري ٢٨٢٣، ٦٣٦٧، ومسلم ٢٧٠٦.

(٢) إحكام الأحكام ١٦٦ - ١٦٧.

(٣) التذكرة في أحوال الموتى والآخرة ص ١٤٢. وهو تلميذ أبو العباس القرطبي صاحب المفهم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم.

(٤) أخرجه البخاري ١٣٧٢، ومسلم ٩٠٣، واللفظ للبخاري.

(٥) أخرجه البخاري ١٣٧٤، ومسلم ٢٧٨٠، واللفظ للبخاري.

ثالثًا- من آداب المدعو: الدعاء بتزكية النفس:

هذا واضح من قول النبي ﷺ: (اللهم آت نفسي تقواها وزكها أنت خير من زكاها أنت وليها ومولاها)، قال النووي: "معنى زكها: طهرها، ولفظة (خير)، ليست للتفضيل، بل معناه: لا مزكي لها إلا أنت، كما قال: (أنت وليها)"[(١)].

وقال الطيبي: "قوله: (اللهم آت نفسي ...) ينبغي أن يفسر التقوى بما يقابل الفجور في قوله تعالى: ﴿فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا﴾[(٢)]، وهي الاحتراز عن متابعة الهوى، وارتكاب الفجور والفواحش؛ لأن الحديث كالتفسير والبيان للآية، فدلّ قوله (آت)، على أن الإلهام في الآية هو خلق الداعية الباعثة على الاجتناب عن المذكورات ...، وقوله: (أنت وليها ومولاها)، استئناف على بيان الموجب، وأن إيتاء التقوى وتحصيل التزكية فيها إنما كان لأنه هو متولي أمرها وربها ومالكها، فالتزكية إن حملت على تطهير النفس عن الأفعال والأقوال والأخلاق الذميمة، كانت بالنسبة إلى التقوى مظاهر ما كان ممكنًا في الباطن وإن حملت على الإنماء والإعلاء بالتقوى كان تحلية بعد التخلية، لأن المتقى شرعًا من اجتنب النواهي وأتى بالأوامر"[(٣)].

وقال ابن القيم: "إن العبد إذ زكى نفسه ودسّاها فإنما يزكيها بعد تزكية الله لها بتوفيقه وإعانته، وإنما يدسيها بعد تدسية الله لها بخذلانه والتخلية بينه وبين نفسه"[(٤)].

رابعًا - من موضوعات الدعوة: الاستعاذة من العلم غير النافع ومن القلب غير الخاشع ومن النفس التي لا تشبع ومن الدعوة التي لا تستجاب:

هذا واضح من قوله ﷺ: (اللهم إني أعوذ بك من علم لا ينفع ومن قلب لا يخشع ومن نفس لا تشبع ومن دعوة لا يستجاب لها).

قال الطيبي: "قوله: "من علم لا ينفع"، قال المظهر: أي: علم لا أعمل به ولا أعلمه

---

(١) شرح صحيح مسلم، ٤٥/١٧/٩، ط/ دار عالم الكتب.

(٢) سورة الشمس، آية: ٨.

(٣) شرح الطيبي على المشكاة ١٨٨/٥.

(٤) التبيان في أقسام القرآن، ٢٣. .

يبدل أخلاقي وأقوالي وأفعالي، أو علم لا يحتاج إليه الدين ولا في تعلمه إذن شرعي"[١].

وقال الغزالي عن القلب وأهميته: "شرف الإنسان وفضيلته التي فاق بها جملة من أصناف الخلق باستعداده لمعرفة الله سبحانه، التي هي في الدنيا جماله وكماله وفخره، وفي الآخرة عدته وذخره، وإنما استعد للمعرفة بقلبه لا بجارحة من جوارحه، فالقلب هو العالم بالله، وهو المتقرب إلى الله وهو العامل لله، وهو الساعي إلى الله، وهو المكاشف بما عند الله، وإنما الجوارح أتباع وخدم وآلات يستخدمها القلب، ويستعملها استعمال المالك للعبد، واستخدام الراعي للرعية والصانع للآلة، فالقلب هو المقبول عند الله، إذا سلم من غير الله، وهو المحجوب عن الله إذ صار مستغرقًا بغير الله، وهو المطالب وهو المخاطب وهو المعاقب، وهو الذي يسعد بالقرب من الله فيفلح إذا زكاه، وهو الذي يخيب ويشقى إذا دنسه ودساه، وهو المطيع بالحقيقة لله تعالى، وإنما الذي ينتشر على الجوارح من العبادات أنواره، وهو العاصي المتمرد على الله تعالى، وإنما الساري إلى الأعضاء من الفواحش آثاره، وبإظلامه واستناره تظهر محاسن الظاهر ومساويه إذ كل إناء ينضح بما فيه"[٢].

وقال النووي: "معنى "نفس لا تشبع": استعاذ من الحرص والطمع والشره وتعلق النفوس بالآمال البعيدة"[٣]، وقال التوربشتي - كما نقل عنه الطيبي - "فيه وجهان: أحدهما أنها لا تقنع بما آتاها، ولا تفتر عن الجمع حرصًا، والآخر أن يراد به النهمة وكثرة المال"[٤].

وقد كان النبي ﷺ يستعيذ من الدعاء الذي لا يسمع، فعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: كان رسول الله ﷺ يقول: ((اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنْ عِلْمٍ لاَ يَنْفَعُ، وَمِن قَلْبٍ لاَ يَخْشَعُ، وَمِنْ نَفْسٍ لاَ تَشْبَعُ، وَمِنْ دُعَاءٍ لاَ يُسْمَعُ))[٥].

---

(١) شرح الطيبي على المشكاة ١٨٨/٥ - ١٨٩.

(٢) إحياء علوم الدين ١٣٤٨/٣.

(٣) شرح صحيح مسلم ٤٤/١٧/٩ - ٤٥.

(٤) شرح الطيبي عل المشكاة ١٨٩/٥.

(٥) أخرجه أبو داود ١٥٤٨، وصححه الألباني (صحيح سنن أبي داود ١٣٦٩).

قال ابن الأثير عن دعاء لا يسمع: "أي: لا يستجاب ولا يعتد به، فكأنه غير مسموع"[١]، قال الطيبي: "يقال: اسمع دعائي، أي: أجب لأن غرض السامع الإجابة والقبول، اعلم أن في كل من القرائن الأربع ما يشعر بأن وجوده مبني على غايته وأن الغرض منه تلك الغاية، وذلك أن تحصيل العلوم إنما هو للانتفاع بها، فإذا لم ينتفع لا يخلص منه كفافًا، بل يكون وبالاً، ولذلك استعاذ منه، وأن القلب إنما خلق لأن يتخشع لبارئه، وينشرح لذلك الصدر، ويقذف النور فيه، فإن لم يكن كذلك كان قاسيًا فيجب أن يستعاذ منه، قال تعالى: ﴿فَوَيْلٌ لِّلْقَٰسِيَةِ قُلُوبُهُم﴾[٢]، وأن النفس إنما تعتد بها إذا تجافت عن دار الغرور، وأنابت إلى دار الخلود، والنفس إذا كانت منهومة لا تشبع، حريصة على الدنيا، كانت أعدى عدو المرء، فأول شيء يستعاذ منه هي، وعدم استجابة الدعاء دليل على أن الداعي لم ينتفع بعلمه ولم يخشع قلبه، ولم تشبع نفسه"[٣].

وقال ابن القيم: "عشرة أشياء ضائعة لا ينتفع بها: علم لا يعمل به، وعمل لا إخلاص فيه ولا اقتداء، ومال لا ينفع منه، فلا يستمتع به جامعه في الدنيا ولا يقدمه أمامه إلى الآخرة، وقلب فارغ من محبة الله والشوق إليه والأنس به، وبدن معطل من طاعته وخدمته، ومحبة لا تتقيد برضاء المحبوب وامتثال أوامره، ووقت معطل عن استدراك فارط أو اغتنام برّ وقربة، وفكر يجول فيما لا ينفع وخدمة من لا تقربك خدمته إلى الله ولا تعود عليك بصلاح دنياك، وخوفك ورجاؤك لمن ناصيته بيد الله وهو أسير في قبضته ولا يملك لنفسه ضرًا ولا نفعًا ولا موتًا ولا حياة ولا نشورًا.

وأعظم هذه الإضاعات إضاعتان هما أصل كل إضاعة: إضاعة القلب وإضاعة الوقت، فإضاعة القلب من إيثار الدنيا على الآخرة، وإضاعة الوقت من طول الأمل، فاجتمع الفساد كله في اتباع الهوى وطول الأمل، والصلاح في اتباع الهدى والاستعداد للقاء"[٤].

---

(١) النهاية في غريب الحديث، ص ٤٤٥.

(٢) سورة الزمر، آية: ٢٢.

(٣) شرح الطيبي على المشكاة، ١٩١/٥.

(٤) الفوائد ١٦٤ - ١٦٥.

الحديث رقم (١٤٨٢)

١٤٨٢- وعن ابن عباس رضي الله عنهما: أنَّ رسُولَ الله ﷺ كَانَ يقول: ((اللَّهُمَّ لَكَ أسْلَمْتُ، وَبِكَ آمَنْتُ، وَعَلَيْكَ تَوَكَّلْتُ، وإلَيْكَ أنَبْتُ، وَبِكَ خَاصَمْتُ، وإلَيْكَ حَاكَمْتُ. فَاغْفِرْ لِي مَا قَدَّمْتُ، وَمَا أَخَّرْتُ، وَمَا أَسْرَرْتُ، وَمَا أعْلَنْتُ، انتَ المُقَدِّمُ، وأنْتَ المُؤَخِّرُ، لا إلهَ إلاَّ أنْتَ))[١].

زَادَ بَعْضُ الرُّوَاةِ[٢]: ((وَلاَ حَوْلَ وَلاَ قُوَّةَ إلاَّ باللهِ)) متفق عَلَيْهِ.

ترجمة الراوي:

عبد الله بن عباس: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (١١).

غريب الألفاظ:

أَنَبْتُ: أقبلتُ ورجعتُ إليك بالتوبة [٣].

خاصمت: نازعت [٤]، والمراد: خاصمت ثقة في نصرك ومؤازرتك لي.

الشرح الأدبي

قامت جمل الحديث الست الأولى على أسلوب القصر بطريق التقديم الذي يخلص أعمال العبد لله، وينفيها عن من سواه وفيه إثبات ملفوظ، ونفي ملحوظ مما يؤكد المعنى (اللهم لك أسلمت وبك آمنت) أي لك انقدت وبك صدقت. قال النووي: فيه إشارة إلى الفرق بين الإسلام والإيمان (وعليك توكلت) أسلوب قصر أي عليك لا على غيرك اعتمدت في تفويض أموري (وإليك أنبت) هو أيضا على القصر على الله وحده أي رجعت وأقبلت بهمتي (وبك خاصمت) أسلوب قصر لقصر الخصومة بالله ومن أجله أي بك أحتج، وأدفع، وأخاصم (وإلَيْكَ حَاكَمْتُ) قصر للمحاكمة بكونها إلى الله لا إلى غيره

---

(١) أخرجه البخاري (١١٢٠) واللفظ له، ومسلم (٧٦٩/١٩٩).

(٢) قال البخاري عقب الحديث: قال سُفيان: وزاد عبد الكريم ابو اميّة: (ولا حول ولا قوة إلا بالله).

(٣) النهاية في (ن و ب).

(٤) الوسيط في (خ ص م).

والمعنى في بقية الحديث يقوم على الطباق بين الصفات التي تؤكد إحاطة كل ذنوب العبد بطلب مغفرة الله - تعالى - وإحاطة الله بكل شيء، (فَاغْفِرْ لِي مَا قَدَّمْتُ، وَمَا أَخَّرْتُ، وَمَا أَسْرَرْتُ، وَمَا أَعْلَنْتُ، أنتَ الْمُقَدِّمُ، وأَنْتَ الْمُؤَخِّرُ) فقد طابق بين قدمت، وأخرت لاستغراق طلب المغفرة للزمان بما وقع فيه، كما طابق بين أسررت، وأعلنت لإحاطة طلب المغفرة بما كان في العلن، وما كان في النفس، وبين المقدم، والمؤخر إشارة إلى إحاطة الله بمقادير العباد، وكمال تصرفه فيهم، والجملة الأخيرة تقرر الوحدانية الخالصة بإفراده الله بالألوهية، عن طريق أسلوب القصر الحقيقي التحقيقي تنقية للعقيدة، وصقلا للقلب.

المضامين الدعوية[1]

أولاً: من موضوعات الدعوة: الدعاء بغفران الذنوب.

ثانيًا: من موضوعات الدعوة: استحباب تقديم الثناء على الله في الدعاء.

أولاً- من موضوعات الدعوة: الدعاء بغفران الذنوب:

هذا واضحٌ من قوله ﷺ: (فاغفر لي ما قدمت وما أخرت وما أسررت وما أعلنت أنت المقدم وأنت المؤخر، لا إله إلا أنت).

وفي حديث أبي موسى رضي الله عنه عن النبي ﷺ: ((اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِي مَا قَدَّمْتُ وَمَا أَخَّرْتُ. وَمَا أَسْرَرْتُ وَمَا أَعْلَنْتُ. وَمَا أَسْرَفْتُ. وَمَا أَنْتَ أَعْلَمُ بِهِ مِنِّي. أَنْتَ الْمُقَدِّمُ وَأَنْتَ الْمُؤَخِّرُ. لاَ إِلَهَ إِلاَّ أَنْتَ))[2].

وفي حديث على بن أبي طالب رضي الله عنه عن النبي ﷺ: ثُمَّ يَكُونُ مِنْ آخِرِ مَا يَقُولُ بَيْنَ التَّشَهُّدِ وَالتَّسْلِيمِ ((اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِي مَا قَدَّمْتُ وَمَا أَخَّرْتُ. وَمَا أَسْرَرْتُ وَمَا أَعْلَنْتُ. وَمَا أَسْرَفْتُ. وَمَا أَنْتَ أَعْلَمُ بِهِ مِنِّي. أَنْتَ الْمُقَدِّمُ وَأَنْتَ الْمُؤَخِّرُ. لاَ إِلَهَ إِلاَّ أَنْتَ))[3].

---

(١) سبق شرح المضامين الدعوية في هذا الحديث في الحديث رقم (٧٦)، وذُكر هنا شرح الزيادة الواردة في رواية الحديث المذكورة هنا.

(٢) أخرجه البخاري ٦٣٩٩، ومسلم ٢٧١٩.

(٣) أخرجه مسلم ٧٧١.

قال النووي: "ومعنى سؤاله ﷺ مع أنه مغفور له أنه يسأل ذلك تواضعًا وخضوعًا وإشفاقًا وإجلالاً، وليقتدى به في أصل الدعاء والخضوع وحسن التضرع في هذا الدعاء المعين"[1].

وقال ابن حجر: "وقوله: (فاغفر لي)، قال ذلك مع كونه مغفورًا له، إما على سبيل التواضع والهضم لنفسه وإجلالاً وتعظيمًا لربه أو على سبيل التعليم لأمته لتقتدي به، كذا قيل: والأولى أنه لمجموع ذلك، وإلا لو كان للتعليم فقط لكفى فيه أمرهم بأن يقولوا ... وفيه "اي في الحديث" زيادة معرفة النبي ﷺ بعظمة ربه وعظيم قدرته ومواظبته على الذكر والدعاء والثناء على ربه والاعتراف له بحقوقه والإقرار بصدق وعده ووعيده، وفيه استحباب تقديم الثناء على المسألة عند كل مطلوب اقتداءً به ﷺ"[2].

ثانيًا - من موضوعات الدعوة: استحباب تقديم الثناء على الله في الدعاء:

هذا واضح في الحديث،وقال ابن حجر: "وفيه استحباب تقديم الثناء على المسألة عند كل مطلوب، اقتداء به ﷺ"[3].

وقال ابن هبيرة: "في هذا الحديث من الفقه أن الإسلام درجة أولى والإيمان مقام وراء ذلك، لأنه ﷺ قال: "لك أسلمت" ثم أتبعه بقوله: "وبك آمنت"، فلما بدأ بالإسلام ثم ثنى بالإيمان لم يبق حينئذ إلا تبين ثمرة الإيمان، وهو التوكل على الله. فقال: "وعليك توكلت" ثم لما لم يخل بسر ما يقتضي الإنابة مع ذلك كله، قال بعده: "وإليك أنبت"، ثم لما استقر ذلك كله جاء بالحب في الله والبغض في الله فقال: "وبك خاصمت" وهذا أبلغ من قوله: "وفيك خاصمت" لأن ذلك يتضمن نوع تزكية للنفس، ودعوى قوله: "وبك خاصمت" يتضمن صدق التوكل، والمعنى: أنت مستندي وتفويض الانتصار بالله تعالى، وأنه خاصم في الله بدليل أنه لا ينتصر بالله إلا فيما يخاصم به فيه"[4].

---

(١) شرح صحيح مسلم ٥٦/٦/٣ ط/ دار عالم الكتب.

(٢) فتح الباري، ٥/٣ ط/ السلفية.

(٣) المرجع السابق ٥/٣ ط/ السلفية.

(٤) الإفصاح عن معاني الصحاح، ٨٤/٤.

قال ابن القيم: "وهذه فائدة أخرى من فوائد الذكر والثناء، أنه يجعل الدعاء مستجابًا، فالدعاء الذي تقدمه الذكر والثناء أفضل وأقرب إلى الإجابة من الدعاء المجرد، فإن انضاف إلى ذلك إخبار العبد بحاله ومسكنته وافتقاره واعترافه كان أبلغ في الإجابة وأفضل. فإنه يكون قد توسل المدعو بصفات كماله وإحسانه وفضله، وعرّض بل صرح بشدة حاجته وضرورته وفقره ومسكنته، فهذا المقتضى منه، وأوصاف المسؤول مقتضى من الله، فاجتمع المقتضى من السائل والمقتضى من المسؤول في الدعاء، وكان أبلغ وألطف موقعًا وأتم معرفة وعبودية، وأنت ترى في المشاهد - ولله المثل الأعلى - أن الرجل إذا توسل إلى من يريد معروفه بكرمه وجوده وبره وذكر حاجته هو وفقره ومسكنته، كان أعطف لقلب المسؤول وأقرب لقضاء حاجته، فإذا قال له: أنت جودك قد سارت به الركبان، وفضلك كالشمس لا تنكر ونحو ذلك، وقد بلغت بي الحاجة والضرورة مبلغًا لا صبر معه ونحو ذلك، كان أبلغ في قضاء حاجته من أن يقول ابتداء أعطني كذا وكذا، فإذا عرفت هذا فتأمل قول موسى عليه السلام في دعائه: ﴿رَبِّ إِنِّي لِمَآ أَنزَلْتَ إِلَيَّ مِنْ خَيْرٍ فَقِيرٌ﴾[1]، وقول ذي النون عليه السلام في دعائه: ﴿لَّآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنتَ سُبْحَٰنَكَ إِنِّي كُنتُ مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾[2]، وقول أبينا آدم عليه السلام: ﴿رَبَّنَا ظَلَمْنَآ أَنفُسَنَا وَإِن لَّمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ﴾[3].

وفي الصحيحين أن أبا بكر الصديق رضي الله عنه قال: يا رسول الله علمني دعاء أدعو به في صلاتي، فقال صلى الله عليه وسلم: ((قُلِ: اللَّهُمَّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي ظُلْمًا كَبِيرًا - وَأَنَّهُ لاَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ إِلاَّ أَنْتَ. فَاغْفِرْ لِي مَغْفِرَةً مِنْ عِنْدِكَ وَارْحَمْنِي، إِنَّكَ أَنْتَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ))[4]، فجمع في هذا الدعاء الشريف العظيم القدر بين الاعتراف بحاله والتوسل إلى ربه عز وجل بفضله وجوده، وأنه المنفرد بغفران الذنوب، ثم سأل حاجته بعد التوسل بالأمرين معًا، فهكذا أدب الدعاء وآداب العبودية"[5].

---

(١) سورة القصص، آية: ٢٤.

(٢) سورة الأنبياء، آية: ٨٧.

(٣) سورة الأعراف، آية: ٢٣.

(٤) أخرجه البخاري ٨٣٤، ٦٣٢٦، ٧٣٨٨، ومسلم ٢٧٠٥.

(٥) الوابل الصيب من الكلم الطيب ٢/ ٣٦٩ - ٣٧٠.

الحديث رقم (١٤٨٣)

١٤٨٣- وعن عائشة رضي الله عنها: أنَّ النبيَّ ﷺ كَانَ يدعو بهؤُلاءِ الكَلِمَاتِ: ((اللَّهُمَّ إنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنْ فِتْنَةِ النَّارِ، وَعَذَابِ النَّارِ، وَمِنْ شَرِّ الغِنَى وَالفَقْرِ)). رواه أَبُو داود والترمذيُّ[1]، وقال: (حديث حسن صحيح)؛ وهذا لفظ أَبي داود.

ترجمة الراوي:

أم المؤمنين عائشة بنت أبي بكر الصديق: تقدمت ترجمتها في الحديث رقم (٢).

الشرح الأدبي

قوله ﷺ: « أعوذ بك من فتنة النار » فالفتنة تتصرف على وجوه: أحدها: وهو الأليق في هذا المكان هي التصفية والتهذيب، يقال: هذا ذهب مفتون إذا دخل النار فنفي عنه الخبث، ويقال للصائغ: الفاتن، لأنه يفتن الذهب والفضة، أي يصفيهما بالنار، ويزيل الخبث عنهما، كذا قال أهل اللغة. ومن ذلك قول الله تعالى (ولقد فتنا سليمان) (٣٤)، معناه هذبناه وصفيناه من الأوصاف الذميمة، وكذلك قوله تعالى (وظن داود أنما فتناه) (٢٤)، أي: علم أنا هذبناه، وأدبناه، ونبهناه، فيجوز أن يكون معنى قوله ﷺ: « أعوذ بك من فتنة النار » أي: أن يكون تصفيتي وتهذيبي بالنار وتأديبي بها، وذلك أن الخطايا والذنوب يكفرها الله بالمحن والبلايا في الدنيا، وبالمصائب والأمراض، قال النبي ﷺ: « لا يزال البلاء بالمؤمن حتى يمشي على الأرض ما له من ذنب » وتكون الكفارة والتمحيص بعد الموت في القبر، وفي أهوال القيامة، ويكون بالعفو والتجاوز فضلا من الله، ويكون شفاعة الأنبياء والأولياء، فإن لم يكن بهذه الأسباب فبإدخال النار، فكأنه قال: أعوذ بك من أن تكون فتنتي وتمحيصي من خطاياي وكفارة ذنوبي تصفيتي منها بالنار، ولكن بعفوك وفضلك وكرمك إما

---

(١) أخرجه أبو داود (١٥٤٣) واللفظ له، والترمذي (٣٤٩٥). وأخرجه البخاري (٨٣٢)، ومسلم (٥٨٩/١٢٩) بلفظ أتمّ منه.

توفيقا للتوبة منها في الدنيا، أو التجاوز عنها في الآخرة، يدل على ذلك ما جاء في حديث آخر: « أذقني برد عفوك ». ومعنى قوله ﷺ: « وعذاب النار » أي: أعوذ بك من أن تعاقبني بها، وتعذبني بالنار، وفائدة الدعاء هو الاضطرار، وإظهار العبودية، لأنه أمر بذلك، وندب إليه وليست حالة في الطاعات أشرف من حال الدعاء، لأن الإنسان ربما يشغل قلبه في جميع العبادات في الصلاة والصوم وغيرها، فأما في حالة الدعاء، فيلزم جوارحه، ويضطر إليه، فأي حالة أحسن من هذا. قال: فكان دعاء رسول الله ﷺ لأجل الاضطرار، وإظهار العبودية، لأنه علم أنه كان مغفورا له كل ذنب، وقوله (وَمِنْ شَرِّ الغِنَى وَالفَقْرِ) فيه طباق يقرر المعنى ويؤكده ويشير إلى أن في الحالين يكمن الشر إذا تجاوزا حدهما فدفعا العبد إلى معصية الله، ولذلك استعاذ من شرهما.

المضامين الدعوية

أولاً: من موضوعات الدعوة: التعوذ من فتنة النار وعذاب النار.

ثانيًا من موضوعات الدعوة: التعوذ من شرّ الغنى والفقر.

أولاً- من موضوعات الدعوة: التعوذ من فتنة النار وعذاب النار:

هذا واضحٌ من قوله ﷺ: (اللهم إني أعوذ بك من فتنة النار وعذاب النار)، قال القرطبي: "الفتنة هنا هي ضلال أهل النار المفضى بهم إلى عذاب النار"[1]. وقال ابن حجر: "هي سؤال الخزنة على سبيل التوبيخ وإليه الإشارة بقوله تعالى: ﴿كُلَّمَآ أُلْقِىَ فِيهَا فَوْجٌ سَأَلَهُمْ خَزَنَتُهَآ أَلَمْ يَأْتِكُمْ نَذِيرٌ﴾[2]"[3].

والآيات في سورة الملك: ﴿وَلِلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِرَبِّهِمْ عَذَابُ جَهَنَّمَ ۖ وَبِئْسَ ٱلْمَصِيرُ ۝٦ إِذَآ أُلْقُوا۟ فِيهَا سَمِعُوا۟ لَهَا شَهِيقًا وَهِىَ تَفُورُ ۝٧ تَكَادُ تَمَيَّزُ مِنَ ٱلْغَيْظِ ۖ كُلَّمَآ أُلْقِىَ فِيهَا فَوْجٌ سَأَلَهُمْ خَزَنَتُهَآ أَلَمْ

(١) المفهم ٣٣/٧.

(٢) سورة الملك، آية: ٨.

(٣) فتح الباري ١٧٧/١١ ط/ السلفية.

يَأْتِكُمْ نَذِيرٌ ۞ قَالُواْ بَلَىٰ قَدْ جَآءَنَا نَذِيرٌ فَكَذَّبْنَا وَقُلْنَا مَا نَزَّلَ ٱللَّهُ مِن شَيْءٍ إِنْ أَنتُمْ إِلَّا فِي ضَلَٰلٍ كَبِيرٍ ۞ وَقَالُواْ لَوْ كُنَّا نَسْمَعُ أَوْ نَعْقِلُ مَا كُنَّا فِيٓ أَصْحَٰبِ ٱلسَّعِيرِ ۞ فَٱعْتَرَفُواْ بِذَنۢبِهِمْ فَسُحْقًا لِّأَصْحَٰبِ ٱلسَّعِيرِ﴾[1].

جاء في تفسير التحرير والتنوير للطاهر بن عاشور ما ملخصه: "مثلث حالة فورانها - أي النار - وتصاعد ألسنة لهيبها ورطمها ما فيها والتهام من يلقون إليها، بحال مغتاظ شديد الغيظ لا يترك شيئًا مما غاظه إلا سلّط عليه ما يستطيع من الإضرار، وخزنة النار: الملائكة الموكل إليهم أمر جهنم وهو جمع خازن للموكل بالحفظ، والاستفهام في (ألم يأتكم نذير)، للتوبيخ والتنديم ليزيدهم حسرة ... وكان جوابهم - أي أهل النار - جواب المتحسر المتندم، فابتدأوا الجواب دفعة بحرف (بلى)، المفيد نقيض النفي في الاستفهام فهو مفيد معنى: جاءنا نذير وهو من تكرير الكلام عند التحسر مع زيادة التحقيق بـ (قد)، وذلك التأكيد هو مناط الندامة والاعتراف بالخطأ... وإنما هذا قول قالوه في مجامعهم في النار تحسرًا وتندمًا ... وذكروا ما يدل عل انتفاء السمع عنهم في الدنيا وهم يريدون سمعًا خاصًا وعقلاً خاصًا، فانتفاء السمع والعقل بإعراضهم عن تلقي دعوة الرسل عليهم السلام ... وانتفاء العقل بترك التدبر في آيات الرسل ودلائل صدقهم فيما يدعون إليه، ولا شك أن أقل الناس عقلاً المشركون؛ لأنهم طرحوا ما هو سبب نجاتهم لغير معارض يعارضه في دينهم، إذ ليس في دين أهل الشرك وعيد على ما يخالف الشرك من معتقدات، ولا على ما يخالف عملاً من الأعمال، فكان حكم العقل قاضيًا بأن يتلقوا ما يدعوهم إليه الرسل من الإنذار للامتثال، إذ لا معارض له في دينهم لولا الإلف والتكبر.

قوله: (فاعترفوا بذنبهم فسحقًا لأصحاب السعير)، التقدير: قالوا ذلك إذ تبين أنهم اعترفوا هنالك بذنبهم، فهم محقوقون بما هم فيه من العذاب، والسحق: اسم مصدر معناه: البعد، وهو هنا نائب عن الإسحاق، لأنه دعاء بالإبعاد فهو مفعول مطلق نائب عن فعله، أي أسحقهم الله إسحاقًا، ويجوز أن يراد من هذا الدعاء التعجب من حالهم كما

---

(١) سورة الملك، الآيات: ٦ - ١١.

يقال: قاتله الله وويل له، في مقام التعجب ...، وهم جديرون بالدعاء عليهم بالإبعاد أو جديرون بالتعجب من بُعْدهم عن الحق أو عن رحمة الله تعالى، ويحتمل أيضًا أنه يقال لهم يوم الحساب عقب اعترافهم، تنديمًا يزيدهم ألمًا في نفوسهم فوق ألم الحريق في جلودهم"[1].

ثانيًا - من موضوعات الدعوة: التعوذ من شرّ الغنى والفقر:

هذا واضحٌ من قوله ﷺ: (اللهم إني أعوذ بك من فتنة النار وعذاب النار ومن شر الغنى والفقر)، قال النووي: "وأما استعاذته ﷺ من فتنة الغنى وفتنة الفقر، فلأنهما حالتان تُخْشَى الفتنة فيهما بالتسخط وقلة الصبر، والوقوع في حرام أو شبهة للحاجة، ويخاف في الغنى من الأشر والبطر والبخل بحقوق المال أو إنفاقه في إسراف وفي باطل وفي مفاخر"[2].

وقال الطيبي: "قال البيضاوي: فتنة الغنى البطر والطغيان والتفاخر به، وصرف المال في المعاصي وما أشبه ذلك. وفتنة الفقر الحسد على الأغنياء والطمع في أموالهم والتذلل لهم بما يتدنس به عرضه وينثلم به دينه، وعدم الرضا على ما قسم الله إلى غير ذلك مما لا يحمد عاقبته". أقول (القائل الطيبي): الفتنة إن فسرت بالمحنة والمصيبة، فشرها أن لا يصبر الرجل على لأوائها[3] يجزع منها، وإن فسرت بالامتحان والاختبار، فشرها أن لا يحمد في السراء، ولا يصبر في الضراء"[4].

وقال ابن حجر: "والتقييد في الغنى والفقر بالشر لأن كلاً منهما فيه خير باعتبار، فالتقييد في الاستعاذة منه بالشر يخرج ما فيه من الخير سواء قلّ أم كثر، قال الغزالي[5]: فتنةُ الغِنَى الحرصُ على جمع المال وحبه حتى يكسبه من غير حلّه، ويمنعه

---

(١) التحرير والتنوير ٢٩/٢٣ - ٢٨ بتصرف كبير.

(٢) شرح صحيح مسلم، النووي ٢٩/١٧/٩ - ٣٠.

(٣) اللأواء: الشدة والضر، القاموس المحيط في (ل و ى).

(٤) شرح الطيبي على المشكاة، ١٨٧/٥.

(٥) كذا في المطبوع من فتح الباري، ولكن هذا الكلام هو كلام القرطبي في المفهم، ٣٣/٧، ويغلب على الظن أن الصواب: القرطبي.

من واجبات إنفاقه وحقوقه، وفتنة الفقر يراد بها الفقر المدقع الذي لا يصحبه صبر ولا ورع حتى يتورط صاحبه بسببه فيما لا يليق بأهل الدين والمروءة ولا يبالي بسبب فاقته على أي حرام وثب ولا في أي حالة تورط، وقيل: المراد به فقر النفس الذي لا يرده مُلْك الدنيا بحذافيرها"[١].

ويمكن أن يستأنس هنا بحديث أبي هريرة رضي الله عنه - وإن كان ضعيفًا - أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: ((بَادِرُوا بالأَعْمَالِ سَبْعًا، هَلْ تُنْظَرُونَ إلاَّ إِلَى فَقْرٍ مُنْسٍ، أَوْ غِنًى مُطْغٍ، أَوْ مَرَضٍ مُفْسِدٍ أَوْ هَرَمٍ مُفْنِدٍ أَوْ مَوْتٍ مُجْهِزٍ أَوْ الدَّجَّالِ فَشَرٌّ غَائِبٍ يُنْتَظَرُ أَوْ السَّاعَةِ؟ فالسَّاعَةُ أَدْهَى وَأَمَرُّ))[٢].

والفقر المُنْسِي هو ما يجعل صاحبه مدهوشًا، ينسيه الطاعة من الجوع والعرى والتردد في طلب القوت، والغنى المطغى هو الموقع في الطغيان[٣].

---

(١) فتح الباري ١١/١٧٧ ط/ السلفية.

(٢) أخرجه الترمذي ٢٣٠٦، وضعفه الألباني (ضعيف سنن الترمذي، ٤٠٠).

(٣) انظر: تحفة الأحوذي، المباركفوري ٢/١٨٤٤.

الحديث رقم (١٤٨٤)

١٤٨٤- وعن زياد بن عِلاَقَةَ عن عمه، وَهُوَ قُطْبَةُ بنُ مالِكٍ ﷺ، قَالَ: كَانَ النبيّ ﷺ يقول: ((**اللَّهُمَّ إنِّي أعُوذُ بِكَ مِنْ مُنْكَرَاتِ الأخْلاَقِ، وَالأعْمَالِ، والأهْوَاءِ**)). رواه الترمذيُّ[1]، وقال: (حديث حسن).

ترجمة الراوي:

قطبة بن مالك: هو قطبة بن مالك الثَّعْلبي الذُّبياني عم زياد بن عِلاقة الراوي عنه.

كان يسأل النبي ﷺ عما لا يعلم من القرآن، قال: صلَّى بنا رسول الله ﷺ فقرأ ﴿قٓ وَٱلْقُرْءَانِ ٱلْمَجِيدِ﴾[2] حتى قرأ ﴿وَٱلنَّخْلَ بَاسِقَٰتٍ﴾[3] فجعلت أُرددها ولا أدري ما قال[4].

وفي رواية فجعلت أقول له: ما بُسُوقها؟ فقال: طولها[5].

نزل العراق وسكن الكوفة[6].

غريب الألفاظ:

منكرات الأخلاق: وهو مبني على غلبة العرف في أنها غير محمودة، فما وافق الهدي والشرع فمعروفة مقبولة وما خالفها فمنكرة كالعجب والكبر وغيرها وكلمة منكرات مشتقة من المنكر وهو كل ما تحكم العقول الصحيحة بقبحه أو يقبحه الشرع أو يحرمه أو يكرهه[7].

---

(١) برقم (٣٥٩١). وصحَّحه ابن حبان (الإحسان ٩٦٠)، وقال الحاكم (٥٣٢/١): هذا حديثٌ صحيح الإسناد على شرط مسلم ولم يخرجاه.

(٢) سورة ق، الآية: ١.

(٣) سورة ق، الآية: ١٠.

(٤) أخرجه مسلم (١٦٥-٤٥٧).

(٥) أخرجه الحاكم (٤٦٤/٢) وصححه.

(٦) الطبقات (٣٦/٦) والاستيعاب ٦١٩، وأسد الغابة (٣٨٨/٤) والإصابة ١٠٨٠، وتهذيب الكمال (١٢٣/٦)، والتهذيب (٤٤١/٣).

(٧) المعجم الوسيط في (ن ك ر)، ودليل الفالحين ١٥٣٨.

الأهواء: جمع هوى وهو ميل النفس إلى الشهوة، وقيل سمي بذلك لأنه يهوي بصاحبه في الدنيا إلى كل داهية وفي الآخرة إلى الهاوية[(١)].

الشرح الأدبي

قول الرسول ﷺ (اللهم إني أعوذ بك من منكرات الأخلاق) كالحقد والبخل والحسد والجبن ونحوها ولا مانع من إرادة السبب والمسبب معا كالحقد وما ينتج عنه من الإيذاء للناس، والرغبة في الانتقام، والبخل ومن ينتج عنه من الظلم، ومنع حق الله، والناس في المال، والحسد وما ينتج عنه من تمني زوال النعم، والاعتراض على حكم الله، والجبن وما يدعو إليه من كتمان الحق، والفرار من الزحف، وغيره لأن المسبب قد يحصل فيعفى عنه ﴿إن الله لا يغفر أن يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء﴾ وهذا مقول على منهج التعليم لغيره (والأعمال) الكبائر من نحو قتل وزنا وشرب خمر وسرقة ونحوها. قال بعض حكماء الإسلام: وهذه المنكرات منها ما لا ينفك منه غير المعصوم في متقلبه ومنها ما يعظم الخطب فيه حتى يصير منكرا عليها متعارفا وذِكْرُ هذا مع عصمته تعليم لأمته كما سبق (و) منكرات (الأهواء) وهي الزيغ والانهماك في الشهوات جمع هوى مقصور هوى النفس وهو ميلها إلى المستلذات والمستحسنات عندها لأنه يشغل عن الطاعة ويؤدي إلى الأشر والبطر (والأدواء) من نحو جذام وبرص وسل واستسقاء، ونحوها فهذه كلها بوائق الدهر فيقول أعوذ بك من بوائق الدهر. قال الطيبي: والإضافة إلى القرينتين الأوليين من إضافة الصفة إلى الموصوف. قال الراغب: والإنكار ضد العرفان والمنكر كل فعل يتوقف في استقباحه واستحسانه العقول ويحكم بقبحه الشرع. وقال زين العرب منكر الخلق ما لم يعرف حسنه من جهة الشرع قال الحكيم: إنما استعاذ من هذه الأربع لأن ابن آدم لا ينفك منها في متقلبه ليلا ونهارا وبها ما يعظم الخطب فيه حتى يصير منكرا غير متعارف فيما بينهم فذاك الذي يشار إليه في بالأصابع في ذلك الأمر ومنه يعظم الوبال، وعطف العمل على الخلق والهوى... من

---

(١) المفردات ٥٤٨.

باب الترقي في الدعاء إلى ما يعم نفعه[١].

المضامين الدعوية

أولاً: من موضوعات الدعوة: التعوذ بالله من منكرات الأخلاق والأعمال والأهواء.

ثانيًا: من أهداف الدعوة: نشر مكارم الأخلاق.

أولاً - من موضوعات الدعوة: التعوذ بالله من منكرات الأخلاق والأعمال والأهواء:

هذا واضح من الحديث: (اللهم إني أعوذ بك من منكرات الأخلاق والأعمال والأهواء)، قال المباركفوري: "المنكر ما لا يعرف حسنه من جهة الشرع، أو ما عرف قبحه من جهته والمراد بالأخلاق: الأعمال الباطنة، والأعمال، أي: الأفعال الظاهرة، والأهواء جمع الهوى مصدر هواه إذا أحبّه ثم سمى بالهوى المشتهى محمودًا كان أو مذمومًا ثم غلب على غير المحمود. كذا في (المغرب)"[٢]، وقال ابن عثيمين: "الإنسان له أهواء ومن الناس من يكون هواه تبعًا لما جاء به الرسول ﷺ، ومنهم من يكون هواه تبعًا لنفسه وما تهواه"[٣].

ويقول الغزالي موضحًا بعض منكرات الأخلاق والأفعال والأهواء: "اعلم أن الإنسان قد اصطحب في خلقته وتركيبه أربع شوائب، فلذلك اجتمع عليه أربعة أنواع من الأوصاف، وهي الصفات السبعية والبهيمية والشيطانية والربانية، فهو من حيث سلط عليه الغضب يتعاطى أفعال السباع من العداوة والبغضاء والتهجم على الناس بالضرب والشتم، ومن حيث سلطت عليه الشهوة يتعاطى أفعال البهائم من الشره والحرص والشبق وغيره، ومن حيث إنه في نفسه أمر رباني، كما قال الله تعالى: ﴿قُلِ ٱلرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّى﴾[٤]، فإنه يدعي لنفسه الربوبية، ويحب الاستيلاء والاستعلاء والتخصص

---

(١) ينظر فيض القدير شرح الجامع الصغير، المؤلف: عبد الرؤوف المناوي حديث (١٤٧٢).

(٢) تحفة الأحوذي ٢/٢٥٢٥.

(٣) شرح رياض الصالحين ٢/١٥٦٠.

(٤) سورة الإسراء، آية: ٨٥.

والاستبداد بالأمور كلها والتفرد بالرياسة والانسلال عن ربقة العبودية والتواضع، ويشتهي الاطلاع على العلوم كلها، بل يدعي لنفسه العلم والمعرفة والإحاطة بحقائق الأمور، ويفرح إذا نسب إلى العلم ويحزن إذا نسب إلى الجهل، والإحاطة بجميع الحقائق والاستيلاء بالقهر على جميع الخلائق من أوصاف الربوبية، وفي الإنسان حرص على ذلك، ومن حيث يختص من البهائم بالتمييز مع مشاركته لها في الغضب والشهوة حصلت فيه شيطانية، فصار شريرًا يستعمل التمييز في استنباط وجوه الشر، ويتوصل إلى الأغراض بالمكر والحيلة والخداع، ويظهر الشر في معرض الخير وهذه أخلاق الشياطين، وكل إنسان فيه شوب من هذه الأصول الأربعة"[1].

ثم قال: "أما طاعة الشهوة فيصدر منها صفة الوقاحة والخبث والتبذير والتقتير والرياء والهتكة والمجانة والعبث والحرص والجشع والملق والحسد والحقد والشماتة وغيرها، وأما طاعة الغضب فتنتشر منها إلى القلب صفة التهور والبذالة والبذخ والصلف والاستشاطة والتكبر والعجب والاستهزاء والاستخفاف وتحقير الخلق وإرادة الشر وشهوة الظلم وغيرها.

وأما طاعة الشيطان بطاعة الشهوة والغضب فيحصل منها صفة المكر والخداع والحيلة والدهاء والجراءة والتلبيس والتضريب والغش والخب والخنا وأمثالها.

ولو عكس الأمر وقهر الجميع تحت سياسة الصفة الربانية لاستقرّ في القلب من الصفات الربانية: العلم والحكمة واليقين والإحاطة بحقائق الأشياء ومعرفة الأمور على ما هي عليه والاستيلاء على الكل بقوة العلم والبصيرة واستحقاق التقدم على الخلق لكمال العلم وجلاله ولاستغنى عن طاعة الشهوة والغضب ولانتشر إليه صفات شريفة، مثل: العفة والقناعة والهدوء، والزهد والورع والتقوى والانبساط وحسن الهيئة والحياء والظرف والمساعدة وأمثالها، ويحصل فيه من ضبط قوة الغضب وقهرها وردها إلى حد الواجب صفة الشجاعة والكرم والنجدة وضبط النفس والصبر والحلم والاحتمال والعفو

---

(١) إحياء علوم الدين ١٣٦٢/٣.

والثبات والنبل والشهامة والوقار وغيرها"[١].

وقال ابن القيم: "أصول المعاصي كلها، كبارها وصغارها، ثلاثة: تعلق القلب بغير الله، وطاعة القوة الغضبية، والقوة الشهوانية. وهي الشرك، والظلم، والفواحش. فغاية التعليق بغير الله شرك وأن يدعى معه إله آخر. وغاية طاعة القوة الغضبية القتل. وغاية طاعة القوة الشهوانية الزنا.

ولهذا جمع الله سبحانه بين الثلاثة في قوله: ﴿وَٱلَّذِينَ لَا يَدْعُونَ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ وَلَا يَقْتُلُونَ ٱلنَّفْسَ ٱلَّتِى حَرَّمَ ٱللَّهُ إِلَّا بِٱلْحَقِّ وَلَا يَزْنُونَ﴾[٢].

وهذه الثلاثة يدعو بعضها إلى بعض؛ فالشرك يدعو إلى الظلم والفواحش، كما أن الإخلاص والتوحيد يصرفهما عن صاحبه، قال تعالى: ﴿كَذَٰلِكَ لِنَصْرِفَ عَنْهُ ٱلسُّوٓءَ وَٱلْفَحْشَآءَ ۚ إِنَّهُۥ مِنْ عِبَادِنَا ٱلْمُخْلَصِينَ﴾[٣]. فالسوء: العشق، والفحشاء: الزنا.

وكذلك الظلم يدعو إلى الشرك والفاحشة، فإن الشرك أظلم الظلم، كما أن أعدل العدل التوحيد. فالعدل قرين التوحيد، والظلم قرين الشرك؛ ولهذا يجمع سبحانه بينهما. أما الأول، ففي قوله: ﴿شَهِدَ ٱللَّهُ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَأُو۟لُوا۟ ٱلْعِلْمِ قَآئِمًۢا بِٱلْقِسْطِ﴾[٤]. وأما الثاني، فكقوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ﴾[٥].

والفاحشة تدعو إلى الشرك والظلم، ولاسيما إذا قويت إرادتها ولم تحصل إلا بنوع من الظلم والاستعانة بالسحر والشيطان. وقد جمع سبحانه بين الزنا والشرك في قوله: ﴿ٱلزَّانِى لَا يَنكِحُ إِلَّا زَانِيَةً أَوْ مُشْرِكَةً وَٱلزَّانِيَةُ لَا يَنكِحُهَآ إِلَّا زَانٍ أَوْ مُشْرِكٌ ۚ وَحُرِّمَ ذَٰلِكَ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾[٦].

---

(١) إحياء علوم الدين ١٣٦٣/٣ – ١٣٦٤ بتصرف يسير.

(٢) سورة الفرقان، الآية: ٦٨ .

(٣) سورة يوسف، الآية: ٢٤ .

(٤) سورة آل عمران، الآية: ١٨ .

(٥) سورة لقمان، الآية: ١٣ .

(٦) سورة النور، الآية: ٣ .

فهذه الثلاثة يجر بعضها إلى بعض، ويأمر بعضها ببعض. ولهذا كلما كان القلب أضعف توحيدًا وأعظم شركًا كان أكثر فاحشة وأعظم تعلقًا بالصور وعشقًا لها. ونظير هذا قوله تعالى: ﴿فَمَآ أُوتِيتُم مِّن شَيْءٍ فَمَتَٰعُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۖ وَمَا عِندَ ٱللَّهِ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴿٣٦﴾ وَٱلَّذِينَ يَجْتَنِبُونَ كَبَٰٓئِرَ ٱلْإِثْمِ وَٱلْفَوَٰحِشَ وَإِذَا مَا غَضِبُوا۟ هُمْ يَغْفِرُونَ﴾[1]. فأخبر أن ما عنده خير لمن آمن به وتوكل عليه، وهذا هو التوحيد. ثم قال: ﴿وَٱلَّذِينَ يَجْتَنِبُونَ كَبَٰٓئِرَ ٱلْإِثْمِ وَٱلْفَوَٰحِشَ﴾. فهذا اجتناب داعي القوة الشهوانية. ثم قال: ﴿وَإِذَا مَا غَضِبُوا۟ هُمْ يَغْفِرُونَ﴾. فهذا مخالفة القوة الغضبية، فجمع بين التوحيد والعفة والعدل التي هي جماع الخير كله"[2].

ثانيًا - من أهداف الدعوة: نشر مكارم الأخلاق:

فإنّ تَعَوُّذَ النبي ﷺ من منكرات الأخلاق والأفعال والأهواء في قوله: "اللهم إني أعوذ بك من منكرات الأخلاق" يلزم عنه الدعاء بالتحلي بمكارم الأخلاق وفضائلها، عن طريق مفهوم المخالفة.

وقد جمع النبي ﷺ بين الأمرين، فعن علي بن أبي طالب رضي الله عنه عن رسول الله ﷺ أنه كان إذا قام إلى الصلاة قال: ((وَجَّهْتُ وَجْهِيَ لِلَّذِي فَطَرَ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضَ حَنِيفًا وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ. إِنَّ صَلاَتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لله رَبِّ الْعَالَمِينَ. لاَ شَرِيكَ لَهُ وَبِذَلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا مِنَ الْمُسْلِمِينَ . اللَّهُمَّ أَنْتَ الْمَلِكُ لاَ إِلَهَ إِلاَّ أَنْتَ. أَنْتَ رَبِّي وَأَنَا عَبْدُكَ. ظَلَمْتُ نَفْسِي وَاعْتَرَفْتُ بِذَنْبِي فَاغْفِرْ لِي ذُنُوبِي جَمِيعًا. إِنَّهُ لاَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ إِلاَّ أَنْتَ. وَاهْدِنِي لأَحْسَنِ الأَخْلاَقِ. لاَ يَهْدِي لأَحْسَنِهَا إِلاَّ أَنْتَ. وَاصْرِفْ عَنِّي سَيِّئَهَا. لاَ يَصْرِفُ عَنِّي سَيِّئَهَا إِلاَّ أَنْتَ))[3].

---

(١) سورة الشورى، الآيتان: ٣٦، ٣٧ .

(٢) الفوائد ١٢٢، ١٢٣.

(٣) أخرجه مسلم ٧٧١.

قال النووي: "قوله: (اهدني لأحسن الأخلاق)، أي: ارشدني لصوابها ووفقني للتخلق به، قوله: (واصرف عني سيئها)، أي: قبيحها"[١].

وقال النبي ﷺ: ((إنَّمَا بُعِثْتُ لأُتَمِّمَ مَكَارِمَ الأَخْلاَقِ))[٢].

قال ابن عبدالبر: "ويدخل في هذا المعنى الصلاح والخير كله والدين والفضل والمروءة والإحسان والعدل، فبذلك بعث ليتممه ﷺ، وقد قال العلماء: إن أجمع آية للبر والفضل ومكارم الأخلاق قوله عز وجل: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُ بِٱلْعَدْلِ وَٱلْإِحْسَـٰنِ وَإِيتَآيِٕ ذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَيَنْهَىٰ عَنِ ٱلْفَحْشَآءِ وَٱلْمُنكَرِ وَٱلْبَغْيِ ۚ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾[٣]"[٤].

كما قال النبي ﷺ: «الْبِرُّ حُسْنُ الْخُلُقِ. وَالإِثْمُ مَا حَاكَ فِي نَفْسِكَ، وَكَرِهْتَ أَنْ يَطَّلِعَ عَلَيْهِ النَّاسُ»[٥].

قال ابن حجر الهيتمي: "هذا الحديث من جوامع كلمه ﷺ بل من أوجزها، إذ البر كلمة جامعة لجميع أفعال الخير وخصال المعروف، والإثم كلمة جامعة لجميع أفعال الشر، والقبائح كبيرها وصغيرها، ولهذا السبب قابل النبي ﷺ بينهما وجعلهما ضدين"[٦].

"ويرشد الحديث إلى التخلق بمكارم الأخلاق، لأن حسن الخلق من أعظم خصال البر"[٧].

---

(١) شرح صحيح مسلم ٣/٦/٦٠ ط/ دار عالم الكتب.

(٢) أخرجه أحمد ٣٨١/٢، رقم ٨٩٥٢، والبخاري في الأدب المفرد ٢٧٣، من حديث أبي هريرة رضي الله عنه وقال محققو المسند: صحيح، وانظر تخريجه بتوسع في مسند أحمد ٥١٢/١٤ - ٥١٣.

(٣) سورة النحل، آية: ٩٠.

(٤) التمهيد ٣٧/٢٢، المطبوع مع موسوعة شروح الموطأ.

(٥) أخرجه مسلم، ٢٥٥٣.

(٦) نقلًا عن الوافي في شرح الأربعين النووية، د.مصطفى البغا، ومحيى الدين مستو. مكتبة دار التراث المدينة المنورة، ط٧، ١٤١٠هـ/١٩٩٠م، ص٢٠٤.

(٧) الوافي في شرح الأربعين النووية، ٢٠٩.

الحديث رقم (١٤٨٥)

١٤٨٥- وعن شَكَلِ بن حُمَيدٍ رضي الله عنه قَالَ: قلتُ: يَا رسولَ الله، علِّمْنِي دعاءً، قَالَ: ((**قُلْ: اللَّهُمَّ إنِّي أعُوذُ بِكَ مِنْ شَرِّ سَمْعِي، وَمِنْ شَرِّ بَصَرِي، وَمِنْ شَرِّ لِسَانِي، وَمِنْ شَرِّ قَلْبِي، وَمِنْ شَرِّ مَنِيِّي**)). رواه أَبُو داود والترمذيُّ[١]، وقال: (حديث حسن).

ترجمة الراوي:

شَكَل بن حُمَيْد: هو شَكَلُ بن حُمَيْد العبسي، من بني عبس بن بغيض بن ريث بن غطفان، قال ابن السَّكن: هو من رهط حذيفة بن اليمان، وعداده في أهل الكوفة، روى عن النبي صلى الله عليه وسلم ولم يرو عنه غير ابنه شُتَيْر، روى له البخاري في الأدب، وأبو داود، والترمذي والنسائي، حديثًا واحدًا، وهو حديث الاستعاذة[٢].

الشرح الأدبي

قول الراوي (علمني دعاءً) استرشاد يدل على حرصه على خير سهل المنال، وقول الرسول رضي الله عنه للرجل (قل) أمر إرشاد وتوجيه لما يحقق الغاية ويشجع على الطاعة، وقوله: (اللهم إني أعوذ بك من شر سمعي ومن شر بصري ومن شر لساني) وفي العبارة مراعاة نظير وهي الجمع بين الشيء، وما يناسبه حيث جمع بين الجوارح (السمع - البصر - اللسان - القلب - المني) وشر اللسان أي نطقي فإن أكثر الخطايا منه وهو الذي يورد المرء في المهالك وخص هذه الجوارح لما أنها مناط الشهوة ومثار اللذة (ومن شر قلبي) يعني نفسي والنفس مجمع الشهوات والمفاسد بحب الدنيا والرهبة من الخلق وخوف فوت الرزق والأمراض القلبية من نحو حسد وحقد وطلب رفعة وغير ذلك (ومن شر منيي) كناية عن الشهوة الحرام، وسطوة الشهوة إلى الجماع الذي إذا أفرط ربما

---

(١) أخرجه أبو داود (١٥٥١)، والترمذي (٣٤٩٢). ولفظهما سواء. وقال الحاكم (٥٣٣/١): هذا حديثٌ صحيح الإسناد ولم يخرجاه.

(٢) الاستيعاب (٣٣٧)، أسد الغابة (٦٣٧/٢، ٦٣٨)، الإصابة (٥٨٨)، تهذيب الكمال (٤٠٥/٣)، تهذيب التهذيب (١٧٩/٢)، السندي (٣٠٤/٢٤).

أوقع في الزنا أو مقدماته لا محالة فهو حقيق بالاستعاذة من شره، وخص هذه الأشياء بالاستعاذة لأنها أصل كل شر وقاعدته ومنبعه كما تقرر.

المضامين الدعوية

أولاً: من موضوعات الدعوة: حرص الصحابة رضي الله عنهم على أن يعلمهم النبي ﷺ الدعاء.

ثانيًا: من موضوعات الدعوة: التعوذ بالله من شر السمع والبصر واللسان والقلب والوقوع في الزنا أو في مقدماته.

أولاً - من موضوعات الدعوة: حرص الصحابة رضي الله عنهم على أن يعلمهم النبي ﷺ الدعاء:

هذا واضح من قول الصحابي: شكل بن حُميد رضي الله عنه للنبي ﷺ: يا رسول الله علمني دعاء، وفي سنن الترمذي والنسائي: يا رسول الله علّمني تعوذًا أتعوذ به. والتعوذ من الدعاء.

وهذا أبو بكر الصديق رضي الله عنه قال للنبي ﷺ: علّمني دُعاءً أَدعو بهِ في صلاتي قال قُل: ((اللّهمَّ إني ظَلَمتُ نفسي ظلمًا كثيرًا، ولا يَغفِرُ الذُّنوبَ إلاّ أنتَ، فاغفِرْ لي مَغفِرةً من عِندكَ، وارحمني إنك أَنتَ الغفور الرَّحيم))[1].

ومن ذلك أيضًا ما رواه سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه قال: جَاءَ أَعْرَابِيٌّ إِلَىٰ رَسُولِ اللّهِ . فَقَالَ: عَلِّمْنِي كَلاَمًا أَقُولُهُ. قَالَ: ((قُلْ: لاَ إِلَـهَ إِلاَّ اللّهُ وَحْدَهُ لاَ شَرِيكَ لَهُ، اللّهُ أَكْبَرُ كَبِيرًا، وَالْحَمْدُ للّهِ كَثِيرًا سُبْحَانَ اللّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ، لاَ حَوْلَ وَلاَ قُوَّةَ إِلاَّ بِاللّهِ الْعَزِيزِ الْحَكِيمِ)). قَالَ: فَهَـؤُلاَءِ لِرَبِّي. فَمَا لِي؟ قَالَ: ((قُلِ اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِي وَارْحَمْنِي وَاهْدِنِي وَارْزُقْنِي))[2].

قال ابن القيم: "الدعاء من أنفع الأدوية، وهو عدو البلاء، يدافعه، ويعالجه، ويمنع نزوله ويرفعه أو يخففه إذا نزل، وهو سلاح المؤمن وله مع البلاء ثلاثة مقامات:

أحدها: أن يكون أقوى من البلاء فيدفعه.

---

(١) أخرجه البخاري ٨٣٤، ٦٣٢٦، ٧٣٨٨، ومسلم ٢٧٠٥.

(٢) أخرجه مسلم ٢٦٩٦.

الثاني: أن يكون أضعف من البلاء فيقوى عليه البلاء، فيصاب به العبد، ولكن قد يخففه وإن كان ضعيفًا.

الثالث: أن يتقاوما ويمنع كل واحد منهما صاحبه... ومن أنفع الأدوية الإلحاح في الدعاء"[1].

ثانيًا: من موضوعات الدعوة - التعوذ بالله من شر السمع والبصر واللسان والقلب والوقوع في الزنا أو في مقدماته:

وهذا واضحٌ من الحديث: (اللهم إني أعوذ بك من شر سمعي ومن شر بصري ومن شر لساني ومن شر قلبي ومن شر منيِّي): يعني فرجه.

قال المباركفوري: "قوله: (اللهم إني أعوذ بك من شر سمعي) أي: حتى لا أسمع ما تكرهه (ومن شر بصري)، أي: حتى لا أرى شيئًا لا ترضاه، (ومن شر لساني)، أي: حتى لا أتكلم بما لا يعنيني (ومن شر قلبي)، أي: حتى لا أعتقد اعتقادًا فاسدًا ولا يكون فيه نحو أحر حقد وحسد وتصميم فعل مذموم أبدًا، (ومن شر منيي)، وهو أن يغلب عليه حتى يقع في الزنا أو مقدماته (يعني فرجه)، هذا تفسير من بعض الرواة لقوله (منيى) أي يريد شر فرجه"[2]، وقال العظيم آبادي: "وقيل هو جمع المنية بفتح الميم أي: من شر الموت، أي قبض روحه على عمل قبيح"[3].

وقد قال الله تعالى محذرًا من استعمال السمع والبصر والفؤاد في غير الخير، قال تعالى: ﴿وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ ۚ إِنَّ ٱلسَّمْعَ وَٱلْبَصَرَ وَٱلْفُؤَادَ كُلُّ أُو۟لَٰٓئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْـُٔولًا﴾[4].

قال ابن كثير: "قوله: (كل أولئك)، أي: هذه الصفات من السمع والبصر والفؤاد (كان عنه مسؤولا) أي: سيسأل العبد عنها يوم القيامة، وتسأل عنه وعما عمل فيها"[5]. وقال الطاهر

---

(١) الداء والدواء ١٠-١٢.

(٢) تحفة الأحوذي، المباركفوري ٢/٣٤٧٧.

(٣) عون المعبود ص ٦٩٧.

(٤) سورة الإسراء، ٣٦.

(٥) تفسير القرآن العظيم ٥/٧٥.

ابن عاشور: "القَفْو: الإتباع، يقال: يقفوه إذا أتبعه. والمراد: بـ (ما ليس لك به علم)، الخاطر النفساني الذي لا دليل عليه ولا غلبة ظن به، ويندرج تحت هذا أنواع كثيرة منها خلة من خلال الجاهلية، وهي الطعن في أنساب الناس، فكانوا يرمون النساء برجال ليسوا بأزواجهن ويليطون[1] بعض الأولاد بغير آبائهم، بهتانًا، أو سوء ظن، إذا رأوا بعدًا في الشبه بين الابن وأبيه أو رأوا شبهه برجل آخر من الحي أو رأوا لونًا مخالفًا للون الأب أو الأم، تخرصًا وجهلاً بأسباب التشكل ... ومنها القذف بالزنا وغيره من المساوي بدون مشاهدة، وربما رموا الجيرة من الرجال والنساء بذلك، وكذلك كان عملهم إذا غاب زوج المرأة لم يلبثوا أن يلصقوا بها تهمة ببعض جيرتها ... ومنها تجنب الكذب.

قال قتادة: "لا تقف: لا تقل: رأيت ولم تر، ولا: سمعت وأنت لم تسمع، وعلمت وأنت لم تعلم، ومنها: شهادة الزور وشملها هذا النهي وبذلك فسّر محمد بن الحنيفة وجماعة. وما يشهد لإرادة جميع هذه المعاني تعليل النهي بجملة إن السمع والبصر والفؤاد كل أولئك كان عنه مسؤولا، فموقع الجملة موقع تعليل، أي: أنك أيها الإنسان تسأل عما تسنده إلى سمعك وبصرك وعقلك، وهذا أدب خلقي عظيم وهو أيضًا جليل يعلم الأمة التفرقة بين مراتب الخواطر العقلية بحيث لا يختلط عندها المعلوم والمظنون والموهوم، ثم هو أيضًا إصلاح اجتماعي جليل يجنب الأمة الوقوع والإيقاع في الأضرار والمهالك من جراء الاستناد إلى أدلة موهومة"[2].

---

(١) يقال: لاط القاضي فلانًا بفلان: ألحقه به ونسبه إليه. المعجم الوسيط ٨٤٦.

(٢) التحرير والتنوير ١٥/١٠٠ - ١٠١ بتصرف.

الحديث رقم (١٤٨٦)

١٤٨٦- وعن أنس رضي الله عنه : أنَّ النبيَّ ﷺ كَانَ يقول: ((**اللَّهُمَّ إنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنَ البَرَصِ، والجُنُونِ، والجُذَامِ، وَسَيِّيءِ الأَسْقَامِ**)). رواه أَبُو داود[1] بإسناد صحيح.

ترجمة الراوي:

أنس بن مالك: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (٤).

غريب الألفاظ:

البَرَص: بياض يظهر في ظاهر الجسد لعلّة[2].

الجُذَام: علة تتآكل منها الأعضاء وتسقط[3].

الأسقام: جمع سُقم: الأمراض[4].

الشرح الأدبي

أشرنا سابقاً إلى أن الرسول ﷺ استعاذ بالله تعالى من جملة الشرور كما استعاذ من شرور بعينها لها فضل ضرر عن غيرها مما يفسد إحدى الحياتين أو يفسدهما معا ومنها جملة الأمراض التي وردت في استعاذته في هذا الحديث، وهذه الأمراض تتميز بأنها صعبة العلاج منفرة يصير بعضها كالوباء يؤذي الناس، ولذلك بدأ الدعاء بصيغة اللهم التي تؤذن بشدة الخضوع، والذل، والفاقة، وتختص بنداء اسم الله فهي إعلان للتوجه إليه خاصة ثم تلاها بالتوكيد الدال على شدة الإلحاح وأولها: (البرص) وهو بياض يحدث في الأعضاء (والجنون) أي زوال العقل الذي هو منشأ الخيرات (والجذام) علة يذهب معها شعور الأعضاء، وتؤدي إلى تآكلها وتقرحها (وسيىء الأسقام) كالسل والاستسقاء والمرض المزمن الطويل وهو تعميم بعد تخصيص، قال الطيبي وإنما لم يتعوذ

(١) برقم (١٥٥٤). وصحّحه ابن حبان (الإحسان ١٠١٧).

(٢) القاموس المحيط، المعجم الوسيط في (ب ر ص).

(٣) المعجم الوسيط في (ج ذ م).

(٤) النهاية في (س ق م).

من الأسقام مطلقا فإن بعضها مما يخف مؤنته وتكثر مثوبته عند الصبر عليه مع عدم إزمانه كالحمى والصداع والرمد وإنما استعاذ من السقم المزمن فينتهي بصاحبه إلى حالة يفر منها الحميم ويقل دونها المؤانس والمداوي مع ما يورث من الشين.

المضامين الدعوية

أولاً: من موضوعات الدعوة: الاستعاذة بالله من البرص والجنون والجذام والأسقام السيئة.

ثانيًا: من آداب المدعو: الاقتداء بالنبي ﷺ في الاستعاذة بالله من البرص والجنون والجذام والأسقام السيئة.

أولاً: من موضوعات الدعوة: الاستعاذة بالله من البرص والجنون والجذام والأسقام السيئة:

وهذا واضح من الحديث: (اللهم إني أعوذ بك من البرص والجنون والجذام وسيئ الأسقام).

قال العظيم آبادي: "البرص: بياض يحدث في الأعضاء، والجنون، أي: زوال العقل الذي هو منشأ الخيرات"[١]. "والجذام علة تتآكل منها الأعضاء وتتساقط"[٢].

وقال ابن عثيمين: "الجذام هو مرض يصيب الإنسان في أطرافه أحيانًا والعياذ بالله، إذ بدأ بالطرف يتآكل حتى يقضي على البدن كله، ولهذا قال العلماء: إنه لا يجوز أن يخالط الجذماء الناس وإنه يجب على ولي الأمر أن يجعلهم في مكان خاص، وهو ما يعرف الآن عند الناس بالحُجْر الصحي؛ لأن هذا - والعياذ بالله - الجذام من أشد الأمراض عدوىً، نسأل الله العافية، قالوا: يجب على ولي الأمر أن يجعل الجذماء المصابين بمرض الجذام في مكان خاص كي لا يختلطوا بالناس"[٣].

---

(١) عون المعبود ٦٩٨.

(٢) المعجم الوسيط ١١٣.

(٣) شرح رياض الصالحين ١٥٦٠/٢.

وقال العظيم آبادي: "وسيئ الأسقام كالسل والاستسقاء والمرض المزمن الطويل وهو تعميم بعد تخصيص"[(١)].

وقال ابن عثيمين: "ويشمل هذا كل الأمراض السيئة ومنها ما يعرف الآن بالسرطان"[(٢)].

ثانيًا - من آداب المدعو: الاقتداء بالنبي ﷺ في الاستعاذة بالله من البرص والجنون والجذام والأسقام السيئة:

قال ابن عثيمين: "فمثل هذه الأحاديث ينبغي للإنسان أن يحرص عليها وأن يقتدي بالنبي ﷺ"[(٣)]، وقال الطيبي: "قال التوربشتي: لم يستعذ بالله من سائر الأسقام، لأن منها إذا تحامل الإنسان فيه على نفسه بالصبر خفت مؤونته وعظمت مثوبته، كالحمى والصداع والرمد، وإنما استعاذ من السقم المزمن فينتهي بصاحبه إلى حالة يفرّ منها الحميم ويقلّ دونها المؤانس والمداوي، مع ما يورث من الشين، فمنها الجنون الذي يزيل العقل فلا يأمن صاحبه القتل ومنها البرص والجذام وهما العلتان المزمنتان مع ما فيهما من القذاة والبشاعة وتغيير الصورة، وقد اتفقوا على أنهما معديان إلى الغير"[(٤)].

وعن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: عَادَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ رَجُلا قَدْ صَارَ مِثْلَ الْفَرْخِ، فقَالَ: ((مَا كُنْتَ تَدْعُو بِشَيْءٍ أَوْ تَسْأَلُ؟)) قالَ: كُنْتُ أَقُولُ: اللَّهُمَّ مَا كُنْتَ مُعَاقِبَنِي بِهِ فِي الآخِرَةِ، فَعَجِّلْهُ فِي الدُّنْيَا، فَقَالَ: ((سُبْحَانَ اللَّهِ، لا تَسْتَطِيعُهُ، أَوْ لا تُطِيقُهُ. قُلِ: اللَّهُمَّ آتِنَا فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً، وَفِي الآخِرَةِ حَسَنَةً، وَقِنَا عَذَابَ النَّارِ))[(٥)].

قال النووي: "وفي هذا الحديث النهي عن الدعاء بتعجيل العقوبة وكراهة تمني البلاء؛ لئلا يتضجر منه ويسخط وربما شكا"[(٦)].

---

(١) عون المعبود ٦٩٨.

(٢) شرح رياض الصالحين ٢/١٥٦٠.

(٣) السابق ٢/١٥٦٠.

(٤) شرح الطيبي على المشكاة ٥/١٩٤.

(٥) أخرجه مسلم ٢٦٨٨.

(٦) شرح صحيح مسلم ٩/١٧/١٤ - ١٥ ط/ دار عالم الكتب.

وعلى هذا فإن المسلم يلجأ إلى الله ويستعيذ به من الأمراض المزمنة وغيرها من الأمراض الخطيرة المهلكة، التي تحرم الإنسان من القوة والعافية وتصيبه بأضرار كبيرة جدًا في صحته وبدنه، مما قد يدفع بعض الناس إلى الضجر والسخط وربما إلى أشد من ذلك وأخطر، وخاصة في زمننا هذا الذي أصبحت فيه تكاليف العلاج لهذه الأمراض باهظة جدًّا يعجز كثير من المرضى عن تحملها. والمقصود أن المسلم يدعو الله ويسأله العافية في الدين والدنيا.

الحديث رقم (١٤٨٧)

١٤٨٧- وعن أَبي هريرة رضي الله عنه قَالَ: كَانَ رسولُ الله ﷺ يقول: ((**اللَّهُمَّ إنِّي أعُوذُ بِكَ مِنَ الجُوعِ، فَإنَّهُ بِئْسَ الضَّجِيعُ، وأعوذُ بِكَ مِنَ الخِيَانَةِ، فَإنَّهَا بِئْسَتِ البِطَانَةُ**)). رواه أَبُو داود[1] بإسناد صحيح.

ترجمة الراوي:

أبو هريرة: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (٧).

غريب الحديث:

الضَجِيع: المضاجع وهو ما يلازم صاحبه في المضجع، والمراد: المُلازم[2].

البِطَانة: تطلق في الأصل على بِطَانة الثوب ثم استعير لمن يخصه الإنسان بالاطلاع على باطن أمره[3].

الشرح الأدبي

التعبير بالفعل الماضي (كان) يشير إلى تكرار الفعل مما يجعل الدعاء سنة فعلية يلتزمها الصالحون في كل العصور (اللهم إني أعوذ بك من الجوع) عبر بالمسبب وأراد السبب على سبيل المجاز أي الألم الذي ينال الجائع من خلو المعدة من الغذاء ويؤدي تارة إلى المرض، وتارة إلى الموت (فإنه بئس الضجيع) كناية عن الملازمة أي المضاجع وهو ما يلازم صاحبه في المضجع، أي بئس الصاحب الجوع الذي يمنعك من وظائف العبادات كالسجود والركوع، وقال الطيبي رحمه الله الجوع يضعف القوى ويشوش الدماغ فيثير أفكارا رديئة وخيالات فاسدة فيخل بوظائف العبادات والمراقبات ولذلك خص بالضجيع الذي يلازمه ليلا ومن ثم حرم الوصال، وقد يستدل بهذا الحديث لما قيل من

---

(١) برقم (١٥٤٧). وصحّحه ابن حبان (الإحسان ١٠٢٩). وقال الحافظ ابن حجر في نتائج الأفكار (٨٨/٣): هذا حديثٌ حسنٌ. أورده المنذري في ترغيبه (٤٤١٨).

(٢) الوسيط في (ض ج ع).

(٣) النهاية في (ب ط ن).

أن الجوع المجرد لا ثواب فيه (وأعوذ بك الخيانة) وهي ضد الأمانة، قال الطيبي هي مخالفة الحق بنقض العهد في السر والأظهر أنها شاملة لجميع التكاليف الشرعية (فإنها بئست البطانة) أي الخصلة الباطنة هي ضد الظهارة وأصلها في الثوب فاستعير لما يستبطنه الإنسان من أمره ويجعله بطانة حاله، وبطانة الشيء أهله أو خاصته مستعارة من بطانة الثوب وفيها دلالة على شدة القرب المؤثر في صاحبه سلبا، أو إيجابا.

المضامين الدعوية

أولاً: من موضوعات الدعوة: التعوذ بالله من الجوع.

ثانيًا: من موضوعات الدعوة: التعوذ بالله من الخيانة.

أولاً- من موضوعات الدعوة: التعوذ بالله من الجوع:

هذا واضحٌ من قوله ﷺ: (اللهم إني أعوذ بك من الجوع فإنه بئس الضجيع)، قال الطيبي: "قال القضاعي: الجوع: الألم الذي يكون من خلو المعدة، والضجيع، استعاذ منه لأنه يمنع استراحة البدن، ويحلل المواد المحمودة بلا بدل ويشوش الدماغ ويثير الأفكار الفاسدة والخيالات الباطلة، ويضعف البدن عن القيام بوظائف الطاعات، أقول: -أي الطيبي-: خصّ الضجيع بالجوع؛ لينبه عل أن المراد بالجوع الذي يلازمه ليلاً ونهارًا، ومن ثم حرّم الوصال، ومثله يضعف الإنسان عن القيام بوظائف العبادات، لاسيما بقيام التهجد"[1].

وقال السندي: "ضَجيعك -بفتح فكسر- من ينام في فراشك، أي بئس الصاحب الجوع الذي يمنعك من وظائف العبادات، ويشوش الدماغ، ويثير الأفكار الفاسدة والخيالات الباطلة"[2].

ولشدة أمر الجوع امتن الله تعالى على قريش بأنه سبحانه: ﴿أَطْعَمَهُم مِّن جُوعٍ وَءَامَنَهُم مِّنْ خَوْفٍ﴾[3].

---

(١) شرح الطيبي على المشكاة ١٩٣/٥.

(٢) حاشية السندي على سنن النسائي ٦٥٦/٨.

(٣) سورة قريش، آية: ٤.

قال الطاهر بن عاشور: "و(مِنْ) الداخلة على (جوع)، وعلى (خوف)، معناها البدلية، أي: أطعمهم بدلاً من الجوع وآمنهم بدلاً من الخوف، ومعنى البدلية: هو أن حالة بلادهم تقتضي أن يكون أهلها في جوع فإطعامهم بدل من الجوع الذي تقتضيه البلاد، وأن حالتهم في قلة العدد وكونهم أهل حضر وليسوا أهل بأس ولا فروسية ولا شكة سلاح، تقتضي أن يكونوا معرضين لغارات القبائل، فجعل الله لهم الأمن في الحرم عوضًا عن الخوف الذي تقتضيه قلتهم"[١].

وقد أمر رسول الله ﷺ بإطعام الجائع، فقال ﷺ: ((فُكُّوا العانيَ - يعني الأسيرَ- وأطعِموا الجائعَ، وعُودوا المريض))[٢].

ثانيًا - من موضوعات الدعوة: التعوذ بالله من الخيانة:

هذا واضح من قول النبي ﷺ: (وأعوذ بك من الخيانة فإنها بئست البطانة).

قال الطيبي: "قال البيضاوي: الخيانة نقيض الأمانة، والبطانة ضد الظهارة، وأصلها في الثوب، فاتسع فيما يستبطن الرجل من أمره، فيجعله بطانة حاله، أقول -أي الطيبي- : وخص البطانة بالخيانة لأنها ليست كالجوع الذي يتضرر به صاحبه فحسب، بل هي سارية إلى الغير، فهي وإن كانت بطانة لحاله، لكن يجري سريانه إلى الغير مجرى الظهارة"[٣].

وقد قال الله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَخُونُواْ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ وَتَخُونُوٓاْ أَمَٰنَٰتِكُمْ وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾[٤].

قال الطبري: "يقول تعالى ذكرُه للمؤمنين بالله ورسوله من أصحاب نبيه ﷺ: يا أيها الذين صدَّقوا الله ورسوله (لا تخونوا الله)، وخيانتهم الله ورسوله كانت بإظهار من أظهر منهم لرسول الله ﷺ والمؤمنين الإيمان في الظاهر والنصيحة وهو يستسر

---

(١) التحرير والتنوير ٣٠/٥٦١.

(٢) أخرجه البخاري ٣٠٤٦.

(٣) شرح الطيبي على المشكاة ٥/١٩٣.

(٤) سورة الأنفال، آية: ٢٧.

الكفر والغشّ لهم في الباطن، يدلون المشركين على عورتهم ويخبرونهم بما خفي عنهم من خبرهم"[١].

وقد عدّ رسول الله ﷺ خيانة الأمانة من صفات المنافقين، فقال ﷺ: ((آيةُ المُنافِق ثلاثٌ: إذا حَدَّثَ كَذَب، وإذا وَعَدَ أخْلَفَ، وإذا اؤْتُمِنَ خان))[٢].

وقال ﷺ أيضًا: ((أربعٌ مَنْ كُنَّ فيهِ كان مُنافِقًا خالصًا، وَمَنْ كانتْ فيهِ خَصْلَةٌ مِنهنَّ كانتْ فيهِ خَصْلَةٌ مِنَ النفاقِ حتى يَدَعَها: إذا اؤْتُمِنَ خان، وإذا حدَّثَ كَذَبَ، وإذا عاهَدَ غدرَ، وإذا خاصمَ فَجَرَ))[٣].

قال الراغب: "الخيانة والنفاق واحدٌ إلا أن الخيانة تقال اعتبارًا بالعهد والأمانة، والنفاق يقال اعتبارًا بالدين ثم يتداخلان، فالخيانة مخالفة الحق بنقض العهد في السرّ، ونقيض الخيانة: الأمانة"[٤].

وجاء في الموسوعة الفقهية: "وقد عدّ الذهبي وابن حجر الهيتمي الخيانة من الكبائر، ثم قال: الخيانة قبيحة في كل شيء، لكن بعضها أشد وأقبح من بعض، إذ من خانك في فلسٍ ليس كمن خانك في أهلك"[٥].

---

(١) جامع البيان، ١١/١٢٠.

(٢) أخرجه البخاري ٣٣، ومسلم ٥٩.

(٣) أخرجه البخاري ٣٤، ومسلم ٥٨.

(٤) المفردات في غريب القرآن، ص ١٦٣.

(٥) الموسوعة الفقهية، ٢٠/١٨٦ ومراجعها ومصادرها.

الحديث رقم (١٤٨٨)

١٤٨٨- وعن عليّ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: أنَّ مُكَاتبًا جاءهُ فَقَالَ: إنِّي عَجِزْتُ عَنْ كِتَابَتِي فَأعِنِّي، قَالَ: ألا أُعَلِّمُكَ كَلِماتٍ عَلَّمَنِيهنَّ رسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، لَوْ كَانَ عَلَيْكَ مِثْلُ جَبَلٍ دَيْنًا أدَّاهُ اللهُ عَنْكَ؟ قُلْ: **((اللَّهُمَّ اكْفِنِي بِحَلالِكَ عَنْ حَرَامِكَ، وَاغْنِنِي بِفَضْلِكَ عَمَّنْ سِواكَ))**.

رواه الترمذيُّ[١]، وقال: (حديث حسن).

ترجمة الراوي:

عليّ بن أبي طالب: تقدمت ترجمته في الحديث (٧٦٨).

غريب الألفاظ:

مكاتبًا: من الكتابة، والمكاتبة هي: أن يكاتب الرجل عبده على مال يؤديه إليه مُنَجّمًا -أي مفرقًا على أقساط- فإذا أداه صار حرًّا، وسميت كتابة لأن العبد يكتب على نفسه لمولاه ثمنه ويكتب مولاه له عليه العتق[٢].

كتابتي: من الكتابة: المال الذي كاتب به السيد عبده[٣].

أدَّاه: قضاه[٤].

الشرح الأدبي

هذا الحديث يروي ذكرا ورد في قصة تقوم على حوار بين أحد العبيد وبين علي رَضِيَ اللهُ عَنْهُ في حوار من سؤال، وجواب قدم له بمقدمة بنى عليها طلبه: (إنِّي عَجِزْتُ عَنْ كِتَابَتِي فَأعِنِّي) وقد أكد خبره بإن واسمية الجملة حملا له على الاقتناع بمضمونه، وقوله (ألا أعلمك كلمات علمنيهن رسول الله) يحتمل أن تكون ألا للتنبيه، وأن تكون

(١) برقم (٣٥٦٣). وقال الحاكم (٥٣٨/١): هذا حديثٌ صحيحُ الإسناد ولم يخرجاه. أورده المنذري في ترغيبه (٢٧١٤).

(٢) النهاية في (ك ت ب).

(٣) الوسيط في (ك ت ب).

(٤) اللسان والوسيط في (أ د ى).

الهمزة للاستفهام ولا للنفي وسقط الجواب ببلي اختصارا أو إشارة إلى أنه لا يحتاج إليه لأن من المعلوم أنه هو المراد، وغرض الاستفهام العرض والتشويق، والمعنى ألا أخبرك بكلمات أو بفضيلة دعوات، وبين قوله (أعلمك، وعلمنيهن) جناس يؤكد المعنى، ويشير إلى تواصل النور من جيل إلى جيل تضيء به مشكلات العصور، وقوله: (أنه لو كان عليك مثل جبل دينا) استخدم ضمير الشأن للإيذان بتعظيم الأمر وتفخيمه وجملة الشرط بعده تفترض المستحيل مبالغة في بيان أثر هذا الدعاء على دين العبد، والتعبير بالجار، والمجرور (عليك) يوحي بثقل الحمل، وتنكير لفظ (دينا) للتعظيم أي دينا عظيما لأنه شبهه بالجبل، والتعبير بالماضي (أداه) يفيد تحقق القضاء عنه قال الطيبي اكتفي بالتعليم إما لأنه لم يكن عنده مال يعطيه فرده أحسن رد عملا، وإما لأن الأولى بحاله ذلك، وقوله (اللهم) اكفني أمر من كفى يكفي بحلالك عن حرامك أي متجاوزا أو مستغنيا عنه وأغنني بفضلك عمن سواك، وبين قوله حلالك، وبين حرامك طباق يؤكد المعنى، ويقويه ويؤكد على توفر البديل الصالح.

المضامين الدعوية

أولاً: من آداب المدعو: طلب رأي أهل العلم ومشاورتهم فيما يعرض له من مشكلات.

ثانيًا: من مهام الداعية: دلالة المدعوين وإرشادهم إلى ما يعينهم على ما يعرض لهم من مشكلات.

ثالثًا: من موضوعات الدعوة: دعاء الله بالكفاية بالحلال عن الحرام والإغناء بفضله عما سواه.

أولاً- من آداب المدعو: طلب رأي أهل العلم ومشاورتهم فيما يعرض له من مشكلات:

هذا واضح من مجيء المكاتب إلى علي بن أبي طالب ﷺ وقوله له: "إني عجزت عن كتابتي فأعنّي". وذلك لأن أهل العلم عندهم من العلم ما يمكنهم من إرشاد المدعو إلى ما ينفعه. ومن هذا القبيل ما رواه علي بن أبي طالب ﷺ قال: ((إنَّ فاطمةَ عليها السلامُ شكت ما تَلقى في يدها من الرَّحى فأتَتِ النبيَّ ﷺ تسألهُ خادمًا، فلم تجِدْهُ، فذكرَت ذلكَ لعائشة، فلما جاءَ أخبرَته، قال: فجاءَنا وقد أخَذْنا مَضاجِعَنا، فذهبْتُ

أقومُ، فقال: مكانكِ، فجلسَ بيننا حتى وجدتُ بردَ قدَمَيهِ على صدري، فقال: ألا أدُلكما على ما هو خيرٌ لكما من خادم؟ إذا أوَيتما إلى فراشِكما -أو أخذتما مَضاجعَكما- فكبرا أربعًا وثلاثين، وسَبحا ثلاثًا وثلاثين، واحمدا ثلاثًا وثلاثين، فهذا خيرٌ لكما من خادم))[1].

قال ابن حجر: (وفي الحديث منقبة ظاهرة لعلي وفاطمة عليهما السلام وفيه بيان إظهار غاية التعطف والشفقة على البنت والصهر، ونهاية الاتحاد برفع الحشمة والحجاب حيث لم يزعجهما عن مكانهما، فتركهما على حالة اضطجاعهما وبالغ حتى أدخل رجله بينهما، ومكث بينهما حتى علمهما ما هو الأولى بحالهما من الذكر عوضًا عما طلباه من الخادم، فهو من باب تلقي المخاطب بغير ما يطلب إيذانًا بأن الأهم من المطلوب هو التزود للمعاد والصبر على مشاق الدنيا والتجافي عن دار الغرور... وفيه أن من واظب على هذا الذكر عند النوم لم يصبه إعياء، لأن فاطمة شكت التعب من العمل فأحالها ﷺ على ذلك، كذا أفاده ابن تيمية، وفيه نظر ولا يتعين رفع التعب بل يحتمل أن يكون من واظب عليه لا يتضرر بكثرة العمل ولا يشق عليه ولو حصل له التعب)[2].

ثانيًا- من مهام الداعية: دلالة المدعوين وإرشادهم إلى ما يعينهم على ما يعرض لهم من مشكلات:

وهذا واضح من قول علي بن أبي طالب رضي الله عنه للمكاتب: ألا أعلمك كلمات علمنيهن رسول الله ﷺ لو كان عليك مثل جبل دينًا أداه الله عنك؟ قل: "اللهم اكفني بحلالك عن حرامك، وأغنني بفضلك عمن سواك".

وهذا كان مع علي بن أبي طالب رضي الله عنه. أما مع سلمان الفارسي فقد كان عبدًا لبعض يهود المدينة وقد أسلم فشغله ((الرق حتى فاته مع رسول الله ﷺ بدر وأحد، قال: ثم قال لي رسول الله ﷺ: كاتب يا سلمان، فكاتبت صاحبي على ثلاثمائة

(١) أخرجه البخاري ٦٣١٨، ومسلم ٢٧٢٧.

(٢) فتح الباري ١١/١٢٤-١٢٥.

نخلة أحييها له بالفقير[1] وبأربعين أوقية، فقال رسول الله ﷺ لأصحابه: أعينوا أخاكم، فأعانوني بالنخل، الرجل بثلاثين وَدِيّة[2]، والرجل بعشرين، والرجل بخمس عشرة، والرجل بعشر، يعني الرجل بقدر ما عنده، حتى اجتمعت لي ثلاثمائة ودية، فقال لي رسول الله ﷺ: اذهب يا سلمان فَفَقِّر لها، فإذا فرغت فائتني أكون أنا أضعها بيدي، ففقرت لها، وأعانني أصحابي، حتى إذا فرغت منها جئته، فأخبرته، فخرج رسول الله ﷺ معي إليها، فجعلنا نقرب له الودي ويضعه رسول الله ﷺ بيده، فوالذي نفس سلمان بيده، ما ماتت منها ودية واحدة، فأديت النخل وبقي علي المال، فأتى رسول الله ﷺ بمثل بيضة الدجاجة من ذهب من بعض المغازي، فقال: ما فعل الفارسي المكاتب؟ قال: فدعيت له، فقال: خذ هذه فأدِّ بها ما عليك يا سلمان، فقلت: وأين تقع هذه يا رسول الله مما علي؟ قال: خذها فإن الله عزَّ وجلَّ سيؤدي بها عنك، قال: فأخذتها، فوزنت لهم منها - والذي نفس سلمان بيده - أربعين أوقية، فأوفيتهم حقهم، وعتقت، فشهدت مع رسول الله ﷺ الخندق، ثم لم يفتني معه مشهد))[3].

ثالثًا- من موضوعات الدعوة: دعاء الله بالكفاية بالحلال عن الحرام والإغناء بفضله عما سواه:

هذا واضح من قوله ﷺ لعلي بن أبي طالب رضي الله عنه: "قل اللهم اكفني بحلالك عن حرامك، وأغنني بفضلك عمن سواك".

قال الطيبي: (طلب المكاتب المال فعلمه رضي الله عنه الدعاء، إما لأنه لم يكن عنده شيء من المال ليعينه فرد أحسن رد عملاً بقوله تعالى: ﴿قَوْلٌ مَّعْرُوفٌ وَمَغْفِرَةٌ خَيْرٌ مِّن صَدَقَةٍ يَتْبَعُهَآ أَذًى﴾[4] أو أرشده إلى أن الأولى والأصلح له أن يستعين بالله لأدائها، ولا يتكل

---

(١) الفقير: هي الحفرة التي تحفر لغرس النخل. حاشية السندي على مسند أحمد ١٤٨/٣٩.

(٢) الودية جمعها الوَدِيُّ: صغار الفسيل، والفسيل واحدته فسيلة وهي النخلة الصغيرة. الوسيط ٦٨٩، ١٠٢٣.

(٣) أخرجه أحمد ٤٤٢/٥ - ٤٤٣، رقم ٢٣٧٣٧، وقال محققو المسند: إسناده حسن ١٤٧/٣٩.

(٤) سورة البقرة، آية: ٢٦٣.

على الغير، وينصر هذا الوجه قوله: "وأغنني بفضلك عمن سواك")[١].

وذلك أن أكل الحرام يدل على سوء حال العبد، يقول ابن القيم: (ما أخذ العبد ما حرم عليه إلا من جهتين: إحداهما: سوء ظنه بربه، وأنه لو أطاعه وآثره لم يعطه خيرًا منه حلالاً.

والثانية: أن يكون عالمًا بذلك وأن من ترك لله شيئًا أعاضه خيرًا منه. ولكن تغلب شهوتُه صبره وهواه عقله. فالأول من ضعف علمه والثاني من ضعف عقله وبصيرته)[٢].

كما أن أكل الحرام يمنع من استجابة الدعاء، فعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: ((إنَّ الله طَيِّبٌ لا يَقْبَلُ إلاَّ الطَّيِّبَ، وإنَّ الله أَمَرَ المؤمنينَ بِمَا أَمَرَ بِهِ المرسلينَ، قالَ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلرُّسُلُ كُلُواْ مِنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَٱعْمَلُواْ صَٰلِحًا ۖ إِنِّى بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ﴾[٣] وقالَ ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُلُواْ مِن طَيِّبَٰتِ مَا رَزَقْنَٰكُمْ﴾[٤] ثم ذَكَرَ الرجُلَ يُطِيلُ السَّفَرَ أَشْعَثَ أَغْبَرَ يَمُدُّ يَدَيْهِ إلى السماءِ يا ربِّ يا ربِّ، ومَطْعَمُهُ حَرَامٌ، ومَشْرَبُهُ حَرَامٌ، ومَلْبَسُهُ حَرَامٌ، وقَدْ غُذِيَ بالحَرَامِ، فأَنَّى يُسْتَجَابُ لَهُ))[٥].

قال ابن رجب الحنبلي: (المؤمن كله طيب: قلبه ولسانه وجسده بما سكن في قلبه من الإيمان، وظهر على لسانه من الذكر، وعلى جوارحه من الأعمال الصالحة التي هي ثمرة الإيمان وداخلة في اسمه، فهذه الطيبات كلها يقبلها الله عز وجل. ومن أعظم ما يحصل به، طيبة الأعمال للمؤمن، طيب مطعمه، وأن يكون من حلال، فبذلك يزكو عمله وفي هذا الحديث إشارة إلى أنه لا يقبل العمل ولا يزكو إلا بأكل الحلال، وأن أكل الحرام يفسد العمل ويمنع قبوله... والمراد بهذا أن الرسل وأممهم مأمورون بالأكل من الطيبات التي هي الحلال وبالعمل الصالح فما دام الأكل حلالاً فالعمل الصالح

---

(١) شرح الطيبي على المشكاة ١٨٢/٥.

(٢) الفوائد ٧٣.

(٣) سورة المؤمنون، آية: ٥١.

(٤) سورة البقرة، آية: ١٧٢.

(٥) أخرجه مسلم ١٠١٥.

مقبول، فإذا كان الأكل غير حلال فكيف يكون العمل مقبولاً؟ وما ذكره بعد ذلك من الدعاء وأنه كيف يتقبل مع الحرام، فهو مثال لاستبعاد قبول الأعمال مع التغذية بالحرام)[1].

(١) جامع العلوم والحكم ١/٢٦٠.

الحديث رقم (١٤٨٩)

١٤٨٩- وعن عِمْرَانَ بن الحُصَيْنِ رضي الله عنهما: أنَّ النبيَّ ﷺ عَلَّمَ أبَاهُ حُصَيْنًا كَلِمَتَيْنِ يَدْعُو بهما: ((اللَّهُمَّ الْهِمْني رُشْدي، وأعِذْني مِنْ شَرِّ نَفْسي)). رواه الترمذيُّ[١]، وقال: (حديث حسن).

ترجمة الراوي:

عمران بن الحُصْين: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (٢٢).

غريب الألفاظ:

ألهمني: ألهم من الإلهام وهو: أن يلقي الله في النفس أمرًا يبعثه على الفعل أو الترك[٢].

رشدي: من الرشد: الهدى والاستقامة على طرق الحق مع تصلب فيه[٣].

وأعذني: أجرني واحفظني من شرها[٤].

الشرح الأدبي

يروي الحديث عِمْرَان بن الحُصَيْنِ رضي الله عنهما مؤكدا بأكثر من مؤكد تعظيما للخبر، وتعظيما لمن يروي عنه، وكونه ناقلا عن أبيه يزيد الخبر توكيدا وقوله (عَلَّمَ أبَاهُ حُصَيْناً كَلِمَتَيْنِ يَدْعُو بهما) فيه أسلوب توشيع بذكر المثنى مجملا ثم تفصيله في الدعاء في قوله (اللَّهُمَّ الْهِمْني رُشْدي، وأعِذْني مِنْ شَرِّ نَفْسي) توجه لله تعالى بصيغة ذات خصوصية في نداء الله وقوله (ألهمني) أي وفقني لما فيه الصلح، والتعبير بالإلهام فيه إرشاد في سر وخفاء وتوجيه بشرح الصدر، وإضافة الرشد إلى ضمير المتكلم فيه

---

(١) برقم (٣٤٨٣). وصحّحه ابن حبان (٨٩٩). وقال الحاكم (١/٥١٠): هذا حديثٌ صحيحٌ على شرط الشيخين ولم يخرجاه.

(٢) النهاية في (ل هـ م).

(٣) النهاية ٣٥٩٢، القاموس المحيط في (ر ش د).

(٤) النهاية في (ع و ذ).

إشارة إلى أن الرشاد مركوز في الفطر بربوبية الله التي تستلزم طاعة، وإتباع منهجه، ولكن النفوس قد يعرض لها من الأهواء الفاسدة ما يصرفها عن هذه الفطرة النقية، وقوله (وأعِذْنِي مِنْ شَرِّ نَفْسي) أي أجرني، واحفظني من شرها، فإنها منبع الفساد، وهذا الحديث من جوامع الكلم النبوية لأن طلب إلهام الرشد يكون به السلامة من كل ضلال والاستعاذة من شر النفس يكون بها السلامة من غالب معاصي الله سبحانه فإن أكثرها من جهة النفس الأمارة بالسوء.

المضامين الدعوية

أولاً: من مهام الداعية: تعليم المدعوين الدعاء.

ثانيًا: من موضوعات الدعوة: الدعاء بطلب الاهتداء إلى الصلاح والتعوذ من شر النفس.

ثالثًا: من موضوعات الدعوة: الدعاء بجوامع الدعاء.

أولاً- من مهام الداعية: تعليم المدعوين الدعاء:

هذا واضح من قول عمران بن الحصين رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم علّم أباه حصينًا كلمتين يدعو بهما.

وقد وردت أحاديث أخرى في قيام النبي صلى الله عليه وسلم بتعليم صحابته الكرام رضوان الله عليهم الدعاء، فعن ابن عباس رضي الله عنهما قال: ((إنَّ رَسُولَ اللّهِ كَانَ يُعَلِّمُهُمْ هذَا الدُّعَاءَ، كَمَا يُعَلِّمُهُمُ السُّورَةَ مِنَ الْقُرْآنِ، يَقُولُ: قُولُوا: اللَّهُمَّ إِنَّا نَعُوذُ بِكَ مِنْ عَذَابِ جَهَنَّمَ، وَأَعُوذُ بِكَ مِنْ عَذَابِ الْقَبْرِ، وَأَعُوذُ بِكَ مِنْ فِتْنَةِ الْمَسِيحِ الدَّجَّالِ، وَأَعُوذُ بِكَ مِنْ فِتْنَةِ الْمَحْيَا وَالْمَمَاتِ))[1].

وعن سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه قال: ((كان النبي صلى الله عليه وسلم يُعلمنا هؤلاء الكلمات كما تُعلَّمُ الكِتابة: اللهمَّ إني أعوذُ بك منَ البُخلِ، وأعوذ بكَ منَ الجبن، وأعوذ بك من أن نُرَدَّ إلى أرذلِ العُمرِ، وأعوذ بك من فتنةِ الدُّنيا وعذابِ القبر))[2].

(١) أخرجه مسلم ٥٩٠.

(٢) أخرجه البخاري ٦٣٩٠.

ومنها تعليم النبي ﷺ صحابته دعاء الاستخارة قال جابر بن عبدالله رضي الله عنهما: ((كان النبيُّ ﷺ يُعلِّمنا الاستِخارةَ في الأمور كلِّها كالسُّورةِ منَ القرآن...)) الحديث[1].

قال ابن حجر: (وفي الحديث شفقة النبي ﷺ على أمته وتعليمهم جميع ما ينفعهم في دينهم ودنياهم)[2].

أما الداعية في هذا العصر فإنه يعلم المدعوين الدعاء الذي دعا به النبي ﷺ أو أرشد إلى الدعاء به، وذلك لأن الدعاء سلاح المؤمن يلجأ به إلى الله عز وجل مُظهرًا فقره وذله إليه سبحانه وراجيًا منه أن يُعينه ويوفقه ويسدّده ويلهمه طريق الخير والرشاد، فالعبد لا يملك من أمره شيئًا وإنما الأمر كله لله جل وعلا.

ثانيًا- من موضوعات الدعوة: الدعاء بطلب الاهتداء إلى الصلاح والتعوذ من شر النفس:

هذا واضح من الحديث "أن النبي ﷺ علّم أباه حصينًا كلمتين يدعو بهما: "اللهم ألهمني رُشْدي وأعذني من شرِّ نفسي"، والحديث في سنن الترمذي لفظه: ((قالَ النبيُّ لأَبي: يا حُصَيْنُ كَمْ تَعْبُدُ اليَوْمَ إلهًا؟ قالَ: أَبي: سَبْعَةً: سِتَّةً في الأَرْضِ، وَوَاحِدًا في السَّمَاءِ، قالَ: فأَيُّهُمْ تَعُدُّ لِرَغْبَتِكَ وَرَهْبَتِكَ؟ قالَ الَّذي في السَّمَاءِ، قالَ يا حصينُ أما إنك لَوْ أَسْلَمْتَ عَلَّمْتُكَ كَلِمَتَيْنِ تَنْفَعَانِكَ، قالَ: فَلَمَّا أَسْلَمَ حُصَيْنٌ قالَ يا رَسُولَ الله عَلِّمْنِي الكَلِمَتَيْنِ اللَّتَيْنِ وَعَدْتَنِي، فقالَ قُل اللَّهُمَّ أَلْهِمْنِي رُشْدِي، وَأَعِذْنِي مِنْ شَرِّ نَفْسِي))[3].

ولفظه عن عمران بن الحصين أو غيره: ((أن حُصينا -أو حَصينا- أتى رسول الله ﷺ فقال: يا محمد، لعبد المطلب كان خيرًا لقومه منك، كان يطعمهم الكبد والسنام، وأنت تنحرهم. فقال له النبيّ ﷺ ما شاء الله أن يقول، فقال له: ما تأمرني أن أقول؟ قال: قل: اللهم قني شر نفسي واعزم لي على أَرْشد أمري! قال: فانطلق فأسلم الرجل ثم

---

(١) أخرجه البخاري ٦٣٨٢.

(٢) فتح الباري ١١/١٨٧، ط السلفية.

(٣) أخرجه أحمد ٤/٤٤٤، رقم ١٩٩٩٢، وقال محققو المسند: صحيح على شرط الشيخين ٣٣/١٩٧.

جاء، فقال: إني أتيتك فقلت لي: قل: اللهم قني شر نفسي واعزم لي على أرشد أمري، فما أقول الآن؟ قال: قل: اللهم اغفر لي ما أسررت وما أعلنت وما أخطأت وما عمدت وما علمت وما جهلت))[1].

قال الطيبي: (قوله "أما إنك لو أسلمت" هذا من باب إرخاء العنان والكلام المنصف، لأن من حق الظاهر بعد إقراره أن يقال له: أسلم ولا تعاند، وأما الإشارة إلى الاستعاذة من شر النفس فإيذان بأن اتخاذ تلك الآلهة ليست إلا هوى النفس الأمارة بالسوء، وأن المرشد إلى الطريق المستقيم، والدين القويم هو الله تعالى)[2].

وقال المباركفوري: ("كلمتين": أي دعوتين "تنفعانك" أي في الدارين "اللهم ألهمني رشدي" أي وفقني إلى الرشد وهو الاهتداء إلى الصلاح "وأعذني من شر نفسي" أي أجرني واحفظني من شرها فإنها منبع الفساد)[3].

وقد قال الله تعالى: ﴿وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّىٰهَا ۝٧ فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَىٰهَا ۝٨ قَدْ أَفْلَحَ مَن زَكَّىٰهَا ۝٩ وَقَدْ خَابَ مَن دَسَّىٰهَا﴾[4].

وقال عمران بن الحصين رضي الله عنه: ((يَا رَسُولَ اللَّهِ أَرَأَيْتَ مَا يَعْمَلُ النَّاسُ الْيَوْمَ، وَيَكْدَحُونَ فِيهِ، أَشَيْءٌ قُضِيَ عَلَيْهِمْ وَمَضَىٰ فِيهِمْ مِنْ قَدَرٍ قَدْ سَبَقَ، أَوْ فِيمَا يُسْتَقْبَلُونَ بِهِ مِمَّا أَتَاهُمْ بِهِ نَبِيُّهُمْ، وَثَبَتَتِ الْحُجَّةُ عَلَيْهِمْ؟ فَقَالَ: لاَ. بَلَ شَيْءٌ قُضِيَ عَلَيْهِمْ وَمَضَىٰ فِيهِمْ. وَتَصْدِيقُ ذَٰلِكَ فِي كِتَابِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّىٰهَا ۝٧ فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَىٰهَا ۝٨ قَدْ أَفْلَحَ مَن زَكَّىٰهَا ۝٩ وَقَدْ خَابَ مَن دَسَّىٰهَا﴾))[5].

---

(١) أخرجه أحمد ٤٤٤/٤، رقم ١٩٩٩٢ وهو في السنن الكبرى للنسائي ١٠٧٦٤، ١٠٧٦٥. وانظر: تخريجه بتوسع في تخريج مسند أحمد ١٩٧/٣٣.

(٢) شرح الطيبي على المشكاة ١٩٧/٥.

(٣) تحفة الأحوذي، ٢٤٧٣/٢.

(٤) سورة الشمس، الآيات: ٧-١٠.

(٥) أخرجه مسلم ٢٦٥٠.

قال ابن القيم: (وفي هذا ما يبيّن أن الأمر كله له سبحانه فإنه هو خالق النفس وملهمها الفجور والتقوى، وهو مزكيها ومدسيها، فليس للعبد في الأمر شيء. ولا هو مالك من أمر نفسه شيئًا)[١].

وقال ابن القيم كذلك: (أصل الخير كله - بتوفيق الله ومشيئته - شرف النفس ونبلها وكبرها. وأصل الشر خستها ودناءتها وصغرها. قال تعالى: ﴿قَدْ أَفْلَحَ مَن زَكَّىٰهَا ۝ وَقَدْ خَابَ مَن دَسَّىٰهَا﴾[٢] أي أفلح من كبّرها وكثّرها ونمّاها بطاعة الله وخاب من صغّرها وحقّرها بمعاصي الله. فالنفوس الشريفة لا ترضى من الأشياء إلا بأعلاها وأفضلها وأحمدها عاقبة، والنفوس الدنيئة تحوم حول الدناءات وتقع عليها كما يقع الذباب على الأقذار، فالنفس البشرية العلية لا ترضى بالظلم ولا بالفواحش ولا بالسرقة والخيانة. لأنها أكبر من ذلك وأجل. والنفس المهينة الحقيرة الخسيسة بالضد من ذلك. فكل نفس تميل إلى ما يناسبها ويشاكلها وهذا معنى قوله تعالى: ﴿قُلْ كُلٌّ يَعْمَلُ عَلَىٰ شَاكِلَتِهِۦ﴾[٣] أي على ما يشاكله ويناسبه فهو يعمل على طريقته التي تناسب أخلاقه وطبيعته، وكل إنسان يجري على طريقته ومذهبه وعاداته التي ألفها وجبل عليها، فالفاجر يعمل بما يشبه طريقته من مقابلة النعم بالمعاصي والإعراض عن المنعم، والمؤمن يعمل بما يشاكله من شكر المنعم ومحبته والثناء عليه، والتودد إليه والحياء منه والمراقبة له، وتعظيمه وإجلاله)[٤].

ثالثًا- من موضوعات الدعوة: الدعاء بجوامع الدعاء:

قال المباركفوري: (وهذا الحديث من جوامع الكلم النبوية لأن طلب إلهام الرشد يكون به السلامة من كل ضلال، والاستعاذة من شر النفس يكون بها السلامة في

---

(١) بدائع التفسير ٥/٢٢٩.

(٢) سورة الشمس، الآيتان: ٩-١٠.

(٣) سورة الإسراء، آية: ٨٤.

(٤) الفوائد، ص ٢٥٤.

غالب معاصي الله سبحانه، فإن أكثرها من جهة النفس الأمارة بالسوء)[1].

وقد كان النبي ﷺ يستحب الجوامع من الدعاء كما أخبرت بذلك عائشة[2].

ومن جوامع دعاء النبي ﷺ ما رواه أنس بن مالك رضي الله عنه قال: كنت أسمع رسول الله ﷺ يكثر أن يقول: ((اللهم إني أعوذُ بك من الهم والحزَنِ، والعجْزِ والكسَلِ، والبُخلِ والجُبنِ، وضَلَع الدينِ، وغَلَبةِ الرجال))[3].

قال ابن حجر: (قال الكرماني: هذا الدعاء من جوامع الكلم، لأن أنواع الرذائل ثلاثة: نفسانية وبدنية وخارجية، فالأولى بحسب القوة للإنسان وهي ثلاثة: العقلية والغضبية والشهوانية، فالهم والحزن يتعلق بالعقلية والجبن بالغضبية والبخل بالشهوانية والعجز والكسل بالبدنية. والثاني يكون عند سلامة الأعضاء وتمام الآلات والقوى. والأول عند نقصان عضو ونحوه. والضَلَع والغلبة بالخارجية فالأول مالي والثاني جاهي، والدعاء مشتمل على جميع ذلك)[4].

---

(١) تحفة الأحوذي ٢/٢٤٧٣.

(٢) أخرجه أبو داود ١٤٨٢، وصححه الألباني (صحيح سنن أبي داود ١٣١٥).

(٣) أخرجه البخاري ٦٣٦٣.

(٤) فتح الباري ١١/١٧٤، ط السلفية.

الحديث رقم (١٤٩٠)

١٤٩٠- وعن أَبي الفضل العباس بن عبد المطلب رضي الله عنه قَالَ: قُلْتُ: يَا رسول الله عَلِّمْني شَيْئًا أسْأَلُهُ الله تَعَالَى، قَالَ: ((سَلُوا الله العَافِيَةَ)) فَمَكَثْتُ أَيَّامًا، ثُمَّ جِئْتُ فَقُلتُ: يَا رسولَ الله عَلِّمْنِي شَيْئًا أسْأَلُهُ الله تَعَالَى، قَالَ لي: ((**يَا عَبَّاسُ، يَا عَمَّ رسول اللهِ، سَلُوا الله العَافِيَةَ فِي الدُّنيَا والآخِرَةِ**)). رواه الترمذيُّ[1]، وقال: (حديث حسن صحيح).

ترجمة الراوي:

العباس بن عبد المطلب: هو العباس بن عبدالمطلب بن عبد مناف بن قُصَيٍّ بن كِلاب بن مُرَّة، من ولد عدنان، من نسل خليل الرحمن إبراهيم عليه السلام وهو عم رسول الله صلى الله عليه وسلم ومن أكابر قريش في الجاهلية والإسلام، وجَدُّ الخلفاء العباسيين، وُلِدَ قبل قدوم أصحاب الفيل بثلاث سنين، ضاع وهو صغير فنذرت أمه إن وجدته أن تكسو البيت الحرير، فوجدته فكست البيت الحرير، فهو ابن أول من كست البيت الحرير، وكان أسنَّ من النبي صلى الله عليه وسلم بثلاث سنين، كان يكني بأبي الفضل أكبر أولاده، له صحبة ورواية، فله في كتب الحديث (٣٥) حديثًا.

وكان العباس رضي الله عنه في الجاهلية رئيسًا في قريش وإليه كانت السقاية، وعمارة المسجد الحرام، بمعنى أنه كان لا يدع أحدًا يسُبُّ في المسجد الحرام، ولا يقول هُجرًا، لا يستطيعون لذلك امتناعًا، لأن قريشًا كانوا قد اجتمعوا وتعاقدوا على ذلك فكانوا له أعوانًا، كما كان جوادًا، مُطعمًا، وصولاً للرحِم، وكان يمنع الجار، ويبذل المال، ويعطى في النوائب، قال الزبير بن بكّار: كان للعباس ثوب لعاري بني هاشم، وجفنة لجائعهم ومِقْطرة لجاهلهم، كما كان مولعًا بإعتاق العبيد، كارهًا للرق، اشترى ٧٠ عبدًا وأعتقهم، وكان ممن يكتم إيمانه وهو بمكة فَرَقا من أن يَثِبَ عليهم أبو لهب وقريش كما أوثقت بنو مخزوم سلمة بن هشام وعباس بن أبي ربيعة وغيرهما، خرج في

---

(١) برقم (٣٥١٤). وأورده المنذري في ترغيبه (٤٩٦٦) من رواية ابن أبي الدنيا، والحاكم مختصرًا. وقال الحاكم (٥٢٩/١): هذا حديث صحيحٌ على شرط البخاري، وقد روي بلفظ آخر.

بدر مع المشركين كرها، ووقع في الأسر وفدى نفسه، ثم لما رجع إلى مكة أسلم كل من شهد بدرًا من المشركين من بني هاشم ثم أقبلوا إلى المدينة مهاجرين.

أظهر إسلامه يوم فتح مكة، وكان قد قدم هو ونوفل بن الحارث إلى المدينة مهاجرين، فآخى رسول الله ﷺ بينهما، شهد العباس حنينا والطائف وتبوك وكان أقرب الناس إلى رسول الله ﷺ أردفه النبي ﷺ في حجته، وكان رسول الله ﷺ يثق به في الأمر كله، وكان العباس أكثر الناس نصرة لرسول الله ﷺ بعد أبي طالب، حضر مع النبي ﷺ يشترط له على الأنصار، ويؤكد له البيعة عليهم، وفي غزوة حنين ثبت مع رسول الله ﷺ لما انهزم الناس وكان رجلاً جهوري الصوت فعن العباس قال: شهدت مع رسول الله ﷺ حنينًا فلقد رأيت النبي ﷺ وما معه إلا أنا وأبو سفيان بن الحارث بن عبدالمطلب، فلزمنا رسول الله ﷺ فلم نفارقه وهو على بغلة شهباء أو بيضاء فلما التقى المسلمون والكفار ولى المسلمون مدبرين... وأنا آخذ بلجام بغلة رسول الله ﷺ ... فقال رسول الله ﷺ: يا عباس ناد: يا أصحاب السَّمُرة...[1] [2].

وقوّى الإسلام من خصال الخير ومكارم الأخلاق فيه، فازداد كرمًا وحسنًا في الرأي وكان ذا دعوة مستجابة، أثنى رسول الله ﷺ عليه فقال: ((هذا العباس بن عبدالمطلب أجود قريش وأوصلها))[3].

وكان إذا قحط أهل المدينة استُسقِي بالعباس فعن أنس رضي الله عنه أن عمر بن الخطاب كان إذا قحِطُوا اسْتَسْقَى بالعباس بن عبدالمطلب، فقال: اللهم إنا كنا نتوسل إليك بنبينا ﷺ فتَسْقِينَا، وإنا نتوسل إليك بعم نبينا فاسقنا، قال: فيُسْقَون[4].

وكان أصحاب رسول الله ﷺ يعرفون للعباس فضله ويقدمونه ويشاورونه ويأخذون برأيه.

---

(١) أخرجه أحمد (٢٩٦/٣) حديث رقم ١٧٧٥، وقال محققو المسند: إسناده صحيح على شرط الشيخين.

(٢) السمرة: هي الشجرة التي كانت عندها بيعة الرضوان عام الحديبية، النهاية في (س م ر).

(٣) أخرجه أحمد ٢٠٧/١، رقم (١٦١٠) وقال محققو المسند إسناده حسن ١٦١/٣.

(٤) أخرجه البخاري حديث رقم (٣٧١٠).

في عهد عمر لما أراد أن يوسع مسجد النبي ﷺ، وكانت دار العباس ملاصقة للمسجد، تصدق بها ليوسع المسجد، وخط له عمر ولأهله دارًا غيرها وبناها من بيت مال المسلمين، عَمِيَ في آخى زمانه فصبر، وكانت وفاته بالمدينة المنورة يوم الجمعة لاثنتي عشرة ليلة خلت من رجب أو رمضان سنة ٣٢ قبل مقتل عثمان بسنتين، وقيل سنة (٣٣) شهد عثمان غسله وصلى عليه، ودفن بالبقيع، وهو ابن (٨٨) وقيل (٨٩) سنة، أدرك في الإسلام ٣٢ سنة، وفي الجاهلية (٥٦) سنة[١].

غريب الألفاظ:

أسأله: أطلبه [٢].

العافية: أن تسلم من الأسقام والبلايا، وهي الصحة التامة[٣].

الشرح الأدبي

هذا الحديث من جوامع كلمه ﷺ وهو عبارة عن جملة قصيرة شديدة الإيجاز عميقة الدلالة استوعبت خير الدنيا، والآخرة وقد وردت في حوار بين الفضل العباس بن عبد المطلب، وبين رسول ﷺ في طلب استرشاد وتعليم من أبي الفضل العباس، وتنكير لفظ (شيئا) للتعظيم لأنه يريد شيئا يسيرا قوليا يسأل الله به ليس فيه كلفة مع عظم الأجر فقال (سلوا الله العافية) ومن الملاحظ أن السائل مفرد والأمر متصل بواو الجماعة المؤذنة بخطاب الجمع دلالة على أهمية الخبر، وأنه لعظمه لم يختص بشخص دون غيره، وسؤال الله له خصوصيات منها أنه عز وسؤال غيره ذل، ومنها: أنه محقق لأنه قادر يحب أن يُسئل وغيره يكره أن يسئل، ومنها أنه محض العبادة وخالصها، وسؤال العافية يتضمن السلامة، وعدم تقييدها بشيء يجعلها عافية عامة تستلزم السلامة من كل شر دنيوي، وأخروي، وتتميز هذه العبارة بإيجازها وعمق معناها،

---

(١) طبقات ابن سعد (٤/٥-٣٤)، الاستيعاب (٥٥٦-٥٥٨)، أسد الغابة (٣/١٦٣-١٦٦)، الإصابة (٦٨٠، ٦٨١)، سير أعلام النبلاء (٢/٧٨-١٠٣)، تهذيب الكمال (٤/٧٠-٧٢)، تهذيب التهذيب (٢/٢٩١)، الأعلام (٣/٢٦٢)، موسوعة عظماء حول الرسول (٢/١١٤٣-١١٥٣).

(٢) النهاية في (س أ ل)، تحفة الأحوذي ٢/٢٤٨٨.

(٣) النهاية والوسيط في (ع ف و).

وسهولة حفظها، وتناقلها، وشمولها لكل خير لأنها تتضمن نفي كل شر، وكل شر تنفيه، تثبت ضده ضمنا، وتكرار السؤال من الفضل يشير إلى أنه أراد ما هو أكثر من هذه الدعوة الموجزة ((يَا عَبَّاسُ، يَا عَمَّ رسول اللّهِ، سَلُوا اللّه العَافِيَةَ في الدُّنيَا والآخِرَةِ)) وتكرار النداء فيه تنبيه، وتكريم بنسبته إلى رسول الله، وتكرار الدعاء تقرير فوق تقرير لعظمة محتواه، وإشارة إلى أنه كافٍ له مناسب لحاله، وحال كل داع لا يسعه الوقت أو لا يسعه الجهد أو العقل لوجازته، وشموله لأطراف الخير.

المضامين الدعوية

أولاً: من موضوعات الدعوة: فضل العباس بن عبدالمطلب رضي الله عنه.

ثانيًا: من موضوعات الدعوة: حرص الصحابة رضوان الله عليهم على أن يعلمهم النبي ﷺ ما يدعون به.

ثالثًا: من موضوعات الدعوة: سؤال الله العافية في الدنيا والآخرة.

أولاً- من موضوعات الدعوة: فضل العباس بن عبدالمطلب رضي الله عنه:

هذا واضح من إعادة العباس سؤال الرسول ﷺ مرتين أن يعلمه شيئًا يدعو به الله، وفي المرّة الثانية قال له رسول الله ﷺ: يا عباس يا عم رسول الله. قال الذهبي عنه: (عم رسول الله ﷺ لم يزل مشفقًا على النبي ﷺ محبًا له صابرًا على الأذى ولما يسلم بعد، بحيث إنه ليلة العقبة عرف، وقام مع ابن أخيه في الليل وتوثق له من السبعين [من الأنصار] ثم خرج إلى بدر مع قومه مكرهًا فأسر فأبدى لهم أنه كان أسلم ثم رجع إلى مكة، فما أدري لماذا أقام بها، ثم لا ذكر له يوم أحد، ولا يوم الخندق، ولا خرج مع أبي سفيان، ولا قالت له قريش في ذلك شيئًا فيما علمت. ثم جاء إلى النبي ﷺ مهاجرًا قبيل فتح مكة... كان من أطول الرجال وأحسنهم صورة وأبهاهم وأجهرهم صوتًا مع الحلم الوافر والسؤدد... وكان يمنع الجار ويبذل المال ويعطي في النوائب... وثبت أن العباس كان يوم حنين وقت الهزيمة آخذا بلجام بغلة النبي ﷺ وثبت معه حتى نزل النصر[1]).

وثبت من حديث أنس: أن عمر استسقى فقال: اللهم إنا كنا إذا قحطنا على عهد

---

(١) أخرجه مسلم ١٧٧٥.

نبيك توسلنا به، وإنا نستسقي إليك بعم نبيك العباس[١].

ابن أبي الزناد عن هشام عن أبيه عن عائشة قالت: ما رأيت رسول الله ﷺ يجلّ أحدًا ما يجلّ العباس أو يكرم العباس. إسناده صالح.

وورد أن عمر عمد إلى ميزاب للعباس على ممر الناس فقلعه، فقال له أشهد أن رسول الله ﷺ هو الذي وضعه في مكانه، فأقسم عمر: لتصعدن على ظهري ولتضعنه موضعه[٢]. وقد عاش ثمانيًا وثمانين سنة ومات سنة اثنتين وثلاثين، فصلّى عليه عثمان ودفن بالبقيع)[٣].

ثانيًا- من موضوعات الدعوة: حرص الصحابة رضوان الله عليهم على أن يعلمهم النبي ﷺ ما يدعون به:

هذا واضح من قول العباس رضي الله عنه للنبي ﷺ: "يا رسول الله علمني شيئًا أسأله الله تعالى"، فهذا يدل على أن الصحابة كانوا حريصين على أن يتعلموا الدعاء من النبي ﷺ، حتى يتبعوه ويلتزموه. وذلك اقتداء بالنبي فيما فعله واتباعًا لما أرشد إليه. يقول بكر بن عبدالله أبو زيد عن قواعد التعبد بالذكر والدعاء: (القاعدة الثانية: قاعدة التأسي والاقتداء في الدعاء: فالدعاء الواجب أو المستحب هو الدعاء المشروع إذ الاستحباب حكم لا يتلقى إلا من الشارع فما لم يشرعه لا يكون مستحبًا، بل يكون شرع من الدين ما لم يأذن به الله، فإن الدعاء من أعظم الدين[٤].

وإذا علمت ذلك وعلمت شروط الدعاء وآدابه وتلمس أوقاته، فاعلم أن ملاك ذلك هو: "١- الإخلاص ٢- والمتابعة" متأسيًا بالنبي ﷺ في الدعاء مطلقًا بالوارد أو من جنس الوارد، مما لا يأباه الشرع. لكن ما ورد بنص الشرع خيرٌ من اختيار العبد. وكذلك في دائرة قاعدة التعبد العظيمة. وهي "أن الأصل في الدعاء التحريم إلا ما دلّ

---

(١) أخرجه البخاري ١٠١٠.

(٢) أخرجه أحمد ٢١٠/١، رقم ١٧٩٠، وقال محققو المسند: حسن ٣٠٨/٣، ٣٠٩.

(٣) سير أعلام النبلاء للذهبي ٧٨/٢-١٠٣.

(٤) انظر: مجموع الفتاوى ٦٣٣/١١، ط العبيكان، ٤٧٥/٢٢ ط ابن قاسم.

الدليل على جوازه"[١] وهي التي صاغها الأئمة بقولهم "وقف العبادة على النص ومورده في جهات التعبد الست" وهي: السبب والجنس والمقدار والكيفية والزمان والمكان. فإن اختلت واحدة من هذه الجهات كان في الدعاء غلط أو اعتداء والله سبحانه يقول: ﴿ٱدْعُواْ رَبَّكُمْ تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلْمُعْتَدِينَ﴾[٢][٣].

ثالثًا- من موضوعات الدعوة: سؤال الله العافية في الدنيا والآخرة:

هذا واضح من أمره ﷺ العباس مرتين بأن يسأل الله العافية، وقد روي حديثٌ في هذا المعنى. وقد يستأنس به في هذا المقام، فعن أنس بن مالك: ((أَنَّ رَجُلاً جاءَ إلى النبيِّ فقالَ يَا رَسُولَ الله أيُّ الدُّعَاءِ أفْضَلُ؟ قالَ: سَلْ رَبَّكَ العَافِيَةَ وَالمُعَافَاةَ في الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ، ثُمَّ أَتَاهُ في اليَوْمِ الثَّانِي فقَالَ يا رَسُولَ الله أيُّ الدُّعَاءِ أفْضَلُ؟ فقالَ لَهُ مِثْلَ ذَلِكَ، ثُمَّ أَتَاهُ في اليَوْمَ الثَّالِثِ فقالَ لَهُ مِثْلَ ذَلِكَ قَالَ: فإِذَا أُعْطِيتَ العَافِيَةَ في الدُّنْيَا وأُعْطِيتَهَا في الآخِرَةِ فَقَدْ أفْلَحْتَ))[٤].

وعن أبي بكر الصديق رضي الله عنه عن النبي ﷺ أنه قال: ((سلوا الله العفو والعافية والمعافاة، فإنه ما أوتي عبدٌ بعد يقين خيرًا من معافاة))[٥]. (فالشر الماضي يزول بالعفو، والحاضر بالعافية، والمستقبل بالمعافاة، لتضمنها دوام العافية، فهو من أجمع الدعاء)[٦].

وقال ابن الأثير: (العافية أن تسلم من الأسقام والبلايا وهي الصحة وضد المرض والمعافاة هي أن يعافيك الله من الناس ويعافيهم منك أي يغنيك عنهم ويغنيهم عنك. ويصرف أذاهم عنك وأذاك عنهم. وقيل: هي مفاعلة من العفو، وهي أن يعفو عن الناس

---

(١) الفروق للقرافي ٤/٤٠٩.

(٢) سورة الأعراف، آية: ٥٥.

(٣) تصحيح الدعاء: بكر بن عبدالله أبو زيد، ص ٤١.

(٤) أخرجه الترمذي ٣٥١٢، وابن ماجه ٣٨٤٨، وضعفه الألباني (ضعيف سنن الترمذي ٦٩٨).

(٥) أخرجه أحمد ٣/١، رقم ٥، واللفظ له. وقال محققو المسند: إسناده صحيح ١٨٤/١، والنسائي في السنن الكبرى ١٠٦٥١/٩.

(٦) الروض المربع شرح زاد المستقنع للبهوتي. وحاشية ابن قاسم عليه ٤٧١/٣. وانظر: توضيح الأحكام للشيخ البسام ٢٤٠/٣.

ويعفو هم عنه)[١].

وقال الفيروزآبادي: (العافية: دفاع الله عن العبد، عافاه الله تعالى من المكروه عفاءً ومعافاة وعافية: وهب له العافية من العلل والبلاء. والمعافاة: أن يعافيك الله من الناس ويعافيهم منك)[٢].

وقال المباركفوري: (في الحديث التصريح بأن الدعاء بالعافية أفضل الدعاء، ولا سيما بعد تكريره للسائل في ثلاثة أيام، حين أتاه للسؤال عن أفضل الدعاء، فأفاد هذا أن الدعاء بالعافية أفضل من غيره من الأدعية، ثم في قوله "فإذا أعطيت العافية في الدنيا وأعطيتها في الآخرة فقد أفلحت" دليل ظاهر واضح بأن الدعاء بالعافية يشمل أمور الدنيا والآخرة، لأنه قال هذه المقالة بعد أن قال له "سل ربك العافية" ثلاث مرات. فكان ذلك كالبيان لعموم بركة هذه الدعوة بالعافية لمصالح الدنيا والآخرة. ثم رتب على ذلك الفلاح الذي هو المقصد الأسنى والمطلوب الأكبر.. وفي أمره ﷺ للعباس بالدعاء بالعافية بعد تكرير العباس سؤاله بأن يعلمه شيئًا يسأل الله به، دليل جلي بأن الدعاء بالعافية لا يساويه شيء من الأدعية ولا يقوم مقامه شيء من الكلام الذي يدعى به ذو الجلال والإكرام. وقد تقدم تحقيق معنى العافية أنها دفاع الله عن العبد. فالداعي قد سأل ربه دفاعه عن كل ما ينوبه. وقد كان رسول الله ﷺ ينزل عمه العباس منزلة أبيه ويرى له من الحق ما يرى الولد لوالده، ففي تخصيصه بهذا الدعاء وقصره على مجرد الدعاء بالعافية، تحريك لهمم الراغبين على ملازمته، وأن يجعلوه من أعظم ما يتوسلون به إلى ربهم -سبحانه وتعالى- ويستدفعون به في كل ما يهمهم. ثم كلمه ﷺ بقوله: "سل الله العافية في الدنيا والآخرة" فكان هذا الدعاء من هذه الحيثية قد صار عدة لدفع كل ضر وجلب كل خير. والأحاديث في هذا المعنى كثيرة جدًا، قال الجزري في عدة الحصن الحصين: (لقد تواتر عنه ﷺ دعاؤه بالعافية، وورد عنه ﷺ لفظًا ومعنى من خمسين طريقًا)[٣].

---

(١) النهاية في غريب الحديث ص ٦٢٧.

(٢) القاموس المحيط، ص ١٣١٣.

(٣) تحفة الأحوذي ٢/٢٤٨٨-٢٤٨٩.

وعن ابن عمر رضي الله عنهما قال: ((لم يكن رسول الله ﷺ يَدَعُ هؤلاء الدعوات حين يمسي وحين يصبح: اللهم إني أسألك العفو والعافية في الدنيا والآخرة، اللهم إني أسألك العفو والعافية في ديني ودنيايَ وأهْلي ومالي. اللهم استر عوراتي وآمن روعاتي واحفظني من بين يديّ ومن خلفي وعن يميني وعن شمالي ومن فوقي وأعوذ بك أن أغتال من تحتي))(١).

قال الصنعاني: (العافية في الدين السلامة من المعاصي والابتداع، وترك ما يجب والتساهل في الطاعات. وفي الدنيا السلامة من شرورها ومصائبها. وفي الأهل السلامة من سوء العشرة والأمراض والأسقام وشغلهم بطلب التوسع في الحطام. وفي المال السلامة من الآفات التي تحدث فيه)(٢).

---

(١) أخرجه ابن ماجه ٣٨٧١، وصححه الألباني (صحيح سنن ابن ماجه ٣١٢١).

(٢) سبل السلام، ص ١٠٠١، ط بيت الأفكار الدولية.

الحديث رقم (١٤٩١)

١٤٩١- وعن شَهْرِ بن حَوشَبٍ، قَالَ: قُلْتُ لأُمِّ سَلَمة رضي الله عنها ، يَا أمَّ المؤمِنِينَ، مَا كَانَ أكثَرُ دعاءِ رَسُولِ الله صلى الله عليه وسلم ، إِذَا كَانَ عِنْدَكِ؟ قالت: كَانَ أكثَرُ دُعائِهِ: ((**يَا مُقَلِّبَ القُلُوبِ ثَبِّتْ قَلْبِي عَلَى دِينِكَ**)). رواه الترمذيُّ[1]، وقال: (حديث حسن).

ترجمة الراوي:

أم سلمة: تقدمت ترجمتها في الحديث رقم (٨٢).

غريب الألفاظ:

مقلب القلوب: مصرفها تارة إلى الطاعة وتارة إلى المعصية، وتارة إلى الحضرة وتارة إلى الغفلة[2].

الشرح الأدبي

قول أمِّ المؤمِنِينَ رضي الله عنها (كَانَ أكثَرُ دُعائِهِ) يدل على أهمية هذا الدعاء، وقيمته يدل على ذلك استخدام أفعل التفضيل (أكثر) وقبلها كان الدالة على التحقق، والتكرار، وقوله (مقلب القلوب) جناس يؤكد المعنى، ويقرر أن الله هو المالك لحركة القلب، وبين قوله مقلب، وثبت طباق يشير إلى ان محرك هذه القلوب هو وحده القادر على تثبيتها وتسميته بالقلب يوحي بكثرة التقلب، وعدم الاستقرار الأمر الذي يستلزم وجود مثبت، وقال الأصمعي وفي البطن: الفؤاد، وهو: القلب سمي به لتقلبه في الأمور، وقيل، لأنه خالص ما في البدن إذ خالص كل شيء قلبه، وأصله مصدر قلبت الشيء أقلبه قلبا إذا رددته علي بدايته وقلبت الإناء رددته على وجهه وقلبت الرجل عن رأيه وعن طريقه إذا صرفته عنه ثم نقل وسمي به هذا العضو الشريف لسرعة الخواطر فيه وترددها عليه وقد نظم بعضهم هذا المعنى فقال:

---

(١) برقم (٣٥٢٢). قال الحافظ ابن حجر في نتائج الأفكار (١٣/٣): هذا حديثٌ حسنٌ.

(٢) النهاية في (ق ل ب)، تحفة الأحوذي ١٧٤٦/٢.

ما سمي القلب إلا من تقلبه فاحذر على القلب من قلب وتحويل

وقال القرطبي ثم إن العرب لما نقلته لهذا العضو التزمت فيه التفخيم في قافه للفرق بينه وبين أصله وقد قال بعضهم ليحذر اللبيب من سرعة انقلاب قلبه إذ ليس بين القلب والقلب إلا التفخيم وما يعقلها إلا كل ذي فهم مستقيم.

المضامين الدعوية

أولاً: من موضوعات الدعوة: حرص التابعين على السؤال عن أحوال النبي ﷺ في الدعاء.

ثانيًا: من موضوعات الدعوة: الدعاء بتثبيت القلب على الدين القويم.

أولاً- من موضوعات الدعوة: حرص التابعين على السؤال عن أحوال النبي ﷺ في الدعاء:

هذا واضح من سؤال شهر بن حوشب أم سلمة رضي الله عنها، وشهر هذا من التابعين توفي ١١٢هـ[1]، والتابعون قد صحبوا الصحابة الذين صحبوا النبي ﷺ وعرفوا أحواله وأموره، فحرص التابعون على ملازمة الصحابة رضوان الله عليهم ليعلموا هذه الأحوال وتلك الأمور ليقتدوا به ﷺ وينقلوها إلى من بعدهم، وكان هذا الطريق هو الذي ضمن لنا وصول سنة النبي ﷺ وسيرته إلينا، فكان كل جيل حريصًا على تعلم سيرته ﷺ وسنته، وفي الوقت نفسه كان حريصًا على تعليمها لمن بعدهم. وكان هذا منهجًا فريدًا تميز به المسلمون عن غيرهم من الأمم السابقة فحفظت -وما تزال- الأجيال المتعاقبة سنته ﷺ وسيرته، لأن ذلك من الذكر الذي تعهد الله بحفظه في قوله تعالى: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا ٱلذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَـٰفِظُونَ﴾[2].

ومن قبيل حرص التابعين على معرفة أحوال النبي ﷺ في الدعاء ما رواه مسلم بإسناده عن عبدالعزيز بن صهيب قال سأل قتادة لوهو ابن دعامة السدوسي من أعلام

---

(١) كما في تقريب التهذيب ١/٣٥٥.

(٢) سورة الحجر، آية: ٩.

التابعين[1] سأل قتادة أنسًا [أي ابن مالك]: ((أَيُّ دَعْوَةٍ كَانَ يَدْعُو بِهَا النَّبِيُّ أَكْثَرَ؟ قَالَ: كَانَ أَكْثَرُ دَعْوَةٍ يَدْعُو بِهَا يَقُولُ: «اللَّهُمَّ آتِنَا فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي الآخِرَةِ حَسَنَةً وَقِنَا عَذَابَ النَّارِ»))[2].

وقال أبو عبدالله الحاكم النيسابوري: (خير الناس قرنًا بعد الصحابة من شافه أصحاب رسول الله ﷺ، وحفظ عنهم الدين والسنن، وهم قد شهدوا الوحي والتنزيل رضي الله عنهم أجمعين)[3].

ثانيًا - من موضوعات الدعوة: الدعاء بتثبيت القلب على الدين القويم:

هذا واضح من قول أم سلمة عن النبي ﷺ: ((كانَ أَكْثَرُ دُعَائِهِ: يَا مُقَلِّبَ القُلُوبِ ثَبِّتْ قَلْبِي عَلَى دِينِكَ. قالَتْ فَقُلْتُ يَا رَسُولَ الله ما أَكْثَرِ دُعَاكَ يَا مُقَلِّبَ القُلُوب ثَبِّتْ قَلْبِي عَلَى دِينِكَ؟ قالَ: يَا أُمَّ سَلَمَةَ إِنَّهُ لَيْسَ آدَمِيٌّ إلاَّ وَقَلْبُهُ بَيْنَ أَصْبُعَيْنِ مِنْ أصَابِعِ الله فَمَنْ شَاءَ أَقَامَ وَمَنْ أشَاءَ أَزَاغَ))[4].

وعن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: ((كان رَسولُ الله يُكْثِرُ أنْ يقولَ: يا مُقَلِّبَ القُلُوبِ ثَبِّتْ قَلْبِي على دِينكَ، فَقُلْتُ: يَا نَبِيَّ الله آمَنَّا بِكَ وَبِمَا جِئْتَ بِهِ فَهَلْ تَخَافُ عَلَيْنَا؟ قَالَ: نَعْم، إنَّ القُلُوبَ بَيْنَ أَصْبُعَيْنِ مِنْ أَصَابِعِ الله يُقَلِّبُهَا كَيْفَ شَاءَ))[5].

وعن عبدالله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما قال: ((أَنَّهُ سَمِعَ رَسُولَ اللَّهِ يَقُولُ: إِنَّ قُلُوبَ بَنِي آدَمَ كُلَّهَا بَيْنَ إِصْبَعَيْنِ مِنْ أَصَابِعِ الرَّحْمنِ. كَقَلْبٍ وَاحِدٍ. يُصَرِّفُهُ حَيْثُ يَشَاءُ. ثُمَّ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ: اللَّهُمَّ مُصَرِّفَ الْقُلُوبِ صَرِّفْ قُلُوبَنَا عَلَىٰ طَاعَتِكَ))[6].

قال المباكفوري: ("يا مقلب القلوب" أي مصرفها تارة إلى الطاعة وتارة إلى المعصية وتارة إلى الغفلة "ثبت قلبي على دينك" أي اجعله ثابتًا على دينك غير مائل عن الدين

---

(١) انظر: تقريب التهذيب ١٢٣/٢.

(٢) أخرجه مسلم ٢٦٩٠، والبخاري ٦٣٨٩ بنحوه.

(٣) معرفة علوم الحديث، ص ٢١٣

(٤) أخرجه الترمذي ٣٥٢٢.

(٥) أخرجه الترمذي ٢١٤٠، وابن ماجه ٣٨٣٤، وصححه الألباني (صحيح سنن ابن ماجه ٣٠٩٢).

(٦) أخرجه مسلم ٢٦٥٤.

القويم والصراط المستقيم، فقلت: "يا نبي الله آمنا بك" أي بنبوتك ورسالتك "فهل تخاف علينا" يعني أن قولك هذا ليس لنفسك، لأنك في عصمة من الخطأ والزلة، خصوصًا من تقلب القلب عن الدين والملة، وإنما المراد تعليم الأمة، فهل تخاف علينا من زوال نعمة الإيمان أو الانتقال من الكمال إلى النقصان؟ "قال نعم" يعني أخاف عليكم "يقلبها" أي القلوب "كيف يشاء" مفعول مطلق. أي تقليبًا يريده، أو حال، من الضمير المنصوب أي يقلبها على أي صفة شاء)[1].

وقد قال الله تعالى عن دعاء أولي الألباب: ﴿ رَبَّنَا لَا تُزِغْ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا وَهَبْ لَنَا مِن لَّدُنكَ رَحْمَةً ۚ إِنَّكَ أَنتَ الْوَهَّابُ ﴿٨﴾ ﴾[2] قال ابن كثير: (ثم قال تعالى عنهم مخبرًا أنهم دعوا ربهم قائلين: "ربنا لا تزغ قلوبنا بعد إذ هديتنا" أي: لا تُمِلها عن الهدى بعد إذ أقمتها عليه ولا تجعلنا كالذين في قلوبهم زيغ، الذين يتبعون ما تشابه من القرآن، ولكن ثبتنا على صراطك المستقيم ودينك القويم "وهب لنا من لدنك" أي من عندك "رحمة" تثبت بها قلوبنا وتجمع شملنا وتزيدنا بها إيمانًا وإيقانًا "إنك أنت الوهاب")[3].

وقال الطاهر بن عاشور عن الآية: (هذا دعاء علّمه النبي ﷺ، تعليمًا للأمة: لأن الموقع المحكي موقع عبرة، ومثار لهواجس الخوف من سوء المصير إلى حال الذين في قلوبهم زيغ، فما هم إلا من عقلاء البشر، لا تفاوت بينهم وبين الراسخين في الإنسانية، ولا في سلامة العقول والمشاعر، فما كان ضلالهم إلا من حرمانهم التوفيق، واللطف، ووسائل الاهتداء.

وقد علم من تعقيب قوله ﴿ هُوَ الَّذِي أَنزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ ﴾[4] الآيات بقوله "ربنا لا تزغ قلوبنا" أن من جملة ما قصد بوصف الكتاب بأن منه محكمًا ومنه متشابهًا، إيقاظ الأمة إلى ذلك لتكون على بصيرة في تدبر كتابها: تحذيرًا لها من الوقوع في الضلال،

---

(١) تحفة الأحوذي ١٧٤٦/٢.

(٢) سورة آل عمران، ٨.

(٣) تفسير القرآن العظيم ١٣/٢.

(٤) سورة آل عمران، آية: ٧.

الذي أوقع الأمم في كثير منه وجود المتشابهات في كتبها، وتحذيرًا للمسلمين من اتباع البوارق الباطلة مثل ما وقع فيه بعض العرب من الردة والعصيان، بعد وفاة الرسول ﷺ، لتوهم أن التدين بالدين إنما كان لأجل وجود الرسول بينهم، ولذلك كان أبوبكر يدعو بهذه الآية في صلاته مدة ارتداد من ارتد من العرب، ففي الموطأ، عن الصنابجي: أنه قال: قدمت المدينة في خلافة أبي بكر الصديق فصليت وراءه المغرب فقام في الثالثة فدنوت منه حتى إن ثيابي لتكاد تمس ثيابه فسمعته يقرأ بأم القرآن وهذه الآية: "ربنا لا تزغ قلوبنا" الآية[1].

فزيغ القلب يتسبب عن عوارض تعرض للعقل: من خلل في ذاته، أو دواع من الخلطة أو الشهوة، أو ضعف الإرادة، تحول بالنفس عن الفضائل المتحلية بها إلى رذائل كانت تهجس بالنفس فتذودها النفس عنها بما استقر في النفس من تعاليم الخير المسماة بالهدى، ولا يدري المؤمن، ولا العاقل، ولا الحكيم، ولا المهذب: أية ساعة تحل فيها به أسباب الشقاء، وكذلك لا يدري الشقي، ولا المنهمك، الأفن[2]: أية ساعة تحف فيها به أسباب الإقلاع عما هو متلبس به من تغير خَلْق، أو خُلُق، أو تبدل خليط، قال تعالى: ﴿وَنُقَلِّبُ أَفْئِدَتَهُمْ وَأَبْصَارَهُمْ﴾[3] ولذا كان دأب القرآن قرن الثناء بالتحذير، والبشارة بالإنذار.

وقوله "بعد إذ هديتنا" تحقيق للدعوة على سبيل التلطف؛ إذ أسندوا الهدى إلى الله تعالى، فكان ذلك كرمًا منه، ولا يرجع الكريم في عطيته، وقد استعاذ النبي ﷺ من السلب بعد العطاء[4].

---

(١) أخرجه مالك في الموطأ ١٧١، موسوعة شروح الموطأ ٤/٢١٩.

(٢) أفن: نقص عقله. الوسيط ٢٢.

(٣) سورة الأنعام، آية: ١١٠.

(٤) أخرجه مسلم ١٣٤٣، قال: كان رسول الله ﷺ إذا سافر يتعوذ من وعثاء السفر وكآبة المنقلب والحور بعد الكور ودعوة المظلوم وسوء المنظر في الأهل والمال.

وهناك رواية بلفظ: "الحور بعد الكور". ومعناهما: الرجوع من الاستقامة أو الزيادة إلى النقص. انظر: شرح صحيح مسلم للنووي، مج٥/ج١١٨/٩، ط دار عالم الكتب.

وقوله "وهب لنا من لدنك رحمة" طلبوا أثر الدوام على الهدى وهو الرحمة، في الدنيا والآخرة، ومنع دواعي الزيغ والشر. وجعلت الرحمة من عند الله لأن تيسير أسبابها، وتكوين مهيئاتها، بتقدير الله؛ إذ لو شاء الله لكان الإنسان معرضًا لنزول المصائب والشرور في كل لمحة؛ فإنه محفوف بموجودات كثيرة، حية وغير حية، هو في اتقائها في غاية الضعف، لولا لطف الله به إيقاظ عقله لاتقاء الحوادث، وبإرشاده لاجتناب أفعال الشرور المهلكة، وبإلهامه إلى ما فيه نفعه، وبجعل تلك القوى الغالبة له قوى عمياء لا تهتدي سبيلاً إلى قصده، ولا تصادفه إلا على سبيل الندور ولهذا قال تعالى: ﴿ٱللَّهُ لَطِيفُۢ بِعِبَادِهِۦ﴾[1] ومن أجلى مظاهر اللطف أحوال الاضطرار والالتجاء وقد كنت قلت كلمة "اللطف عند الاضطرار").

---

(١) سورة الشورى، آية: ١٩.

الحديث رقم (١٤٩٢)

١٤٩٢- وعن أبي الدرداء رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: ((كَانَ مِنْ دُعاء دَاوُدَ عليه السلام: اللَّهُمَّ إنِّي أسْألُكَ حُبَّكَ، وَحُبَّ مَنْ يُحِبُّكَ، وَالعَمَلَ الَّذِي يُبَلِّغُنِي حُبَّكَ، اللَّهُمَّ اجْعَلْ حُبَّكَ أحَبَّ إلَيَّ مِنْ نَفْسِي، وأهْلِي، وَمِنَ الماء البارِدِ)). رواه الترمذيُّ[١]، وقال: (حديث حسن).

ترجمة الراوي:

أبو الدرداء: هو عويمر بن زيد بن قيس الأنصاري. تقدمت ترجمته في الحديث رقم (٢٧٢).

الشرح الأدبي

الحديث يقرر دعاءً لنبي الله داود عليه السلام كان يدعوا به يدور حول معنى يفيض بالمشاعر الخاصة بين العبد الصالح، وربه وهي مشاعر المحبة، والمودة الداعية إلى التزام ما يحبه، وتجنب ما يبغضه وإذا تأملنا ألفاظ الحديث أدركنا هذا المعنى حيث تكررت مادة المحبة ست مرات في صورة المصدر الدال على التحقق المتجرد من الزمن المقرر للثبوت، والمضارع الدال على التجدد، وأفعل التفضيل المؤذنة بالتفاضل، والمقررة للأفضلية (حبك - يحبك - أحب) فهو مستغرق في دروب المحبة الموصلة إلى الزلفى مع تتبع كل ما يتصل بها، ويعين عليها، وهذا الدعاء يجمع كل خير، فإن الأفعال الاختيارية من العباد إنما تنشأ عن محبة وإرادة، فإن كانت محبة الله ثابتة في قلب العبد نشأت عنها حركات الجوارح فكانت بحسب ما يحبه الله ويرتضيه، فأحب ما يحبه الله عز وجل من الأعمال والأقوال كلها، ففعل حينئذ الخيرات كلها وترك المنكرات كلها، وأحب من يحبه الله من خلقه.

المضامين الدعوية

أولاً: من موضوعات الدعوة: فضل نبي الله داود عليه السلام.

---

(١) برقم (٣٤٩٠). قال الحاكم (٢/٤٣٢): صحيح الإسناد ولم يخرجاه.

ثانيًا: من موضوعات الدعوة: سؤال الله محبته، ومحبة من يحبه، والتوفيق إلى العمل الذي يبلّغ إلى حبه.

أولاً- من موضوعات الدعوة: فضل نبي الله داود عليه السلام:

هذا واضحٌ من إخبار النبي ﷺ عن دعاء داود عليه السلام، وفي آخر الحديث: ((وَكَانَ رَسُولُ اللهِ إِذَا ذَكَرَ دَاوُدَ يُحَدِّثُ عَنْهُ قَالَ كَانَ أَعْبَدَ الْبَشَرِ))(١).

وثبت في صحيح مسلم أن النبي ﷺ قال عنه: ((إنه كان أعبد الناس))(٢).

قال الطيبي: (يحتمل أن يراد به في عصره وزمانه، وأن يراد أنه كان أشكر الناس قال تعالى: ﴿ ٱعۡمَلُوٓاْ ءَالَ دَاوُۥدَ شُكۡرٗاۚ ﴾(٣) أي بالغ في شكري وابذل وسعك فيه)(٤).

قال ابن كثير: (صار الملك إلى داود عليه السلام، وجمع له بين الملك والنبوة بين خيري الدنيا والآخرة، وكان الملك يكون في سبط والنبوة في سبط آخر، فاجتمع في داود هذا وهذا... وقد ثبت في الحديث الصحيح: ((إنَّ أطيب ما أكل الرجل من كسبه وإن نبيَّ الله داودَ كانَ يَأْكُلُ من كَسْبِ يَدِهِ))(٥).

وقال تعالى: ﴿ وَٱذۡكُرۡ عَبۡدَنَا دَاوُۥدَ ذَا ٱلۡأَيۡدِۖ إِنَّهُۥٓ أَوَّابٌ ۝١٧ إِنَّا سَخَّرۡنَا ٱلۡجِبَالَ مَعَهُۥ يُسَبِّحۡنَ بِٱلۡعَشِيِّ وَٱلۡإِشۡرَاقِ ۝١٨ وَٱلطَّيۡرَ مَحۡشُورَةٗۖ كُلّٞ لَّهُۥٓ أَوَّابٞ ۝١٩ وَشَدَدۡنَا مُلۡكَهُۥ وَءَاتَيۡنَٰهُ ٱلۡحِكۡمَةَ وَفَصۡلَ ٱلۡخِطَابِ ﴾(٦) قال ابن عباس ومجاهد: الأيْد: القوة في الطاعة. يعني: كان ذا قوة في العبادة والعمل الصالح. قال قتادة: أعطي قوة في العبادة وفقهًا في الإسلام... وقد ثبت في الصحيحين أن رسول الله ﷺ قال: ((أحبُّ الصلاة إلى الله صلاةُ داود، وأحب الصيام

---

(١) أخرجه الترمذي ٣٤٩٠.

(٢) أخرجه مسلم ١٨٢-١١٥٩.

(٣) سورة سبأ، آية: ١٣.

(٤) شرح الطيبي على المشكاة ٥/٢١٠-٢١١.

(٥) أخرجه البخاري ٢٠٧٢ بلفظ ((ما أكل أحدٌ طعامًا قط خيرًا من أن يأكل من عمل يده، وإن نبي الله داود عليه السلام كان يأكل من عمل يده).

(٦) سورة ص، آية: ١٧-٢٠.

إلى الله صيام داود، كان ينام نصف الليل ويقوم ثلثه وينام سدسه، وكان يصوم يومًا ويفطر يومًا، ولا يفرّ إذا لاقى))[1]. وقوله "إنا سخرنا الجبال معه يسبحن بالعشي والإشراق، والطير محشورة كل له أوّاب، كما قال: ﴿ يَـٰجِبَالُ أَوِّبِي مَعَهُۥ وَٱلطَّيْرَ ﴾[2] أي: سبحي معه قاله ابن عباس ومجاهد وغير واحد في تفسير هذه الآية: "إنا سخرنا الجبال معه يسبحن بالعشي والإشراق" أي عند آخر النهار وأوله، وذلك أنه كان الله تعالى قد وهبه من الصوت العظيم ما لم يعطه أحدًا، بحيث إنه كان إذا ترنم بقراءة كتابه، يقف الطير في الهواء يرجّع بترجيعه ويسبح بتسبيحه، وكذلك الجبال تجيبه وتسبح معه كلما سبح بكرة وعشيًا صلوات الله وسلامه عليه. وقد كان مع هذا الصوت الرخيم، سريع القراءة لكتابه الزبور، كما أخرج أحمد بإسناده عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: ((خُفِّفتْ على دَاودَ عليه السلام القراءَةُ، وَكانَ يأمُرُ بدابَّتِهِ فَتُسْرَجُ وَكَانَ يَقْرأ القرآن قَبْلَ أن تُسْرَجَ دابَّتُهُ. وَكَانَ لا يأكُلُ إلا مِنْ عَمَلِ يَدَيْهِ))[3].

وأخرجه البخاري بلفظ: ((خُففَ على داودَ عليه السلام القرآنُ، فكان يأمرُ بدوابِّهِ فُتسرَجُ، فيقرأُ القرآنَ قبلَ أن تُسرَجَ دوابُّهُ، ولا يأكلُ إلا مِن عملِ يدهِ))[4].

والمراد بالقرآن ههنا الزبور الذي أنزله الله عليه وأوحاه إليه، وذكر دوابه أشبه أن يكون محفوظًا فإنه كان ملكًا له أتباع، فكان يقرأ الزبور بمقدار ما تسرج الدواب. وهذا أمر سريع مع التدبر والترنم والتغني به على وجه التخشع صلوات الله وسلامه عليه. وقد قال الله تعالى: ﴿ وَءَاتَيْنَا دَاوُۥدَ زَبُورًا ﴾[5] والزبور كتاب مشهور قوله تعالى: ﴿ يَـٰدَاوُۥدُ إِنَّا جَعَلْنَـٰكَ خَلِيفَةً فِى ٱلْأَرْضِ فَٱحْكُم بَيْنَ ٱلنَّاسِ بِٱلْحَقِّ وَلَا تَتَّبِعِ ٱلْهَوَىٰ فَيُضِلَّكَ عَن

---

(١) أخرجه البخاري ١١٣١، ٣٤١٩، ٣٤٢٠، ومسلم ١١٥٩.

(٢) سورة سبأ، آية: ١٠.

(٣) أخرجه أحمد ٣١٤/٢، رقم ٨١٦٠، وقال محققو المسند: إسناده صحيح ٤٩٧/١٣.

(٤) أخرجه البخاري ٣٤١٧.

(٥) سورة النساء، آية: ١٦٣.

سَبِيلِ ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَضِلُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌۢ بِمَا نَسُوا۟ يَوْمَ ٱلْحِسَابِ﴾[١] هـذا خطاب من الله تعالى مع داود، والمراد: ولاة الأمور وحكام الناس، وأمرهم بالعدل واتباع الحق المنزل من الله لا ما سواه من الآراء والأهواء، وتوعد من سلك غير ذلك وحكم بغير ذلك، وقد كان داود عليه السلام هو المقتدى به في ذلك الزمان، في العدل وكثرة العبادة وأنواع القربات، حتى إنه كان لا تمضي ساعة من آناء الليل وأطراف النهار إلا وأهل بيته في عبادة ليلاً ونهارًا، كما قال تعالى: ﴿ٱعْمَلُوٓا۟ ءَالَ دَاوُۥدَ شُكْرًا ۚ وَقَلِيلٌ مِّنْ عِبَادِىَ ٱلشَّكُورُ﴾[٢])[٣].

ثانيًا- من موضوعات الدعوة: سؤال الله محبته ومحبة من يحبه والتوفيق إلى العمل الذي يبلغ إلى حبه:

هذا واضح من قول النبي صلى الله عليه وسلم: "كان من دعاء داود عليه السلام: اللهم إني أسألك حبَّك وحب من يحبك والعمل الذي يبلغني حبك، اللهم اجعل حبك أحب إلي من نفسي وأهلي ومن الماء البارد".

وعن عبدالله بن يزيد الخطمي الأنصاري رضي الله عنه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه كان يقول في دعائه: ((اللَّهُمَّ ارْزُقْنِي حُبَّكَ وَحُبَّ مَنْ يَنْفَعُنِي حُبُّهُ عِنْدَكَ. اللَّهُمَّ مَا رَزَقْتَنِي مِمَّا أُحِبُّ فَاجْعَلْهُ قُوَّةً لِي فِيمَا تُحِبُّ. اللَّهُمَّ وَمَا زَوَيْتَ عَنِّي مِمَّا أُحِبُّ فَاجْعَلْهُ قوة لِي فِيمَا تُحِبُّ))[٤].

قال المباركفوري: (إنه لا سعادة للقلب ولا لذة ولا نعيم ولا صلاح إلا بأن يكون الله أحب إليه مما سواه)[٥].

ويقول ابن القيم عن أهمية منزلة المحبة للعبد: (لو بطلت مسألة المحبة لبطلت جميع

---

(١) سورة ص، آية: ٢٦.

(٢) سورة سبأ، آية: ١٣.

(٣) البداية والنهاية، ٢/٣٠٠-٣١٤ بتصرف يسير.

(٤) أخرجه الترمذي ٣٤٩١ وضعفه الألباني (ضعيف سنن الترمذي ٦٩٢).

(٥) تحفة الأحوذي ٣٤٧٦/٢.

مقامات الإيمان والإحسان، ولتعطلت منازل السير إلى الله، فإنها روح كل مقام ومنزلة وعمل. فإذا خلا منها فهو ميت لا روح فيه، ونسبتها إلى الأعمال كنسبة الإخلاص إليها، بل هي حقيقة الإخلاص. بل هي نفس الإسلام. فإنه الاستسلام بالذل والحب والطاعة لله فمن لا محبة له لا إسلام له ألبتة، بل هي حقيقةُ شهادةِ أن لا إله إلا الله، فإن الإله هو الذي يألهه العبادُ حبًا وذلاً وخوفًا ورجاءً وتعظيمًا وطاعة له، بمعنى مألوه وهو الذي تألهه القلوب أي تحبه وتذل له. وأصل التأله التعبد، والتعبد آخر مراتب الحب. يقال: عبّده الحب وتيّمه إذا ملكه وذلّله لمحبوبه. فالمحبة حقيقة العبودية، وهل تمكن الإنابة بدون المحبة والرضا والحمد والشكر والخوف والرجاء؟ وهل الصبر في الحقيقة إلا صبر المحبين؟ فإنه إنما يتوكل على المحبوب في حصول محابه ومراضيه. وكذلك الزهد في الحقيقة هو زهد المحبين، فإنهم يزهدون في محبة ما سوى محبوبهم لمحبته.

وكذلك الحياء في الحقيقة إنما هو حياء المحبين، فإنه يتولد من بين الحب والتعظيم، وأما ما لا يكون عن محبة فذلك خوف محض، وكذلك مقام الفقر فإنه في الحقيقة فقر الأرواح إلى محبوبها وهو أعلى أنواع الفقر، فإنه لا فقر أتم من فقر القلب إلى من يحبه. لاسيما إذا وحده في الحب، ولم يجد منه عوضًا سواه، هذه حقيقة الفقر عند العارفين. وكذلك الغنى هو غنى القلب بحصول محبوبه وكذلك الشوق إلى الله تعالى ولقائه، فإنه لبُّ المحبة وسرّها)[1].

---

(١) مدارج السالكين ٣/٤٦٢ -٤٦٤.

الحديث رقم (١٤٩٣)

١٤٩٣- وعن أنس رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّه ﷺ: ((ألِظُّوا بـ (يَاذا الجَلالِ والإكْرامِ))). رواه الترمذي[١]. ورواه النسائيُّ[٢] من رواية ربيعة بن عامرٍ الصحابي، قَالَ الحاكم[٣]: (حديث صحيح الإسناد).

ترجمة الراوي:

أنس بن مالك: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (٤).

غريب الألفاظ:

ألِظّوا: الزموا هذه الدعوة وأكثروا منها[٤].

الشرح الأدبي

الحديث حمل عبارة لا يعلم كنهها إلا الله تعالى لذلك دعا الرسول ﷺ إلى التزامها، وهي قوله: (ألظوا بياذا الجلال والإكرام) أمر بمعنى الزموا هذه الدعوة وأكثروا منها فالمراد دوموا على قولكم ذلك في دعائكم واجعلوه على لسانكم دائما لئلا تركنوا أو تطمئنوا لغيره قال الزمخشري: ألظ وألب وألج أخوات في معنى اللزوم والدوام وتشعر في تكوين حروف الكلمة شيئا من معناها فهي في أثناء النطق تثقل على اللسان وتجسم، فالكسر في اللام، والتشديد في الظاء التي تشعر بالثقل في تحريكها للسان خروجا ناحية الشفتين مع استدارتهما وكأنها تأبى أن تفارق وهو ما يتصل بمدلولها من عدم مفارقة هذا الذكر الشريف، ومعنى (ذا الجلال) استحقاقه وصف

---

(١) برقم (٣٥٢٥). قال الترمذي: هذا حديثٌ غريبٌ وليس بمحفوظ، وإنما يُروى هذا عن حماد بن سلمة، عن حميد، عن الحسن، عن النبي ﷺ، وهذا أصحُّ. ومؤمل غلط فيه، فقال: عن حماد، عن حميد، عن أنس، ولا يتابع عليه.

(٢) في الكبرى (٧٦٦٩، و١١٤٩٩).

(٣) المستدرك (١/٤٩٨).

(٤) النهاية في (ل ظ ظ)، ورياض الصالحين، النووي ٥٠٩.

العظمة ونعت الرفعة عزا وتكبرا عن نعت الموجودات فجلاله صفة استحقها لذاته، والإكرام أخص من الإنعام إذ الإنعام قد يكون على غير المكرم كالعاصي، والإكرام لمن يحبه ويعزه ومنه سمي ما أكرم الله به أولياءه مما يخرج عن العادة كرامات فندب المصطفى صلى الله عليه وعلى آله وسلم إلى الإكثار من قولك (يا ذا الجلال) في الدعاء ليستشعر القلب من دوام ذكر اللسان، ويقر في السر تعظيم الله، وهيبته، ويمتلىء الصدر بمراقبة جلاله فيكرمه في الدنيا، والآخرة.

المضامين الدعوية

أولاً: من موضوعات الدعوة: الإكثار من قول "يا ذا الجلال والإكرام" في الدعاء وملازمة ذلك.

ثانيًا: من آداب الداعية والمدعو: الثناء على الله تعالى.

أولاً- من موضوعات الدعوة: الإكثار من قول "يا ذا الجلال والإكرام" في الدعاء وملازمة ذلك:

وهذا واضح من قوله ﷺ: "ألظُّوا بيا ذا الجلال والإكرام" قال ابن الأثير: (أي ألزموه وأثبتوا عليه وأكثروا من قوله والتلفظ به في دعائكم)[1].

وقال ابن القيم: (يعني تعلقوا بها والزموها وداوموا عليها)[2] وقال ابن كثير: (هو المداومة واللزوم والإلحاح)[3]. وقال ابن عباس: (﴿ذُو ٱلْجَلَٰلِ وَٱلْإِكْرَامِ﴾[4]: ذو الكبرياء والعظمة)[5].

وقد أثنى رسول الله ﷺ على من ضمن دعاءه الثناء على الله بـ"ياذا الجلال والإكرام". فعن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: ((كُنْتُ مَعَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ جَالِسًا فِي

(١) النهاية في غريب الحديث، ص ٨٣٦.

(٢) الداء والدواء ص ١٧.

(٣) تفسير القرآن العظيم ٥١١/٧.

(٤) سورة الرحمن، آية: ٢٧.

(٥) انظر: تفسير القرآن العظيم لابن كثير ٤٩٤/٧، والدر المنثور ١١٨/١٤.

الْحَلْقَةِ، وَرَجُلٌ قَائِمٌ يُصَلِّي، فَلَمَّا رَكَعَ سَجَدَ وَتَشَهَّدَ، دَعَا فَقَالَ فِي دُعَائِهِ: اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ بِأَنَّ لَكَ الْحَمْدَ، لا إِلَهَ إِلا أَنْتَ الْحَنَّانُ الْمَنَّانُ، بَدِيعُ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ، يَا ذَا الْجَلالِ وَالإِكْرَامِ، يَا حَيُّ يَا قَيُّوم، اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ. فَقَالَ النَّبِيُّ: أَتَدْرُونَ بِمَا دَعَا؟ قَالُوا: اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمْ. فَقَالَ: وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَقَدْ دَعَا بِاسْمِهِ الْعَظِيمِ الَّذِي إِذَا دُعِيَ بِهِ أَجَابَ، وَإِذَا سُئِلَ بِهِ أَعْطَى))[1].

كما كان النبي ﷺ يثني على ربه بهذا الثناء بعد أن ينصرف من صلاته، فعن ثوبان قال: ((كَانَ رَسُولُ اللَّهِ، إِذَا انْصَرَفَ من صلاته، اسْتَغْفَرَ ثَلاثًا. وَقَالَ: اللَّهُمَّ أَنْتَ السَّلامُ وَمِنْكَ السَّلامُ. تَبَارَكْتَ ذَا الْجَلالِ وَالإِكْرَامِ))[2].

قال النووي: (المراد بالانصراف: السلام)[3]. وقال الصنعاني: (والمراد بقوله: "يا ذا الجلال والإكرام" يا ذا الغنى المطلق والفضل التام، وقيل الذي عنده الجلال والإكرام لعباده المخلصين وهو من عظائم صفاته تعالى)[4].

عن معاذ بن جبل قال: ((سمع النبي ﷺ رجلاً يقول: يا ذا الجلال والإكرام، قال: قد استجيب لك فسل))[5].

ويبين ابن القيم أن الثناء على الله دعاء له، يقول: (إن الدعاء هو ذكر للمدعو سبحانه متضمن للطلب منه والثناء عليه بأسمائه وأوصافه فهو ذكر وزيادة، كما أن الذكر سمي دعاءً، لتضمنه الطلب كما قال النبي ﷺ: ((أفضل الدعاء الحمد لله))[6]، فسمى الحمد لله دعاء وهو ثناء محض، لأن الحمد يتضمن الحب والثناء. والحب أعلى أنواع الطلب للمحبوب، فالحامد طالب لمحبوبه فهو أحق أن يسمى داعيًا

---

(١) أخرجه أبو داود ١٤٩٥، والنسائي ١٣٠٠، وابن ماجه ٣٨٥٨، وصححه الألباني (صحيح سنن ابن ماجه ٣١١٢).

(٢) أخرجه مسلم ٥٩١.

(٣) شرح مسلم مج ٣/ج٥/٩٢، ط دار عالم الكتب.

(٤) سبل السلام ٢٢٥، ط بيت الأفكار الدولية.

(٥) أخرجه الترمذي ٣٥٢٧ وضعفه الألباني (ضعيف سنن الترمذي ٧٠٦).

(٦) شرح ديوان المتنبي ١: ١٩٨/١، والأغاني ٣٤٤/٨ قافية الهمزة.

من السائل الطالب من ربه حاجة ما، فتأمل هذا الموضع ولا تحتاج إلى ما قيل إن الذاكر متعرض للنوال وإن لم يكن مصرحًا بالسؤال فهو داعٍ بما تضمنه ثناؤه من التعرض كما قال أمية بن أبي الصلت:

أأذكر حاجتي أمْ قد كفاني حياؤك إن شيمتك الحياء

إذا أثنى عليك المرء يومًا كفاه من تعرضه الثناء[١]

وعلى هذه الطريقة التي ذكرناها، فنفس الحمد والثناء متضمن لأعظم الطلب وهو طلب المحب، فهو دعاء حقيقة، بل أحق أن يسمى دعاء من غيره من أنواع الطلب الذي هو دونه، والمقصود أن كل واحد من الدعاء والذكر يتضمن الآخر ويدخل فيه)[٢].

ثانيا - من آداب الداعية والمدعو: الثناء على الله تعالى:

وهذا واضح من أمر النبي ﷺ: "الظُّوا بياذا الجلال والإكرام"، وقد قال الله تعالى: ﴿تَبَٰرَكَ ٱسۡمُ رَبِّكَ ذِى ٱلۡجَلَٰلِ وَٱلۡإِكۡرَامِ﴾[٣] قال ابن كثير: (وهو أن يجل فلا يعصى، وأن يكرم فيعبد ويشكر فلا يكفر وأن يذكر فلا ينسى)[٤].

وقال الطاهر بن عاشور: (والمعنى: وصفه تعالى بكمال البركة، والبركة: الخير العظيم والنفع، وقد تطلق على علو الشأن. والجلال العظمة وهو جامع لصفات الكمال اللائقة به تعالى، والإكرام إسداء النعمة والخير، فهو إذن حقيق بالثناء والشكر)[٥].

وقال ابن القيم: (وأصح القولين في ذلك: أن الجلال هو التعظيم والإكرام هو الحب، وهو سر قول العبد: لا إله إلا الله، والله أكبر، وقال ﷺ: ((أَلِظُّوا بيَاذَا الْجَلَالِ والإِكْرَامِ))[٦] أي الزموها والْهَجُوا بها)[٧].

---

(١) أخرجه الترمذي ٣٥٢٧ وضعفه الألباني (ضعيف سنن الترمذي ٧٠٦).

(٢) بدائع الفوائد: ابن القيم ٧٥١هـ، دار الفكر وهي طبعة مصورة، ٣/٩-١٠.

(٣) سورة الرحمن، آية: ٧٨.

(٤) تفسير القرآن العظيم ٧/٥١٠.

(٥) التحرير والتنوير ٢٧/٢٧٦-٢٧٨.

(٦) أخرجه أحمد ٤/١٧٧، رقم ١٧٥٩٦ من حديث ربيعة بن عامر، قال محققوه: إسناده صحيح ٢٨/١٣٨.

(٧) جلاء الأفهام في فضل الصلاة والسلام على محمد خير الأنام، ابن القيم الجوزية، ص ٢٩٦-٢٩٧.

وقد كان النبي ﷺ يرشد الصحابة رضوان الله عليهم إلى الثناء على الله في دعائهم، فعن فضالة بن عبيد رضي الله عنه قال: ((بَيْنَا رَسُولُ اللهِ قاعِدٌ إِذْ دَخَلَ رَجُلٌ فَصَلَّى فقالَ اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِي وَارْحَمْنِي فقالَ رسولُ اللهِ عَجِلْتَ أَيُّهَا المُصَلِّي، إِذَا صَلَّيْتَ فَقَعَدْتَ فاحْمَدِ اللهَ بِمَا هُوَ أَهْلُهُ وَصَلِّ عَلَيَّ ثُمَّ ادْعُهُ، قالَ ثُمَّ صَلَّى رَجُلٌ آخَرُ بَعْدَ ذَلِكَ فَحَمِدَ اللهَ وصَلَّى عَلَى النبيِّ فقَالَ لَهُ النَّبيُّ: أَيُّهَا المُصَلِّي ادْعُ تُجَبْ))[1].

قال ابن القيم: (الدعاء الذي تقدمه الذكر والثناء، أفضل وأقرب إلى الإجابة من الدعاء المجرد، فإن انضاف إلى ذلك إخبار العبد بحاله ومسكنته وافتقاره واعترافه كان أبلغ في الإجابة وأفضل، فإنه يكون قد توسل المدعو بصفات كماله وإحسانه وفضله. وعرّض بل صرّح بشدة حاجته وضرورته وفقره ومسكنته فهذا المقتضى منه، وأوصاف المسؤول مقتضى من الله. فاجتمع المقتضى من السائل والمقتضى من المسؤول في الدعاء. وكان أبلغ وألطف موقعًا وأتم معرفة وعبودية. وأنت ترى في المُشَاهد - ولله المثل الأعلى - أن الرجل إذا توسل إلى من يريد معروفه بكرمه وجوده وبره وذكر حاجته هو وفقره ومسكنته، كان أعطف لقلب المسؤول وأقرب لقضاء حاجته. فإذا قال له: جودك قد سارت به الركبان، وفضلك كالشمس لا تنكر ونحو ذلك، وقد بلغت بي الحاجة والضرورة مبلغًا لا صبر معه ونحو ذلك، كان أبلغ في قضاء حاجته من أن يقول ابتداء: أعطني كذا وكذا. فإذا عرفت هذا فتأمل قول موسى عليه السلام في دعائه: ﴿رَبِّ إِنِّي لِمَآ أَنزَلْتَ إِلَيَّ مِنْ خَيْرٍ فَقِيرٌ﴾[2] وقول ذي النون عليه السلام في دعائه: ﴿لَّآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنتَ سُبْحَٰنَكَ إِنِّي كُنتُ مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾[3] وقول أبينا آدم عليه السلام: ﴿رَبَّنَا ظَلَمْنَآ أَنفُسَنَا وَإِن لَّمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ﴾[4] وفي الصحيحين أن أبا بكر الصديق قال: يا

---

(١) أخرجه الترمذي ٣٤٧٦ وصححه الألباني (صحيح سنن الترمذي ٢٧٦٥).

(٢) سورة القصص، آية: ٢٤.

(٣) سورة الأنبياء، آية: ٨٧.

(٤) سورة الأعراف، آية: ٢٣.

رسول الله علمني دعاء أدعو به في صلاتي، فقال: ((قل: اللهم إني ظلمت نفسي ظلمًا كثيرًا، وإنه لا يغفر الذنوب إلا أنت، فاغفر لي مغفرة من عندك وارحمني، إنك أنت الغفور الرحيم))[1] فجمع في هذا الدعاء الشريف العظيم القدر، بين الاعتراف بحاله والتوسل إلى ربه عز وجل بفضله وجوده، وأنه المنفرد بغفران الذنوب، ثم سأل حاجته بعد التوسل بالأمرين معًا. فهكذا أدب الدعاء وآداب العبودية)[2].

(١) أخرجه البخاري ٢٨٢٣، ومسلم ٢٧٠٦.

(٢) الوابل الصيب من الكلم الطيب ٢/٣٦٩.

الحديث رقم (١٤٩٤)

١٤٩٤- وعن أَبي أُمَامَةَ رضي الله عنه قَالَ: دعا رسُولُ الله ﷺ، بدُعاءٍ كَثيرٍ، لَمْ نَحْفَظْ مِنْهُ شَيْئًا؛ قُلْنَا: يَا رسول الله، دَعَوْتَ بِدُعاءٍ كَثِيرٍ لَمْ نَحْفَظْ مِنْهُ شَيْئًا، فَقَالَ: ((**ألا أدُلُّكُمْ عَلَى مَا يَجْمَعُ ذَلِكَ كُلَّهُ؟** تقول: **اللَّهُمَّ إنِّي أسألُكَ مِنْ خَيْرِ مَا سَألَكَ مِنْهُ نَبيُّكَ محمَّدٌ ﷺ؛ وأعوذُ بِكَ مِنْ شَرِّ مَا استَعَاذَ مِنْهُ نَبيُّكَ مُحَمَّدٌ ﷺ، وأنتَ المُسْتَعانُ، وَعَلَيْكَ البَلاَغُ، وَلاَ حَولَ وَلاَ قُوَّةَ إلاَّ باللهِ**)). رواه الترمذيُّ[1]، وقال: (حديث حسن).

ترجمة الراوي:

أبو أُمامة الباهليُّ: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (٧٣).

غريب الألفاظ:

البلاغ: ما يُتَبَلَّغ ويُتَوَصَّل به إلى الشيء المطلوب، وبمعنى الكفاية ومعنى عليك البلاغ: لا بلاغ اليوم إلا بك تبلغني إلى المطلوب من خير الدنيا والآخرة[2].

الشرح الأدبي

قول الرسول ﷺ (ألا أدُلُّكُمْ عَلَى مَا يَجْمَعُ ذَلِكَ كُلَّهُ ؟) استفهام للعرض والتشويق، والتنبيه لعظمة ما سيلقي على مسامعهم فأراد أن يهيئهم لتلقي المعنى، والتعبير بلفظ الجمع يزيد الشوق لهذا الجامع، لأنهم حريصون على تحصيل أجر الدعوات التي لم يستطيعوا حفظها، والتي عبروا عن كثرتها في صورة الجناس المؤكد للمعنى في قولهم (دَعَوْتَ بِدُعاءٍ كَثِيرٍ) كما عبروا عن فواته، وحزنهم على فواته بقولهم (لَمْ نَحْفَظْ مِنْهُ شَيْئاً) كما أن لفظ الشمول (كل) المضاف إلى الضمير العائد على ما فاتهم يجعلهم أكثر حرصا عليه رغبة في تداركه، وقوله (اللَّهُمَّ إنِّي أسألُكَ مِنْ خَيْرِ مَا سَألَكَ مِنْهُ نَبيُّكَ محمَّدٌ ﷺ) شمول لكل ما دعا به الخبير، وعجزوا عن الدعاء به ثم

---

(١) برقم (٣٥٢١). إسناده ضعيف، فيه ليث بن أبي سليم صدوق اختلط جدًا.

(٢) النهاية في (ب ل غ)، تحفة الأحوذي ٢٤٩١/٢، دليل الفالحين ١٥٤٤.

إن لدعائه خصوصية في تحقق الاستجابة التي تحقق كل خير، ثم قابلها بضدها بما يحقق الاستعاذة من عموم الشرور التي يعلمها بالوحي، وبغيره، والتي لا سبيل لهم إلى معرفتها للحذر منها في قوله: (وأعوذُ بِكَ مِنْ شَرِّ مَا استَعَاذَ مِنْهُ نَبِيُّكَ مُحَمَّدٌ - ﷺ)، ثم قرر تفويض الأمر لله تعالى المحقق للإعانة، والموصل للخير والمجير من الشرور، في قوله (وأنتَ المُستَعانُ، وَعَلَيْكَ البَلاَغُ، وَلاَ حَولَ وَلاَ قُوَّةَ إلاَّ باللّٰهِ) وقد سبق أن قوله (وَلاَ حَولَ وَلاَ قُوَّةَ إلاَّ باللّٰهِ) كنز من كنوز الجنة، فهو دعاء جامع مانع، جامع لكل خير مانع من كل شر مع إيجازه، ويسره، والسعيد من اغتنم العمل بهذه الأدعية فهي كنوز لا كلفة في تحصيلها.

المضامين الدعوية

أولاً: من آداب المدعو: السؤال عما فاته من الخير لاستدراكه.

ثانيًا: من آداب الداعية: التيسير على المدعوين.

ثالثًا: من مهام الداعية: دلالة المدعوين على جوامع الدعاء.

أولاً - من آداب المدعو: السؤال عما فاته من الخير لاستدراكه:

هذا واضح من قول أبي أمامة رضي الله عنه: دعا رسول الله ﷺ بدعاء كثير لم نحفظ منه شيئًا. قلنا: يا رسول الله دعوت بدعاء كثير لم نحفظ منه شيئًا. فقد سأل أبو أمامة النبي ﷺ عما فاته من الدعاء بسبب عدم حفظه، وذلك ليستدرك هذا الخير، ولا يجعله يفوت من بين يديه. وهكذا حال المدعو دائمًا يستدرك ما فاته من الخير بأي سبب من الأسباب، وذلك عن طريق سؤال الداعية، ليدله على طريق تحصيل ما فاته.

ولعل من هذا القبيل ما رواه أبوذر رضي الله عنه قال: ((قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، أَيُّ الأَعْمَالِ أَفْضَلُ؟ قَالَ: الإيمَانُ بالله وَالْجِهَادُ فِي سَبِيلِهِ قَالَ قُلْتُ: أَيُّ الرِّقَابِ أَفْضَلُ؟ قَالَ: أَنْفَسُهَا عِنْدَ أَهْلِهَا، وَأَعْلاَهَا ثمنا» قَالَ قُلْتُ: فَإِنْ لَمْ أَفْعَلْ؟ قَالَ: «تُعِينُ صَانِعا أَوْ تَصْنَعُ لأَخْرَقَ[1] قَالَ: قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ أَرَأَيْتَ إِنْ ضَعُفْتُ عَنْ بَعْضِ الْعَمَلِ؟ قَالَ: تَكُفُّ شَرَّكَ عَنِ

---

(١) الأخرق: الذي لا يتقن ما يحاول فعله، رياض الصالحين ٩٨.

النَّاسِ، فَإِنَّهَا صَدَقَةٌ مِنْكَ عَلَى نَفْسِكَ))[١].

فهذا أبو ذر ﷺ يسأل النبي ﷺ عن طريق تحصيل الخير إن عرض له ما يمنعه من إتيان الأفضل من الأعمال بسبب العجز والانشغال ونحوه. بدليل قوله "أرأيت إن ضعفت عن بعض العمل؟" فهو يشعر - كما يقول ابن حجر - بأن قوله للعجز عن ذلك لا كسلاً مثلاً. قوله "تدع الناس من الشر" فيه دليل على أن الكف عن الشر داخل في فعل الإنسان وكسبه حتى يؤجر عليه ويعاقب غير أن الثواب لا يحصل مع الكف إلا مع النية والقصد لا مع الغفلة والذهول قاله القرطبي ملخصًا[٢]. وفي الحديث حسن المراجعة في السؤال وصبر المفتي والمعلم على التلميذ ورفقه به)[٣].

ثانيًا - من آداب الداعية: التيسير على المدعوين:

هذا واضح من قول النبي ﷺ لأبي أمامة ﷺ لما قال له: يا رسول الله دعوت بدعاء لم نحفظ منه شيئًا فقال ﷺ: ألا أدلكم على ما يجمع ذلك كله؟ تقول: اللهم إني أسألك من خير ما سألك منه نبيك..." الحديث.

فقد دله ﷺ على ما يجمع الدعوات السابقة التي لم يحفظها، ولاشك أن هذا تيسير على المدعو، فمن المحتمل أن يعيد النبي ﷺ هذه الدعوات حتى يحفظها الصحابة، لكن هذا قد يشق عليهم، وخاصة أنها دعوات كثيرة، فيسّر النبي ﷺ هذا الأمر بأن دلهم على جماع هذه الدعوات كلها، وهو كلام يسير يسهل حفظه عليهم، وهكذا شأن الداعية مع المدعوين أن ييسر عليهم إن كان هناك سبب مشروع للتيسير.

ولعل من هذا القبيل ما رواه أبو هريرة ﷺ قال: ((يا رسول الله إني أسمع منك حديثًا كثيرًا، أنساه؟ قال: ابسط رداءك. فبسطه. قال: فغرف بيديه ثم قال: ضمه فضممته؛ فما نسيت شيئًا بعده))[٤].

---

(١) أخرجه البخاري ٢٥١٨، ومسلم ٨٤.

(٢) المفهم ٢٧٨/١.

(٣) فتح الباري ١٤٩/٥، ط السلفية.

(٤) أخرجه البخاري ١١٩، ومسلم ٢٤٩٢.

قال ابن حجر: (في هذا الحديث فضيلة ظاهرة لأبي هريرة، ومعجزة واضحة من علامات النبوة، لأن النسيان من لوازم الإنسان، وقد اعترف أبو هريرة بأنه كان يكثر منه [أي النسيان] ثم تخلف عنه ببركة النبي ﷺ)[١].

ثالثًا - من مهام الداعية: دلالة المدعوين على جوامع الدعاء:

لقد قال النبي ﷺ: "ألا أدلكم على ما يجمع ذلك كله؟ تقول: اللهم إني أسألك من خير ما سألك منه نبيك محمد ﷺ وأعوذ بك من شر ما استعاذ منه نبيك محمد ﷺ وأنت المستعان وعليك البلاغ ولا حول ولا قوة إلا بالله" قال المباركفوري: (قال الشوكاني: ولا شيء أجمع ولا أنفع من هذا الدعاء، فإن رسول الله ﷺ قد صح عنه من الأدعية الكثير الطيب، وصح عنه التعوذ مما ينبغي التعوذ منه الكثير الطيب، حتى لم يبق خير في الدنيا والآخرة إلا قد سأله من ربه. ولم يبق شر في الدنيا والآخرة إلا وقد استعاذ ربه منه. فمن سأل الله عز وجل من خير ما سأله منه نبيه ﷺ واستعاذ من شر ما استعاذ منه نبيه ﷺ، فقد جاء في دعائه بما لا يحتاج بعد إلى غيره، وسأل الخير على اختلاف أنواعه، واستعاذ من الشر على اختلاف أنواعه، وحظي بالعمل بإرشاده ﷺ إلى هذا القول الجامع والدعاء النافع)[٢].

قال الخطابي: (وليتخير لدعائه والثناء على ربه أحسن الألفاظ وأنبلها وأجمعها للمعاني، لأنه مناجاة العبد لسيّد السادات الذي ليس له مثل ولا نظير)[٣].

وعن عائشة رضي الله عنها أن النبي ﷺ عَلَّمَهَا هذَا الدُّعَاءَ: ((اللهم إني أسألك من الخير كله عاجله وآجله ما علمت منه وما لم أعلم، وأعوذ بك من الشر كله عاجله وآجله ما علمت منه وما لم أعلم. اللهم إني أسألك من خير ما سألك عبدك ونبيك، وأعوذ بك من شرِّ ما عاذ بك به عبدك ونبيك. اللهم إني أسألك الجنة وما قرب إليها من قولٍ أو عمل،

---

(١) فتح الباري ٢٦٠/١، ط الريان.

(٢) تحفة الأحوذي ٢٤٩١/٢.

(٣) شأن الدعاء ص ١٥، نقلًا عن الدعاء: مفهومه وأحكامه وأخطاء تقع فيه. محمد بن إبراهيم الحمد، دار ابن خزيمة، ط٢، ١٤١٨هـ/١٩٩٨م، ص ٤٦.

وأسألك أن تجعل كل قضاءٍ قضيته لي خيرًا))[1].

قال عبدالله البسام عما يؤخذ من الحديث:

١ - النبي ﷺ علم عائشة رضي الله عنها هذا الدعاء الجامع[2]، فكان ينبغي للمسلم أن يعلمه أهله وأولاده وأهل بيته، ومن يتصل به، يعلمهم الخير بما ينفعهم في أمر دينهم ودنياهم.

٢ - ففي الحديث سؤال الله تعالى الخير الذي يشمل منافع الدنيا والآخرة، مما لا يعد ولا يحصى، العاجل منها والآجل، والمتأخر المعلوم منها للداعي والمجهول له، مما لا يعلمه إلا الله تعالى.

٣ - كما يستعيذه ويلتجئ من شرور الدنيا والآخرة العاجل الحاضر منها والآجل المتأخر، مما علم به الداعي وما جهل.

٤ - ثم عمم السؤال من نوع آخر، وهو أن الداعي يسأل الله تعالى من خير ما سأله رسول الله ﷺ.

ويستعيذ مما استعاذ منه رسول الله ﷺ الذي علم مما عند الله من الخير والشر أكثر مما نعلم، فسأل أفضل سؤال، واستعاذ بربه من أسوأ معاذ، فنحن به مقتدون في الرغبة بالخير والبعد عن الشر.

٥ - ثم سأل العبد من ربه الجنة وهي غاية المطلوب، وسأل الوسيلة إليها من الأقوال الطيبة والأعمال الصالحة.

٦ - ثم سأل الله تعالى العبد أن يجعل كل قضاء قضاه أن يكون خيرًا، ولو ظاهره ومظهره الشر، إلا أنه في حقيقة الأمر هو خير.

فإن تدابير الله تعالى كلها وفق الحكمة والمصلحة.

قال تعالى: ﴿وَعَسَىٰٓ أَن تَكْرَهُوا۟ شَيْـًٔا وَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ ۖ وَعَسَىٰٓ أَن تُحِبُّوا۟ شَيْـًٔا وَهُوَ شَرٌّ لَّكُمْ ۗ

---

(١) أخرجه أحمد ١٣٤/٦، رقم ٢٥٠١٩، وقال محققو المسند: إسناده صحيح ٤٧٤/٤١.

(٢) ساقه ابن ماجه في كتاب الدعاء من سننه تحت باب الجوامع من الدعاء ٣٨٤٦، كما بوّب عليه ابن حبان في صحيحه ١٥٠/٣: ذكر الأمر للمرء أن يسأل ربّه جل وعلا جوامع الخير ويتعوذ به من جوامع الشر.

وَٱللَّهُ يَعۡلَمُ وَأَنتُمۡ لَا تَعۡلَمُونَ ﴾[١].

٧ - فهذه الأدعية الشريفة علمها النبي ﷺ عائشة وفي تعليمها تعليم لأمته التي نصحها وبرها وأحسن إليها، وهي من أنفع الأدعية وأجمعها لخيري الدنيا والآخرة)[٢].

(١) سورة البقرة، آية: ٢١٦.

(٢) توضيح الأحكام ٤٥٢/٦.

الحديث رقم (١٤٩٥)

١٤٩٥-وعن ابن مسعود رضي الله عنه قَالَ: كَانَ من دعاءِ رسُولِ الله صلى الله عليه وسلم: ((اللَّهُمَّ إنِّي أسْأَلُكَ مُوجِبَاتِ رَحْمَتِكَ، وَعَزَائِمَ مَغْفِرَتِكَ، والسَّلامَةَ مِنْ كُلِّ إثْمٍ، والغَنِيمَةَ مِنْ كُلِّ بِرٍّ، والفَوْزَ بالجَنَّةِ، والنَّجَاةَ مِنَ النَّارِ)). رواه الحاكم أَبُو عبد الله [1]، وقال: (حديث صحيح عَلَى شرط مسلمٍ).

ترجمة الراوي:

عبدالله بن مسعود: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (٣٦).

غريب الألفاظ:

موجبات: موجبات جمع موجبة وهي من الحسنات التي توجب الجنة [2].

وعزائم: جمع عزيمة وهي ما وكّدت رأيك وعزمك عليه ووفيت بعهد الله فيه، وبمعنى الفريضة والواجب [3].

إثم: الإثم: الذنب وعمل ما لا يحل [4].

الغنيمة: بمعنى الفيء وبمعنى الفوز بالشيء بلا مشقة [5].

البِّر: الخير والاتساع في الإحسان والطاعة [6]

الشرح الأدبي

قول الراوي رضي الله عنه (كان من دعاء النبي صلى الله عليه وسلم) يشير إلى كثرة دعائه صلى الله عليه وسلم لأن (من) للتبعيض، وكثرة دعائه مع أنه معصوم من الخطأ موعود بالجنة، صاحب المنزلة

---

(١) (٥٢٥/١).

(٢) النهاية، المعجم الوسيط في (و ج ب)، دليل الفالحين ١٥٤٤.

(٣) النهاية في (ع ز م).

(٤) القاموس المحيط في (ب ر ر).

(٥) القاموس المحيط في (غ ن م).

(٦) القاموس المحيط في (ب ر ر).

المتفردة التي لا يشركه فيها أحد عند ربه دليل على كمال عبوديته التي تستلزم دوام الافتقار، والتذلل شكرا لله على نعمه، والنداء بصيغة (اللهم) له طبيعة خاصة يجد فيها القلب صوتا يهدهد حيرته، ويشفي غلته، ويزيده خضوعا، وخشوعا، ويقول علماء اللغة: الميم في (اللهم) بدل (يا) النداء في (يا الله) فتحذف ياء النداء في الأول، ويعوض عنها بميم في الأخير، وقيل: جعلت هذه الميم علامة على الجمع كأنه بهذا اللفظ يقول إني أدعوا الله بجميع أسمائه الحسنى، وصفاته العلى، وقوله: (اللهم إني أسألك موجبات رحمتك) جمع موجبة وهي الكلمة التي أوجبت لقائلها الرحمة أي مقتضياتها بوعدك فإنه لا يجوز الخلف فيه وإلا فالحق لا يجب عليه شيء وجمع الموجبة تكثير للخيرات، ورغبة في الاستزادة من أسباب الرحمة، وقوله: (وعزائم مغفرتك) أي مؤكداتها أو موجباتها جمع عزيمة يعني أسألك أعمالا بعزم تهب بها مغفرتك قال الراغب: العزيمة عقد القلب على إمضاء الأمر (والسلامة من كل إثم) يوجب عقابا أو عتابا أو نقص درجة أو غير ذلك قال ولفظ السلامة يوحي بالراحة، والسكون، والطمأنينة (والغنيمة من كل بر) والبر: الطاعة والخير (والفوز بالجنة والنجاة من النار) سبق أنه وإن كان محكوما له بالفوز والنجاة لكنه قصد التشريع لأمته والتعليم لهم وفيه طباق بين الجنة، والنار يؤكد المعنى، ويوضح العاقبتين المطلوبة بالدعاء، والمستعاذ منها، وفي الحديث تناسب في الألفاظ، والمعاني فالموجب للرحمة، والعزيمة للمغفرة لأنه لا بد منه للمؤمن، والغنيمة للبر بالإضافة إلى ما تشير إليه كلمة الغنيمة من خير يداعب النفس، وكلمة البر التي تخصصها بنافع الخيرات في الدنيا، والآخرة، ثم كلمة الفوز التي تهدهد الخاطر بمرغوب يرتجى، وكلمة النجاة التي تريح النفس وتوحي بمرهوب يتقى وقد جعل الفوز في جانب الجنة، والنجاة بجانب النار بما يضمن تحقق محبوبين هما حصول الجنة، والخلوص من هول النار.

المضامين الدعوية

أولاً: من موضوعات الدعوة: سؤال الله موجبات رحمته وعزائم مغفرته.

ثانيًا: من موضوعات الدعوة: سؤال الله السلامة من كل إثم والغنيمة من كل بر.

ثالثًا: من موضوعات الدعوة: سؤال الله دخول الجنة والنجاة من النار.

أولاً- من موضوعات الدعوة: سؤال الله موجبات رحمته وعزائم مغفرته:

هذا واضح من قوله ﷺ: "اللهم إني أسألك موجبات رحمتك وعزائم مغفرتك"، قال ابن علان: "موجبات رحمتك" أى ما يوجبها مما رتبتها عليه من الأعمال، بوعد الصادق، كقوله تعالى: ﴿ وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ ۚ فَسَأَكْتُبُهَا لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ وَيُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَٱلَّذِينَ هُم بِـَٔايَـٰتِنَا يُؤْمِنُونَ ﴿١٥٦﴾ ٱلَّذِينَ يَتَّبِعُونَ ٱلرَّسُولَ ٱلنَّبِيَّ ٱلْأُمِّيَّ ٱلَّذِى يَجِدُونَهُۥ مَكْتُوبًا عِندَهُمْ فِى ٱلتَّوْرَىٰةِ وَٱلْإِنجِيلِ يَأْمُرُهُم بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَىٰهُمْ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَيُحِلُّ لَهُمُ ٱلطَّيِّبَـٰتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ ٱلْخَبَـٰٓئِثَ وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَٱلْأَغْلَـٰلَ ٱلَّتِى كَانَتْ عَلَيْهِمْ ۚ فَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِهِۦ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ وَٱتَّبَعُوا۟ ٱلنُّورَ ٱلَّذِىٓ أُنزِلَ مَعَهُۥٓ ۙ أُو۟لَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴾[1].

وعزائم مغفرتك. أى موجبات غفرانك. قال المصنف: جمع عزيمة وهى ما عزم الله على العباد أن يعطوه ليغفر لهم، قال ابن الجزري: قيل: وصوابه أن يطيعوه. قلت: ويمكن رد الأول إليه. أى يعطوه من الطاعة"[2].

ونقل الطيبي عن ابن الأثير: "موجبات رحمتك هي: جمع موجبة، وهي الكلمة التي أوجبت لقائلها الجنة وحققتها [وهي: لا إله إلا الله] وعزائم مغفرتك: "أى أسألك أعمالاً يتعزم ويتأكد بها إلى مغفرتك"[3].

قال ابن القيم: "وقد دارت عبارات السلف على أن الفضل والرحمة هما العلم والإيمان والقرآن، وهما اتباع الرسول، وهذا من أعظم الرحمة التي يرحم الله بها من يشاء من عباده، فإن الأمن والعافية والسرور ولذة القلب ونعيمه وبهجته وطمأنينته مع

---

(١) سورة الأعراف، آية: ١٥٦-١٥٧.

(٢) دليل الفالحين، ص ١٥٤٤-١٥٤٥.

(٣) شرح الطيبي على المشكاة، ١٨٢/٣. وانظر: النهاية في غريب الحديث، ص٩٥٩.

الإيمان والهدى إلى طريق الفلاح والسعادة. والخوف والهم والغم والبلاء والألم والقلق مع الضلال والحيرة، ومثل هذا بمسافرين: أحدهما قد اهتدى لطريق مقصده، فسار آمنًا مطمئنًا والآخر قد ضلّ الطريق فلم يدر أين يتوجه، كما قال تعالى: ﴿ قُلْ أَنَدْعُواْ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَنفَعُنَا وَلَا يَضُرُّنَا وَنُرَدُّ عَلَىٰٓ أَعْقَابِنَا بَعْدَ إِذْ هَدَىٰنَا ٱللَّهُ كَٱلَّذِى ٱسْتَهْوَتْهُ ٱلشَّيَٰطِينُ فِى ٱلْأَرْضِ حَيْرَانَ لَهُۥٓ أَصْحَٰبٌ يَدْعُونَهُۥٓ إِلَى ٱلْهُدَى ٱئْتِنَا ۗ قُلْ إِنَّ هُدَى ٱللَّهِ هُوَ ٱلْهُدَىٰ ﴾[1]، فالرحمة التي تحصل لمن حصل له الهدى هي بحسب هداه. فكلما كان نصيبه من الهدى أتم كان حظه من الرحمة أوفر، وهذه هي الرحمة الخاصة بعباده المؤمنين، وهي غير الرحمة العامة بالبرّ والفاجر.

وقد جمع الله سبحانه لأهل هدايته بين الهدى والرحمة والصلاة عليهم، فقال تعالى: ﴿ أُوْلَٰٓئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَٰتٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ ۖ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُهْتَدُونَ ﴾[2].

قال عمر بن الخطاب ﷺ: "نعم العدلان ونعمت العلاوة"[3]، فبالهدى خلصوا من الضلال، وبالرحمة نجوا من الشقاء والعذاب، وبالصلاة نالوا منزلة القرب والكرامة، والضالون حصل لهم ضد هذه الثلاثة: الضلال عن طريق السعادة، والوقوع في ضد الرحمة من الألم والعذاب، والذم واللعن الذي هو ضد الصلاة"[4].

ثانيًا - من موضوعات الدعوة: سؤال الله السلامة من كل إثم والغنيمة من كل بر:

هذا واضح من قول النبي ﷺ: "اللهم إني أسألك موجبات رحمتك، وعزائم مغفرتك والسلامة من كل إثم، والغنيمة من كل بر" قال ابن علان: "السلامة من كل إثم": أي

---

(١) سورة الأنعام، آية: ٧١.

(٢) سورة البقرة، آية: ١٥٧.

(٣) أخرجه سعيد بن منصور في التفسير ٢٣٣، والحاكم ٢/٢٧٠، والبيهقي في شعب الإيمان ٩٦٨٨، وانظر: الدر المنثور ٢/٧٤.

(٤) إغاثة اللهفان من مصايد الشيطان، ابن قيم الجوزية، ٧٥١هـ، تحقيق: محمد حامد الفقي، دار العدل بالإسكندرية، د. ت، ٢/١٧٢-١٧٣.

معصية، "والغنيمة" أى الإكثار، "من كل بر" أى طاعة[1]. قال ابن القيم عن خطورة الذنوب: "إن الذنوب والمعاصي تضر ولابد وأن ضررها في القلوب كضرر السموم في الأبدان، على اختلاف درجاتها في الضرر وهل في الدنيا والآخرة شر وداء إلا وسببه الذنوب والمعاصي. فما الذي أخرج الأبوين من الجنة دارِ اللذة والنعيمِ والبهجةِ والسرورِ إلى دار الآلام والأحزان والمصائب؟

وما الذي أخرج إبليس من ملكوت السماء وطرده ولعنه ومسخ ظاهره وباطنه، فجعل صورته أقبح صورة وأشنعها وباطنه أقبح من صورته وأشنع، وبُدّل بالقرب بعدًا وبالرحمة لعنة وبالجمال قبحًا وبالجنة نارًا تلظى وبالإيمان كفرًا، وبموالاة الولي الحميد أعظم عداوة ومشاقة وبزجل التسبيح والتقديس والتهليل زجل الكفر والشرك والكذب والزور والفحش، وبلباس الإيمان لباس الكفر والفسوق والعصيان". فهان على الله غاية الهوان، وسقط من عينه غاية السقوط وحل عليه غضب الرب تعالى فأهواه، ومقته أكبر المقت فأرداه، فصار قوّادًا لكل فاسق ومجرم، رضى لنفسه بالقيادة بعد تلك العبادة والسيادة، فعياذًا بك اللهم من مخالفة أمرك وارتكاب نهيك.

وما الذي أغرق أهل الأرض كلهم حتى علا الماء فوق رؤوس الجبال؟ وما الذي سلط الريح على قوم عاد حتى ألقتهم موتى على وجه الأرض، كأنهم أعجاز نخل خاوية، ودمرت ما مرت عليه من ديارهم وحروثهم وزروعهم ودوابهم حتى صاروا عبرة للأمم إلى يوم القيامة؟

وما الذي أرسل على قوم ثمود الصيحة، حتى قطعت قلوبهم في أجوافهم، وماتوا عن آخرهم؟

وما الذي خسف بقارون وداره وماله وأهله؟

وما الذي أهلك القرون من بعد نوح بأنواع العقوبات ودمرها تدميرًا؟"[2].

ثم قال: "وللمعاصي من الآثار القبيحة المذمومة والمضرة بالقلب والبدن في الدنيا

---

(١) دليل الفالحين ١٥٤٥.

(٢) الداء والدواء ٦٥-٦٧.

والآخرة ما لا يعلمه إلا الله ... فمنها حرمان الطاعة، فلو لم يكن عقوبة إلا أنه يصد عن طاعة تكون بدله ويقطع طريق طاعة أخرى، فينقطع عليه بالذنب طريق ثالثة، ثم رابعة وهلم جرا، فتنقطع عنه بالذنب طاعات كثيرة، كل واحد منها خير له من الدنيا وما عليها، وهذا كرجل أكل أكلةً أوجبت له مرضةً طويلة منعته من عدة أكلات أطيب منها"[1].

ثالثًا- من موضوعات الدعوة: سؤال الله دخول الجنة والنجاة من النار:

وهذا واضح من ختام الحديث: "والفوز بالجنة والنجاة من النار"، قال ابن علان: "وفي ختم المصنف (أى النووي) بهذا الدعاء إيماء إلى أن المطلوب من الأدعية كغيرها من الأعمال، وهو بعد أداء العبودية لحق الربوبية طلب النجاة من النار ودخول الجنة". قال تعالى: ﴿ كُلُّ نَفْسٍ ذَآئِقَةُ ٱلْمَوْتِ ۗ وَإِنَّمَا تُوَفَّوْنَ أُجُورَكُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ ۖ فَمَن زُحْزِحَ عَنِ ٱلنَّارِ وَأُدْخِلَ ٱلْجَنَّةَ فَقَدْ فَازَ ﴾[2]"[3].

قال القاسمي: "قال الرازي: بيّن تعالى أن تمام الأجر والثواب لا يصل إلى المكلف إلا يوم القيامة، لأن كل منفعة تصل إلى المكلف في الدنيا، فهي مكدرة بالغموم والهموم، وبخوف الانقطاع والزوال والأجر التام، والثواب الكامل إنما يصل إلى المكلف يوم القيامة، لأن هناك يحصل السرور بلا غم، والأمن بلا خوف، واللذة بلا ألم، والسعادة بلا خوف الانقطاع. وكذا القول في العقاب، فإنه لا يحصل في الدنيا ألم خالص عن شوائب اللذة. بل يمتزج به راحات وتخفيفات، وإنما الألم التام الخالص الباقي هو الذي يكون يوم القيامة، نعوذ بالله منه، فمن زحزح أى "أبعد" عن النار، التي هي مجمع الآفات والشرور وأدخل الجنة الجامعة للذات والسرور فقد فاز، أى حصل الفوز العظيم وهو الظفر بالبغية أى النجاة من سخط الله والعذاب السرمد، ونيل

---

(١) الداء والدواء ٨٥-٨٨.

(٢) سورة آل عمران، آية: ١٨٥.

(٣) دليل الفالحين ١٥٤٥.

رضوان الله والنعيم المخلد"[1].

قال ابن رجب الحنبلي: "ومن أهم ما يسأل العبد ربَّه مغفرة ذنوبه، أو ما يستلزم ذلك كالنجاة من النار، وقد قال النبي ﷺ: «حَوْلَهَا نُدَنْدِنُ»[2]. يعني حول سؤال الجنة والنجاة من النار. قال أبو مسلم الخولاني: ما عرضت لي دعوة فذكرت النار إلا صرفتها إلى الاستعاذة منها"[3].

---

(١) محاسن التأويل ٤/٣١٤-٣١٥.

(٢) أخرجه ابن ماجه ٩١٠، ٣٨٤٧ من حديث أبي هريرة رضي الله عنه، وصححه الألباني (صحيح سنن ابن ماجه ٧٤٢، ٣١٠٣). وقال ابن الأثير: "الدندنة أن يتكلم الرجل بالكلام تسمع نغمته ولا يفهم، وهو أرفع من الهينمة قليلًا، والضمير في حولهما للجنة والنار، أي حولهما ندندن وفي طلبهما. النهاية في غريب الحديث في (د ن د ن).

(٣) جامع العلوم والحكم ٢/٤٠٤.

المضامين التربوية في أحاديث الباب

أولاً- التربية بالعبادات:

"إن العبادات هي الصلة المباشرة بين العبد وربه، وتربية على الإحساس بقرب الله وحبه"[(١)]، وهي من أجل الأسس التي يجدر بأهل التربية غرسها وتنميتها بالنشء المسلم، صغيرهم وكبيرهم، وكان الدعاء من أجل وأعظم العبادات التي تراءت من أحاديث الباب، والتي منها قوله ﷺ: "الدعاء هو العبادة".

فالتربية على الدعاء باب عظيم، إذا فتح للعبد تتابعت عليه الخيرات، وانهالت عليه البركات، فمن رغب بالتحلي بمكارم الأخلاق، ورغب بالتخلي من مساوئ الأخلاق، فليلجأ إلى ربه، وليرفع إليه أكف الضراعة، ليرزقه حسن الخلق ويصرف عنه سيئه[(٢)].

والدعاء أثر تربوي جليل، فهو ثمرة المعرفة، والإيمان بمنهج القرآن وفكرته عن الكون، وشعور عميق بالعبودية والفقر والحاجة إلى الله، وضمان للنفس من الغفلة والطغيان؛ والدعاء سبيل القوة الحقة، فلا يقضي على النفس ويوردها موارد التهلكة كإحساسها بالضياع وفقدان السند المعين واليد الحانية، إنه إحساس يأتي على كل ما فيها من قوة وثقة وعزيمة على السير إلى نهاية الطريق، وهو سر ما تعانيه المجتمعات الملحدة من كثرة حوادث الانتحار وضحايا القلق والصرع والجنون، رغم ما تنعم به من متعة وراحة مادية في الحياة. وفي إحساس المؤمن بحفظ الله ورعايته، وأنه يستمع إليه إذا شكا، ويجيبه إذا دعا، ويأخذ بيده إذا كبا، ويمده إذا ضعف، ويعينه إذا احتاج؛ إحساس يملأ النفس سكينة وراحة، ويخلق فيها القوة الحقة والعزم والثقة.

لذا أقام المنهج التربوي الإسلامي من الدعاء دليلاً على أصالة فطرة التعبد في النفس، فما من إنسان يمسه الضر وتضيق به السبل إلا ويلجأ إلى القوة المعينة التي فطر على دعوتها والتضرع إليها؛ لذا كان من مهام دعاة التربية والتوجيه الحث على الدعاء

---

(١) منهج القرآن في التربية، محمد شديد، ٢٥٤.

(٢) رسائل التربية والأخلاق والسلوك، محمد بن إبراهيم الحمد، ٥٠٩، ٥١٠.

وملازمته منهجًا تربويًا في حياة المتربي والمتعلم.

وكان من العبادات الجليلة التي تُبنى عليها أصول التربية الإسلامية والتي تراءت من أحاديث الباب، الصلاة، وهذا ما أكده النبي ﷺ في حديث الباب من قول: طارق ابن أشيم رضي الله عنه: كان الرجل إذا أسلم علمه النبي ﷺ الصلاة.....إلخ" وللصلاة آثار تربوية منها:

١- أن الصلاة تربية عقائدية وتربية عملية حيث الالتزام بالعمل الصالح، ولهذا فالتربية الإسلامية تستغل هذه الطريقة في تحقيق أهدافها فتعمل منذ البداية على تعويد الإنسان على أدائها سواء بالتقليد أو الإقناع أو الإجبار عليها.

٢- الصلاة تربي الإنسان خلقًا وروحًا، فهي تقوي إرادة الإنسان وتعوده على ضبط النفس والصبر والمثابرة والمحافظة على الوقت، والتعود على النظافة وطهارة الملبس.

٣- الصلاة تحفظ طاقات المسلم وتوجهها الوجهة الخيرة بدلاً من إهدارها في أشياء ضارة فهي عندما يحافظ عليها المسلم، تتجه به إلى الاستقامة وترك الملذات السيئة التي تجر الفرد التارك للصلاة، وذلك لأن الصلاة تنهي عن الفحشاء والمنكر والبغي، فحين يتجه الفرد لفعل الذنب يتذكر موعد وقوفه أمام الله في موعد الصلاة القادم فيترك هذا الفعل.

٤- الصلاة تربي في نفس الإنسان صفات حسنة كالتواضع إذ يقف في الصلاة مثله كمثل أي إنسان، ويؤدها مثله، ويجعل بينه وبين الآخرين علاقة طيبة ويعطف على المحتاجين" (١).

لذلك كانت الصلاة معلمًا من معالم تأسيس وتربية النشء المسلم على العبادة والصلة بالله.

ثانيًا- التربية على الهمة العالية:

إن من الأهداف التربوية التي تتضمنها أحاديث الباب، والتي يُناط بدعاة التربية والتوجيه الاهتمام بها، وغرسها في نفوس المتعلمين والمتربين، الهمة العالية، حيث وردت التربية على ذلك في حديث الباب من قوله ﷺ: "اللهم إني أعوذ بك من العجز والكسل...إلخ".

---

(١) التربية الإسلامية مصادرها وتطبيقاتها، د. عماد محمد محمد عطية، ٨٠، ٨١.

والهمة العالية لا تزال بصاحبها تضربه بسياط اللوم والتأنيب، وتزجره عن مواقف الذل، واكتساب الرذائل، وحرمان الفضائل حتى ترفعه من أدنى دركات الحضيض إلى أعلى مقامات المجد والسؤدد [١].

فإذا غرست الهمة العالية في نفوس المتربين، ارتحلت بهم في دروب الفضائل، وصعدت بهم في درجات المعالي، ومن سجايا الإسلام التحلي بكبر الهمة، وجلالة المقصود، وسمو الهدف، وعظمة الغاية، فالهمة هي مركز السالب والموجب في شخصية المتربي، والرقيب على جوارحه، وهي الوقود الحسي والطاقة الملتهبة، التي تمد صاحبها بالوثوب إلى المعالي والمسابقة إلى المحامد، وكبر الهمة يجلب خيرًا غير مجذوذ، فيرقي المتربي إلى درجات الكمال، فيُجري في عروقه دم الشهامة، والركض في ميدان العلم والعمل. فلا يُرى إلا واقفًا على أبواب الفضل، باسطًا يديه لمهمات الأمور، ينافس الرواد في الفضائل ويزاحم السادة في المزايا.

ولله درُّ القائل:

هِمَمٌ كأن الشمس تخطب ودَّها ... والبدر يرسم في سَناها أحْرُفَا
فالله الله في الاهتمام بالهمة ... وسَلٌ سيفها في غمزات الحياة
هو الجِدُّ حتى تَفضُلَ العينُ أختها ... وحتى يكون اليوم لليومِ سيِّدًا [٢]

ثالثًا: التربية على ملازمة التوبة:

إن التوبة هي حقيقة دين الإسلام والدين كله داخل في مسمى التوبة، وبهذا استحق التائب أن يكون حبيب الله. فإن الله يحب التوابين ويحب المتطهرين[٣].

لذا كانت التربية على ملازمة التوبة من الخلال العظيمة التي يجب أن يربى عليها النشء المسلم، وهذا ما ترائى من أحاديث الباب في قوله ﷺ لأبي بكر رضي الله عنه: «قل اللهم إني ظلمت نفسي ظلمًا كثيرًا ولا يغفر الذنوب إلا أنت، فاغفر لي مغفرة من

---

(١) رسائل التربية والأخلاق والسلوك، محمد إبراهيم الحمد، ٥١٢، ٥١٣.

(٢) لا تحزن، د. عائض القرني، ٣٧٢-٣٧٤ بتصرف يسير.

(٣) مدارج السالكين، ابن القيم، ١/٣٠٦.

عندك، وارحمني إنك أنت الغفور الرحيم» وقوله ﷺ: "اللهم اغفر لي خطيئتي وجهلي...إلخ"، وقوله ﷺ: "اللهم إني أسألك موجبات رحمتك وعزائم مغفرتك...إلخ".

وقد بين ابن تيمية: "أن الذنوب تنقص الإيمان، فإذا تاب العبد أحبه الله، وقد ترتفع درجته بالتوبة، قال بعض السلف: "كان داود بعد التوبة خيرًا منه قبل الخطيئة" فمن قضي له بالتوبة كان كما قال سعيد بن جبير: "إن العبد ليعمل الحسنة فيدخل بها النار، وإن العبد ليعمل السيئة فيدخل بها الجنة، وذلك أنه يعمل الحسنة فتكون نصب عينيه فيعجب بها، ويعمل السيئة فتكون نصب عينيه فيستغفر الله ويتوب إليه منها" [(١)].

ومن المعلوم عند أهل السنة والجماعة أن الإيمان يزيد بالطاعة وينقص بالمعصية، فمتى ما صحت التوبة في الابتداء صحت في الانتهاء، وصارت النفس تضيء بالهمة، وتتوقد إلى أن تصل إلى درجة المراغمة التي حباها الله لكثير من التائبين،والمفرطين ممن كانوا بالأمس حزبًا للشيطان وأتباعه، وهذه الدرجة لا تُعطي إلا لمن جد في الاستقامة والدعوة إلى الله والقيام له بأمره لأنه لا شيء أحب إلى الله من مراغمة وليه لعدوه وإغاظته كما قال تعالى: ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ لَا يُصِيبُهُمْ ظَمَأٌ وَلَا نَصَبٌ وَلَا مَخْمَصَةٌ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ وَلَا يَطَـُٔونَ مَوْطِئًا يَغِيظُ ٱلْكُفَّارَ وَلَا يَنَالُونَ مِنْ عَدُوٍّ نَّيْلًا إِلَّا كُتِبَ لَهُم بِهِۦ عَمَلٌ صَٰلِحٌ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ ٱلْمُحْسِنِينَ﴾ [(٢)].

لذلك من تعبد الله بمراغمة الشيطان والنفس عظم شأنه عند مولاه ورفع به الدرجات وحط عنه السيئات وأحسن له العاقبة وحسن مآب، وصاحب هذا المقام معاشر الشباب، إذا نظر إلى الشيطان ولاحظه في الذنب راغمه بالتوبة النصوح، فأحدثت له هذه المراغمة عبودية أخرى من لذة البكاء من خشية الله على ما بَدَر منه، في أيامه الأولى فيأبى عندها إلا المراغمة وعبوديتها [(٣)].



---

(١) مجموع الفتاوى، ٤٥/١٠.

(٢) سورة التوبة، الآية: ١٢٠.

(٣) تهذيب مدارج السالكين، ابن القيم، عبدالمنعم العزي، ١٤٤، ١٤٥ بتصرف، نقلاً عن الفوائد التربوية من فتاوى ابن تيمية، جمع وشرح أحمد يوسف الأنصاري، ص٧٠، ٧١.

٢٥١ - باب فضل الدعاء بظهر الغيب

قَالَ تَعَالَى: ﴿والَّذِينَ جَاءوا مِنْ بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا ولإخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بالإيمَانِ﴾[الحشر:١٠]، وقال تَعَالَى: ﴿واسْتَغْفِرْ لِذَنْبِكَ وَلِلْمُؤمِنِينَ والمؤْمِنَاتِ﴾[محمد: ١٩]، وقال تَعَالَى إخْبَارًا عَن إبْرَاهِيمَ عليه السلام: ﴿رَبَّنا اغْفِرْ لِي وَلِوَالِدَيَّ وَلِلْمُؤمِنِينَ يَومَ يَقُومُ الحِسَابُ﴾[إبراهيم: ٤١].

الحديث رقم (١٤٩٦)

١٤٩٦- وعن أَبي الدرداء رضي الله عنه: أنَّه سَمِعَ رسولَ الله صلى الله عليه وسلم يقول: ((مَا مِنْ عَبْدٍ مُسْلِمٍ يدعُو لأَخِيهِ بِظَهْرِ الغَيْبِ إلاَّ قَالَ المَلَكُ: وَلَكَ بِمِثْلٍ)). رواه مسلم[1].

ترجمة الراوي:

أبو الدرداء: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (٢٧٢).

غريب الألفاظ:

بظهر الغيب: في غيبة المدعو له وفي سره لأنه أبلغ في الإخلاص[2].

الشرح الأدبي

يدور الحديث حول معنى عظيم في بناء المشاعر الإنسانية التي تحدد العلاقات البينية بين أفراد المؤمنين بضبط حركة القلب، وتوجيهها لما فيه التحابب، المؤذن بالتكافل، والتعاون المبني على باطن نقي سليم لا ينافق، ولا يرائي، وإنما يتحرك بظاهر يوافق باطنا تقربا لله فينزل أخاه منزلة نفسه ليس فقط في تمني الخير له بل في الإيجابية في تحقيق هذا الخير عن طريق الدعاء بينه، وبين ربه، وهو من أعظم دلائل الإخلاص في القربى لله، والعلاقة الصادقة مع أخيه، ولذلك قرر هذا الحديث أن

---

(١) برقم (٢٧٣٢/٨٦).

(٢) شرح مسلم، النووي ١٦٠٣.

الجزاء من جنس العمل ترغيبا في هذا الخلق النبيل الداعم لأسمى المشاعر الإنسانية وقد ورد المعنى في أسلوب القصر المؤكد للمعنى المستغرق للجنس تعميما للحكم في قوله (مِنْ عَبْدٍ مُسْلِمٍ يدعُو لأَخِيهِ بِظَهْرِ الغَيْبِ إلاَّ قَالَ المَلَكُ: وَلَكَ بِمِثْلٍ) حيث قصر الدعاء بظاهر الغيب على رد الملك بالمثلية، ثم إنه قابل دعاء بشر لبشر بدعاء ملك لبشر ترغيبا في إتيان هذا العمل الذي يدل على السمو النفسي، والتقارب الوجداني، والإخلاص لله، ولفظ الأخوة مقصود به أخوة الإسلام، والتعبير بلفظ الأخوة تذكير برابطة الرحم التي تستلزم الرحمة، والمودة، والرعاية، التعبير بالظهر للتأكيد أي في غيبة المدعو له عنه وإن كان حاضرا معه بأن دعا له بقلبه حينئذ أو بلسانه ولم يسمعه فدعوته مستجابة لخلوص دعائه من الرياء والسمعة، وقوله (ولك بمثل) فيه التفات أي: استجاب الله دعاءك في حق أخيك، ولك بمثل أي مثل ما دعوت له من الخير.

المضامين الدعوية[1]

أولاً: من موضوعات الدعوة: الدعاء بظهر الغيب.

ثانيًا: من أهداف الدعوة: إشاعة المحبة بين المدعوين.

ثالثًا: من موضوعات الدعوة: سلامة الصدور من الشحناء.

رابعًا: من أساليب الدعوة: الترغيب.

أولاً- من موضوعات الدعوة: الدعاء بظهر الغيب:

هذا واضح من الحديثين، أو الروايتين، "ما من عبد مسلم يدعو لأخيه بظهر الغيب إلا قال الملك: ولك بمثل"، و"دعوة المرء المسلم لأخيه بظهر الغيب مستجابة، عند رأسه ملك موكل كلما دعا لأخيه بخير قال الملك الموكل به: آمين، ولك بمثل".

وقال القرطبي: "إنما خص حالة الغيبة بالذكر لبعدها عن الرياء، والأغراض المفسدة أو المنقصة، فإنه في حال الغيبة يتمحض الإخلاص ويصحّ قصد وجه الله تعالى بذلك، فيوافقه الملك في الدعاء، ويبشره على لسان رسوله ﷺ بأن له مثل ما دعا به لأخيه"[2].

---

(١) تم دمج المضامين الدعوية لهذا الحديث -١٤٩٦- مع المضامين الدعوية للحديث رقم (١٤٩٧).

(٢) المفهم ٧/٦١.

وقال النووي: "قوله ﷺ "بظهر الغيب" معناه في غيبة المدعو له وفي سره، لأنه أبلغ في الإخلاص ... وفي هذا فضل الدعاء لأخيه المسلم بظهر الغيب، ولو دعا لجماعة من المسلمين حصلت هذه الفضيلة، ولو دعا لجملة المسلمين فالظاهر حصولها أيضًا، وكان بعض السلف إذا أراد أن يدعو لنفسه يدعو لأخيه المسلم بتلك الدعوة؛ لأنها تستجاب ويحصل له مثلها"(١).

وقال ابن عثيمين: "الدعاء للمؤمنين بظهر الغيب من طرق الرسل - عليهم الصلاة والسلام - ومن سبيل الرسل - عليهم الصلاة والسلام - ومن ذلك أننا نحن كلنا يقول ندعو لإخواننا في صلاتنا بظهر الغيب، كلنا يقول: السلام علينا وعلى عباد الله الصالحين. وهذا دعاء. وقد قال النبي ﷺ: "إنكم إذا قلتم ذلك، فإنكم قد سلمتم على كل عبد صالح في السماء والأرض"(٢)، إذن إذا قلت: "السلام علينا وعلى عباد الله الصالحين فهذا دعاء لإخوانك بظهر الغيب"(٣).

جاء في كتاب الدعاء: مفهومه وأحكامه وأخطاء تقع فيه عند ذكر آداب الدعاء: "الأدب العشرون: أن يدعو لإخوانه المؤمنين، فهذا من مقتضيات الأخوة، ومن أسباب إجابة الدعوة، قال تعالى: ﴿وَٱسْتَغْفِرْ لِذَنۢبِكَ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ﴾(٤)، وذكر عن نوح عليه السلام قوله: ﴿رَّبِّ ٱغْفِرْ لِى وَلِوَٰلِدَىَّ وَلِمَن دَخَلَ بَيْتِىَ مُؤْمِنًا وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ﴾(٥)، وقال عليه الصلاة والسلام: "من استغفر للمؤمنين والمؤمنات كتب له بكل مؤمن ومؤمنة حسنة"(٦).

ويحسن أن يُخص بالدعاء - الوالدان والعلماء والصالحون والعبّاد ومن في صلاحهم صلاح لأمر المسلمين كأولياء الأمور وغيرهم ... ويحسن به -أيضًا- أن يدعو

---

(١) شرح صحيح مسلم، مج٩/١٧/٥١-٥٢ ط، دار عالم الكتب.

(٢) أخرجه البخاري ٨٣١، ومسلم ٤٠٢.

(٣) شرح رياض الصالحين ٢/١٥٦٤.

(٤) سورة محمد، آية: ١٩.

(٥) سورة نوح، آية: ٢٨.

(٦) أخرجه الطبراني في الكبير، كما في مجمع الزوائد ١٠/٢١٠، وقال الهيثمي: إسناده جيد

للمستضعفين والمظلومين من المسلمين، وأن يدعو على الظالمين الذين في هلاكهم نصر للإسلام والمسلمين وراحة للمستضعفين والمظلومين"[١].

وقد قال الله تعالى: ﴿ وَٱلَّذِينَ جَآءُو مِنۢ بَعۡدِهِمۡ يَقُولُونَ رَبَّنَا ٱغۡفِرۡ لَنَا وَلِإِخۡوَٰنِنَا ٱلَّذِينَ سَبَقُونَا بِٱلۡإِيمَٰنِ وَلَا تَجۡعَلۡ فِي قُلُوبِنَا غِلّٗا لِّلَّذِينَ ءَامَنُواْ رَبَّنَآ إِنَّكَ رَءُوفٞ رَّحِيمٌ ﴾[٢]. قال ابن كثير: "التابعون لهم بإحسان هم المتبعون لآثارهم الحسنة وأوصافهم الجميلة الداعون لهم في السر والعلانية"[٣].

وقال القاسمي: "قال الشهاب: "والمراد بدعاء اللاحق للسابق، والخلف للسلف، أنهم متبعون لهم أو هو تعليم لهم بأن يدعوا لمن قبلهم ويذكروهم بالخير اهـ ... ثم بين تعالى حال من يجيء بعدهم بأنه يثنى على من سبقه، ويدعو له ابتهاجًا بما أتوا واغتباطًا بما عملوا، لأنهم بين مهاجر عن أهله وأمواله محبة في الله ورسوله وبين محب لمن هاجر مكرم له، بل مؤثر إياه، مما أشفّ عن قوة الإيمان والإخلاص في تدعيم روابط الإيقان"[٤].

وقال الطاهر بن عاشور: "أى سألوا الله أن يطهر نفوسهم من الغل والحسد للمؤمنين السابقين، على ما أعطوه من فضيلة صحبة النبي ﷺ وما فضل به بعضهم من الهجرة وبعضهم من النصرة، فبين الله للذين جاءوا من بعدهم ما يكسبهم فضيلة ليست للمهاجرين والأنصار، وهى فضيلة الدعاء لهم بالمغفرة وانطواء ضمائرهم على محبتهم وانتفاء البغض لهم، والمراد أنهم يضمرون ما يدعون الله به لهم في نفوسهم ويرضوا أنفسهم عليه، وقد دلت الآية على أن حقًا على المسلمين أن يذكروا سلفهم بخير، وأن حقًا عليهم محبة المهاجرين والأنصار، وتعظيمهم"[٥].

---

(١) الدعاء: مفهومه وأحكامه وأخطاء تقع فيه. محمد بن إبراهيم الحمد، ص ٤٦-٤٧.

(٢) سورة الحشر، آية: ١٠.

(٣) تفسير القرآن العظيم ٨/٧٢-٧٣.

(٤) محاسن التأويل مج ٩/١٦/ ١٠٤-١٠٥.

(٥) التحرير والتنوير مج ١١/٢٨/٩٧.

ثانيًا- من أهداف الدعوة: إشاعة المحبة بين المدعوين:

وهذا واضح من بيان فضل الدعاء بظهر الغيب، فإن هذا يدفع المدعوين إلى أن يدعو بعضهم لبعض بظهر الغيب، وهذا المسلك ينفي ما قد يكون في قلوب بعضهم من غل أو حسد أو إحن الأحقاد تجاه بعضهم الآخر، ومن ثم يؤدي إلى انتشار المحبة بينهم.

قال القرطبي: "المسلم هنا هو الذي سلم المسلمون من لسانه ويده، الذي يحب للناس ما يحب لنفسه؛ لأن هذا هو الذي يحمله حاله وشفقته على أخيه المسلم أن يدعو له بظهر الغيب، أي في حال غيبته عنه"[1].

قال ابن عثيمين: "إن الدعاء بظهر الغيب يدل دلالة واضحة على صدق الإيمان؛ لأن النبي ﷺ قال: «لا يُؤْمِنُ أَحدُكُمْ حتى يُحِبَّ لأَخِيه ما يُحِبُّ لِنَفْسِهِ»[2]، فإذا دعوت لأخيك بظهر الغيب بدون وصية منه كان هذا دليلاً على محبتك إياه، وأنك تحب له من الخير ما تحب لنفسك"[3]، وقد أخرج ابن حبان حديث أنس في رواية عنده "لا يبلغ عبد حقيقة الإيمان حتى يحب للناس ما يحب لنفسه من الخير"[4]، وقد بوب البخاري على حديث أنس: باب من الإيمان أن يحب لأخيه ما يحب لنفسه"[5]، قال ابن حجر: "قوله" ما يحب لنفسه"، أى من الخير، ... والخير كلمة جامعة تعم الطاعات والمباحات الدنيوية والأخروية، وتخرج المنهيات، لأن اسم الخير لا يتناولها والمحبة إرادة ما يعتقده خيرًا.

قال النووي[6]: المحبة الميل إلى ما يوافق المحب، وقد تكون بحواسه كحسن الصورة، أو بفعله إما لذاته كالفضل والكمال، وإما لإحسانه كجلب نفع أو دفع ضرر. انتهى ملخصًا. والمراد أيضًا أن يحب أن يحصل لأخيه نظير ما يحصل له، لا عينه

---

(١) المفهم ٦١/٧

(٢) أخرجه البخاري ١٣، ومسلم ٤٥.

(٣) شرح رياض الصالحين ١٥٦٣/٢.

(٤) أخرجه ابن حبان ٢٣٥.

(٥) صحيح البخاري، الحديث ١٣.

(٦) شرح صحيح مسلم مج١٣/٢/١، ط دار الكتب العلمية.

سواء كان في الأمور المحسوسة أو المعنوية، وليس المراد أن يحصل لأخيه ما حصل له لا مع سلبه عنه ولا مع بقائه بعينه له، إذ قيام الجوهر أو العرض بمحلين محال. وقال أبو الزناد بن سراج: ظاهر هذا الحديث طلب المساواة وحقيقته تستلزم التفضيل، لأن كل أحد يحب أن يكون أفضل من غيره، فإذا أحب لأخيه مثله فقد دخل في جملة المفضولين. قلت (القائل ابن حجر): أقر القاضي عياض هذا[١]، وفيه نظر، إذ المراد الزجر عن هذه الإرادة. لأن المقصود الحث على التواضع، فلا يحب أن يكون أفضل من غيره. فهو مستلزم للمساواة، ويستفاد ذلك من قوله تعالى: ﴿ تِلْكَ ٱلدَّارُ ٱلْآخِرَةُ نَجْعَلُهَا لِلَّذِينَ لَا يُرِيدُونَ عُلُوًّا فِي ٱلْأَرْضِ وَلَا فَسَادًا ﴾[٢]، ولا يتم ذلك إلا بترك الحسد والغل والحقد والغش وكلها خصال مذمومة.

(فائدة) قال الكرماني: ومن الإيمان أيضًا أن يبغض لأخيه ما يبغض لنفسه من الشر، ولم يذكره لأن حب الشيء مستلزم لبغض نقيضه، فترك التنصيص عليه اكتفاء)[٣].

وقد ضرب السلف المثال الرائع لحب الأخ لأخيه في الدعاء بظهر الغيب، فقد كان بعضهم "إذا أراد أن يدعو لنفسه يدعو لأخيه المسلم بتلك الدعوة، لأنها تستجاب ويحصل له مثلها"[٤].

وكان أبو الدرداء رضي الله عنه يقول: إني لأدعو لسبعين من إخواني في سجودي أسميهم بأسمائهم. وكان محمد بن يوسف الأصفهاني يقول: وأين مثل الأخ الصالح؟ أهلك يقتسمون ميراثك ويتنعمون بما خلفت، وهو منفرد بحزنك مهتم بما قدمت وما صرت إليه، يدعو لك في ظلمة الليل وأنت تحت أطباق الثرى"[٥].

---

(١) إكمال المعلم ٢٨٢/١.

(٢) سورة القصص، آية: ٨٣.

(٣) فتح الباري ٧٤/١ ط الريان.

(٤) شرح صحيح مسلم، مج ٩/ج٥٢/١٧، ط دار عالم الكتب.

(٥) إحياء علوم الدين ٩٨٠/٢-٩٨١.

ثالثًا- من موضوعات الدعوة: سلامة الصدور من الشحناء:

هذا مستفاد من الحديث، فإن دعاء الأخ لأخيه بظهر الغيب يدل على سلامة الصدر من الشحناء، وهذا من أفضل الأعمال، قال ابن رجب الحنبلي: "أفضل الأعمال سلامة الصدر من أنواع الشحناء كلها، "وأفضلها السلامة من شحناء أهل الأهواء والبدع التي تقتضي الطعن على سلف الأمة، وبغضهم والحقد عليهم واعتقاد تكفيرهم أو تبديعهم وتضليلهم، (أى خلو الصدر من الطعن على سلف الأمة). ثم يلي ذلك سلامة القلب من الشحناء لعموم المسلمين وإرادة الخير لهم ونصيحتهم وأن يحب لهم ما يحب لنفسه، وقد وصف الله تعالى المؤمنين عمومًا بأنهم يقولون: ﴿ رَبَّنَا ٱغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَٰنِنَا ٱلَّذِينَ سَبَقُونَا بِٱلْإِيمَـٰنِ وَلَا تَجْعَلْ فِى قُلُوبِنَا غِلًّا لِّلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ رَبَّنَآ إِنَّكَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴾[1].

عن أنس أن النبي ﷺ قال لأصحابه ثلاثة أيام: "يطلع عليكم الآن رجل من أهل الجنة "فيطلع رجل واحد. فاستضافه عبدالله بن عمرو، فقام عنده ثلاثًا لينظر عمله، فلم ير له في بيته كبير عمل، فأخبره بالحال، فقال له: هو ما ترى إلا أني أَبِيتُ وليس في قلبي شيء على أحد من المسلمين، فقال عبدالله: بهذا بلغ ما بلغ[2].

وفي سنن ابن ماجه عن عبدالله بن عمرو رضي الله عنهما قال: "قيل يا رسول الله ﷺ أى الناس أفضل؟، قال: كل مخموم القلب صدوق اللسان، قالوا: صدوق اللسان نعرفه. فما مخموم القلب؟ قال: هو التقى النقي الذي لا إثم فيه ولا بغى ولا غل ولا حسد" [3].

قال بعض السلف: أفضل الأعمال سلامة الصدور وسخاوة النفوس والنصيحة للأمة وبهذه الخصال بلغ من بلغ، لا بكثرة الاجتهاد في الصوم والصلاة"[4].

وقال ابن تيمية عن فائدة الدعاء للغير: "فالدعاء للغير ينتفع به الداعي، والمدعو له

---

(١) سورة الحشر، آية: ١٠.

(٢) أخرجه أحمد ١٦٦/٣، رقم ١٢٦٩٧، وقال محققو المسند: إسناده صحيح ١٢٤/٢٠، ١٢٥..

(٣) أخرجه ابن ماجه ٤٢١٦، وصححه الألباني (صحيح سنن ابن ماجه ٣٣٩٧).

(٤) لطائف المعارف ٢٦٦-٢٦٧.

وإن كان الداعي دون المدعو له، فدعاء المؤمن لأخيه ينتفع به الداعي والمدعو له. فمن قال لغيره ادع لي وقصد انتفاعهما جميعًا بذلك كان: هو وأخوه متعاونين على البر والتقوى، فهو نبه المسؤول وأشار عليه بما ينفعهما، بمنزلة من يأمر غيره ببر وتقوى؛ فيثاب المأمور على فعله، والآمر أيضًا يثاب مثل ثوابه؛ لكونه دعا إليه، لاسيما ومن الأدعية ما يؤمر بها العبد، كما قال تعالى: ﴿وَٱسْتَغْفِرْ لِذَنۢبِكَ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ﴾[1]. فأمره بالاستغفار ثم قال: ﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذ ظَّلَمُوٓاْ أَنفُسَهُمْ جَآءُوكَ فَٱسْتَغْفَرُواْ ٱللَّهَ وَٱسْتَغْفَرَ لَهُمُ ٱلرَّسُولُ لَوَجَدُواْ ٱللَّهَ تَوَّابًا رَّحِيمًا﴾[2].

فذكر - سبحانه - استغفارهم، واستغفار الرسول لهم إذ ذاك مما أمر به الرسول، حيث أمره أن يستغفر للمؤمنين والمؤمنات"[3].

لذا كان إقدام المسلم على الدعاء لنفسه ولإخوانه بالمغفرة ونحو ذلك دليلاً على سلامة صدره نحوهم، أو على الأقل تحمله لما يلحقه من الأذى منهم، دون ان يظهر ذلك في تعامله معهم، وهذا وإن كان أقل درجة من سلامة الصدر إلا أنه يشترك معها في النتيجة والأثر، وهو السلامة في التعامل مع غيره من إخوانه.

رابعًا- من أساليب الدعوة: الترغيب:

والترغيب في هذا الحديث ناشئ من بيان نتيجة الدعوة للأخ بظهر الغيب، يتضح هذا بأن من فعل ذلك فإن دعوته مستجابة كما أن الملك يقول: ولك بمثل، ومن الملاحظ أن الترغيب في الرواية الأولى جاء مصوغًا في أسلوب القصر "ما- إلا" كما أن الترغيب في الرواية الثانية جاء في صيغة الإخبار. وتفسير ذلك أن القصر جاء ليقرر أن هذا الفضل لاحق بمن يدعو لأخيه بظهر الغيب لا محالة. كما جاء الإخبار في الرواية الثانية ليقرر حقيقة مسلم بها لا تقبل أدنى شك، لأن الذي أخبر بذلك هو الصادق المصدوق ﷺ.

---

(١) سورة محمد، آية: ١٩.

(٢) سورة النساء، آية: ٦٤.

(٣) مجموع الفتاوى ١٠١/١، ط العبيكان، ١٣٣/١، ط ابن قاسم.

يقول القرطبي مبينًا أسلوب الترغيب: "إن الإنسان إذا دعا لإخوانه المسلمين حيث كانوا، وصدق الله في دعائه، وأخلص فيه في حال الغيبة عنهم أو عن بعضهم. قال الملك له ذلك القول. بل قد يكون ثوابه أعظم، لأنه دعا بالخير وقصده للإسلام ولكل المسلمين"[١].

(١) المفهم ٦٢/٧.

الحديث رقم (١٤٩٧)

١٤٩٧- وعنه: أنَّ رسُولَ الله ﷺ كَانَ يقول: ((دَعْوَةُ المَرْءِ المُسْلِمِ لأخِيهِ بِظَهْرِ الغَيْبِ مُسْتَجَابَةٌ، عِنْدَ رَأسِهِ مَلَكٌ مُوَكَّلٌ كُلَّمَا دَعَا لأخِيهِ بِخَيْرٍ قَالَ المَلَكُ المُوَكَّلُ بِهِ: آمِينَ، وَلَكَ بِمِثْلٍ)). رواه مسلم[1].

ترجمة الراوي:

أبو الدرداء: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (٢٧٢).

غريب الألفاظ:

ملك موكل: أي موكل مسند إليه الإتيان بما يأتي عنه[2].

الشرح الأدبي

هذا الحديث كسابقه في الترغيب في الدعاء بظاهر الغيب بين المؤمنين بتقرير استجابة دعوة الداعي لأخيه بظهر الغيب وللداعي بمثله مما يربط هذا النفع العام بالمنفعة الشخصية التي تزيد النفس التي جبلت على حب الخير حرصا على تحصيل هذا الأجر، وقول رسول الله ﷺ (دعوة المرء المسلم) أي الشخص الشامل للرجل والمرأة (لأخيه) أي أخوة الإسلام، والتعبير بالأخوة لزيادة الترغيب في الدعاء بتذكيره بموجبات الأخوة التي تعني صلة الرحم، وقوله (بظهر الغيب) ذكر الظهر للتأكيد أي في غيبة المدعو له عنه وإن كان حاضرا معه بأن دعا له بقلبه حينئذ أو بلسانه ولم يسمعه مستجابة لخلوص دعائه من الرياء والسمعة قال الطيبي موضع بظهر الغيب نصب على الحال من المضاف إليه لأن الدعوة مصدر أضيف إلى فاعله ويجوز أن يكون ظرفا للمصدر وقوله مستجابة خبر لها وقوله: (عند رأسه) أي الداعي (ملك) جملة مستأنفة مبينة للاستجابة ولفظ الملك من الألفاظ التي تبعث الطمأنينة في النفس (موكل) أي بالدعاء له عند دعائه لأخيه كلما دعا لأخيه بخير، أو دفع شر قال الملك الموكل به

---

(١) برقم (٢٧٣٢/٨٨).

(٢) دليل الفالحين ١٥٤٦.

آمين أي استجب له يا رب دعاءه لأخيه وكلمة (موكل) توحي بالتكليف الدال على تشريف العبد الداعي لإخوانه، ولفظ (آمين) اسم فعل أمر بمعنى استجب وللفظ يوحي بفيض من الرحمة التي تبعث الطمأنينة القلبية، والراحة النفسية فقوله (ولك بمثل) فيه التفات، أي استجاب الله دعاءك في حق أخيك ولك بمثل أي: ولك مشابه هذا الدعاء وتقديم الجار والمجرور (لك) يفيد الاختصاص أو الاهتمام، قيل كان بعض السلف إذا أراد أن يدعو لنفسه يدعو لأخيه المسلم بتلك الدعوة ليدعو له الملك بمثلها فيكون أعون للاستجابة، فعلى المؤمن أن يبدأ بنفسه ويدعو لإخوانه من المؤمنين الأحياء، والأموات لعلى الله ينفع بعضهم بدعاء بعض.

المضامين الدعوية[1]

---

(١) تم دمجها مع مضامين الحديث السابق.

المضامين التربوية في أحاديث الباب

أولاً- التربية الوجدانية:

إن تربية الشعور وتنمية الإحساس لدى أفراد الجماعة المؤمنة، من أعظم الأهداف التربوية، والتي نوه عليها المنهج الإسلامي في تربية النشء المسلم.

فالمسلم مرهف الحس لشأن أخيه، يفرح لفرحه، ويتأثر لترحه، يساعده إن ألم به مكروه، ويسانده إن اعتلته حاجة، أو أعوزته فاقة، راسمًا بفعله ذلك أرقى وأبلغ تصور لروابط الحب والصلة في ميزان الله!!!

والدعاء بظهر الغيب من أعظم وأوكد ما يبرهن على عظم تربية الشعور والإحساس لدى أفراد الجماعة المؤمنة، مما يكسبها في ذلك وحدة روحية، ومشاركة وجدانية، تنعكس على توثيق الروابط وحفظ المودات بين أفرادها؛ فتحصل في ذلك غاية قوله ﷺ: «مَثَلُ الْمُؤْمِنِينَ فِي تَوَادِّهِمْ وَتَرَاحُمِهِمْ وَتَعَاطُفِهِمْ، مَثَلُ الْجَسَدِ. إِذَا اشْتَكَىٰ مِنْهُ عُضْوٌ، تَدَاعَىٰ لَهُ سَائِرُ الْجَسَدِ بِالسَّهَرِ وَالْحُمَّىٰ» [1]. أي: دعا بعضه بعضًا إلى المشاركة في ذلك [2].

وحتى يتسنى لدعاة التربية والتوجيه غرس الدعاء بظهر الغيب -كهدف تربوي- في حفظ البناء الروحي والوجداني لأبناء الأمة الإسلامية، كان عليهم ما يلي:

١- الترغيب ببيان عظم الأجر من الله تعالى في ذلك، وهذا ما أوضحه النبي ﷺ في حديث الباب من قوله: "ما من عبد مسلم يدعو لأخيه بظهر الغيب، إلا قال الملك: ولك بمثل".

٢- استجاشة العواطف الإيمانية لدى المتربي والمتعلم بإبراز أهمية دوره الديني في إعانة أفراد أمته ممن يحتاجون إلى -دعائه بظهر الغيب- كإخوانه في فلسطين والعراق ... إلخ.

---

(١) أخرجه البخاري، ٦٠١١، ومسلم، ٢٥٨٦.

(٢) شرح صحيح مسلم، النووي، ١٥٤٥.

٣ - التوصية والتذكير والمتابعة للمتربي والمتعلم في القيام بذلك.

ثانيًا- التربية بالترغيب:

إن من أبرز الأساليب التربوية التي وردت في حديثي الباب، الترغيب في الدعاء بظهر الغيب، حيث استجابة الدعاء وفوز الداعي بمثل دعوته.

والترغيب وعد يصحبه تحبيب وإغراء بمصلحة أو لذة أو متعة آجلة، مؤكدة، خيِّرة، خالصة من الشوائب، مقابل القيام بعمل صالح، وذلك رحمة من الله لعباده، والترغيب هو القوة المحرضة الدافعة لفعل الخير، ووظيفته دغدغة المطامع الإنسانية في اتجاه طرق الخير، وهذا ما استخدمه النبي ﷺ من تحريض على السعي الحثيث، وتكوين القناعة في الأنفس المصحوبة بإرادة التنفيذ حول الدعاء بظهر الغيب[1].



---

(١) أساليب الدعوة والتربية في السنة النبوية، د. زياد محمود العاني، ٢٢٠، ٢٢١ باختصار.

٢٥٢- باب في مسائل من الدعاء

الحديث رقم (١٤٩٨)

١٤٩٨- وعن أسامة بن زيد رضي الله عنهما، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: **((مَنْ صُنِعَ إليْهِ مَعْرُوفٌ، فَقَالَ لِفاعِلِهِ: جَزَاكَ اللهُ خَيرًا، فَقَدْ أبْلَغَ فِي الثَّنَاءِ))**. رواه الترمذي[1]، وقال: (حديث حسن صحيح).

ترجمة الراوي:

أسامة بن زيد: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (٢٩).

غريب الألفاظ:

أبلغ في الثناء: الثناء: المدح، وكلمة أبلغ من بالغ بمعنى لم يقصر والمعنى بالغ في أداء شكره[2].

الشرح الأدبي

الحديث أسلوبه خبري يبدأ بالاسم الموصول الذي يدل بصلته على صاحب الصفة المذكورة في أي زمان، ومكان، وبذلك يأخذ الحكم عموما وشمولا لكل من وافقت صفته هذه الصفة، وبناء الفعل (صُنع) للمفعول يؤكد عموم الحكم، ولفظ المعروف علم على فعل الخير للغير خاصة، وهو على ذلك ضد المنكر، وهو في معناه العام يقابل المجهول دلالة على إقراره بين الناس، وعدم إنكاره، وقوله (فقال لفاعله) مترتب على ما قبله بالفاء التي تقتضي الترتيب والتعقيب إشارة إلى سرعة الرد الجميل الدال على التفاعل البناء، وقوله (جزاك الله خيرا) جملة خبرية لفظا إنشائية معنى أي قضى لك خيرا وأثابك عليه: يعني أطلب من الله أن يفعل ذلك بك وصياغتها في صورة الخبر

---

(١) برقم (٢٠٣٥). وقال: هذا حديثٌ حسنٌ جيّدٌ غريبٌ. وصحّحه ابن حبان (الإحسان ٣٤١٣)، وقال الحافظ في نتائج الأفكار (ق٣٢١/٢): هذا حديث صحيح. أورده المنذري في ترغيبه (١٤١١).

(٢) القاموس المحيط، والمعجم الوسيط في (ب ل غ)، وتحفة الأحوذي ١٦٧٩/٢.

تأكيدا، وتفاؤلا بتحققها وكأنها صارت واقعا محققا، وهو يخبر عنه، وتنكير لفظ (خيرا) للتعظيم أي جزاك الله خيرا عظيما، وكل جزاء من الله على الخير عظيم (فقد أبلغ في الثناء) أي بالغ فيه، وبذل جهده في مكافأته عليه بذكره بالجميل وطلبه له من الله تعالى الأجر الجزيل فإن ضم لذلك معروفا من جنس المفعول معه كان أكمل، وهذا ما يقتضيه هذا الخبر لكن يأتي في آخر ما يصرح بأن الاكتفاء بالدعاء إنما هو عند العجز عن مكافأته بمثل ما فعل معه من المعروف.

المضامين الدعوية

أولاً: من موضوعات الدعوة: الثناء على صانع المعروف.

ثانيًا: من أهداف الدعوة: نشر فضيلة الشكر بين المدعوين.

أولاً - من موضوعات الدعوة: الثناء على صانع المعروف:

هذا واضح من قول النبي ﷺ "من صُنِع إليه معروف فقال لفاعله جزاك الله خيرًا، فقد أبلغ في الثناء"، وعن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: "إذا قال الرجل لأخيه: جزاك الله خيرًا فقد أبلغ في الثناء"[1]. وقال عمر بن الخطاب: "لو يعلم أحدكم ما له في قوله لأخيه جزاك الله خيرًا. لأكثر منها بعضكم لبعض"[2].

وقد بوب ابن حبان على حديث أسامة بن زيد رضي الله عنهما: ذكر الشيء الذي إذا قاله المرء للمُسدي إليه المعروف عند عدم القدرة على الجزاء، يكون مبالغًا في ثوابه[3].

وقال الصنعاني: "المعروف الإحسان، والمراد من أحسن إليه إنسان بأي إحسان فكافأه بهذا القول فقد بلغ في الثناء عليه مبلغًا عظيمًا ولا يدل على أنه قد كافأه على إحسانه بل دلّ على أنه ينبغي الثناء على المحسن"[4].

---

(١) أخرجه ابن أبي شيبة، ٧٠/٩، والبزار ١٩٤٤، وقال محقق صحيح ابن حبان، ٢٠٣/٨: وفي سنده موسى بن عبيدة، وهو وإن كان ضعيفًا، يصلح للشواهد.

(٢) أخرجه ابن أبي شيبة، ٧٠/٩، رقم ٦٥٧٠.

(٣) صحيح ابن حبان ٢٠٢/٨، الحديث ٣٤١٣.

(٤) سبل السلام ٨٨٤، ط بيت الأفكار الدولية.

وقال المباركفوري: "قوله : "فقال لفاعله": أى بعد عجزه عن إثابته أو مطلقًا "جزاك الله خيرًا" أى خير الجزاء، أو أعطاك خيرًا من خَيْرَىْ الدنيا والآخرة (فقد أبلغ الثناء) أى بالغ في أداء شكره"[1]، وعلل الطيبي ذلك بأنه : "اعترف بالتقصير وأنه ممن عجز عن جزائه وثنائه، ففوض جزاءه إلى الله ليجزيه الجزاء الأوفى"[2].

وقال ابن عثيمين موضحًا اختلاف نوع المكافأة باختلاف الأحوال، قال: "إذا صنع إليك إنسان معروفًا بمال أو مساعدة أو علم أو جاه أو غير ذلك، فإن النبي ﷺ أمر أن تكافئ صانع المعروف فقال: "من صنع إليكم معروفًا فكافئوه"[3]. والمكافأة تكون بحسب الحال، من الناس من تكون مكافأته أن تدعو له ولا يرضى أن تكافئه بمال. فإن الإنسان الكبير الذي عنده أموال كثيرة، وله جاه وشرف في قومه، إذا أهدى إليك شيئًا فأعطيته مثل ما أهدى إليك رأى في ذلك قصورًا في حقه، لكن مثل هذا ادع الله له. "فإن لم تجدوا ما تكافئونه فادعوا له حتى تروا أنكم قد كافأتموه". ومن ذلك أن تقول له (جزاك الله خيرًا) إذا أعطاك شيئًا أو نفعك بشيء فقل له (جزاك الله خيرًا)، فقد أبلغت الثناء، وذلك لأن الله تعالى إذا جزاه خيرًا كان ذلك سعادة له في الدنيا والآخرة[4].

قال عبدالله البسام: "فاعل المعروف ابتداء له فضل ومنة على المسدي إليه ذلك المعروف، سواء أكان معروفًا ماديًا أو معنويًا.

لأن الابتداء بالإحسان يدل على نفس كريمة لصاحبه، ومحبة للخير والإحسان، فمن حسن الأدب وكمال المروءة، وطيب المقابلة أن يكافئه المحسن إليه على إحسانه ومعروفه، وأن لا يهمله ويتركه، فإنه من الجفاء وبلادة الطبع.

---

(١) تحفة الأحوذي ١٦٧٩/٢.

(٢) شرح الطيبي على المشكاة ١٨٥/٦.

(٣) أخرجه أبو داود١٦٧٢ عن عبدالله بن عمر رضي الله عنهما عن النبي ﷺ: "من استعاذ بالله فأعيذوه، ومن سأل بالله فأعطوه، ومن دعاكم فأجيبوه، ومن صنع إليكم معروفًا فكافئوه" فإن لم تجدوا ما تكافئونه فادعوا له حتى تروا أنكم قد كافأتموه، وقد صححه الألباني (صحيح سنن أبي داود ١٤٦٨).

(٤) شرح رياض الصالحين ١٥٦٥/٢.

فإذا لم يجد المحسن إليه من الأشياء المادية ما يكافئ بها المحسن، فليدع له وليشكره، ومن أفضل ألفاظ الدعاء والشكر، قوله: "جزاك الله خيرًا" فإن هذا أبلغ الثناء. ذلك أن الجزاء إذا كان من الله تعالى كان عظيمًا، فإن جزاء الله وعطاءه لا نهاية له، ولفظ "الخير" كلمة طيبة تشمل خيرى الدنيا والآخرة"[1].

ثانيًا- من أهداف الدعوة: نشر فضيلة الشكر بين المدعوين:

هذا واضح من الحديث، فقد أخبر النبي ﷺ أن من قال لمن صنع له معروفًا جزاك الله خيرًا فقد أبلغ في الثناء عليه، ولا شك أن هذا حث للمدعوين على شكر صانعي المعروف، بالفعل والقول، ومما يؤكد هذا الهدف أن النبي ﷺ جعل من لا يشكر الناس لا يشكر الله، فقال ﷺ: "من لا يشكر الناس لا يشكر الله"[2].

قال الطيبي: قال البيضاوي: "هذا إما لأن شكره تعالى إنما يتم بمطاوعته وامتثال أمره، وإن مما أمر به شكر الناس الذين هم وسائط في إيصال نعم الله إليه، فمن لم يطاوعه فيه لم يكن مؤديًا شكر أنعمه.

أو لأن من أخل بشكر من أسدى إليه نعمة من الناس -مع ما يرى من حرصه على حب الثناء والشكر على النعماء وتأذيه بالإعراض والكفران- كان أولى بأن يتهاون في شكر من يستوي عليه الشكر والكفران"[3]. وهو الله سبحانه وتعالى فلا يضره كفر به ولا ينفعه شكر له، تعالى عن ذلك علوًا كبيرًا.

وهذا النبي ﷺ يرشد المهاجرين إلى طريق مكافأة الأنصار الذين أحسنوا مواساة المهاجرين بأموالهم وأنفسهم، وذلك عن طريق الثناء عليهم والدعاء لهم، عن أنس بن مالك قال: «لَمَّا قَدِمَ النبيُّ ﷺ المَدِينَةَ أَتَاهُ المُهَاجِرُونَ فَقَالُوا: يَا رَسُولَ الله مَا رَأَيْنَا قَوْمًا أَبْذَلَ مِنْ كَثِيرٍ وَلاَ أَحْسَنَ مُوَاسَاةً مِنْ قَلِيلٍ مِنْ قَوْمٍ نَزَلْنَا بَيْنَ أَظْهُرِهِمْ لَقَدْ

---

(١) توضيح الأحكام ٦/١٠٠.

(٢) أخرجه الترمذي ١٩٥٤، وصححه الألباني (صحيح سنن الترمذي ١٥٩٢).

(٣) شرح الطيبي على المشكاة ٦/١٨٥-١٨٦.

كَفَوْنَا الْمُؤْنَةَ وَأَشْرَكُونَا فِي الْمَهْنَأ[١]، حَتَّى لَقَدْ خِفْنَا أَنْ يَذْهَبُوا بِالأَجْرِ كُلِّهِ، فَقَالَ النبيُّ ﷺ: الاَ. مَا دَعَوْتُمُ اللهَ لَهُمْ وَأَثْنَيْتُمْ عَلَيْهِمْ»[٢].

قال الطيبي: "قوله (الأجر كله)، يعني إذ حملوا المشقة والتعب على أنفسهم وأشركونا في الراحة والمهنأ فقد أحرزوا المثوبات فكيف نجازيهم؟ وأجاب: (لا): أى ليس الأمر كما زعمتم، فإنكم إذا أثنيتم عليهم شكرًا لصنيعهم ودمتم عليه فقد جازيتموهم"[٣].

وهذا عمر بن الخطاب رضي الله عنه يقول للنبي ﷺ: يا رسول الله: لقد سمعت فلانًا وفلانًا يحسنان الثناء يذكران أنك أعطيتهما دينارين، قال: فقال النبي ﷺ لكن والله فلانًا ما هو كذلك، لقد أعطيته من عشرة إلى مائة. فما يقول ذاك. أما والله إن أحدكم ليخرج مسألته من عندي يتأبطها. يعني: تكون تحت إبطه، يعني نارًا. قال عمر: يا رسول الله لم تعطيها إياهم؟ قال: «فما أصنع؟ يأبون إلا ذاك ويأبى الله لي البخل»[٤].

وقد بوب ابن حبان على هذا الحديث: ذكر الزجر عن ترك ثناء المرء على أخيه المسلم إذا أولاه شيئًا من المعروف[٥]، وذكر الإخبار عما يجب على المرء من الشكر لمن أسدى إليه نعمة[٦].

وقال عبدالله البسام: "وإذا كان مكافأة المخلوق المحسن مستحبة وجميلة، وهو ليس له من المعروف والإحسان إلا أنه سبب، وإنما المعطي هو الله تعالى، فكيف يكون وجوب شكر المنعم الأول، وصاحب النعم العظمى والهبات الكبرى، الذي لا ينقطع مدده ولا يتوقف إحسانه.

---

(١) المهنأ هو ما يقوم بكفاية الرجل وإصلاح معاشه، يريد به ما أشركوهم فيه من زروعهم وثمارهم، كما في شرح الطيبي ١٨٦/٦.

(٢) أخرجه الترمذي ٢٤٨٧. وصححه الألباني (صحيح سنن الترمذي ٢٠٢٠).

(٣) شرح الطيبي ١٨٦/٦.

(٤) أخرجه أحمد ٤/٣، رقم ١١٠٠٤، وقال محققو المسند إسناده صحيح ٤٠/١٧.

(٥) الحديث ٣٤١٢.

(٦) الحديث ٣٤١٤.

فالواجب أن يكون دائم الشكر لله تعالى على إحسانه وامتنانه، قال تعالى: ﴿لَئِن شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ وَلَئِن كَفَرْتُمْ إِنَّ عَذَابِي لَشَدِيدٌ﴾[١]. والمراد هنا كفر النعم وجحدها بعدم أداء الشكر فيها اعتقادًا وقولاً وعملاً"[٢].

(١) سورة إبراهيم، آية: ٧.

(٢) توضيح الأحكام ٦/١٠٠.

الحديث رقم (١٤٩٩)

١٤٩٩- وعن جابر ﷺ قَالَ: قَالَ رسُولُ الله ﷺ: ((**لا تَدْعُوا عَلَى أَنفُسِكُمْ؛ وَلاَ تَدعُوا عَلَى أوْلادِكُمْ، وَلاَ تَدْعُوا عَلَى اموَالِكُمْ، لا تُوافِقُوا مِنَ اللهِ سَاعَةً يُسألُ فِيهَا عَطَاءً فَيَسْتَجِيبَ لَكُمْ**)). رواه مسلم[1].

ترجمة الراوي:

جابر بن عبدالله الأنصاري: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (٤).

غريب الألفاظ:

ساعة: والساعة في الأصل تطلق بمعنيين أحدهما: أن تكون عبارة عن جزء من أربعة وعشرين جزء هي مجموع اليوم والليلة، ثانيهما: جزء من أجزاء الوقت والحين وإن قل[2].

الشرح الأدبي

الرسول ﷺ في هذا الحديث يحذر، وينهى عن الدعاء على الأولاد، والأموال لأن الدعاء سيف قد يمضيه الله على الرقاب لو وافق ساعة إجابة فيكون ضرره على صاحبه وما يتعلق به من أولاده، وماله، ولذلك جاء نهي الرسول ﷺ في هذا الحديث متصدرا، وقد تكرر النهي بـ(لا تَدْعُوا) مع كل واحد من المنهي عن الدعاء عليهم دلالة على استقلال النهي بالحكم في كل واحد، وقد بدأ بالنهي في قوله (لا تَدْعُوا عَلَى أَنْفُسِكُمْ) وبدأ بالنهي عن الدعاء على النفس؛ لأنها أخص ما للإنسان تحذيرا مما يعرض للضرر المباشر، واتصال الفعل (تدعوا) بواو الجماعة، واتصال النفس بكاف الخطاب، وميم الجمع تعميم للخطاب يشير إلى عظمة الأمر، وأنه من الأهمية بحيث لا يختص بشخص دون شخص وقوله: (وَلاَ تَدعُوا عَلَى أَوْلادِكُمْ) لأنه الهم بعد النفس،

---

(١) برقم (٣٠٠٩). أورده المنذري في ترغيبه (٢٤٦١).

(٢) النهاية، والمعجم الوسيط في (س و ع).

والضر الذي يلق بهم يتأثر به والديهم، وقوله (وَلاَ تَدْعُوا عَلَى أموَالِكُمْ) النهي يشمل الدعاء على كل ألوان الأموال من الدواب، وغيرها، وقوله (لا تُوافِقُوا مِنَ اللهِ سَاعَةً يُسأَلُ فِيهَا عَطَاءً فَيَسْتَجِيبَ لَكُمْ) تحذير من توافق الدعاء مع وقت استجابة يترتب عليه تحققها فيضر بها نفسها أو أهله.

المضامين الدعوية

أولاً: من موضوعات الدعوة: النهى عن الدعاء على النفس أو الأولاد أو الأموال.

ثانيًا: من آداب المدعو: الرفق بالنفس والأولاد والأموال.

ثالثًا: من أساليب الدعوة: النهي مع التعليل.

أولاً - من موضوعات الدعوة: النهى عن الدعاء على النفس أو الأولاد أو الأموال:

هذا واضح من الحديث: "لا تدعوا على أنفسكم، ولا تدعوا على أولادكم، ولا تدعوا على أموالكم، لا توافقوا من الله ساعة يسأل فيها عطاء فيستجب لكم".

قال الطيبي: "أى لا تدعوا على أنفسكم ولا أولادكم كى لا توافقوا ساعة الإجابة فتندموا"[1].

وقال ابن عثيمين: "لأنه ربما يصادف ساعة إجابة فتجاب، وهذا يقع كثيرًا عند الغضب إذا غضب الإنسان ربما يدعو على نفسه وربما يدعو على ولده، ويقول: قاتلك الله، قتلك الله.. وما أشبه ذلك حتى إن بعضهم يدعو على ولده باللعنة، ونسأل الله العافية. وكذلك نجد بعضهم يدعو على أهله، على زوجته على أخته، ربما دعا على أمه والعياذ بالله مع الغضب. وكذلك أيضًا يدعو على ماله، يقول مثلاً على سيارة اختلفوا عليها: الله لا يبارك في هذه السيارة، أو في هذه الدار، أو هذا الفراش، وما أشبه ذلك. كل ذلك نهى النبي ﷺ أن ندعو عليه، لأنه ربما صادف ساعة إجابة، فإذا صادف ساعة إجابة فإنه يستجاب. لو قلت لولدك: تعال لماذا فعلت كذا؟ الله لا يوفقك، الله لا يربحك، الله لا يصلحك، فتصادف ساعة إجابة، كل هذا حرام

---

(١) شرح الطيبي على المشكاة ٣٠٥/٤.

لا يجوز، لأنه ربما صادف ساعة إجابة. كذلك المال: المال الذي يتعاكس عليك، السيارة أو الشغل في البيت، أو غير ذلك لا تدعُ عليه. لكن قل: اللهم يسر الأمر، اللهم سهل حتى يحصل التسهيل والتيسير"[١].

وقد قال الله تعالى: ﴿وَيَدْعُ ٱلْإِنسَٰنُ بِٱلشَّرِّ دُعَآءَهُۥ بِٱلْخَيْرِ ۖ وَكَانَ ٱلْإِنسَٰنُ عَجُولًا﴾[٢].

"أي ويدع المرء المتضجر على نفسه وولده، مثل دعائه بالخير لنفسه وولده، وهذا من عجلة الإنسان أن يسأل الشر كما يسأل الخير، وهذا من الاعتداء في الدعاء"[٣].

وعن أم سلمة رضي الله عنها قالت: دخل رسول الله ﷺ على أبي سلمة، وقد شق بصره فأغمضه ثم قال: "إن الروح إذا قبض تبعه البصر"، فضجّ ناس من أهله، فقال: «لا تَدْعُوَ على أَنْفُسِكُمْ إلاَّ بِخَيْرٍ، فإنَّ الملائكةَ يُؤَمِّنُونَ عَلَى ما تقولونَ»، ثم قالَ: «اللهمَّ اغفِرْ لأبِي سَلَمَةَ وارْفَعْ دَرَجَتَهُ في المَهْدِيِّينَ واخْلُفْهُ في عَقِبِهِ في الغابرينَ واغْفِرْ لَنَا ولهُ يا ربَّ العالمينَ، اللهمَّ افْسِحْ لَهُ في قَبْرِهِ ونَوِّرْ لَهُ فيهِ»[٤].

قال عبدالله البسام: "لعل بعض آل أبي سلمة أتوا عند وفاته وفعلوا ما اعتادوا أن يفعلوه في الجاهلية من قولهم: واويلاه واثبوراه، ونحوه، فقال: لا تدعوا على أنفسكم إلا بخير"[٥].

وقال بكر بن عبدالله أبو زيد: "ودعاء الكفار على المسلمين ظلم واعتداء فلا يستجاب. ولهذا قال البخاري في صحيحه: باب قول النبي ﷺ: يستجاب لنا في اليهود ولا يستجاب لهم فينا" وساق حديث عائشة رضي الله عنها أن اليهود أتوا النبي ﷺ فقالوا: السام عليك، قال: وعليكم. فقالت عائشة: السام عليكم ولعنكم الله وغضب عليكم، فقال رسول الله ﷺ: مهلاً ياعائشة. عليك بالرفق وإياك العنف، أو الفحش، قالت: أولم تسمع ما قالوا؟ قال: أولم تسمعي ما قلتُ؟ رددت عليهم فيستجاب

---

(١) شرح رياض الصالحين، ١٥٦٥/٢.

(٢) سورة الإسراء، آية: ١١.

(٣) تصحيح الدعاء، بكر بن عبدالله أبو زيد، ص ٦٣.

(٤) أخرجه مسلم، ٩٢٠.

(٥) توضيح الأحكام ٤٨٠/٢.

لي فيهم ولا يستجاب لهم في"[1].

قال الحافظ ابن حجر في شرح الترجمة المذكورة[2]: "أى لأنا ندعو عليهم بالحق وهم يدعون علينا بالظلم" انتهى، وقال: ويستفاد منه: أن الداعي إذا كان ظالمًا على من دعا عليه لا يستجاب دعاؤه، ويؤيده قوله تعالى: ﴿ وَمَا دُعَآءُ ٱلْكَٰفِرِينَ إِلَّا فِى ضَلَٰلٍ ﴾[3]، انتهى"[4].

ثانيًا - من آداب المدعو: الرفق بالنفس والأولاد والأموال:

هذا واضح من الحديث، والحديث فيه قصة لعلها تزيد الأمر وضوحًا، قال جابر بن عبدالله رضي الله عنهما: سرنا مع رسول الله ﷺ في غَزْوَةِ بَطْنِ بُواطٍ وهو يطلب المجدي بن عمرو الجُهَنيّ وكان الناضح[5] يَعْقُبه[6] منا، الخمسة والستة والسبعة، فدارت عُقبة رجلٍ من الأنصار على ناضح له[7] فأناخه فركبه، ثم بعثه فتلدّن عليه[8] بعض التلدن؛ فقال له: شَأ[9]؛ لعنك اللهُ فقال رسول الله ﷺ: «مَن هذا اللاعنُ بعيره»؟ قال: أنا يا رسول الله؛ قال: «أنزل عنه فلا تصحبنا بملعون، لا تدعوا على أنفسكم ولا تدعوا على أولادكم ولا تدعوا على أموالكم، لا توافقوا من الله ساعةً يُسأل فيها عطاء فيستجيب لكم»[10].

ففي هذا النهى من النبي ﷺ إرشاد لأن يرفق المدعو بنفسه وأولاده وماله، فلا

---

(١) أخرجه البخاري ٦٤٠١، ومسلم ٢١٦٥، واللفظ للبخاري.

(٢) فتح الباري ١١/٢٠٠، ط السلفية.

(٣) سورة الرعد، آية: ١٤.

(٤) تصحيح الدعاء ٦٤.

(٥) الناضح: الدابة يستقي عليها. الوسيط ٩٢٨.

(٦) أى يتعاقبونه في الركوب واحدًا بعد واحد، النهاية في غريب الحديث، ٦٢٨.

(٧) يقال: دارت عقبة فلان، أى جاءت نوبته ووقت ركوبه. النهاية ٦٢٨.

(٨) أى: تلكأ وتمكث ولم ينبعث. النهاية ٨٣٣.

(٩) كلمة زجر للبعير. انظر: شرح صحيح مسلم، مج٩/١٨/١٢٣، ط دار عالم الكتب.

(١٠) أخرجه مسلم ٣٠٠٩.

يتعجل ويدفعه الغضب إلى الدعاء عليهم. بل عليه أن يتحلى بالحلم والأناة والرفق، فلا يدعو إلا بالخير والتيسير، وليقل: "اللهم يسر الأمر، اللهم سهل"(١) وليدعُ بالهداية والرشاد لنفسه وأولاده.

ولعل من هذا القبيل، ما رواه أنس بن مالك: "أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ عَادَ رَجُلاً مِنَ الْمُسْلِمِينَ قَدْ خَفَتَ فَصَارَ مِثْلَ الْفَرْخِ. فَقَالَ لَهُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «هَلْ كُنْتَ تَدْعُو بِشَيْءٍ أَوْ تَسْأَلُهُ إِيَّاهُ؟» قَالَ: نَعَمْ. كُنْتُ أَقُولُ: اللَّهُمَّ مَا كُنْتَ مُعَاقِبِي بِهِ فِي الآخِرَةِ، فَعَجِّلْهُ لِي فِي الدُّنْيَا. فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «سُبْحَانَ اللَّهِ لاَ تُطِيقُهُ ـ أَوْ لاَ تَسْتَطِيعُهُ ـ أَفَلاَ قُلْتَ: اللَّهُمَّ آتِنَا فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي الآخِرَةِ حَسَنَةً وَقِنَا عَذَابَ النَّارِ»، قَالَ: فَدَعَا اللَّهَ لَهُ. فَشَفَاهُ"(٢).

قال النووي: "في الحديث كراهة تمنى البلاء، لئلا يتضجر منه ويسخطه وربما شكا"(٣). فكان هذا التوجيه النبوي الشريف لأجل أن يرفق المدعوون بأنفسهم فلا يتعجلوا العقوبة في الدنيا.

ولعل أيضًا من قبيل رفق المدعو بنفسه، نَهْيُ النبي ﷺ عن تمني الموت بسبب الضر الدنيوي الذي ينزل بالنفس، لأن في هذا حرمانًا للنفس من خير كثير وإن بدا للمدعو عكس هذا الأمر. قال النبي ﷺ: "لا يتمنين أحدكم الموت لضر نزل به، فإن كان لابد متمنيًا للموت. فليقل: اللهم أحيني ما كانت الحياة خيرًا لي، وتوفني ما كانت الوفاة خيرًا لي"(٤)، قال الشيخ عبدالرحمن بن سعدي في شرحه لهذا الحديث: "هذا نهى عن تمني الموت للضر الذي ينزل بالعبد، من مرض أو فقر أو خوف أو وقوع في شدة ومهلكه أو نحوها من الأشياء، فإن في تمني الموت لذلك مفاسد منها:

أنه يؤذن بالتسخط والتضجر من الحالة التي أصيب بها، وهو مأمور بالصبر والقيام بوظيفته والتضجر ينافي ذلك.

---

(١) شرح رياض الصالحين، لابن عثيمين ١٥٦٥/٢.

(٢) أخرجه مسلم ٢٦٨٨.

(٣) شرح صحيح مسلم، مج ١٥/١٧/٩، ط دار عالم الكتب.

(٤) أخرجه البخاري ٦٣٥١، ومسلم ٢٦٨٠.

ومنها أنه يضعف النفس ويحدث الخور والكسل ويوقع في اليأس. والمطلوب من العبد مقاومة هذه الأمور والسعي في إضعافها وتخفيفها بحسب اقتداره، وأن يكون معه من قوة القلب وقوة الطمع في زوال ما نزل به.

وذلك موجب لأمرين: اللطف الإلهي لمن أتى بالأسباب المأمور بها والسعي النافع الذي يوجبه قوة القلب ورجاؤه.

ومنها أن تمني الموت جهل وحمق، فإنه لا يدري ما يكون بعد الموت، فربما كان كالمستجير من الضر إلى ما هو أفظع منه، من عذاب البرزخ وأهواله.

ومنها أن الموت يقطع على العبد الأعمال الصالحة التي هو بصدد فعلها، والقيام بها. وبقية عمر المؤمن لا قيمة له. فكيف يتمنى انقطاع عمل، الذرة منه خير من الدنيا وما عليها؟!

وخص من هذا العموم قيامه بالصبر على الضر الذي أصابه، فإن الله يوفي الصابرين أجرهم بغير حساب[1].

ثالثًا- من أساليب الدعوة: النهي مع التعليل:

لقد علل النبي ﷺ نهيه عن الدعاء على النفس أو الأولاد أو الأموال، بأن ذلك الدعاء قد يوافق ساعة استجابة من الله عز وجل، فيستجيب سبحانه وتعالى الدعاء؛ فيندم الإنسان بعد ذلك أشد الندم، لكونه استجاب (أي الإنسان) لغضبه، فدعا بما هو في الحقيقة ضرر له، فإن الضرر اللاحق بالولد أو المال كالضرر يلحق بالنفس، كلاهما يصيب المرء بالأذى والتضجر والتسخط فضلاً عن الندم والحسرة.

---

(١) بهجة قلوب الأبرار للسعدي ص٢٥١-٢٥٢، شرح الحديث رقم ٧٧ نقلًا عن الدعاء مفهومه، محمد بن إبراهيم الحمد، ص ٧٠-٧١.

الحديث رقم (١٥٠٠)

١٥٠٠- وعن أَبي هريرة رضي الله عنه: أنَّ رسولَ اللهِ ﷺ قَالَ: ((**أقْرَبُ مَا يكونُ العَبْدُ مِنْ رَبِّهِ وَهُوَ سَاجِدٌ، فَأكْثِرُوا الدُّعَاءَ**)) رواه مسلم[1].

ترجمة الراوي:

أبو هريرة: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (٧).

الشرح الأدبي

يقرر هذا الحديث أن العبد في تقلبه في حياته بين قرب من ربه بطاعة، وبعده عنه بمعصية، ويقرر أن ساعات القرب لا تتساوى في القرب فبعضها أقرب من بعض ويشير إلى أن أقرب هذه المواطن هو موطن السجود الممثل لقمة الذل لله في الظاهر على الهيئة، وفي الباطن بالخضوع، والخشوع، وألفاظ الحديث على قصره تفيض بتلك العلاقة الحنونة بين العبد وربه في لحظة القرب تفيض نفسه بما يخالجها من أمنيات، ويبثه ما تجد نفسه من هموم، وأحزان، غير أن هذا الحديث يتميز عن سابقه بتصديره بصيغة التفضيل (أقرب) ومن طبيعة أفعل التفضيل أنها تشير إلى اشتراك شيئين في أصل المعنى وتفوق أحدهما على الآخر، ومعناه أن العبد الصالح في كل أوقاته قريب من ربه، وأنه في هذا الموضع أقرب وتعريف العبد باللام إشارة إلى كمال الصفة فيه أي الكامل العبودية لله، وإضافة الرب للضمير العائد على العبد فيه تشريف للعبد وقوله (وهو ساجد) جملة حالية تفيد الثبوت، والدوام أي أنه في أكثر اللحظات قربا ما دام ساجدا لله، وقوله (فَأَكْثِرُوا الدُّعَاءَ) الفاء للتعليل والأمر نصح، وإرشاد وحث وترغيب على استثمار فرصة القرب بكثرة الدعاء لأن الدعاء يحقق غرض العبد في الدنيا، والآخرة؛ لأنه يتضمن خضوعا، وتذللا لله، وافتقارا، واعترافا بالذل، والحاجة، كما أنها تحقق مصلحة العبد بقضاء حاجته، وتفريغ همومه بين يدي ربه .

---

(١) برقم (٤٨٢/٢١٥)، وتقدم برقم (١٤٣٠). أورده المنذري في ترغيبه (٢٤٥٢).

المضامين الدعوية

أولاً: من موضوعات الدعوة: فضل السجود لله.

ثانيًا: من موضوعات الدعوة: الإكثار من الدعاء في السجود.

أولاً- من موضوعات الدعوة: فضل السجود لله:

هذا واضح من قوله ﷺ: "أقرب ما يكون العبد من ربه وهو ساجد"، فدل ذلك على فضل السجود، قال ابن هبيرة: "في هذا الحديث من الفقه ما يدل على استحباب الدعاء في السجود، وفيه ما يدل على أن قرب العبد من ربه، إنما هو عند انتهائه في التواضع إلى غاية وسعه، فإن حالة سجود العبد هي غاية ما يناله وسعه من الخضوع بين يدي ربه"[(١)]. وقال ابن القيم: "أما القرب فلا يقع في القرآن إلا خاصًا، وهو نوعان: قربه من داعيه بالإجابة، وقربه من عابده بالإثابة:

فالأول: كقوله تعالى: ﴿ وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِى عَنِّى فَإِنِّى قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ ٱلدَّاعِ إِذَا دَعَانِ ﴾[(٢)].

والثاني: قوله ﷺ: "أقرب ما يكون العبد من ربه وهو ساجد"[(٣)]، و"أقرب ما يكون الرب من عبده في جوف الليل"[(٤)]. فهذا قربه من أهل طاعته.

وفي الصحيح عن أبي موسى رضي الله عنه قال: كنا مع النبي ﷺ في سفر فارتفعت أصواتنا بالتكبير، فقال: «يا أيها الناس أربعوا على أنفسكم فإنكم لا تدعون صمًا ولا غائبًا، إن الذي تدعونه سميع قريب، أقرب إلى أحدكم من عنق راحلته»[(٥)].

فهذا قرب خاص بالداعي دعاء العبادة والثناء والحمد، وهذا القرب لا ينافي كمال مباينة الرب لخلقه، واستوائه على عرشه، بل يجامعه ويلازمه، فإنه ليس كقرب

---

(١) الإفصاح عن معاني الصحاح ٧٢/٨.

(٢) سورة البقرة، آية: ١٨٦.

(٣) أخرجه مسلم ٤٨٢.

(٤) أخرجه الترمذي ٣٥٧٩، وصححه الألباني (صحيح سنن الترمذي ٢٨٣٣).

(٥) أخرجه البخاري ٢٩٩٢، ومسلم ٢٧٠٤.

الأجسام بعضها من بعض، تعالى الله عن ذلك علواً كبيرًا ، ولكنه نوع آخر، والعبد في الشاهد يجد روحه قريبة جدًا من محبوب بينه وبينه مفاوز تتقطع فيها أعناق المطى، ويجده أقرب إليه من جليسه. كما قيل:

ألا رب من يدنو ويزعم أنه يحبك والنائي أحب وأقرب

وأهل السنة أولياء رسول الله، وورثته، وأحباؤه، الذين هو عندهم أولى بهم من أنفسهم وأحب إليهم منها: يجدون نفوسهم أقرب إليه وهم في الأقطار النائية عنه من بعض جيران حجرته في المدينة، والمحبون المشتاقون للكعبة والبيت الحرام يجدون قلوبهم وأرواحهم أقرب إليها من بعض جيرانها ومن حولها. هذا مع عدم تأتي القرب منها فكيف بمن يقرب من خلقه كيف يشاء وهو مستو على عرشه؟ وأهل الذوق لا يلتفتون في ذلك إلى شبهة معطل بعيد من الله خلى من محبته ومعرفته.

والقصد: أن هذا القرب يدعو صاحبه إلى ركوب المحبة، وكلما ازداد حبا ازداد قربا فالمحبة بين قربين: قرب قبلها وقرب بعدها وبين معرفتين: معرفة قبلها حملت عليها ودعت إليها، ودلت عليها، ومعرفة بعدها هي من نتائجها وآثارها"[1].

وقال ابن القيم: كذلك في معرض ذكره لمذهب طائفة من العلماء في ترجيح أن التائب إلى الله توبة نصوحًا أفضل من المطيع الذي لم يعصه، قال:

"الوجه الثالث: أن عبودية التوبة فيها من الذل والانكسار والخضوع والتملق لله والتذلل له ما هو أحب إليه من كثير من الأعمال الظاهرة وإن زادت في القدر والكمية على عبودية التوبة فإن الذل والانكسار روح العبودية ومخها ولبها يوضحه:

الوجه الرابع: أن حصول مراتب الذل والانكسار للتائب أكمل منها لغيره، فإنه قد شارك من لم يذنب في ذل الفقر والعبودية والمحبة، وامتاز عنه بانكسار قلبه بالمعصية والله سبحانه أقرب ما يكون الى عبده عند ذله وانكسار قلبه كما في الأثر الإسرائيلي "يا رب أين أجدك" قال: عند المنكسرة قلوبهم من أجلي"[2] ولأجل هذا كان

---

(١) مدارج السالكين ٢/٦١٣-٦١٤.

(٢) كتاب الزهد لأحمد بن حنبل، ٧٥.

أقرب ما يكون العبد من ربه وهو ساجد، لأنه مقام ذل وانكسار بين يدي ربه"[١].

وقد ورد في فضل السجود لله أحاديث منها:

«إذا قرأ ابنُ آدمَ السجدة فسجد اعتزل الشيطانُ يبكي فيقول: يا ويله أُمر هذا بالسجود فسجد فله الجنةُ، وأُمرت بالسجود فأبَيت فلي النار»[٢].

وقال ربيعة بن كعب رضي الله عنه: قال: كنت أبيت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فأتيته بوضوئه وحاجته. فقال لي: سل. فقلت: أسألك مرافقتك في الجنة. قال: أو غير ذلك؟ قلت هو ذاك. قال: فأعني على نفسك بكثرة السجود"[٣].

وقال النبي صلى الله عليه وسلم: "عليك بكثرة السجود لله، فإنك لا تسجد لله سجدة إلا رفعك الله بها درجة، وحط عنك بها خطيئة"[٤].

وقد قال الله تعالى: ﴿وَٱسْجُدْ وَٱقْتَرِب﴾[٥]، قال النووي: "إن السجود غاية التواضع والعبودية لله، وفيه تمكين أعز أعضاء الإنسان وأعلاها وهو وجهه من التراب الذي يداس ويمتهن"[٦].

وقال الطيبي: "فلا يزال العبد يترقى بالمداومة على السجود درجة فدرجة حتى يفوز بالقدح المعلى من القرب إلى الله سبحانه وتعالى"[٧].

ثانيًا- من موضوعات الدعوة: الإكثار من الدعاء في السجود:

هذا واضح من الحديث: "أقرب ما يكون العبد من ربه وهو ساجد، فأكثروا الدعاء" قال النووي: "فيه الحث على الدعاء في السجود"[٨].

---

(١) مدارج السالكين ٥٢٨/١.

(٢) أخرجه مسلم ٨١.

(٣) أخرجه مسلم ٤٨٩.

(٤) أخرجه مسلم ٤٨٨.

(٥) سورة العلق، آية: ١٩.

(٦) شرح صحيح مسلم، مج٢١٤/٤/٢ ط دار عالم الكتب.

(٧) شرح الطيبي على المشكاه ٣٤٤/٢.

(٨) شرح صحيح مسلم مج٢٠٨/٤/٢.

قال ابن حجر: "الأمر بإكثار الدعاء في السجود يشمل على تكثير الطلب لكل حاجة. كما جاء في حديث أنس: «ليسأل أحدكم ربه حاجته كلها حتى شسع نعله» أخرجه الترمذي(١). ويشمل التكرار للسؤال الواحد والاستجابة تشمل استجابة الداعي بإعطاء سؤله واستجابة المثنى بتعظيم ثوابه"(٢).

وقد قال ﷺ: « أَلاَ وَإِنِّي نُهِيتُ أَنْ أَقْرَأَ الْقُرْآنَ رَاكِعًا أَوْ سَاجِدًا، وَأَمَّا الرُّكُوعُ فَعَظِّمُوا فِيهِ الرَّبَّ عَزَّ وَجَلَّ. وَأَمَّا السُّجُودُ فَاجْتَهِدُوا فِي الدُّعَاءِ. فَقَمِنٌ أَنْ يُسْتَجَابَ لَكُمْ»(٣).

قال الصنعاني: "الحديث دليل على مشروعية الدعاء حال السجود بأي دعاء كان، من طلب خيري الدنيا والآخرة والاستعاذة من شرهما وأنه محل الإجابة"(٤)، قال القرطبي المفسر: "قال علماؤنا: وإنما كان ذلك لأنها نهاية العبودية والذلة، ولله غاية العزة، وله العزة التي لا مقدار لها، فكلما بعدت من صفته قربت من جنته، ودنوت من جواره في داره"(٥).

وقد وردت أحاديث عن النبي ﷺ في دعائه في سجوده، فعن عائشة رضي الله عنها قالت: كان رسول الله ﷺ يقول في ركوعه وسجوده: سبحانك اللهم ربنا وبحمدك، اللهم اغفر لي"(٦).

قال عبدالله البسام: "الذكر في غاية المناسبة طافية من التذلل والتضرع لله تعالى، وتنزيهه تعالى عن النقائص والعيوب وإثبات المحامد له، ثم بعد هذا كله سؤاله المغفرة، هذا والعبد في غاية الذل والخضوع لله تعالى راكعًا وساجدًا"(٧).

---

(١) سيأتي تخريجه قريبًا، وهو حديث ضعيف.

(٢) فتح الباري ٣٥٠/٢، ط الريان.

(٣) أخرجه مسلم ٤٧٩.

(٤) سبل السلام ٢٠٣ ط بيت الأفكار الدولية.

(٥) الجامع لأحكام القرآن، مج١٠/٢٠/١٢٨.

(٦) أخرجه البخاري ٨١٧، ومسلم ٤٨٤.

(٧) توضيح الأحكام ٦٢/٢.

وعن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ كان يقول في سجوده: "اللهم اغفر لي ذنبي كله دقه وجله وأوله وآخره وعلانيته وسره"[١].

وعَنْ عَائِشَةَ، قَالَتْ: فَقَدْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ لَيْلَةً مِنَ الْفِرَاشِ، فَالْتَمَسْتُهُ، فَوَقَعَتْ يَدِي عَلَى بَطْنِ قَدَمَيْهِ، وَهُوَ فِي الْمَسْجِدِ، وَهُمَا مَنْصُوبَتَانِ، وَهُوَ يَقُولُ: «اللَّهُمَّ أَعُوذُ بِرِضَاكَ مِنْ سَخَطِكَ. وَبِمُعَافَاتِكَ مِنْ عُقُوبَتِكَ. وَأَعُوذُ بِكَ مِنْكَ. لاَ أُحْصِي ثَنَاءً عَلَيْكَ. أَنْتَ كَمَا أَثْنَيْتَ عَلَى نَفْسِكَ»[٢].

شرح ابن عثيمين: "أقرب ما يكون الإنسان من ربه وهو ساجدٌ، وذلك لأنه في السجود كمال الخضوع لله عز وجل. لأنك تضع أشرف أعضائك وأعلى أعضائك تضعها في الأسفل في موضع الأقدام تعظيمًا للرب عز وجل فيأبى الله تعالى إلا أن يقرب منك في هذا الحال، وأنت تقرب من ربك، فأكثروا من الدعاء وأنتم سجود في الفرائض والنوافل، أكثر من الدعاء في أمور الدنيا وأمور الآخرة، كله خير، حتى لو كنت تدعو الله في أمور الدنيا وأنت ساجد فهو خير، لأن الدعاء نفسه عبادة، لو قلت: اللهم كثر مالي، اللهم هيئ لي سكنًا جميلاً، اللهم هيئ لي سيارة مريحة، وما أشبه ذلك فلا بأس به. ولو كان في الفريضة اللهم اغفر لي ولوالدى. لأن الدعاء عبادة، فأى شيء تدعو به الله فإنه عبادة، أى شيء، حتى جاء في الحديث: "ليسأل أحدكم ربه حتى شراك نعله"[٣]، شراك النعل: شيء زهيد ولكن تسأل الله كل شيء، لأن كل شيء تسأله الله فهو عبادة لك، ثم اعلم أنك إذا سألت الله فإنك رابح في كل حال، لأنه إما أن يعطيك ما تسأل أو يصرف عنك من السوء ما هو أعظم، أو يدخر ذلك لك عنده يوم القيامة أجرًا، فمن دعا الله تعالى فإنه لا يخيب"[٤].

---

(١) أخرجه مسلم ٤٨٣.

(٢) أخرجه مسلم ٤٨٦.

(٣) أخرجه الترمذي ٣٦٠٤/م٨، من حديث انس بن مالك رضي الله عنه مرفوعًا: «لِيَسْأَلْ أحَدُكُمْ رَبَّهُ حَاجَتَهُ كُلَّهَا حَتَّى يَسْأَلَ شِسْعَ نَعْلِهِ إذَا انْقَطَعَ»، وضعفه الترمذي كما ضعفه الألباني، والشسع: سير يمسك النعل بأصابع القدم. والشراك: سير النعل على ظهر القدم. المعجم الوسيط، ٤٨٠، ٤٨١.

(٤) شرح رياض الصالحين ١٥٦٦/٢.

الحديث رقم (١٥٠١)

١٥٠١- وعنه: أنَّ رسُولَ الله ﷺ قَالَ: ((يُسْتَجَابُ لأَحَدِكُمْ مَا لَمْ يَعْجَلْ: يقُولُ: قَدْ دَعوتُ رَبِّي، فَلَمْ يستَجب لِي)) متفق عَلَيْهِ[١].

وفي روايةٍ لمسلم[٢]: ((لا يَزالُ يُسْتَجَابُ لِلعَبْدِ مَا لَمْ يَدْعُ بإثْمٍ، أَوْ قَطيعَةِ رحِمٍ، مَا لَمْ يَسْتَعْجِلْ)) قيل: يَا رسولَ اللهِ مَا الاستعجال؟ قَالَ: ((يقول: قَدْ دَعوْتُ، وَقَدْ دَعَوْتُ، فَلَمْ أرَ يستَجِيبُ لي، فَيَسْتحْسِرُ عِنْدَ ذَلِكَ وَيَدَعُ الدُّعَاءَ)).

ترجمة الراوي:

أبو هريرة: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (٧).

غريب الألفاظ:

ما لم يعجل: ما لم يستعجل الإجابة[٣].

فيستحسر: يمل وينقطع[٤].

الشرح الأدبي

في الحديث براعة استهلال من حيث البداية بلفظ البشارة، (يستجاب) وبناء الفعل للمفعول للعلم به وهو الله تعالى، لفظ (يستجاب) يوحي بتحقق الطلب وبلوغ الأرب، وهو من هوى النفس، وطبيعتها يحقق الترقب، والتشويق لما بعده، وقوله (لأحدكم) أي كل واحد منكم إذ اسم الجنس المضاف يفيد العموم على الأصح قوله (ما لم يعجل) المعنى أنه يسأم ويترك الدعاء فيكون كالمان بدعائه أو إنه يأتي من الدعاء بما يستحق به الإجابة فيصير كالمبخل للرب الكريم الذي لا تعجزه الإجابة ولا ينقصه العطاء، وقوله (يقول: قَدْ دَعوْتُ) حكاية قول الداعي بيان لموضع الخطأ، وتوكيد الفعل بقد مع

---

(١) أخرجه البخاري (٦٣٤٠)، ومسلم (٢٧٣٥/٩٠) واللفظ له. أورده المنذري في ترغيبه (٢٤٥٦).

(٢) برقم (٢٧٣٥/٩١). أورده المنذري في ترغيبه (٢٤٥٦).

(٣) ينظر فتح الباري، ١٩٧/٨.

(٤) النهاية في (ح س ر)، شرح مسلم، النووي ١٦٠٤.

صياغته في الماضي يوحي بيأسه لعدم تحقق الإجابة مع سبق تحقق الدعاء وهو ما يوحي بعدم جدوى عمله -في نظره- وقوله (فلم يستجب لي) وهو إما استبطاء، أو إظهار يأس، وكلاهما مذموم أما الأول فلأن الإجابة لها وقت معين كما ورد أن بين دعاء موسى وهارون على فرعون، وبين الإجابة أربعين سنة، وأما القنوط فلا ييأس من روح الله إلا القوم الكافرون مع أن الإجابة على أنواع منها تحصيل عين المطلوب في الوقت المطلوب، ومنها ادخاره ليوم يكون أحوج إلى ثوابه، ومنها وجوده في وقت آخر لحكمة اقتضت تأخيره، ومنها دفع شر بدله.

المضامين الدعوية

أولاً: من موضوعات الدعوة: عدم الاستعجال في إجابة الدعاء.

ثانيًا: من موضوعات الدعوة: عدم الدعاء بالإثم أو قطيعة الرحم.

ثالثًا: من آداب المدعو: المداومة على الدعاء وعدم تركه.

أولاً - من موضوعات الدعوة: عدم الاستعجال في إجابة الدعاء:

هذا واضح من الحديث: "يستجاب لأحدكم ما لم يعجل، يقول: قد دعوت ربي فلم يستجب لي" وكذلك الرواية التي عند مسلم، قال النووي: "فيه أنه ينبغي إدامة الدعاء ولا يستبطئ الإجابة"[1].

وقد بوب ابن حبان على هذا الحديث: ذكر الزجر عن استعجال المرء إجابة دعائه إذا دعا[2]. قال ابن حجر: (قال ابن بطال: المعنى أنه يسأم فيترك الدعاء فيكون كالمانّ بدعائه، أو أنه أتى من الدعاء ما يستحق به الإجابة، فيصير كالمبخل للرب الكريم الذي لا تعجزه الإجابة ولا ينقصه العطاء، وقد وقع في رواية أبي إدريس الخولاني عن أبي هريرة عند مسلم والترمذي[3]: "لا يزال يستجاب للعبد ما لم يدع بإثم أو قطيعة رحم، وما لم يستعجل. قيل: وما الاستعجال؟ قال: يقول قد دعوت وقد دعوت فلم أر

---

(١) شرح صحيح مسلم مج٩/١٧/٥٤، ط دار عالم الكتب.

(٢) صحيح ابن حبان ٢٥٦/٣، ٩٧٥.

(٣) أخرجه مسلم ٢٧٣٥.

يستجاب لي، فيستحسر عند ذلك ويدع الدعاء". ومعنى قوله "يستحسر"، وهو بمهملات، ينقطع. وفي هذا الحديث أدب من آداب الدعاء، وهو أنه يلازم الطلب ولا ييأس من الإجابة لما في ذلك من الانقياد والاستسلام، وإظهار الافتقار حتى قال بعض السلف لأنا أشد خشية أن أحرم الدعاء من أن أحرم الإجابة[1]. قال الداودي: يخشى على من خالف وقال: قد دعوت فلم يستجب لي أن يحرم الإجابة، وما قام مقالها من الادخار والتكفير انتهى"[2].

قال أبو العباس القرطبي: (والقائل: قد دعوت، فلم أر يستجاب لي، ويترك -قانطًا- من رحمة الله، وفي صورة الممتن بدعائه على ربه، ثم إنه جاهل بالإجابة، فإنه يظنها إسعافه في عين ما طلب، فقد يعلم الله تعالى: أن في عين ما طلب مفسدة، فيصرفه عنها، فتكون إجابته في الصرف، وقد يعلم الله أن تأخيره إلى وقت آخر أصلح للداعي، وقد يؤخره؛ لأنه سبحانه يحب استماع دعائه، ودوام تضرعه، فتكثر أجوره حتى يكون ذلك أعظم وأفضل من عين المدعو به لو قضى له، وقد قال ﷺ: «مَا مِنْ دَاعٍ يَدْعُو إلاَّ كَانَ بَيْنَ إحْدَى ثَلاَثٍ، إمَّا أَنْ يُسْتَجَابَ لَهُ، وَإمَّا أَنْ يُدَّخَرَ لَهُ، وَإمَّا أَنْ يُكَفَّرَ عَنْهُ»[3]. ثم بعد هذا كله فإجابة الدعاء -وإن وردت في مواضع من الشرع مطلقة- فهي مقيدة بمشيئته، كما قال تعالى: ﴿فَيَكْشِفُ مَا تَدْعُونَ إِلَيْهِ إِن شَآءَ﴾[4])[5].

وقد اعتبر ابن القيم استعجال الاستجابة من الآفات التي تمنع ترتب أثر الدعاء عليه، فقال: "ومن الآفات التي تمنع ترتب أثر الدعاء عليه: أن يستعجل العبد ويستبطئ الإجابة، فيستحسر، ويدع الدعاء وهو بمنزلة من بذر بذرًا أو غرس غرسًا، فجعل

---

(١) نقل ابن القيم عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه انه كان يقول: إني لا أحمل همّ الإجابة، ولكن همّ الدعاء. فإذا ألهمتم الدعاء، فإن الإجابة معه، الداء والدواء ٢٤.

(٢) فتح الباري ١٤١/١١، ط السلفية.

(٣) أخرجه الترمذي ٣٥٧٣، وصححه الألباني، (صحيح سنن الترمذي ٢٨٢٧).

(٤) سورة الأنعام، آية: ٤١.

(٥) المفهم ٦٣/٧

يتعهده ويسقيه، فلما استبطأ كماله وإدراكه تركه وأهمله"[١].

ثانيًا - من موضوعات الدعوة: عدم الدعاء بالإثم أو قطيعة الرحم:

وذلك لأن الدعاء بإثم أو قطيعة رحم يمنع من استجابة الدعاء، ودليل ذلك قوله ﷺ: "لايزال يستجاب للعبد ما لم يدع بإثم أو قطيعة رحم".

قال ابن هبيرة: "في هذا الحديث من الفقه: إشعار العبد بأن الله سبحانه يجيب كل داع على الإطلاق؛ إلا أنه قد يكون سوء اختيار الداعي ما لا يرضى الله، لفضله أن يجعله تبعًا لسوء ذلك الاختيار، فيكون إما أن يدعو بإثم قد شرع الله فيما أوجب على عبده ألا يأتيه، فكيف يصلح لعبد أن يسأل الله سبحانه أن يُؤْتِيَه ما هو نهي عنه؛ أو يكون قد أداه سوء اختياره إلى طلب الأدنى بدلاً من الذي هو خير؛ فيكون من نظر الله له ان لا يسرع إجابته، أو يكون قد دعا عبد على عبد، وقد دعا ذلك المدعو عليه على الداعي عليه، فترتفع الدعوتان إلى الله عز وجل فيتعارض السؤالان، فيكون من جود الله سبحانه وفضله ألا يرد هذا ولا هذا؛ ولكن يترفق بهما معًا إلى أمد: إما بأن يصلح بينهما أو يؤخرهما ليصطلحا، فترديد الخصوم يفضي إلى صلحهم، أو يكون حين دعا الداعيان أحدهما أرحم وأرفق بالآخر، فيسرع إجابة الأرفق والأرحم نظرًا منه سبحانه لهما كليهما؛ أو يدعو والد على ولده في غيظة أو ضجره، فيؤخر الله إجابته عالمًا سبحانه من الوالد أنه سيشكر بعد قليل ترك الإجابة.

فإذا غفل الداعي عن حكمة الله تعالى التي هذه الوجوه التي ذكرناها بعضها وجزء منها، فنسب تأخير الدعاء إلى ما يناسب سوء اختياره ولا يناسب جود الله وحكمته، فطفق يقول لنفسه أو لغيره: دعوت فلم يستجب لي، مثريًا[٢] بذلك لجهله"[٣].

وقال أبو العباس القرطبي: "إن إجابة الدعاء لابد لها من شروط في الداعي، وفي الدعاء، وفي الشيء المدعو به، فمن شرط الداعي بأن يكون عالمًا بأنه لا قادر على

(١) الداء والدواء ١٣.

(٢) المثرب: القليل العطاء، وبالتشديد: المخلّط المفسد، القاموس المحيط، ٦٢.

(٣) الإفصاح عن معاني الصحاح ٢٤٥/٦، ٢٤٦.

حاجته إلا الله تعالى، وأن الوسائط في قبضته، ومسخرة بتسخيره، وأن يدعو بنية صادقة، وحضور قلب، وأن يكون مجتنبًا لأكل الحرام، كما قدمناه، وألا يحل من الدعاء فيتركه ويقول: قد دعوت فلم يستجب لي كما قال في الحديث.

ومن شروط المدعو فيه أن يكون من الأمور الجائزة الطلب والفعل شرعًا، كما قال: ما لم يدع بإثم أو قطيعة رحم، فيدخل في الإثم كل ما يأثم به من الذنوب، ويدخل في قطيعة الرحم جميع حقوق المسلمين، ومظالمهم. وقد بينا أن الرحم ضربان: رحم الإسلام، ورحم القرابة"[١].

"ومثل الدعاء بالإثم: كأن يدعو على شخص أن يكون مدمنًا للخمر أو أن يميته الله كافرًا، أو أن يبتلى بالزنا أو غير ذلك، أو أن يدعو الله أن ييسر له الفساد والفجور. الدعاء بقطيعة الرحم. كأن يقول: اللهم فرق بين فلان وأمه أو أقاربه أو زوجته أو يقول: "اللهم فرق شمل المسلمين وخالف بين كلمتهم"[٢]، ولا شك أن الدعاء بمثل هذه الأشياء نوع من أنواع الإثم، "فلا يستجاب له لأن الدعاء بالإثم ظلم، وقد قال الله تعالى: ﴿ إِنَّهُۥ لَا يُفْلِحُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴾[٣]"[٤]، ومن ناحية أخرى، فإنه لكى "يكون الدعاء مقبولاً عند الله - فلابد أن يكون في الخير بعيدًا عن الإثم وقطيعة الرحم"[٥].

ثالثًا - من آداب المدعو: المداومة على الدعاء وعدم تركه:

وهذا واضح من الحديث: «لاَ يَزَالُ يُسْتَجَابُ لِلْعَبْدِ مَا لَمْ يَدْعُ بِإِثْمٍ أَوْ قَطِيعَةِ رَحِمٍ. مَا لَمْ يَسْتَعْجِلْ». قِيلَ: يَا رَسُولَ اللهِ مَا الاسْتِعْجَالُ؟ قَالَ «يَقُولُ: قَدْ دَعَوْتُ، وَقَدْ دَعَوْتُ، فَلَمْ أَرَ يَسْتَجِيبُ لِي. فَيَسْتَحْسِرُ عِنْدَ ذَلِكَ، وَيَدَعُ الدُّعَاءَ». قال النووي: "قال أهل اللغة يقال: حسر واستحسر إذا أعيا وانقطع عن الشيء، والمراد هنا أنه ينقطع عن الدعاء"[٦]. قال

---

(١) المفهم ٦١/٢، ٦٢.

(٢) الدعاء "مفهومه وأحكامه وأخطاء تقع فيه، محمد بن إبراهيم الحمد، ص ٧٣.

(٣) سورة الأنعام، الآيتان: ٢١، ١٣٥.

(٤) شرح رياض الصالحين ١٥٦٨/٢.

(٥) الدعاء مفهومه ... ٣١.

(٦) شرح صحيح مسلم مج ٥٤/١٧/٩، ط دار عالم الكتب.

الطيبي: "قال المظهر: من كان ملاله من الدعاء لا يقبل دعاؤه؛ لأن الدعاء عبادة حصلت الإجابة، أو لم تحصل، فلا ينبغي للمؤمن أن يمل من العبادة، وتأخير الإجابة إما لأنه لم يأت وقتها؛ فإن لكل شيء وقتًا. وإما لأنه لم يقدر في الأزل قبول دعائه في الدنيا. ليعطي عوضه في الآخرة، وإما أن يؤخر القبول ليلح، ويبالغ فيها، فإن الله تعالى يحب الإلحاح في الدعاء"[١].

قال القرطبي: "وفائدة هذا: استدامة الدعاء، وترك اليأس من الإجابة، ودوام رجائهما، واستدامة الإلحاح في الدعاء؛ فإن الله يحث الملحين عليه في الدعاء، وكيف لا؟ والدعاء مخ العبادة وخلاصة العبودية"[٢].

وقال ابن حجر: "قال ابن الجوزي: اعلم أن دعاء المؤمن لا يرد، غير أنه قد يكون الأولى له تأخير الإجابة أو يعوض بما هو أولى له عاجلاً أو آجلاً، فينبغي للمؤمن ألا يترك الطلب من ربه، فإنه متعبد بالدعاء كما هو متعبد بالتسليم والتفويض"[٣].

قال بكر بن عبدالله أبو زيد: "الاستحسار: ترك الدعاء تعبًا ومللاً، قال الله تعالى في مدح ملائكته: ﴿وَلَهُۥ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ وَمَنْ عِندَهُۥ لَا يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِهِۦ وَلَا يَسْتَحْسِرُونَ ﴿١٩﴾ يُسَبِّحُونَ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ لَا يَفْتُرُونَ﴾[٤]". لا يستحسرون: أي لا يتعبون. وذكر الزبيدي في تاج العروس[٥]: وفي الحديث: ادعوا الله ولا تستحسروا، أي لا تملوا..انتهى. والأحاديث في النهي عن استبطاء الإجابة دالة على النهي عن الاستحسار"[٦].

---

(١) شرح الطيبي على المشكاة ٣٠٤/٤.

(٢) المفهم ٦٣/٦.

(٣) فتح الباري ١٤١/١١، ط السلفية.

(٤) سورة الأنبياء، الآيتان: ١٩-٢٠.

(٥) تاج العروس ١٢/١١.

(٦) تصحيح الدعاء ٦٧.

الحديث رقم (١٥٠٢)

١٥٠٢- وعن أَبي أمامة رضي الله عنه قَالَ: قيل لِرسولِ اللهِ ﷺ: أيُّ الدُّعاءِ أَسْمَعُ؟ قَالَ: ((جَوْفَ اللَّيْلِ الآخِرِ، وَدُبُرَ الصَّلَواتِ المَكْتُوباتِ)). رواه الترمذيُّ[1]، وقال: (حديث حسن).

ترجمة الراوي:

أبو أُمامة الباهليُّ: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (٧٣).

غريب الألفاظ:

جوف الليل الآخر: أي ثلثه الآخر وهو الجزء الخامس من أسداس الليل[2].

دبر الصلوات المكتوبات: بعد الصلوات الواجبات المفروضات[3].

الشرح الأدبي

قول الراوي (قيل) تجاوز عن ذكر الفاعل للجهل به أو لعدم تعلق غرض بذكره وقول السائل (أيُّ الدُّعاءِ أَسْمَعُ؟) استفهام على حقيقته يوحي بنفس طامحة إلى ذروة العمل والمعالي لها في كل زمان رجالها، وقوله (أسمع) أفعل تفضيل يشير إلى قمة أوقات الاستجابة والقبول، وقوله (أي الدعاء أسمع؟) أي أقرب إلى أن يسمعه الله أي يقبله قال

---

(١) برقم (٣٤٩٩). قال الحافظ ابن حجر في نتائج الأفكار (٢/٢٤٧): وفيما قاله نظر. لأن له عللًا. إحداها: الانقطاع، قال العباس الدوري في تاريخه (٢/٣٤٨) عن يحيى بن معين: لم يسمع عبد الرحمن بن سابط من أبي أمامة. ثانيتها: عنعنة ابن جُريج. ثالثتها: الشذوذ، فإنه قد جاء عن خمسة من أصحاب أبي أمامة أصل هذا الحديث من رواية أبي أمامة، عن عمرو بن عبسة، واقتصروا كلهم على الشقّ الأول. أخرجه النسائي في الكبرى (٥٨٥٦)، والطبراني في الدعاء (١٢٨) ولفظه: ((قلتُ: يا رسول الله هل من ساعة أقرب من الأخرى – يعني: الإجابة؟- وهل من ساعة ينبغي ذكرها؟ قال: نعم. إنَّ أقرب ما يكون العبد من الدعاء جوف الليل الآخر، فإن استطعتَ أن تكونَ ممّن يذكر الله تلك الساعة، فافعل)). قال الحافظ ابن حجر في نتائج الأفكار (٢/٢٤٨): هذا حديث صحيحٌ. أورده المنذري في ترغيبه (٢٤٥٥).

(٢) النهاية في (ج و ف).

(٣) المعجم الوسيط في (د ب ر)، و (و ج ب).

الطيبي أي أرجى للإجابة لأن المسموع على الحقيقة ما يقترن بالقبول ولا بد من مقدر إما في السؤال أي أوقات الدعاء أقرب إلى الإجابة ؟ وإما في الجواب أي دعاؤه في جوف الليل، وقوله (وَدُبُرَ الصَّلَوَاتِ المَكْتُوبَاتِ) وال في الصلوات للعهد أي المعهودات، والتي أكدها بقوله (المكتوبات) أي الخمس صلوات المفروضات، والتعبير بالكتابة يفيد شدة الإلزام والفرض ودبر كل شيء عقبه، وآخره وهو موطن إجابة يمثل منحة، وتكريما للمصلين يتكرر خمس مرات بتكرار الصلوات الخمس بحيث لا يبقي لمصل حاجة إلا قضيت.

المضامين الدعوية

أولاً: من أساليب الدعوة: السؤال والجواب.

ثانيًا: من موضوعات الدعوة: الترغيب في الدعاء في جوف الليل الآخر ودبر الصلوات المكتوبة.

أولاً – من أساليب الدعوة: السؤال والجواب:

فالحديث مداره على السؤال من قبل المدعوين، والجواب من الرسول ﷺ، فإن المدعو ما دام مشغولاً بالطاعة والإقبال على ربه، فإنه يعنُّ له في خاطره أسئلة يحتاج إلى الجواب عليها من قبل الداعية، الذي يكون عنده العلم الصحيح، فيرشد المدعو ويدله على طريق الخير، وهنا جال في خاطر بعض الصحابة -وهو من المدعوين وساداتهم- سؤال عن أفضل الساعات لإجابة الدعاء، فهو يريد أن يتحرى هذا الوقت حتى يكون دعاؤه أشد استجابة وأرجى قبولاً من الله. فأرشده النبي ﷺ إلى وقتين: الدعاء في جوف الليل الآخر، والدعاء أدبار الصلوات المكتوبة.

ثانيًا – من موضوعات الدعوة: الترغيب في الدعاء في جوف الليل الآخر ودبر الصلوات المكتوبة:

هذا واضح من سؤال الصحابي: "أي الدعاء أسمع؟ "أى أوفق لاستماع الدعاء فيه وأولى بالاستجابة"[1]. وقال الطيبي: "قال التوربشتي: أى أرجى للإجابة، فالسمع هو الذي

---

(١) النهاية في غريب الحديث ٤٤٥.

يرد بمعنى الإجابة مجازًا، لأن القول المسموع على الحقيقة هو ما يقترن بالقبول من السامع"[١].

أما "جوف الليل الآخر: وهو آخر الليل"[٢]، فقد ورد في فضله أحاديث نبوية منها: قال ﷺ: «يَنْزِلُ رَبُّنَا تَبَارَكَ وَتَعَالَى كُلَّ لَيْلَةٍ إِلَى السَّمَاءِ الدُّنْيَا حِينَ يَبْقَى ثُلُثُ اللَّيْلِ الآخِرُ، فَيَقُولُ: مَنْ يَدْعُونِي فَأَسْتَجِيبَ لَهُ وَمَنْ يَسْأَلُنِي فَأُعْطِيَهُ وَمَنْ يَسْتَغْفِرُنِي فَأَغْفِرَ لَهُ»[٣].

وقال ﷺ كذلك: "أقرب ما يكون الرب من العبد في جوف الليل الآخر، فإن استطعت أن تكون ممن يذكر الله في تلك الساعة فكن"[٤].

قال الطيبي: في قوله: (فإن استطعت) إشارة إلى تعظيم شأن الأمر وتفخيمه، وفوز من يستعد له، ومن ثم قال: "أن تكون ممن يذكر الله"، أي تنخرط في زمرة الذاكرين لله، ويكون لك مساهمة فيهم، وهو أبلغ من أنه لو قيل: إن استطعت أن تكون ذاكرًا"[٥].

وقال ابن بطال - كما نقل ابن حجر عنه- في بيان فضل الدعاء في آخر الليل: "هو وقت شريف خصه الله بالتنزيل فيه، فيتفضل على عباده بإجابة دعائهم، وإعطاء سؤالهم وغفران ذنوبهم. وهو وقت غفلة وخلوة واستغراق في النوم واستلذاذ له، ومفارقة اللذة والدعة صعب، لاسيما أهل الرفاهية وفي زمن البرد، وكذا أهل التعب ولاسيما في قصر الليل، فمن آثر القيام لمناجاة ربه والتضرع إليه مع ذلك دل على خلوص نيته وصحة رغبته فيما عند ربه، فلذلك نبه الله عباده على الدعاء في هذا الوقت الذي تخلو فيه النفس من خواطر الدنيا وعلقها، ليستشعر العبد الجد والإخلاص لربه"[٦].

---

(١) شرح الطيبي على المشكاة ١٢٠/٣.

(٢) شرح رياض الصالحين، ابن عثيمين، ١٥٦٨/٢.

(٣) أخرجه البخاري ٦٣٢١، ومسلم ٧٥٨.

(٤) أخرجه الترمذي ٣٥٧٩، وصححه الألباني (صحيح سنن الترمذي ٢٨٣٣).

(٥) شرح الطيبي ١٢٩/٣.

(٦) فتح الباري ١٢٩/١١. ط السلفية.

أما الدعاء دبر الصلوات المكتوبة، فقد أوصى النبي ﷺ معاذ بن جبل رضي الله عنه بالدعاء دبر كل صلاة، فعن معاذ أن رسول الله ﷺ أخذ بيده وقال: يا معاذ والله إني لأحبك والله إني لأحبك. فقال: أوصيك يامعاذ: لا تدعن في دبر كل صلاة، تقول اللهم أعنّي على ذكرك وشكرك وحسن عبادتك"[١].

"هذا وقد اختلف في قوله دبر كل صلاة هل هو قبل السلام أو بعده"[٢].

قال ابن القيم: "ودبر الصلاة يحتمل قبل السلام، وبعده، وكان شيخنا - يعني ابن تيمية- يرجح أن يكون قبل السلام[٣] فراجعته فيه، فقال: دبر كل شيء منه كدبر الحيوان"[٤].

وقال ابن عثيمين: "أدبار الصلوات يعني أواخرها، وهذا قد أرشد إليه النبي ﷺ حين ذكر التشهد، ثم قال بعد ذلك، "ثم ليتخير من الدعاء ما يشاء"[٥]، وليس المراد بأدبار الصلوات هى ما بعد السلام، لأن ما بعد السلام في الصلوات هو ليس محل دعاء إنما هو محل ذكر، لقول لله تعالى: ﴿ فَإِذَا قَضَيْتُمُ ٱلصَّلَوٰةَ فَٱذْكُرُواْ ٱللَّهَ قِيَـٰمًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِكُمْ ﴾[٦]، ولكن المراد بأدبار الصلوات المكتوبة أواخرها"[٧].

لكن البخاري ترجم في كتاب الدعوات، باب الدعاء بعد الصلاة[٨]. فقال ابن حجر: قوله: "باب الدعاء بعد الصلاة" أي: المكتوبة، وفي هذه الترجمة رد على من زعم أن الدعاء بعد الصلاة لا يشرع، متمسكا بالحديث الذي أخرجه مسلم من رواية عبد

---

(١) أخرجه أبو داود ١٥٢٢، والنسائي ٣٠٣، وصححه الألباني (صحيح سنن أبي داود ١٣٤٧).

(٢) الدعاء مفهومه ... ٤.

(٣) انظر: مجموع الفتاوى ١١/٦٤٥-٦٥٢ ط العبيكان، ٢٢/٤٩٢-٥٠٥ ط ابن قاسم.

(٤) زاد المعاد ١/٣٠٥.

(٥) أخرجه البخاري ٨٣٥، ومسلم ٤٠٢.

(٦) سورة النساء، آية: ١٠٣.

(٧) شرح رياض الصالحين ٢/١٥٦٨.

(٨) الحديثان، ٦٣٢٩، ٦٣٣٠.

الله بن الحارث عن عائشة كان النبي ﷺ "إذا سَلَّم لا يَثْبُت إلا قدر ما يقول: اللهم أنت السلام ومنك السلام تباركت يا ذا الجلال والإكرام"[١]، والجواب أن المراد بالنفي المذكور نفي استمراره جالسا على هيئته قبل السلام إلا بقدر أن يقول ما ذكر، فقد ثبت أنه " كان إذا صلى أقبل على أصحابه "[٢]، فيحمل ما ورد من الدعاء بعد الصلاة على أنه كان يقوله بعد أن يقبل بوجهه على أصحابه، قال ابن القيم في "الهدي النبوي"[٣]: وأما الدعاء بعد السلام من الصلاة مستقبل القبلة سواء الإمام والمنفرد والمأموم فلم يكن ذلك من هدى النبي ﷺ أصلا، ولا روي عنه بإسناد صحيح ولا حسن، وخص بعضهم ذلك بصلاتي الفجر والعصر، ولم يفعله النبي ﷺ ولا الخلفاء بعده ولا أرشد إليه أمته، وإنما هو استحسان رآه من رآه عوضا من السنة بعدهما، قال: وعامة الأدعية المتعلقة بالصلاة إنما فعلها فيها وأمر بها فيها، قال، وهذا اللائق بحال المصلي، فإنه مقبل على ربه مناجيه، فإذا سلم منها انقطعت المناجاة وانتهى موقفه وقربه، فكيف يترك سؤاله في حال مناجاته والقرب منه وهو مقبل عليه ثم يسأل إذا انصرف عنه ثم قال: لكن الأذكار الواردة بعد المكتوبة يستحب لمن أتى بها أن يصلي على النبي ﷺ بعد أن يفرغ منها ويدعو بما شاء، ويكون دعاؤه عقب هذه العبادة الثانية وهي الذكر لا لكونه دبر المكتوبة، قلت "القائل ابن حجر": وما ادعاه من النفي مطلقا مردود، فقد ثبت عن معاذ بن جبل أن النبي ﷺ قال له " يا معاذ إني والله لأحبك، فلا تدع دبر كل صلاة أن تقول: اللهم أعني على ذكرك وشكرك وحسن عبادتك"[٤].

وحديث أبي بكرة في قول "اللهم إني أعوذ بك من الكفر والفقر وعذاب القبر،

---

(١) أخرجه مسلم ٥٩٢.

(٢) أخرجه البخاري، ٨٤٥، ومسلم، ٢٢٧٥. واللفظ للبخاري.

(٣) زاد المعاد ٢٥٧/١.

(٤) أخرجه أبو داود، ١٥٢٢ والنسائي، ١٣٠٣، وابن خزيمة، ٧٥١، وابن حبان، ٢٠٢٠، ٢٠٢١، والحاكم ٢٧٣/١. وانظر تخريجه في صحيح ابن حبان.

كان النبي ﷺ يدعو بهن دبر كل صلاة"[١]، وحديث سعد الآتي في " باب التعوذ من البخل " قريبا، فإن في بعض طرقه المطلوب[٢]، وحديث زيد بن أرقم "سمعت رسول الله ﷺ يدعو في دبر كل صلاة: اللهم ربنا ورب كل شيء" الحديث أخرجه أبو داود والنسائي[٣]، وحديث صهيب رفعه " كان يقول إذا انصرف من الصلاة: اللهم أصلح لي ديني " الحديث أخرجه النسائي وصححه ابن حبان[٤] وغير ذلك.

فإن قيل: المراد بدبر كل صلاة قرب آخرها وهو التشهد، قلنا قد ورد الأمر بالذكر دبر كل صلاة، والمراد به بعد السلام إجماعا، فكذا هذا حتى يثبت ما يخالفه، وقد قيل: "يا رسول الله أي الدعاء أسمع قال: جوف الليل الأخير ودبر الصلوات المكتوبات"[٥]، قال ﷺ: "الدعاء بعد المكتوبة أفضل من الدعاء بعد النافلة كفضل المكتوبة على النافلة " وفهم كثير من الحنابلة أن مراد ابن القيم نفي الدعاء بعد الصلاة مطلقا، وليس كذلك فإن حاصل كلامه أنه نفاه بقيد استمرار استقبال المصلي القبلة وإيراده بعد السلام، وأما إذا انتقل بوجهه أو قدم الأذكار المشروعة فلا يمتنع عنده الإتيان بالدعاء حينئذ"[٦].

---

(١) أخرجه أحمد ٣٦/٥، ٣٩/٥، رقم ٢٠٣٨١، ٢٠٤٠٩، وقال محققو المسند إسناده قوي على شرط مسلم ا. هـ. وانظر تخريجه بتوسع في مسند أحمد ١٧/٣٤، ٥٢.

(٢) أخرجه البخاري، ٢٨٢٢، ٦٣٧٠.

(٣) أخرجه أحمد ٣٦٩/٤، رقم ١٩٢٩٣، وقال محققو المسند إسناده ضعيف أهـ. وانظر تخريجه بتوسع في مسند أحمد ٣٨/٣٢.

(٤) أخرجه النسائي ٧٣/٣، وابن خزيمة ٧٤٥، وابن حبان ٢٠٢٦، وضعفه الألباني، (ضعيف سنن النسائي ٧٣).

(٥) أخرجه الترمذي ٣٤٩٩، وحسنه الألباني (صحيح سنن الترمذي ٢٧٨٢) وهو حديث الباب.

(٦) فتح الباري ١٣٣/١١، ١٣٤، ط السلفية.

الحديث رقم (١٥٠٣)

١٥٠٣- وعن عُبَادَةَ بنِ الصامت رضي الله عنه: أنَّ رسولَ اللهِ ﷺ قَالَ: ((مَا عَلَى الأرْضِ مُسْلِمٌ يَدْعُو الله تَعَالَى بِدَعْوَةٍ إلاَّ آتَاهُ اللهُ إيَّاها، أوْ صَرفَ عَنْهُ مِنَ السُّوءِ مِثْلَهَا، مَا لَمْ يَدْعُ بِإثْمٍ، أوْ قَطِيعَةِ رَحِمٍ))، فَقَالَ رَجُلٌ مِنَ القَومِ: إذًا نُكْثِرُ قَالَ: ((اللهُ أكْثَرُ)). رواه الترمذيُّ[1]، وقال: (حديث حسن صحيح).

ورواه الحاكم[2] من روايةِ أَبي سعيدٍ، وزاد فيهِ: ((أَوْ يَدخِرَ لَهُ مِن الأَجْرِ مِثْلَها)).

ترجمة الراوي:

عبادة بن الصامت: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (١٨٦).

الشرح الأدبي

يدور معنى الحديث حول فوائد الدعاء، وأنه لا تضيع لداع عند الله دعوة أبدا، وقوله (مَا عَلَى الأرْضِ) استغراق للمكان يستوعبه كله، وفيه إشارة إلى عالمية الرسالة المحمدية التي سيعم نورها ربوع الأرض، وتنكير لفظ (مسلم) يفيد عموم المسلمين، ويتضمن حرمان غيرهم من هذا الفضل، وقد جاء في أسلوب القصر بالنفي، والاستثناء الذي يقصر دعوة الداعي المسلم على الإجابة لا تتعداها إلى الحرمان، وبين قوله أتاه، وصرف طباق يؤكد المعنى، ويشير إلى أن العبد دائر بين استجابة دعائه، وبين صرف الضر عنه، وبناءً عليه فإن أكثر الناس دعاءً أكثرهم سعادة في الدنيا، والآخرة لأن كثرة الدعاء تحقق لهم ما يتمنون، وتصرف عنهم البلاء والمصائب، كما تمهد لهم أخراهم كما مهّدت لهم دنياهم، وقوله (مَا لَمْ يَدْعُ بِإثْمٍ، أَوْ قَطِيعَةِ رَحِمٍ) احتراس عن

---

(١) برقم (٣٥٧٣). وقال: هذا حديثٌ حسن صحيحٌ غريبٌ. وقال الحافظ في الفتح (١١/٩٦): حديثٌ صحيحٌ. أورده المنذري في ترغيبه (٢٤٢٥).

(٢) (١/٤٩٣) وقال: هذا حديث صحيح الإسناد، إلا أن الشيخين لم يخرجاه.. تنبيه: هذا الحديث عزاه المنذري في ترغيبه (٢/٤٧٤) إلى الترمذي والحاكم، وقال: كلاهما من رواية عبد الرحمن بن ثابت بن ثوبان. فانتبه لهذا الخطأ الإمام النووي رحمه الله، ولأجل ذلك قال: ورواه الحاكم من رواية أبي سعيد.

الدعاء بما فيه إثم، أو ما يتسبب في قطيعة الرحم، لأن الدعاء بر يجب أن يصرف في بر لا في إثم.

الشرح الأدبي

إن الدعاء مخ العبادة، والمصطفى ﷺ في هذا الحديث يرغب كل مسلم في أن يكون على صلة بربه عز وجل، قولاً وعملاً، والدعاء الصادر من قلب نابض بالإيمان، متعلق بمحبة الله عز وجل، تفتح له أبواب السماء، ويستجيب له الرحيم الرحمن، الذي يجيب المضطر إذا دعاه، ويكشف السوء.

والحديث الشريف حين نتأمل أسلوبه الرصين، وبيانه العذب الجميل نجده مُفعمًا بالظواهر الأسلوبية التي تقرب المعنى، وترغب كل مسلم في الإقبال على الدعاء، وهو متسلح باليقين والرجاء، ويبدأ الحديث بأسلوب القصر في الجملة الأولى، عن طريق النفي والاستثناء، وهو يدل على الحصر والاستقصاء، ويُطمئن كل مسلم على إجابة الدعاء أو صرف السوء، أو ادخار الأجر عند الله عز وجل، وتأمل هذا الترغيب الجميل في بداية الحديث "ما على الأرض مسلم يدعو الله تعالى بدعوة إلا آتاه الله إياها ... الحديث".

وقوله: "على الأرض" يفيد العموم والشمول، والمراد: كل مكان على وجه المعمورة في أي زمن، وفي أي مكان يكون الدعاء، وتكون الإجابة، وتنكير كلمة (مسلم) للتعميم والشيوع، وعدم تحديد هذا المسلم بشخص أو مكان، أو زمان، أو عنصر، أو قبيلة، وإنما: الصفة مجردة من أي تحديد إلا أن يكون مسلمًا: مصدقًا بالجنان، مقرًا باللسان، عاملاً بالأركان.

وكذلك تنكير كلمة "دعوة"، وتنوينها لدلالة الشيوع كما قال العلماء: ليشمل الدعاء بالجليل والحقير، وبالقليل والكثير؛ وقوله: "آتاه الله إياها" يفيد الإعطاء وذلك لمزيد من اليقين والاطمئنان، وهذا التعبير أبلغ من قوله مثلاً إلا أجابه أو استجاب له، ولذلك تكرر لفظ الجلالة، والضمير العائد على الدعوة جاء بارزًا منفصلاً "إياها"، لمزيد من التأكيد على استجابة الله للدعاء وتحقيق الرجاء، و"أو" للتنويع، حتى

لا ييأس المسلم الذي لا يتحقق رجاؤه المباشر القريب الذي حدده، وإنما يتمثل كرم الله تعالى وعطائه في صرف السوء عن العبد، والسوء كلمة تشع بكثير من الدلالات: فهي اسم من ساء وتدل على كل آفة تصيب الإنسان، وقيل السوء هو، البَرَص، ومن معاني: السوء، الهزيمة والشر والرَّدى والفساد، والله تعالى يصرف عن المسلم كل هذا مكافأة على الدعاء.

ويتسم الحديث بصيغة الحوار الترغيبي بين رسول الله ﷺ وبعض الصحابة الذين اطمأنوا ورغبوا في المزيد من الدعاء في قول أحدهم: إذًا نكثر، فقال رسول الله ﷺ: (الله أكثر)، وأسلوب التفصيل هنا له دلالته في إشاعة الاطمئنان واليقين في قلب كل مسلم يدعو الله عز وجل، في أن الله تعالى أكثر عطاء ونوالاً مما يطلبون ويسألون.

وبلاغة الحذف من سمات الجمال الأسلوبي في هذا الحديث: ويتجلى ذلك في سياق تحديد آداب الدعاء: فالمسلم لا يدعو بإثم أو قطيعة رحم، والجملة تتضمن معنى الشرط، وجواب الشرط محذوف لأنه لا يُستَحبُّ ذِكرُه، وهو عدم إجابة الدعاء والتقدير: فإذا دعا بإثم أو قطيعة رحم فلا يستجاب له، وفي قوله: إذًا نكثر، حذف لأن تقدير الجملة - كما يقول صاحب دليل الفالحين، إذا كانت الدعوة بما عدا ما ذكر مجابة نكثر من سؤال خيري الدارين، وتأتي إجابة رسول الله مُتشحةً بالإيجاز والبلاغة في قوله ﷺ: الله أكثر، والمحذوف يفتح آفاقًا من الرجاء والعطاء، حتى يطمئن كل مسلم أوَّاب وهو يدعو العزيز الوهاب.

المضامين الدعوية

أولاً: من موضوعات الدعوة: فوائد الدعاء.

ثانيًا: من آداب المدعو: الإكثار من الدعاء.

ثالثًا: من موضوعات الدعوة: فضل الله العظيم على عباده.

رابعًا: من بلاغة الداعية: المشاكلة لألفاظ المدعوين.

أولاً- من موضوعات الدعوة: فوائد الدعاء:

هذا واضح من الحديث: «مَا عَلَى الأَرْضِ مُسْلِمٌ يَدْعُو اللهَ تَعَالَى بِدَعْوَةٍ إِلاَّ آتَاهُ الله

إِيَّاهَا أَوْ صَرَفَ عَنْهُ مِنَ السُّوءِ مِثْلَهَا مَا لَمْ يَدْعُ بِإِثْمٍ أَوْ قَطِيعَةِ رَحِمٍ» والحديث رواه أحمد في مسنده عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: ما من مسلم يدعو بدعوة ليس فيها إثم ولا قطيعة رحم إلا أعطاه الله بها إحدى ثلاث: إما أن تعجل له دعوته، وإما أن يدخرها له في الآخرة، وإما أن يصرف عنه من السوء مثلها. قَالُوا: إِذًا نُكْثِرُ. قَالَ: «الله أَكْثَرُ»[1].

وفي حديث جابر بن عبدالله رضي الله عنه عن النبي ﷺ، قال: «دعاء المسلم بين إحدى ثلاث: إما أن يعطى مسألته التي سأل، أو يرفع بها درجة، أو يحط بها عنه خطيئة ما لم يدع بقطيعة رحم أو مأثم، أو يستعجل»[2].

وعن عائشة رضي الله عنها قالت: «ما من عبد يدعو الله بدعوة فتذهب حتى يعجل له في الدنيا أو تدخر له في الآخرة إذا هو لم يعجل أو يقنط. قال عروة بن الزبير: يا أمتاه وكيف عجلته وقنوطه؟ قالت: يقول: قد سألتُ فلم أعط، ودعوتُ فلم أُجَبْ»[3].

وقال ابن عباس: "كل عبد دعا استجيب له، فإن كان الذي يدعو به رزقًا له في الدنيا أعطيه، وإن لم يكن رزقًا له في الدنيا ذخر له"[4].

قال السندي: "قوله إحدى ثلاث"، لعل هذا هو المراد بنحو قوله: ﴿ ٱدْعُونِىٓ أَسْتَجِبْ لَكُمْ ﴾[5]. وقوله: ﴿ أُجِيبُ دَعْوَةَ ٱلدَّاعِ إِذَا دَعَانِ ﴾[6]. وعلى هذا لا ينبغي للعبد أن يقول: دعوت فلم يُسْتَجَبْ لي[7].

قال ابن حجر: "إن كل داع يستجاب له لكن تتنوع الإجابة، فتارة تقع بعين ما دعا

---

(١) أخرجه أحمد ١٨/٣، رقم ١١١٣٣، وقال محققوه: إسناده جيد ٢١٣/١٧ - ٢١٤.

(٢) أخرجه ابن عبدالبر في التمهيد ٣٠٤/٧، موسوعة شروح الموطأ.

(٣) أخرجه ابن عبدالبر في التمهيد، ٣٠٦/٧.

(٤) الجامع لأحكام القرآن، القرطبي، مج١/ج٢/٣١٠.

(٥) سورة غافر، آية: ٦٠.

(٦) سورة البقرة، آية: ١٨٦.

(٧) حاشية السندي على مسند أحمد ٢١٥/١٧.

به وتارة بعوضه"[١].

وقال ابن حجر كذلك: "وإن دعوة المؤمن لا ترد، وأنها إما أن تعجل له الإجابة، وإما أن تدفع عنه من السوء مثلها، وإما أن يدخر له في الآخرة خير مما سأل، ... وإلى ذلك أشار ابن الجوزي بقوله: اعلم أن دعاء المؤمن لا يرد، غير أنه قد يكون الأولى له تأخير الإجابة أو يعوض بما هو أولى له عاجلا أو آجلا، فينبغي للمؤمن أن لا يترك الطلب من ربه فإنه متعبد بالدعاء كما هو متعبد بالتسليم واستقبال القبلة"[٢].

قال ابن القيم: "ليس شيء من الأسباب أنفع من الدعاء ولا أبلغ في حصول المطلوب، ولما كان الصحابة رضي الله عنهم أعلم الأمة بالله ورسوله ﷺ وأفقههم في دينه، كانوا أقوم بهذا السبب وشروطه وآدابه من غيرهم. وكان عمر بن الخطاب رضي الله عنه يستنصر به على عدوه، وكان أعظم جنده به، وكان يقول لأصحابه: "لستم تنصرون بكثرةٍ وإنما تنصرون من السماء"، وكان يقول: "إني لا أحمل هم الإجابة ولكن أحمل هم الدعاء، فإذا ألهمتم الدعاء، فإن الإجابة معه"... فمن ألهم الدعاء فقد أريد به الإجابة، فإن الله سبحانه يقول: ﴿ ٱدۡعُونِيٓ أَسۡتَجِبۡ لَكُمۡ ﴾[٣]، وقال: ﴿ وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌۖ أُجِيبُ دَعۡوَةَ ٱلدَّاعِ إِذَا دَعَانِۖ ﴾[٤]"[٥].

وقال ابن هبيرة عن ادخار إجابة الدعاء ليوم القيامة: "قد أخبرنا سبحانه أنه يجيب دعوة الداعي إذا دعاه، فحينئذ يصرف الإجابة من الدنيا إلى الآخرة، ويجيبه في دعوات معدودة لأوقات معلومة أحوج ما كان لأنفع ما تكون بأن يقال له: دعوت في وقت كذا بكذا فمنع من إجابتك كذا وادخر لك إلى اليوم فاطلب كذا. فيوَدُّ كل من أجيب إلى الدعاء في الدنيا أنه لم يكن أجيب، لما يرى من ربح من أخرت إجابته"[٦].

---

(١) فتح الباري ١١/٩٥-٩٦ ط. السلفية.

(٢) فتح الباري ١١/١٤١.

(٣) سورة غافر، آية: ٦٠.

(٤) سورة البقرة، آية: ١٨٦.

(٥) الداء والدواء ٢٣-٢٤.

(٦) الإفصاح عن معاني الصحاح ٦/٢٤٦، ٢٤٧.

لكن الإمام القرطبي المفسر: يذكر أن في إجابة الدعاء أقوالاً، فيقول: فإن قيل: فما للدّاعي قد يدعو فلا يُجَاب؟ فالجواب أن يُعلم أن قوله الحق في الآيتين «أجيب» «أستَجِبْ» لا يقتضي الاستجابة مطلقًا لكل داعٍ على التفصيل، ولا بكلّ مطلوب على التفصيل، فقد قال ربُّنا تبارك وتعالى في آية أخرى: ﴿ٱدۡعُواْ رَبَّكُمۡ تَضَرُّعٗا وَخُفۡيَةًۚ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلۡمُعۡتَدِينَ﴾[1]، وكل مُصِرٍّ على كبيرة عالمٍ بها أو جاهلٍ فهو مُعْتدٍ، وقد أخبر أنه لا يحب المعتدين فكيف يستجيب له؟

وأنواع الاعتداء كثيرة؛ يأتي بيانها هنا وفي «الأعراف» إن شاء الله تعالى[2].

وقال بعض العلماء: أجيب إن شئتُ؛ كما قال: ﴿فَيَكۡشِفُ مَا تَدۡعُونَ إِلَيۡهِ إِن شَآءَ﴾[3]، فيكون هذا من باب المطلق والمقيّد. وقد دعا النبيّ ﷺ في ثلاثٍ فأُعْطِيَ اثْنَتين ومُنِع واحدة، على ما يأتي بيانه في «الأنعام» إن شاء الله تعالى[4].

وقيل: إنما مقصود هذا الإخبار تعريف جميع المؤمنين أن هذا وصف ربهم سبحانه أنه يجيب دعاء الداعين في الجملة، وأنه قريب من العبد يسمع دعاءه ويعلم اضطراره فيجيبه بما شاء وكيف شاء ﴿وَمَنۡ أَضَلُّ مِمَّن يَدۡعُواْ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَن لَّا يَسۡتَجِيبُ لَهُۥٓ﴾[5]، الآية.

---

(١) سورة الأعراف، آية: ٥٥.

(٢) قال القرطبي: والاعتداء في الدعاء على وجوه منها الجهر الكثير والصياح، ومنها أن يدعو الإنسان في أن تكون له منزلة نبي أو يدعو في محال، ونحو هذا من الشطط. ومنها أن يدعو طالبًا معصية وغير ذلك. ومنها أن يدعو بما ليس في الكتاب والسنة فيتخير ألفاظ مقفرة وكلمات مسجعة قد وجدها في كراريس لا أصل لها، ولا معول عليها، فيجعلها شعاره ويترك ما دعا به رسوله عليه الصلاة والسلام، وكل هذا يمنع من استجابة الدعاء. الجامع لأحكام القرآن، ٢٤٨/٩ ، ط مؤسسة الرسالة.

(٣) سورة الأنعام، آية: ٤١.

(٤) عند آية ٦٥ من سورة الأنعام، وقد ساق حديث خباب بن الأرت مرفوعًا "إني سألت الله ثلاثًا فأعطاني اثنتين، ومنعني واحدة: سألته أن لا يهلك أمتي بسنة فأعطانيها وسألته أن لا يسلط عليهم عدوًا من غيرهم فأعطانيها، وسألته أن لا يذيق بعضهم بأس بعض فمنعنيها" أخرجه أحمد ٢١٠٥٣/٣٤، والترمذي ٢١٧٥، والنسائي ٢١٦/٣، ٢١٧، وقال محققو المسند: إسناده صحيح.

(٥) سورة الأحقاف، آية: ٥.

وقد يجيب السيّدُ عبدَه والوالدُ ولدَه ثم لا يعطيه سُؤْله. فالإجابة كانت حاصلة لا محالَة عند وجود الدعوة؛ لأنّ أُجيبُ وأَستَجبْ خبر لا يُنسخ فيصير المخبر كذابًا. يدلّ على هذا التأويل ما روَى ٱبن عمر عن النبيّ ﷺ قال: «من فُتح له في الدعاء فُتحت له أبواب الإجابة»[1].

وأوحى الله تعالى إلى داود: أنْ قل للظلمة من عبادي لا يدعوني فإني أوْجبت على نفسي أن أجيب من دعاني وإني إذا أجبت الظلمة لعنتهم[2].

وقال قوم: إن الله يجيب كلّ الدعاء؛ فإمّا أن تظهر الإجابة في الدنيا، وإمّا أن يكفّر عنه، وإمّا أن يدّخر له في الآخرة؛ لما رواه أبو سعيد الخُدْرِيّ رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «ما من مسلم يدعو بدعوة ليس فيها إثم ولا قطيعة رَحِم إلا أعطاه الله بها إحدى ثلاث إمّا أن يُعجّل له دعوته وإمّا أن يدّخر له وإمّا أن يكفّ عنه من السوء بمثلها». قالوا: إذن نُكثر؟ قال: «الله أكثر»[3].

قلت - أبو العباس القرطبي - وحديث أبي سعيد الْخُدْرِيّ وإن كان إذنًا بالإجابة في إحدى ثلاث فقد دلّك على صحة ما تقدّم من اجتناب الابتداء المانع من الإجابة حيث قال فيه: «ما لم يَدْعُ بإثم أو قطيعة رَحِم» وزاد مسلم: «ما لم يَستعجل». رواه عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبيّ ﷺ أنه قال: «لا يزال يُستجاب للعبد ما لم يَدْعُ بإثم أو قطيعة رَحِم ما لم يَستعجِل قيل: يا رسول الله، ما الاستعجال؟ قال يقول قد دَعوتُ وقد دَعوتُ فلم أر يستجيب لي فيَستَحْسِر عند ذلك ويَدَعُ الدعاء»[4].

وروى البخاريّ ومسلم وأبو داود عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال:

---

(١) أخرجه الترمذي، ٣٥٤٨، وضعفه الترمذي

(٢) أخرجه ابن أبي شيبة ٥٥٨/١١، ٢٠١/١٣، وأحمد في الزهد ص٩٢، وهناد في الزهد، ٧٨٧، والبيهقي في شعب الإيمان، ٧٤٨٣ من كلام ابن عباس رضي الله عنهما، نقلًا عن تحقيق تفسير القرطبي، ١٨٠/٢، مؤسسة الرسالة.

(٣) أخرجه أحمد ١٨/٣ رقم ١١١٣٣، وقال محققو المسند: إسناده جيد ٢١٣/١٧ - ٢١٤.

(٤) أخرجه مسلم ٢٧٣٥.

«يُستجاب لأحدكم ما لم يَعْجَل يقول دَعوتُ فلم يُستجب لي»[1].

قال علماؤنا رحمة الله عليهم: يحتمل قوله «يُستجاب لأحدكم» الإخبار عن (وجوب) وقوع الإجابة، والإخبار عن جواز وقوعها؛ فإذا كان بمعنى الإخبار عن الوجوب والوقوع فإن الإجابة تكون بمعنى الثلاثة الأشياء المتقدّمة. فإذا قال: قد دعوت فلم يُستجب لي، بطل وقوع أحد هذه الثلاثة الأشياء وعَرِيَ الدعاء من جميعها. وإن كان بمعنى جواز الإجابة فإن الإجابة حينئذ تكون بفعل ما دعا به خاصّةً، ويمنع من ذلك قول الداعي: قد دعوتُ فلم يُستجب لي؛ لأن ذلك من باب القنوط وضعف اليقين والسّخط.

قال أبو العباس القرطبي: ويمنع من إجابة الدعاء أيضًا أكل الحرام وما كان في معناه؛ قال ﷺ: «الرجل يُطيل السّفَر أشْعَثَ أغْبَر يمدّ يديه إلى السماء يا رَبّ يا رَبّ ومَطعمه حرام ومشربه حرام وملبسه حرام وغُذيَ بالحرام فأنّى يُستجاب لذلك»[2] وهذا استفهام على جهة الاستبعاد من قبول دعاء مَن هذه صفته، فإن إجابة الدعاء لا بدّ لها من شروط في الداعي وفي الدعاء وفي الشيء المدعو به. فمن شَرْط الداعي أن يكون عالمًا بأن لا قادر على حاجته إلا الله، وأن الوسائط في قبضته ومسخّرة بتسخيره، وأن يدعو بنيّة صادقة وحضور قلب، فإن الله لا يستجيب دعاء من قلبٍ غافلٍ لاهٍ، وأن يكون مجتنبًا لأكل الحرام، وألا يملّ من الدعاء. ومن شَرط المدعو فيه أن يكون من الأمور الجائزة الطلب والفعل شرعًا؛ كما قال: «ما لم يَدْعُ بإثم أو قطيعةِ رَحِم» فيدخل في الإثم كل ما يأثم به من الذنوب، ويدخل في الرَّحم جميع حقوق المسلمين ومظالمهم[3].

وقال سهل بن عبد الله التُّسْتَرِيّ: شروط الدعاء سبعة: أوّلها التضرّع والخوف والرجاء والمداومة والخشوع والعموم وأكل الحلال.

وقال ابن عطاء: إن للدّعاء أركانًا وأجنحة وأسبابًا وأوقاتًا؛ فإن وافق أركانه قَوِيَ،

---

(١) أخرجه البخاري ٦٣٤٠، ومسلم ٢٧٣٥، وأبو داود ١٤٨٤.

(٢) أخرجه مسلم ١٠١٥.

(٣) انظر: المفهم أبو العباس القرطبي، ٦٢/٧، ٦٣.

وإن وافق أجنحته طار في السماء، وإن وافق مواقيته فاز، وإن وافق أسبابه أنجح. فأركانه حضور القلب والرأفة والاستكانة والخشوع، وأجنحته الصدق، ومواقيته الأسحار، وأسبابه الصلاة على محمد ﷺ.

وقيل: شرائطه أربع: أوّلها حفظ القلب عند الوحدة، وحفظ اللسان مع الخلق، وحفظ العين عن النظر إلى ما لا يَحِلّ، وحفظ البطن من الحرام.

وقد قيل: إنّ مِن شَرْط الدعاء أن يكون سليمًا من اللّحن؛ كما أنشد بعضهم:

ينادي ربَّه باللّحن لَيْثٌ كذلك إذا دعاه لا يجاب[1]

وقيل لإبراهيم بن أدْهم: ما بالنا ندعو فلا يُستجاب لنا؟ قال: لأنكم عرفتم الله فلم تطيعوه، وعرفتم الرسول فلم تتّبعوا سُنّته، وعرفتم القرآن فلم تعملوا به، وأكلتم نعم الله فلم تؤدّوا شكرها، وعرفتم الجنة فلم تطلبوها، وعرفتم النار فلم تهربوا منها، وعرفتم الشيطان فلم تحاربوه ووافقتموه، وعرفتم الموت فلم تستعدّوا له، ودفنتم الأموات فلم تعتبروا، وتركتم عيوبكم واشتغلتم بعيوب الناس)[2].

وقال ابن أبي العز الحنفي: "إن الدعاء سبب مقتض لنيل المطلوب، والسبب له شروط وموانع، فإذا حصلت شروطه، وانتفت موانعه، حصل المطلوب، وإلا فلا يحصل ذلك المطلوب، بل قد يحصل غيره، وهكذا سائر الكلمات الطيبات، من الأذكار المأثورة المعلق عليها جلب منافع أو دفع مضار، فإن الكلمات بمنزلة الآلة في يد الفاعل، تختلف باختلاف قوته وما يعينها، وقد يعارضها مانع من الموانع. ونصوص الوعد والوعيد المتعارضة في الظاهر: من هذا الباب. وكثيرًا ما تجد أدعية دعا بها قوم، فاستجيب لهم، ويكون قد اقترن بالدعاء ضرورة صاحبه وإقباله على الله، أو حسنة تقدمت منه، جعل الله سبحانه إجابة دعوته شكرًا لحسنته، أو صادف وقت إجابة، ونحو ذلك، فأجيبت دعوته، فيظن ان السر في ذلك الدعاء، فيأخذه مجردًا عن تلك الأمور التي قارنته من ذلك الداعي.

---

(١) المستظرف: قافية الباء ٢/٥٣٠.

(٢) الجامع لأحكام القرآن ٢/١٧٩-١٨٣، ط مؤسسة الرسالة.

وهذا كما إذا استعمل رجل دواء نافعًا في الوقت الذي ينبغي، فانتفع به، فظن آخر أن استعمال هذا الدواء بمجرده كاف في حصول المطلوب، فكان غالطًا.

وكذا قد يدعو باضطرار عند قبر، فيجاب، فيظن أن السر للقبر، ولم يدر أن السر للاضطرار وصدق اللجأ إل الله تعالى، فإذا حصل ذلك في بيت من بيوت الله تعالى كان أفضل وأحب إلى الله تعالى.

فالأدعية والتعوذات والرقي بمنزلة السلاح، والسلاح بضاربه، لا بحده فقط، فمتى كان السلاح سلاحًا تامًا، والساعد ساعدًا قويًا، والمحل قابلاً، والمانع مفقودا: حصلت به النكاية في العدو، ومتى تخلف واحد من هذه الثلاثة تخلف التأثير"[١].

ثانيًا - من آداب المدعو: الإكثار من الدعاء:

هذا واضح من قول الصحابة لما علموا بفضل الدعاء: "ما على مسلم يدعو الله تعالى بدعوة إلا آتاه الله إياها، أو صرف عنه من السوء مثلها ما لم يدع بإثم أو قطيعة رحم"، فقال: رجل من القوم: إذًا نكثر" وفي حديث أبي سعيد الخدري: قالوا: "إذًا نكثر"[٢].

قال المباركفوري: "أى إذا كان الدعاء لا يرد منه شيء ولا يخيب الداعي في شيء منه نكثر من الدعاء لعظيم فوائده"[٣]. وهكذا حال المدعو دائمًا يلزم الدعاء ويكثر منه، وقد قال الله عن أنبيائه عليهم السلام وهم قدوة المدعوين، ﴿ إِنَّهُمْ كَانُوا يُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا وَكَانُوا لَنَا خَاشِعِينَ ﴾"[٤]. وقال الله تعالى: ﴿ ادْعُوا رَبَّكُمْ تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ ﴾[٥].

وقال ابن القيم :"من أنفع الأدوية الإلحاح في الدعاء، وقد روى ابن ماجة في سننه من حديث أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: "من لم يسأل الله يغضب عليه"[٦]. وفي

---

(١) شرح العقيدة الطحاوية ٦٨٣/٢، ٦٨٤.

(٢) أخرجه أحمد ١٨/٣، رقم ١١١٣٣، وقال محققوه: إسناده جيد ٢١٣/١٧ - ٢١٤.

(٣) تحفة الأحوذي ٣٥١٤/٢.

(٤) سورة الأنبياء، آية: ٩٠.

(٥) سورة الأعراف، آية: ٥٥.

(٦) أخرجه ابن ماجه ٣٨٢٧، وحسنه الألباني (صحيح سنن ابن ماجه، ٣٠٨٥).

صحيح الحاكم من حديث أنس عن النبي ﷺ: " لا تعجزوا في الدعاء، فإنه لا يهلك مع الدعاء أحد"[١].

وذكر الأوزاعي عن الزهري عن عروة عن عائشة رضي الله عنها قال رسول الله ﷺ: "إن الله يحب الملحين في الدعاء"[٢].

وفي كتاب الزهد[٣] للإمام أحمد عن قتادة قال: قال مورق: ما وجدت للمؤمن مثلاً إلا رجلاً في البحر على خشبة فهو يدعو: يارب يارب، لعل الله عز وجل أن ينجيه[٤].

وقال القرطبي: "الدعاء حسن كيفما تيسر وهو المطلوب من الإنسان لإظهار مَوْضع الفقر والحاجة إلى الله عزوجل، والتذلل له والخضوع"[٥].

وقال ابن أبي العز الحنفي: "قال ابن عقيل: قد ندب الله تعالى إلى الدعاء، وفي ذلك معانٍ: أحدها: الوجود، فإن من ليس بموجود لا يُدْعى. الثاني: الغني، فإن الفقير لا يدعي. الثالث: السمع فإن الأصم لا يدعى. الرابع: الكرم، فإن البخيل لا يدعى، الخامس: الرحمة، فإن القاسي لا يدعى. السادس: القدرة، فإن العاجز لا يدعى"[٦].

ثالثًا- من موضوعات الدعوة: فضل الله العظيم على عباده:

وهذا واضح من قوله ﷺ: "الله أكثر"، قال السندي: "أى فضله وعطاؤه أكثر من دعائكم"[٧] وقال الطيبي: "أى أكثر إجابة من دعائكم". المعنى: إن إجابة الله تعالى في بابها أكثر وأبلغ من دعائكم في بابه"[٨]، وقال المباركفوري: "وقيل : إن معناه فضل

---

(١) أخرجه ابن حبان ٨٧١، والحاكم في المستدرك ٤٩٣/١، وقال محقق صحيح ابن حبان: إسناده ضعيف.

(٢) أخرجه الطبراني في الدعاء ٢٠، والعقيلي في الضعفاء، ٤٥٢/٤، وابن عدى في الكامل، ٢٦٢١/٧. وقال ابن حجر في التلخيص الحبير، ٩٥/٢: تفرد به يوسف بن السفر عن الأوزاعي وهو متروك وكان بقية ربما دلسه.

(٣) الزهد لأحمد بن حنبل، ٢٧٣/٢، وأبو نعيم في الحلية، ٢٣٥/٢.

(٤) الداء والدواء، ص١٢-١٣.

(٥) الجامع لأحكام القرآن، ٢٤٧/٩.

(٦) شرح العقيدة الطحاوية، ٦٧٨/٢.

(٧) حاشية السندي على مسند أحمد، ٢١٥/١٧.

(٨) شرح الطيبي على المشكاه ٣١٩/٤.

الله أكثر أي ما يعطيه من فضله وسعة كرمه أكثر مما يعطيكم في مقابلة دعائكم، وقيل: الله أغلب في الكثرة فلا تعجزونه في الاستكثار، فإن خزائنه لا تنفد وعطاياه لا تفنى، وقيل الله أكثر ثوابًا وعطاءً مما في نفوسكم فأكثروا ما شئتم فإنه تعالى يقابل أدعيتكم بما هو أكثر منها وأجل"[١]، وقد بلغ من فضل الله أن العبد المسلم إذا دعا لأخيه بظهر الغيب، قال له الملك الموكل: آمين ولك بمثل، فعن أبي الدرداء ﷺ: أن رسول الله ﷺ كان يقول: دعوة المرء المسلم بظهر الغيب مستجابة، عند رأسه ملك موكل كلما دعا لأخيه بخير قال الملك الموكل به: آمين ولك بمثل"[٢].

ولذلك "كان بعض السلف إذا أراد أن يدعو لنفسه يدعو لأخيه المسلم بتلك الدعوة؛ لأنها تستجاب ويحصل له مثلها"[٣].

رابعًا- من بلاغة الداعية: المشاكلة لألفاظ المدعوين:

وهذا واضح من قول النبي ﷺ "الله أكثر" لما قال له بعض الصحابة "إذًا نكثر". قال الطيبي: "إنما جيء "أكثر" بالثاء المثلثة مشاكلة لقوله "نكثر"[٤].

وتفسير ذلك أن النبي ﷺ قال: "الله أكثر" ليشاكل قول المدعو "نكثر" حتى يبين له أن ما خطر بباله مما يتعلق باستجابة الله للدعاء، يقصر عما عند الله من ذلك، فما عند الله أكثر مما يظنه العبد أو يخطر بباله، ولاشك أن هذه المشاكلة أفادت شيئين:

الأول: تعظيم الله وإجلاله وتقديسه. والآخر: تبشير الداعين بعظيم استجابة الله لدعائهم. ومن ثم يزدادون في الدعاء ويكثرون منه.

والخلاصة أن قوله ﷺ: "الله أكثر" أبلغ وأنسب من قول آخر مثل "الله يستجيب لمن دعاه" أو نحو ذلك.

---

(١) تحفة الأحوذي ٢٥١٤/٢.

(٢) أخرجه مسلم ٢٧٣٣

(٣) شرح صحيح مسلم للنووي مج٥٢/١٧/٩. ط دار عالم الكتب.

(٤) شرح الطيبي ٣١٩/٤.

الحديث رقم (١٥٠٤)

١٥٠٤- وعن ابنِ عباس رضي الله عنهما: أنَّ رسولَ الله ﷺ كَانَ يقولُ عِنْدَ الكَرْبِ: ((لا إلهَ إلاَّ اللهُ العَظِيمُ الحَلِيمُ، لا إلهَ إلاَّ اللهُ رَبُّ العَرْشِ العَظيمِ، لاَ إلهَ إلاَّ اللهُ رَبُّ السَّمَاواتِ، وَرَبُّ الأَرْضِ، وَرَبُّ العَرْشِ الكَرِيمِ)) متفق عَلَيْهِ[١].

ترجمة الراوي:

عبد الله بن عباس: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (١٢).

غريب الألفاظ:

الكرب: الحزن يأخذ بالنفس[٢].

الشرح الأدبي

قوله (كان يدعو عند الكرب) يدل استخدام (كان) على أنه من عادته عند الكرب، والظرف (عند) يؤكد اعتياد هذا الدعاء وقت الكرب أي عند حلول الكرب، وقوله (لا إله إلا الله العظيم الحليم) اشتمل هذا على كلمة التوحيد في قوله (لاَ إلهَ إلاَّ الله) وهي أعظم ما يقال لاحتوائها على توحيد الله، وإفراده بالألوهية دون سواه، تحقق هذا المعنى بأسلوب القصر لصفة الألوهية على ذات الله – سبحانه وتعالى – قصراً حقيقياً تحقيقياً؛ لأن الألوهية منفية عن الجميع، وثابتة لله وحده حقيقة، وحكماً، ومطابقة للواقع، زاد العبارة تركيزاً معنى إثبات الألوهية لله وحده، ونفيها عن كل ما سواه مجيء القصر بطرق النفي والاستثناء، وهو أقوى طرق القصر تأكيداً لما فيه من نص على المنفي، والمثبت، ولذلك يستخدم عند الإنكار، أو عند الشك أو تعظيما للمعنى، ويمكن أن تنزل نفس المكروب منزلة المنكر، أو المتردد ولو كان متيقنا لطمأنت نفسه ثقة فيمن هذه صفته، والرسول ﷺ يعلم أمته حسن القول في

---

(١) أخرجه البخاري (٦٣٤٦)، ومسلم (٢٧٣٠/٨٣) ولفظهما سواء. أورده المنذري في ترغيبه (٢٧٢٥).

(٢) القاموس المحيط في (ع ر ب).

الشدة، والرخاء، وقد اشتمل هذا الدعاء صفات الجلال، وعلى العظمة التي تدل على القدرة العظيمة إذ العاجز لا يكون عظيما وعلى الحلم الذي يدل على العلم إذ الجاهل بالشيء لا يتصور منه الحلم وهما أصل الصفات الوجودية الحقيقية المسماة بالأوصاف الإكرامية وتخصيص (الحليم) بالذكر؛ لأن كرب المؤمن غالبا إنما هو على نوع تقصير في الطاعات، أو غفلة في الحالات، وهذا يشعر برجاء العفو المقلل للحزن، وقوله (لا إلهَ إلاَّ اللَّهُ رَبُّ العَرْشِ العَظِيمِ) تخصيص العرش بالذكر لأنه أعظم أجسام العالم فيدخل الجميع تحته دخول الأدنى تحت الأعلى ثم لفظ العظيم صفة للعرش بالجر وقيل أنه برفع العظيم على أنه نعت للرب، وقوله (رب السموات والأرض) خصهما بالذكر لأنهما من أعظم المشاهدات ومعنى (الرب) في اللغة يطلق على المالك والسيد والمدبر والمربي والمتمم والمنعم ولا يطلق غير مضاف إلا على الله تعالى وإذا أطلق على غيره أضيف فيقال رب كذا، وقوله (رب العرش العظيم) ذا أيضا يشتمل على التوحيد والربوبية وعظمة العرش وجه الأول قد ذكرناه ووجه ذكر الثاني أعني لفظ الرب من بين سائر الأسماء الحسنى هو كونه مناسبا لكشف الكرب الذي هو مقتضى التربية.

المضامين الدعوية

أولاً: من موضوعات الدعوة: اللجوء إلى الله عند الكرب.

ثانيًا: من موضوعات الدعوة: تمجيد الله والثناء عليه في الدعاء.

أولاً - من موضوعات الدعوة: اللجوء إلى الله عند الكرب:

وهذا واضح من الحديث: "أن رسول الله ﷺ كان يقول عند الكرب..." قال ابن حجر: (الكرب: هو ما يدهم المرء مما يأخذ فيغمّه ويحزنه"[1] وقال ابن حجر كذلك: (قوله "كان يدعو عند الكرب" أي عند حلول الكرب، وعند مسلم[2] من رواية سعيد بن أبي عروبة عن قتادة "كان يدعو بهن ويقولهن عند الكرب"، وله من رواية[3] يوسف

(١) فتح الباري ١١/١٤٥، ط السلفية.

(٢) بعد الرواية ٨٣-٢٧٣٠.

(٣) بعد الرواية ٨٣-٢٧٣٠.

ابن عبدالله بن الحارث عن أبي العالية "كان إذا حزيه أمر" -وهو بفتح المهملة والزاي وبالموحدة- أي هجم عليه أو غلبه، وفي حديث عليّ عند النسائي وصححه الحاكم[1] ((لقنني رسول الله ﷺ هؤلاء الكلمات وأمرني إن نزل بي كرب أو شدة أن أقولها))[2].

قال ابن هبيرة: (في هذا الحديث من الفقه أن الكرب والغم لا يزيله إلا الله، وهذه الكلمات إذا قالها عبد مؤمن عند مخافته؛ آمنه الله عز وجل من المخوف، فإذا قالها عند الخوف فقد عَزَل ذلك الشيء المخوف من رتبة أن يخاف لقوله: "لا إله إلا الله" ففي ضمن هذه أن لا يخاف غيره، وأن من يؤمن بهذه الشهادة فمن ضرورة الإيمان بها أن لا يخاف سوى الله عز و جل؛ لأن من عداه قاصر أن يفعل شيئًا ما إلا بتسليط من لا إله إلا هو، فيكون الخوف والرجاء معنيين لمن لا يفعل شيء في الوجود إلا عن إذن منه أو إقدار لفاعله على فعله.

ثم أتبعها "بالتعظيم"، وكان هذا النطق تاليًا لما تقدم من التوحيد مشعرًا كل سامع بالعظمة التي لا يقوم لها شيء بحيث صغرت الخلائق والموجودات كلها، والسموات والأرض عند ذكر هذه العظمة بحيث لم يبق لناطق جرأة على قول إلا بعد أن يتبع هذا النطق بقوله: "الحليم".

فهذا كله بقوله لنفسه إن عظمته التي لا يقوم لها شيء لا يوازيها إلا حلمه تعالى وجل جلاله، ويقتضي اتباع العظمة بذكر الحلم أيضًا أن الناطق بهذا القول يتخوف أن يكون قد عصى الله سبحانه وأغضبه لما خطر في قلبه خوف لغيره، فخاف من سخطه فأتبع ذلك بما تداركه بقوله: "وهو العظيم الحليم".

وفيه أيضًا أن المتجرئ عليك الذي أخافك إنما تجرأ عليك بحكم الله سبحانه لا أنه قدر أن يفعل ذلك مراغمة. وقدكنت عند عودتي من الحج سبقت أنا وإخوتي الناس

---

(١) أخرجه أحمد ٢٠٦/١، رقم ٧٠١، والنسائي في الكبرى ٧٦٢٦، والحاكم ٥٠٨/١، وانظر تتمة تخريجه في المسند، وقال محققو المسند: إسناده حسن ١٧٦٢.

(٢) فتح الباري ١٤٦/١١، ط السلفية.

في القفول فوصلنا إلى المعبر المعروف بصرصر[(١)] وعليه خيمة مضروبة لجماعة من المكاسين[(٢)] فحبسونا هناك من وقت ضحوة إلى بين صلاتي الظهر والعصر على شوقنا إلى أهلينا، وكوننا قد سبقنا الحاج مؤذنين بوصولهم ومخبرين بسلامتهم، فكان أصحاب المكس يتحيرون علينا غير مبالين بشيء من ذلك، وكنت أنا في أثناء ذلك أعجب من حلم الله عز وجل عنهم، وأقول من كلامي ما معناه: اللهم لا تعدم خلقك حلمك.

فأما ذكر العرش؛ فلأنه أكبر المخلوقات وأعلاها، وكل مخلوق تحته ودونه، فإذا آمنت بأن الله رب العرش العظيم، فإن العرش قد اشتمل على جميع المخلوقات، فلما ذكر التوحيد والعظمة والحلم والعرش العظيم نزل إلى ذكر السموات والأرض، فأقر بأنه خالقهما، ثم عاد فصعد إلى أعلى المخلوقات، فقال: "رب العرش الكريم"، ولما وصف العرش بالعظم وصفه بالكرم، وليس كل عظيم كريمًا فجمع له الوصفين؛ أي أنه عظيم الخلقة، وهو كريم على خالقه؛ وذلك لأنه ذكر الكون من جهته بقوله: "رب العرش العظيم"، ثم ذكر بعد ذلك "رب السماوات والأرض" أي رب التحت والفوق، ثم أعاد بعد ذلك فكرر ذكر العرش، وأنه كريم، وإذا قال هذه الكلمات موقن بها زال كربه، وأي كرب يبقى مع هذه الكلمات العزيزة)[(٣)].

ويقول الله تعالى: ﴿أَمَّن يُجِيبُ ٱلْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ ٱلسُّوٓءَ وَيَجْعَلُكُمْ خُلَفَآءَ ٱلْأَرْضِ ۗ أَءِلَٰهٌ مَّعَ ٱللَّهِ ۚ قَلِيلًا مَّا تَذَكَّرُونَ﴾[(٤)].

وقد ضرب الأنبياء خير المثل في اللجوء إلى الله في كل حال، ومنها حال الكرب والهم، قال النبي ﷺ: ((دَعْوَةُ ذِي النُّونِ إِذْ دَعَا وَهُوَ فِي بَطْنِ الحُوتِ ﴿لَّآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنتَ سُبْحَٰنَكَ إِنِّي كُنتُ مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾[(٥)] فَإِنَّهُ لَمْ يَدْعُ بِهَا رَجُلٌ مُسْلِمٌ فِي شَيْءٍ قَطُّ إِلاَّ

---

(١) جاء في القاموس المحيط ٤٢٤: الصَّرْصَر: قريتان ببغداد، عليا وسفلى، وهي أعظمهما.

(٢) جاء في النهاية في غريب الحديث ٨٧٨: المكس: الضريبة التي يأخذها الماكس وهو العشار.

(٣) الإفصاح عن معاني الصحاح ٣/٨٥-٨٧.

(٤) سورة النمل، آية: ٦٢.

(٥) سورة الأنبياء، آية: ٨٧.

اسْتَجَابَ اللَّه لَهُ))[١].

قال ابن القيم وهو يعدد "فوائد ذكر الله": (التاسعة والخمسون): أن ذكر الله عز وجل يسهل الصعب وييسر العسير ويخفف المشاق، فما ذكر الله عز وجل على صعب إلا هان، ولا على عسير إلا تيسر، ولا مشقة إلا خفت، ولا شدة إلا زالت، ولا كربة إلا انفرجت، فذكر الله تعالى هو الفرج بعد الشدة واليسر بعد العسر، والفرج بعد الغم والهم، يوضحه.

(الستون): أن ذكر الله عز وجل يذهب عن القلب مخاوفه كلها، وله تأثير عجيب في حصول الأمن، فليس للخائف الذي قد اشتد خوفه أنفع من ذكر الله عز وجل، إذ بحسب ذكره يجد الأمن ويزول خوفه، حتى كأن المخاوف التي يجدها أمان له، والغافل خائف مع أمنه حتى كأن ما هو فيه من الأمن كله مخاوف، ومن له أدنى حس قد جرب هذا وهذا)[٢].

ثانيًا- من موضوعات الدعوة: تمجيد الله والثناء عليه في الدعاء:

وهذا واضح من قوله ﷺ: "لا إله إلا الله العظيم الحليم لاإله إلا الله رب العرش العظيم، لا إله إلا الله رب السموات، ورب الأرض ورب العرش الكريم".

قال ابن حجر: (قال العلماء: الحليم الذي يؤخر العقوبة مع القدرة والعظيم الذي لا شيء يعظم عليه، والكريم المعطي فضلاً... قال الطيبي[٣]: صدر هذا الثناء بذكر الرب ليناسب كشف الكرب، لأنه مقتضى الربوبية[٤]، وفيه التهليل المشتمل على التوحيد وهو أصل التنزيهات الجلالية، والعظمة التي تدل على تمام القدرة، والحلم الذي يدل على العلم، إذ الجاهل لا يتصور منه حلم ولا كرم وهما أصل الأوصاف الإكرامية)[٥].

---

(١) أخرجه الترمذي ٣٥٠٥، والنسائي في الكبرى ١٠٤١٧، وصححه الألباني (صحيح سنن الترمذي ٢٧٨٥).

(٢) الوابل الصيب من الكلم الطيب، ٢/٣٤٩-٣٥٠.

(٣) لم نعثر على كلام الطيبي في مظانه من شرحه على مشكاة المصابيح وقد يكون ذكره معنى وليس لفظًا فهذه من طرق الحكاية عن العملاء ٥/١٦١.

(٤) في المطبوع من فتح الباري، التربية، والغالب على الظن أنه تحريف وما أثبتناه الصواب والله أعلم.

(٥) فتح الباري ١١/١٤٦، ط السلفية.

وقال النووي عن حديث ابن عباس: (وهو حديث جليل ينبغي الاعتناء به، والإكثار منه عند الكرب والأمور العظيمة، قال الطبري: كان السلف يدعو به، ويسمونه دعاء الكرب)[١]. وقال القرطبي: (فإن قيل: كيف يسمى هذا دعاء، وليس فيه من معنى الدعاء شيءٌ، وإنما هو تعظيم لله تعالى، وثناء عليه؟ فالجواب: إن هذا يسمَّى دعاءً لوجهين:

أحدهما: أنه يُستفتح به الدعاء، ومن بعده يدعو. وقد ورد في بعض طرقه: "ثم يدعو".

وثانيهما: أن ابن عيينة قال - وقد سئل عن هذا -: أما علمت أن الله تعالى يقول: ((إذا شغل عبدي ثناؤه عن مسألتي أعطيتُه أفضل ما أعطي السائلين؟))[٢].

وقد قال أمية بن أبي الصلت:

إذا أثنى عليك المرء يومًا كفاه من تعرضك الثناء[٣]

قلت: [القائل القرطبي]: وهذا الكلام حسن، وتتميمه أن ذلك إنما كان لنكتتين:

إحداهما: كرم المثني عليه، فإنه إذا اكتفى بالثناء عن السؤال دل ذلك على سهولة البذل عليه، والمبالغة في كرم الحق.

وثانيهما: أن المثني لما آثر الثناء الذي هو حقُّ المثني عليه على حقٌ نفسه؛ الذي هو حاجته، بُودر إلى قضاء حاجته من غير إحواج إلى إظهار مذلَّة السؤال مجازاة له على ذلك الإيثار، والله تعالى أعلم. ومما قد جاء منصوصًا عليه، وسُمِّي دعاءً؛ وإن لم يكن فيه دعاء ولا طلب؛ ما أخرجه النسائي من حديث سعد بن أبي وقاص. قال: قال رسول الله ﷺ: ((دعوةُ ذي النون إذ دعا بها في بطن الحوت: لا إله إلا أنت، سبحانك إني كنت من الظالمين؛ فإنه لن يدعو بها مسلم في شيء إلا أستجيب له))[٤].

---

(١) شرح مسلم ج٩/ج١٧/٤٩، ط دار عالم الكتب.

(٢) أخرجه الترمذي ٢٩٢٦ من حديث أبي سعيد الخدري قال: قال رسول الله ﷺ: يقول الرب عز وجل: (من شغله القرآن عن ذكري ومسالتي أعطيته أفضل ما أعطي السائلين. وفضل كلام الله على سائر الكلام كفضل الله على خلقه) وضعفه الألباني (ضعيف سنن الترمذي ٥٦٢).

(٣) تاريخ دمشق، قافية الهمزة ٩/٢٧٤.

(٤) المفهم ٧/٥٦-٥٧.

وقال ابن حجر: (قال [أي سفيان بن عيينة] وقال أمية بن أبي الصلت في مدح عبدالله ابن جدعان:

أأذكر حاجتي أم قد كفاني حباؤك إن شيمتك الحباء[١]

إذا أثنى عليك المرء يومًا كفاه من تعرضك الثناء[٢]

قال سفيان: فهذا مخلوق حين نُسب إلى الكرم اكتفى بالثناء عن السؤال، فكيف بالخالق؟ قلت: ويؤيد الاحتمال الثاني حديث سعد بن أبي وقاص رفعه: (دعوة ذي النون إذا دعا وهو في بطن الحوت: لا إله إلا أنت سبحانك إني كنت من الظالمين، فإنه لم يَدْعُ بها رجل مسلم في شيء قط إلا استجاب الله تعالى له)[٣] وفي لفظ: "فقال رجل: أكانت ليونس خاصة أم للمؤمنين عامة؟ فقال رسول الله ﷺ: ألا تسمع قول الله تعالى: ﴿وَكَذَٰلِكَ نُنجِي ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾[٤])[٥].

قال ابن القيم: (الدعاء الذي تقدمه الذكرُ والثناءُ أفضل وأقرب إلى الإجابة من الدعاء المجرد، فإن انضاف إلى ذلك إخبارُ العبد بماله ومسكنته وافتقاره واعترافه كان أبلغ في الإجابة وأفضل، فإنه يكون قد توسل المدعو بصفات كماله وإحسانه وفضله، وعرّض بل صرّح بشدة حاجته وضرورته وفقره ومسكنته. فهذا المقتضى منه، وأوصاف المسؤول مقتضى من الله، فاجتمع المقتضى من السائل والمقتضى من المسؤول في الدعاء، وكان أبلغ وألطف موقعًا وأتم معرفة وعبودية)[٦].

---

(١) في المطبوع من فتح الباري ١٤٧/١١، والبداية والنهاية ٢٩٦/٣. حياؤك، والحياء بالياء [المثناة التحتانية]، لكن في مجموع الفتاوى "حباؤك والحباء" بالباء [الموحدة التحتانية]. وقد أثبتنا ما في مجموع الفتاوى لكونه أنسب في المعنى. انظر: مجموع الفتاوى لابن تيمية ٣١٠/٥، ط العبيكان، ٢٤٥/١٠ ط ابن قاسم.

(٢) السيرة الحلبية ٢١١/١ قافية الهمزة.

(٣) أخرجه الترمذي ٣٥٠٥، والنسائي في الكبرى ١٠٤١٧، والحاكم ٥٠٥١١، ٣٨٢/٢-٣٨٣، وأخرجه أحمد ١٤٦٢/٣. وانظر تتمة التخريج هناك. والحديث صححه الألباني (صحيح سنن الترمذي ٢٧٨٥).

(٤) سورة الأنبياء، آية: ٨٨.

(٥) فتح الباري ١٤٧/١١، ط السلفية.

(٦) الوابل الصيب من الكلم الطيب، ٣٦٩/٢. وانظر: مجموع الفتاوى لابن تيمية ٣٠٦/٥-٣١٦ ط/ العبيكان، ٢٣٧/١٠-٢٥٤ ط/ ابن قاسم، ٥٧٧/١١-٥٨٣ ط/ العبيكان، ٣٧٦/٢٢-٣٨٨ ط/ ابن قاسم.

المضامين التربوية في أحاديث الباب

أولاً- التربية على مكافأة المحسن:

إن تربية الأنفس عل إسداء المعروف، ومكافأة الجميل بمثله، لمن أبرز ما يرسخ في النفس قيمة الوفاء، كأساس تربوي يعظم معه إرهاف الحس في الشعور بقيمة فضل المحسن، وهذا ما أرسى دعائمه المربي الأول محمد ﷺ وربى أصحابه رضي الله عنهم على ذلك.

ومن الشواهد في حديث الباب قوله: «مَنْ صُنِعَ إِلَيْهِ معروفٌ فَقَالَ لِفَاعِلِه جَزَاكَ اللهُ خَيْرًا فَقَدْ أَبْلَغَ فِي الثَّنَاءِ».

"فمكافأة المحسن خلق فطري ينشأ من خلق الوفاء، إذ أن القلوب مجبولة على حب من أحسن إليها، والمؤمن المستقيم لا يكون شاكرًا لله حتى يكون معترفًا بالفضل لأهل الفضل، وفي ذلك يقول ﷺ: «لاَ يَشْكُرُ اللَّهَ مَنْ لاَ يَشْكُرُ النَّاسَ»[1].

والشكر اللساني - كما ورد في نص الحديث - من طرق التربية على مكافأة المحسن، لكيلا يتعلم المتربي الكفران والجحود، ولئلا يتخلق بنكران الجميل ونسيان المعروف، وحتى لا تموت فيه المروءة[2]، لذا فتربية الشعور على مكافأة المحسن من أهم ما يجب على دعاة التربية والتوجيه غرسه وترسيخه في نفوس المتربين والمتعلمين.

ثانيًا- أثر الدعاء في تربية النفس:

إن الدعاء دليل على أصالة فطرة التعبد في النفس، فما من إنسان يمسه الضر وتضيق به السبل إلا ويلجأ إلى القوة المعينة التي فطر على دعوتها والتضرع إليها[3]، وقد استفاضت أحاديث الباب في الأمر بالدعاء والترغيب فيه لعظيم أثره التربوي في النفس، حيث هو - أي: الدعاء- علاج نفسي لكثير من أمراض النفس، فالإنسان بطبيعته محتاج في حل مشكلاته لأن يُفضى بدخيلة نفسه إلى صديق حميم يخفف عنه بعض ما

---

(١) أخرجه أبو داود، ٤٨١١، وصححه الألباني (صحيح سنن أبي داود، ٤٠٢٦).

(٢) هذه أخلاقنا حين نكون مؤمنين حقًا، محمد محمود الخزندار، ٤٩٥، ٤٩٦، بتصرف يسير.

(٣) منهج القرآن في التربية، محمد شديد، ٢١٨، ٢١٩.

يشعر به من الهم والحزن، وقد أجمع الأطباء النفسيون على أن علاج التوتر العصبي والآلام النفسية إنما يتوقف إلى حد كبير على الإفضاء بسبب التوتر ومنشأ القلق إلى صديق مخلص، لأن كتمانه مما يزيد في المرض.

فإذا أفضى الإنسان المحزون إلى ربه ما يعانيه، وطلب منه ما يبتغيه فإنه يشعر بطمأنينة ونفحة روحية تنشله مما هو فيه من الهم والضيق، وذلك لأن الإيمان يقتضي الاعتقاد التام بأن الله قريب منه مجيب دعوته كما أخبر بذلك القرآن ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِى عَنِّى فَإِنِّى قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ ٱلدَّاعِ إِذَا دَعَانِ فَلْيَسْتَجِيبُواْ لِى وَلْيُؤْمِنُواْ بِى لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ﴾[1][2].

وللدعاء أثر عظيم في تربية النشء المسلم، حيث يخاطب به الوالدان، لتحقيق الالتزام به، وتحيّن لحظات الإجابة التي بينها رسول الله ﷺ، كما في أحاديث الباب من قول أبي أمامة رضي الله عنه: «قِيلَ لِرَسُولَ الله ﷺ أَيُّ الدُّعَاءِ أَسْمَعُ؟ قَالَ: جَوْفَ اللَّيْلِ الآخِرُ، وَدُبُرَ الصَّلَوَاتِ الْمَكْتُوبَاتِ». وقوله ﷺ: «أَقْرَبُ مَا يَكُونُ الْعَبْدُ مِنْ رَبِّهِ وَهُوَ سَاجِدٌ، فَأَكْثِرُوا الدُّعَاءَ».

إذ دعاء الوالدين مستجاب عند الله تعالى، فبالدعاء تزداد شحنة العاطفة وقودًا، وتتمكن الرحمة والرأفة من قلبي الوالدين، فيتضرعان إلى الله تعالى، ويبتهلان إليه في إصلاح الطفل ومستقبله... وهذه سنة الأنبياء والمرسلين.

لهذا نجد خطورة من يدعو على ولده، فهذا عمل خطير جدًا، ومهما قلنا عن خطورته فهو أكثر، لما فيه من دمار النشء المسلم، ومن دمار للأبوين كذلك.

وقد نهى الرسول ﷺ الآباء والأمهات أن يدعوا على أولادهن لأن هذا مناف للخُلُق الإسلامي، ويخالف التربية النبوية، ويبتعد عن منهج النبوة في دعوة الناس إلى الإسلام، وهذا ما بينه النبي ﷺ في حديث الباب من قوله: «لاَ تَدْعُوا عَلَىٰ أَنْفُسِكُمْ، وَلاَ تَدْعُوا

---

(١) سورة البقرة، الآية: ١٨٦.

(٢) روح الدين الإسلامي، عفيف عبدالفتاح طبارة، ١٩٩، ٢٠٠.

عَلَىٰ أَوْلَادِكُمْ، وَلاَ تَدْعُوا عَلَىٰ أَمْوَالِكُمْ، لاَ تُوَافِقُوا مِنَ اللّهِ سَاعَةً يُسْأَلُ فِيهَا عَطَاءٌ، فَيَسْتَجِيب لَكُمْ».

وقد ذكر الغزالي "أنه جاء رجل إلى عبدالله بن المبارك يشكو له عقوق ولده، فقال له: هل دعوت عليه؟ فقال: بلى. فقال عبدالله بن المبارك: أنت أفسدته"[1].

فبدلاً من أن يكون المربي سببًا في إفساد الطفل أو النشء المسلم بالدعاء عليه، فليكن سببًا في صلاحه بالدعاء له[2].

ثالثًا- التربية بالترغيب والترهيب:

بني هذا الأسلوب التربوي الإسلامي على ما فطر الله عليه الإنسان من الرغبة في كل ما فيه منفعته، والرهبة من كل ما يضره به من ألم وشقاء وسوء مصير[3].

والترغيب هو أسلوب تربوي يقوم على وعد بتحقيق منفعة، مقابل الالتزام بأداء أمر[4]، وهذا ما ظهر جليًا في أحاديث الباب من ترغيب النبي ﷺ في الدعاء بقوله: «مَا عَلَى الأرْضِ مُسْلِمٌ يَدْعُو الله تَعَالَى بِدَعْوَةٍ إلاَّ آتَاهُ الله إيَّاهَا....إلخ».

أما الترهيب فهو أسلوب تربوي يقوم على الوعيد والتهديد بعقوبة تترتب على الإخلال بأوامر الله ورسوله، وهذا ما بينه النبي ﷺ في أحاديث الباب من ترهيبه من الاستعجال في الدعاء أو اشتماله على إثم أو قطيعة رحم، وذلك في قوله ﷺ: «لاَ يَزَالُ يُسْتَجَابُ لِلْعَبْدِ مَا لَمْ يَدْعُ بِإِثْمٍ أَوْ قَطِيعَةِ رَحِمٍ. مَا لَمْ يَسْتَعْجِلْ»..إلخ.

ويمتاز الترغيب والترهيب في التربية الإسلامية بميزات صادرة عن الطبيعة الربانية المواتية لفطرة الإنسان، والتي من أهمها:

١- يعتمد الترغيب والترهيب القرآني والنبوي على الإقناع والبرهان فليس من آية فيها ترغيب أو ترهيب بأمر من أمور الآخرة إلا ولها علاقة أو فيها إشارة، من قريب أو بعيد، إلى الإيمان بالله واليوم الآخر على الغالب، أو فيها توجيه خطاب إلى المؤمنين.

---

(١) إحياء علوم الدين، ٢١٧/٢.

(٢) المنهج النبوي في تربية الطفل، عبدالباسط محمد السيد، ٨٥، ٨٦.

(٣) أصول التربية الإسلامية وأساليبها في البيت والمدرسة والمجتمع، عبدالرحمن النحلاوي، ٢٣٠، بتصرف.

(٤) أصول التربية الإسلامية، د. خالد الحازمي، ٣٩٣، ٣٩٤.

وهذا معناه تربويًا أن نبدأ بغرس الإيمان والعقيدة الصحيحة في نفوس الناشئين، ليتسنى لنا أن نرغبهم بالجنة أو نرهبهم من عذاب الله، وليكون لهذا الترغيب والترهيب ثمرة عملية سلوكية.

٢ - يكون الترغيب والترهيب القرآني والنبوي مصحوبًا بتصور فني رائع، لنعيم الجنة أو لعذاب جهنم، بأسلوب واضح يفهمه جميع الناس، لذلك يجب على المربي أن يستخدم الصور والمعاني القرآنية والنبوية في عرضه لعقاب الله وثوابه، وتقريبها إلى أفهام الناشئين كتصوير مواقف القيامة بالصور القرآنية مدعومة بالتفاصيل النبوية كقصة الشفاعة...، وعلى المربي هنا ألا يتقيد بنصوص المنهج وحدها بل يجب اقتباس تفاصيل من كتب الحديث وغيرها[1].



(١) أصول التربية الإسلامية وأساليبها في البيت والمدرسة والمجتمع، عبدالرحمن النحلاوي، ٢٣١، ٢٣٢.

٢٥٣- باب كرامات الأولياء وفضلهم

قَالَ اللّه تَعَالَى: ﴿أَلا إِنَّ أَوْلِيَاءَ اللَّهِ لاَ خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلاَ هُمْ يَحْزَنُونَ. الَّذِينَ آمَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ لَهُمُ الْبُشْرَى فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الآخِرَةِ لاَ تَبْدِيلَ لِكَلِمَاتِ اللّه ذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾ [يونس: ٦٢- ٦٤]، وقال تَعَالَى: ﴿وَهُزِّي إِلَيْكِ بِجِذْعِ النَّخْلَةِ تُسَاقِطْ عَلَيْكِ رُطَبًا جَنِيًّا فَكُلِي وَاشْرَبِي﴾ [مريم: ٢٥ ، ٢٦]، وقال تَعَالَى: ﴿كُلَّمَا دَخَلَ عَلَيْهَا زَكَرِيَّا الْمِحْرَابَ وَجَدَ عِنْدَهَا رِزْقًا قَالَ يَا مَرْيَمُ أَنَّى لَكِ هَذَا قالت هُوَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَرْزُقُ مَنْ يَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾ [آل عمران: ٣٧]، وَقَالَ تَعَالَى: ﴿وَإِذِ اعْتَزَلْتُمُوهُمْ وَمَا يَعْبُدُونَ إِلاَّ اللَّهَ فَأْوُوا إِلَى الْكَهْفِ يَنْشُرْ لَكُمْ رَبُّكُمْ مِنْ رَحْمَتِهِ وَيُهَيِّئْ لَكُمْ مِنْ أَمْرِكُمْ مِرْفَقًا وَتَرَى الشَّمْسَ إِذَا طَلَعَتْ تَزَاوَرُ عَنْ كَهْفِهِمْ ذَاتَ الْيَمِينِ وَإِذَا غَرَبَتْ تَقْرِضُهُمْ ذَاتَ الشِّمَالِ﴾ [الكهف: ١٦-١٧].

الحديث رقم (١٥٠٥)

١٥٠٥- وعن أَبي محمد عبد الرحمن بن أَبي بكرٍ الصديق رضي الله عنهما: أنَّ أَصْحَابَ الصُّفَّةِ كَانُوا أُنَاسًا فُقَرَاءَ وَأَنَّ النَّبيَّ ﷺ قَالَ مَرَّةً: ((**مَنْ كَانَ عِنْدَهُ طَعَامُ اثْنَيْنِ، فَلْيَذْهَبْ بِثَالِثٍ، وَمنْ كَانَ عِنْدَهُ طَعَامُ أرْبَعَةٍ، فَلْيَذْهَبْ بِخَامِسٍ بِسَادِسٍ**)) أَوْ كما قَالَ، وأَنَّ أَبَا بكرٍ رضي الله عنه جاءَ بِثَلاَثَةٍ، وانْطَلَقَ النبيّ ﷺ بعَشَرَةٍ[1]، وأَنَّ أَبَا بَكرٍ تَعَشَّى عِنْدَ النبيّ ﷺ، ثُمَّ لَبِثَ حَتَّى صَلَّى[2] العِشَاءَ، ثُمَّ رَجَعَ[3]، فجاءَ بَعْدَ مَا مَضَى مِنَ اللَّيْلِ مَا شَاءَ اللَّهُ. قالت[4] امْرَأَتُهُ: مَا حَبَسَكَ عَنْ أَضْيَافِكَ[5]؟ قَالَ: أَوَمَا عَشَّيْتِهِمْ؟ قالت: أَبَوْا حَتَّى

---

(١) عند مسلم زيادة: (وأبوبكر بثلاثة، قال: فهو وأنا وأبي وأمي، ولا أدري هل قال: وامرأتي وخادم بين بيتنا وبيت أبي بكر) وكذا عند البخاري.

(٢) لفظهما: (صليت).

(٣) عند مسلم زيادة: (فلبث حتّى نعس رسول الله ﷺ)، وكذا عند البخاري، لكن لفظه: (تعشى) بدل: (نعس).

(٤) عندهما زيادة: (له).

(٥) عندهما زيادة: (أو قالت: ضيفك).

تَجِيءَ وَقَدْ عَرَضُوا عَلَيْهِمْ"[1]، قَالَ: فَذَهَبتُ أَنَا فَاخْتَبَأْتُ، فَقَالَ: يَا غُنْثَرُ، فَجَدَّعَ وَسَبَّ، وقالَ: كلُوا لاَ هَنِيئًا وَاللهِ لا أَطْعَمُهُ أَبَدًا، قَالَ: وايْمُ اللهِ مَا كُنَّا نَأخُذُ مِنْ لُقْمَةٍ إلا رَبَا مِنْ أَسْفَلِهَا أكثرَ منها حتى شبعوا، وصارتْ أكثرَ مما كانتْ قبلَ ذلكَ، فنظرَ إليها أبو بكر[2] فقالَ لامرأتِهِ: يا أختَ بني فراسٍ ما هذا؟ قالت: لا وقُرَّةِ عيني لهي الآنَ أكثرُ منها قبلَ ذلكَ بثلاثِ مراتٍ[3]! فأكل منها أبو بكرٍ وقال: إنَّما كانَ ذلكَ من الشيطانِ، يعني: يمينَهُ. ثم أكلَ منها لقمةً، ثُمَّ حَمَلَهَا إِلَى النَّبيِّ ﷺ فَأَصْبَحَتْ عِنْدَهُ. وَكَانَ بَيْنَنَا وَبَيْنَ قَوْمٍ عَهْدٌ، فَمَضَى الأجَلُ، فَتَفَرَّقْنَا اثْنَيْ عَشَرَ رَجُلاً، مَعَ كُلِّ رَجُلٍ مِنْهُمْ أُنَاسٌ، اللهُ أعْلَمُ كَمْ مَعَ كُلِّ رَجُلٍ، فَأَكَلُوا مِنْهَا أَجْمَعُونَ"[4].

وَفِي رِوَايَةٍ[5]: فَحَلَفَ أَبُو بَكْرٍ لا يَطْعَمُهُ، فَحَلَفَت المَرْأَةُ لا تَطْعَمُهُ، فَحَلَفَ الضَّيْفُ - أَو الأَضْيَافُ- أنْ لاَ يَطْعَمُهُ أَوْ يَطْعَمُوهُ حَتَّى يَطْعَمَهُ. فَقَالَ أَبُو بَكْرٍ[6]: هَذِهِ مِنَ الشَّيْطَانِ! فَدَعَا بالطَّعَامِ فَأَكَلَ وأكلُوا، فَجَعَلُوا لا يَرْفَعُونَ لُقْمَةً إلاَّ رَبَتْ مِنْ أسْفَلِهَا أَكْثَرُ مِنْهَا، فَقَالَ: يَا أُخْتَ بَنِي فِرَاسٍ، مَا هَذَا؟ فَقَالَتْ: وَقُرَّةِ عَيْنِي إنَّهَا الآنَ لأَكْثَرُ مِنْهَا قَبْلَ أنْ نَأكُلَ، فَأَكَلُوا، وَبَعَثَ بِهَا إِلَى النَّبيِّ ﷺ، فَذَكَرَ أَنَّهُ أكَلَ مِنْهَا.

وَفِي رِوَايَةٍ[7]: إنَّ أَبَا بكْرٍ قَالَ لِعَبْدِ الرَّحْمنِ: دُونَكَ أضْيَافَكَ، فَإنِّي مُنْطلقٌ إِلَى النَّبيِّ ﷺ، فَافْرُغْ مِنْ قِراهُم قَبْلَ أنْ أَجِيءَ، فَانْطَلَقَ عَبْدُ الرَّحْمانِ، فَأَتَاهُمْ بما عِنْدَهُ، فَقَالَ: اطْعَمُوا؛ فقالوا: أين رَبُّ مَنْزِلِنا؟ قَالَ: اطْعَمُوا، قالوا: مَا نحنُ بآكِلِينَ حَتَّى يَجِيءَ رَبُّ مَنْزِلِنَا، قَالَ: اقْبَلُوا عَنَّا قِرَاكُمْ، فَإِنَّهُ إنْ جَاءَ وَلَمْ تَطْعَمُوا، لَنَلْقَيَنَّ مِنْهُ فأبَوْا، فَعَرَفْتُ أنَّهُ يَجِدُ عَلَيَّ، فَلَمَّا جَاءَ تَنَحَّيْتُ عَنْهُ، فَقَالَ: مَا صَنَعْتُمْ؟ فَأخْبَرُوهُ، فَقَالَ: يَا عَبْدَ

---

(١) عند مسلم زيادة: (فغلبوهم)، وعند البخاري: (فأبوا).

(٢) عندهما زيادة: (فإذا هي كما هي أو أكثر).

(٣) هذا لفظ البخاري، ولفظ مسلم: (مرات).

(٤) أخرجه البخاري (٦٠٢)، ومسلم (٢٠٥٧/١٧٦).

(٥) أخرجها البخاري (٦١٤١).

(٦) عند البخاري زيادة: (كان).

(٧) أخرجه البخاري (٦١٤٠) واللفظ له، ومسلم (٢٠٧٥/١٧٧).

الرَّحمنِ، فَسَكَتُّ، ثُمَّ قَالَ: يَا عَبْدَ الرَّحْمنِ، فَسَكَتُّ، فَقَالَ: يَا غُنْثَرُ أقْسَمْتُ عَلَيْكَ إنْ كُنْتَ تَسْمَعُ صَوتِي لَمَا جِئْتَ! فَخَرَجْتُ، فَقُلْتُ: سَلْ أضْيَافَكَ، فقالُوا: صَدَقَ، أتَانَا بِهِ، فَقَالَ: إنَّمَا انْتَظَرْتُمُونِي والله لا أَطْعَمُهُ اللَّيْلَةَ. فَقَالَ الآخَرُونَ: واللهِ لا نَطْعَمُهُ حَتَّى تَطْعَمَهُ فَقَالَ[1]: وَيْلَكُمْ مَا لَكُمْ لا تَقْبَلُونَ عَنَّا قِرَاكُمْ؟ هَاتِ طَعَامَكَ، فَجَاءَ بِهِ، فَوَضَعَ يَدَهُ فَقَالَ: بِسْمِ اللهِ، الأُولَى مِنَ الشَّيْطَانِ، فَأَكَلَ وَأَكَلُوا. متفق عَلَيْهِ.

ترجمة الراوي:

عبدالرحمن بن أبي بكر: وهو عبدالرحمن بن أبي بكر (واسمه عبدالله) بن أبي قُحافة (واسمه عثمان) بن عامر بن عمرو بن كعب بن سعد بن تيم بن مُرَّة القرشي التيمي، ويقال كان اسمه في الجاهلية عبد الكعبة أو عبدالعزى، فسماه النبي ﷺ عبدالرحمن، وكان يكنى بأبي محمد، ويقال: أبو عبدالله، ويقال: أبو عثمان المدني، وهو شقيق عائشة -أم المؤمنين فأمهما واحدة، وهي أم رومان بنت الحارث بن غنيم الكنانية، له صحبة ورواية، فله أحاديث نحو الثمانية، اتفق الشيخان على ثلاثة، وروى له كبار التابعين، شهد بدرًا وأحدًا مع المشركين، ثم أسلم وهاجر إلى المدينة قبل فتح مكة، وكان أسن ولد أبي بكر، وهو الذي أمره النبي ﷺ في حجة الوداع أن يُعَمِّرَ أخته عائشة من التنعيم.

وكان رضي الله عنه من أشجع رجال قريش، وأرماهم بسهم، شهد اليمامة مع خالد بن الوليد، وهو الذي قتل مُحَكِّمَ اليمامة، رماه بسهم في نحره فقتله، وكان مُحكِّم اليمامة في ثُلْمة في الحصن فلما قُتِل دخل المسلمون منها، وشهد غزو إفريقية، وحضر موقعة الجمل مع أخته عائشة، ودخل مصر، وكان شاعرًا وكان امرأً صالحًا من أصدق الناس، قال الزبير بن بكار: وكان امرأً صالحًا وكانت فيه دُعابة، وعن ابن المسيَّب قال عن عبدالرحمن بن أبي بكر: لم تُجَرَّب عليه كِذْبة قط، ولا يُعرف في الصحابة أربعةٌ وِلاءً -أي متوالين- أب وبنوة بعده كل منهم ابن الذي قبله أسلموا

---

(١) عند هما زيادة: (لم أرَ في الشرّ كالليلة).

وصحبوا النبي ﷺ إلا أبو قُحافة وابنه أبوبكر وابنه عبدالرحمن بن أبي بكر وابنه محمد بن عبدالرحمن أبو عتيق.

توفي عبدالرحمن بالحَبَشِيِّ، والحَبَشِيُّ على اثني عشر ميلاً من مكة فَحُمل فدفن بمكة، ولما اتصل خبر موته بأخته عائشة أم المؤمنين ظعنت من المدينة حاجّة حتى وقفت على قبره، فبكت وتمثلت بقول الشاعر:

وكنا كندماني جذيمة حِقبةً ... من الدهر حتى قيل لن يتصدعا
فلما تفرقنا كأني ومالكا ... لطول اجتماعٍ لم نبت ليلة معًا[1]

وقال الحافظ أبو نعيم توفي بمكة في نومة نامها في إمرة معاوية، وقال ابن حجر العسقلاني في كتابه تهذيب التهذيب قلت: وقال العسكري هو أول من مات من أهل الإسلام فجأة، وقال أبو زُرْعة الدمشقي تُوفي بعد مُنصَرَف معاوية من المدينة في قَدْمَتِه التي قدم فيها لأخذ البيعة من عبدالله بن عمر وعبدالله بن الزبير وعبدالرحمن بن أبي بكر، ثم توفيت عائشة بعد ذلك بيسير سنة ٥٩ هجرية، أما عن سنة وفاته فقيل (٥٣)، أو (٥٤)، أو (٥٥)، أو (٥٦)، أو (٥٩)[2].

غريب الألفاظ:

أصحاب الصُفّة: الصفة مكان مظلل في مسجد رسول الله ﷺ في المدينة المنورة إبّان العصر النبوي بعد الهجرة، يأوي إليه فقراءُ المهاجرين ينامون فيه[3].

ما حبسك: ما منعك[4].

وقد عرضوا عليهم: أي أن آل أبي بكر -الأهل والخدم- عرضوا على

---

(١) البداية والنهاية ٨٩/٨، والمنتظم ٥٥/٢، والكامل في التاريخ ٢١٨/٢، من شعر متمم بن نويرة في أخيه مالك.

(٢) الاستيعاب ٤٤٦، ٤٤٧، أسد الغابة ٤٦٢/٣-٤٦٤، الإصابة (٦٨٩)، سير أعلام النبلاء (٤٧١/٢-٤٧٣)، تهذيب الكمال (٣٣٧/٤-٣٧٩)، تهذيب التهذيب (٤٩٢/٢)، الأعلام (٣١١/٣، ٣١٢)، موسوعة عظماء حول الرسول (١٢٨٨/٢-١٢٩٠).

(٣) أطلس الحديث النبوي، ٢٣٧.

(٤) القاموس المحيط في (ح ب س).

الأضياف العشاء[١].

الغُنْثُر: الغبي الجاهل[٢].

فجدّع: دعا عليه بالجَدْع وهو: قطع الأذن والأنف أو الشفة، وقيل المراد السب[٣].

ربا: زاد وارتفع[٤].

من أسفلها: الموضع الذي أخذت منه[٥].

وقرة عيني: قرة العين يكنى بها عن المسرة، ورؤية ما يحبه الإنسان ويوافقه، يقال ذلك لأن عينه قرت، أي سكنت حركتها من التلفت لحصول غرضها فلا تستشرف لشيء آخر فكأنه مأخوذ من القرار، وقيل معناه أنام الله عينك وهو يرجع إلى هذا، وقيل بل هو مأخوذ من القر وهو البَرَد أي أن عينيه باردة لسروره، ولهذا قيل دمعة الحزن حارة[٦].

فمضى الأصل: انقضى الوقت الذي تواعدوا إليه[٧].

دونك أضيافك: دون: اسم فعل بمعنى خذ وتوصل بالكاف[٨]، والمعنى خذ أضيافك وقم بحقهم.

القِرى: الضيافةُ والإكرام[٩].

يجد عليَّ: يغضب[١٠].

---

(١) ينظر فتح الباري ٦/٦٩١.

(٢) رياض الصالحين، النووي ٥١٤.

(٣) فتح الباري ٦/٦٩١، رياض الصالحين، النووي ٥١٤.

(٤) النهاية في (ر ب و)، فتح الباري ٦/٦٩٢.

(٥) فتح الباري ٦/٦٩٢.

(٦) فتح الباري ٦/٦٩٢، ٦٩٣.

(٧) النهاية في (أ ص ل)، دليل الفالحين ١٥٥٦.

(٨) المعجم الوسيط في (د و ن).

(٩) شرح صحيح مسلم، النووي ١٣٠٣.

(١٠) رياض الصالحين، النووي ٥١٤.

الشرح الأدبي

هـذا الحـديث الـشريف يفتتح بـه الإمـام النـووي: بـاب كـرامـات الأوليـاء وفضلهم، والكرامات -كما قال صاحب دليل الفالحين-: جمع كرامة، وهى إحدى الخوارق للعادات؛ والخوارق خمس: وهي: إرهاص، ومعجزة، وكرامة، ومعونة، ومهونة أو استدراج والمعجزات من خصائص الأنبياء، لأنها: من خوارق العادات المقرونة بالتحدي الواقع على طبق ما ادعاه النبي ﷺ مع الأمن من المعارضة فيه.

والكرامة من صفات أولياء الله تعالى، والأولياء جمع ولي: وهو المؤمن المطيع لمولاه، وولي على وزن فعيل بمعنى فاعل، لأن العبد الولي وَالَى اللهَ باتباع مرضاته، أو هو على وزن فعيل، بمعنى مفعول: لأن الله تعالى والاه، وهو يتولى الصالحين.

وفي ظل هذا التفسير لمعنى الكرامة، ومعنى الولي نستبطن أسرار الجمال التعبيري في هذا الحديث الشريف، الذي يرشد إلى إضفاء صفة الكرامة على أبي بكر الصديق رضي الله عنه لأنه من أولياء الله تعالى، وكذلك عبدالرحمن بن أبي بكر الصديق رضي الله عنهما، والشاهد على ذلك: أن الطعام لم ينقص رغم تعدد الآكلين، بل زاد وربا، وأصبحت القصعة أكثرَ منها قبل أن يأكلوا ... كما قالت "أم رومان" زوجة أبي بكر الصديق: وهى التي خاطبها بقوله: يا أخت بني فراس، ما هذا؟.

والحديث قصة واقعية حقيقية، لإثبات كرامات الأولياء الذين آمنوا وعملوا الصالحات، ويقولون ويفعلون، ولا يدعون الولاية، ولا يخصون أنفسهم بشيء، ومن جماليات الأداء الأسلوبي في هذه القصة:

أ-الإخبار عن وقائع القصة عن طريق التأكيد حيث تكررت "أن" المؤكدة أربع مرات في بداية الحديث مرة في الحديث عن أصحاب الصُفّة الذين ظهرت الكرامة في إطعامهم، (إن أصحاب الصفة). ومرة في الحديث عن النبي ﷺ: وهو يوصي بإطعام الفقراء، وفي وصيته إيحاء بالكرامة والزيادة والبركة، حيث قال الراوي: "وأن النبي ﷺ قال مرة..." وفي الموضع الثالث يسوق خبر أبي بكر الصديق رضي الله عنه، فيقول: "وأن أبا بكر جاء بثلاثة"، ثم يجيء التأكيد في موضع رابع ليؤكد صفة الكرامة

وأنها نابعة من طاعة الله تعالى وطاعة رسوله ﷺ ومحبتهما حيث يقول الراوي في سياق سرد أحداث هذه القصة، "وأن أبا بكر تعشى عند النبي ﷺ".

ب- تكرار أسلوب الشرط مرتين للتأكيد على الإنفاق وإطعام الفقراء: لأن الإنفاق هو السبيل للنماء والخير والبركة، فما نقص مال من صدقة، حيث يقول رسول الله ﷺ: «من كان عنده طعام اثنين فليذهب بثالث، ومن كان عنده طعام أربعة فليذهب بخامس بسادس». وأسلوب الشرط يرشد إلى الجزاء الحسن في هذا السياق: حيث الطاعة والبركة والكرامة.

ج-الحوار بين أبي بكر وامرأته، وبين أبي بكر والضيوف: حول هذه الظاهرة العجيبة التي تثبت الكرامة، حيث حدث أمر خارق للعادة وهو زيادة الطعام وعدم نقصه رغم كثرة الآكلين: (قال في أسلوب القسم ليؤكد صدق الخبر، ووقوع الكرامة، "وأيم الله ما كنا نأخذ من لقمة إلا ربا من أسفلها أكثر منها حتى شبعوا"، وهذه الكرامة هى ثمرة الاستجابة لدعوة رسول الله ﷺ في بداية الحديث، إلى إطعام أهل الصُّفَّة، وقد طعموا وشبعوا، وصارت القصعة أكثر مما كانت قبل ذلك، وتؤكد أم رومان رضي الله عنها هذه الكثرة... فتقول مؤكدة الخبر المصحوب بالبهجة والبشارة، "لا وقرة عيني: لهي الآن أكثر منها قبل ذلك بثلاث مرات" وتتضاعف الكرامة: فيأكل أبو بكر من هذا الطعام المبارك، ويحمل القصعة إلى رسول الله: فيأكل منها المصطفى ﷺ ومن معه من الناس، ويقول الراوي: الله أعلم كم مع كل رجل فأكلوا منها أجمعون، وقيل في الحديث، ما يقع من لطف الله تعالى بأوليائه، وذلك أن خاطر أبي بكر تَشَوَّشَ، وكذا ولده وأهله وضيفه بسبب امتناعهم من الأكل، وتكدر خاطر أبي بكر رضي الله عنه من ذلك حتى احتاج إلى ما تقدم من الحرج بالحلف والحنث ولغير ذلك فرفعه بالكرامة التي أبداها، فانقلب ذلك الكد صفاء، والتكدر سرورًا، وصدق الله العظيم القائل: ﴿أَلَآ إِنَّ أَوْلِيَآءَ ٱللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٦٢﴾ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَكَانُوا۟ يَتَّقُونَ ﴿٦٣﴾ لَهُمُ ٱلْبُشْرَىٰ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَفِى ٱلْءَاخِرَةِ﴾[1]، اللهم اجعلنا من أوليائك وأصفيائك.

---

(١) سورة يونس، الآيات: ٦٢-٦٤.

المضامين الدعوية

أولاً: من موضوعات الدعوة: فضل أهل الصفة.

ثانيًا: من صفات الداعية: الكرم والمواساة.

ثالثًا: من صفات الداعية: الكرم والسخاء.

رابعًا: من أساليب الدعوة: السؤال والجواب... والقسم.

خامسًا: من موضوعات الدعوة: فضل وكرامة أبي بكر الصديق في تكثير الطعام.

أولاً- من موضوعات الدعوة: فضل أهل الصفة:

قد كان أهل الصفة من أكابر الصحابة رضي الله عنهم ورعًا وتوكلاً على الله عز وجل وملازمة لخدمة الله ورسوله ﷺ اختار الله تعالى لهم ما اختاره لنبيه ﷺ، من المسكنة والفقر والتضرع لعبادة الله عز وجل وترك الدنيا لأهلها[١].

"وكان النبي ﷺ يتعهد أهل الصفة بنفسه، فيزورهم ويتفقد أحوالهم ويعود مرضاهم"[٢]. كما كان يكثر مجالستهم ويرشدهم ويواسيهم ويذكرهم ويقص عليهم ويوجههم إلى قراءة القرآن الكريم ومدارسته وذكر الله والتطلع إلى الآخرة ويشجعهم على احتقار الدنيا وعدم تمني الحصول على متاعها"[٣]، وكان إذا أتته صدقة بعث بها إليهم ولم يتناول منها شيئًا، وإذا أتته هدية أرسل إليهم وأصاب منها وأشركهم فيها[٤]، وكثيرًا ما كان يدعوهم إلى تناول الطعام في بيته"[٥].

وهذا ما ورد جليًا في نص الحديث من قول الراوي "إن أصحاب الصفة كانوا أناسًا فقراء وأن النبي ﷺ قال مرة: "من كان عنده طعام اثنين، فليذهب بثالث، ومن كان عنده طعام أربعة، فليذهب بخامس بسادس" أو كما قال: وأن أبا بكر رضي الله عنه، جاء

---

(١) المستدرك، الحاكم النيسابوري، ٥٥٣/٣.

(٢) حلية الأولياء، أبو نعيم أحمد بن عبدالله الأصفهاني، ٣٧٥/١.

(٣) المرجع السابق ٣٤٠/١، ٣٤١.

(٤) أخرجه البخاري ٦٢٤٦، ٦٤٥٢.

(٥) السيرة النبوية الصحيحة، د. أكرم ضياء العمري، ٢٦٦/١.

بثلاثة، وانطلق النبي ﷺ بعشرة".

"وقد كان منشأ وجود أهل الصفة رضي الله عنهم، هو ما أعقب هجرة المسلمين من مكة إلى المدينة المنورة، من ظهور مشكلة تتعلق بمعيشة المهاجرين، الذين تركوا بيوتهم وأموالهم ومتاعهم بمكة فرارًا بدينهم من طغيان المشركين.

ولا شك أن بعض المهاجرين لم يستطيعوا العمل حال قدومهم إلى المدينة، لأن الطابع الزراعي يغلب على اقتصاد المدينة، وليست للمهاجرين خبرة زراعية فمجتمع مكة تجاري، كما أنهم لا يملكون أرضًا زراعية في المدينة وليست لديهم رءوس أموال فقد تركوا أموالهم بمكة. وقد وضع الأنصار إمكانياتهم في خدمة المهاجرين لكن بعض المهاجرين بقى محتاجًا إلى المأوى.

واستمر تدفق المهاجرين إلى المدينة خاصة قبل موقعة الخندق، حيث كان الكثير منهم يستقرون في المدينة كما طرقت الوفود الكثيرة المدينة، ومنهم من لم يكن على معرفة بأحد من أهل المدينة، فكان هؤلاء الغرباء بحاجة إلى مأوى دائم أو مدة إقامتهم.

ولا شك أن النبي ﷺ فكر في إيجاد المأوى للفقراء المقيمين والوفود الطارقين.

وحانت الفرصة عندما تم تحويل القبلة من بيت المقدس إلى الكعبة المشرفة، وذلك بعد ستة عشر شهرًا من هجرته ﷺ إلى المدينة، حيث بقي حائط القبلة الأولى في مؤخرة المسجد النبوي، فأمر النبي ﷺ به فظلل أو سقف وأطلق عليه اسم الصفة أو الظلة، ولم يكن لها ما يستر جوانبها"[1].

"وقد انقطع أهل الصفة للعلم والعبادة، فكانوا في خلوتهم يصلون ويقرأون القرآن ويتدارسون آياته ويذكرون الله تعالى، واشتهر بعضهم بالعلم وحفظ الحديث عن النبي ﷺ مثل أبي هريرة رضي الله عنه الذي عرف بكثرة تحديثه، وحذيفة بن اليمان رضي الله عنه الذي اهتم بأحاديث الفتن.

لكن انقطاع الصفة للعلم والعبادة لم يعزلهم عن المشاركة في أحداث المجتمع والإسهام في الجهاد، بل كان منهم الشهداء ببدر مثل صفوان بن بيضاء، وخريم بن

---

(١) انظر: السيرة النبوية الصحيحة ومصادرها، د. أكرم ضياء العمري، ١/٢٥٧، ٢٥٨.

فاتك الأسدي وخبيب بن يساف وسالم بن عمير وحارثة بن النعمان الأنصاري، ومنهم من استشهد بأُحد مثل حنظلة الغسيل، ومنهم من شهد الحديبية مثل جرهد بن خويلد وأبو سريحة الغفاري، ومنهم من استشهد بخيبر مثل ثقف بن عمرو، ومنهم من استشهد بتبوك مثل عبدالله ذو البجادين، ومنهم من استشهد باليمامة مثل سالم مولى أبي حذيفة وزيد بن الخطاب، نعم هكذا كانوا رهبانًا في الليل فرسانًا في النهار"[١].

ثانيًا- من صفات الداعية: الإيثار والمواساة:

هذا ما أشار إليه الحديث من قوله ﷺ: "من كان عنده طعام اثنين فليذهب بثالث، ومن كان عنده طعام أربعة فليذهب بخامس بسادس"، قال النووي: "في الحديث فضيلة الإيثار والمواساة، وأنه إذا حضر ضِيفَانٌ كثيرون فينبغي للجماعة أن يتوزعوهم، ويأخذ كل واحد منهم ما يحتمله، وأنه ينبغي لكبير القوم أن يأمر أصحابه بذلك ويأخذ هو من يمكنه"[٢]، والإيثار هو: "تقديم الغير على النفس في حظوظها الدنيوية رغبة في الحظوظ الدينية، وذلك ينشأ عن قوة اليقين وتوكيد المحبة والصبر على المشقة"[٣].

أما المواساة للمؤمنين فأنواع: مواساة بالمال، ومواساة بالجاه، ومواساة بالبدن والخدمة، ومواساة بالنصيحة والإرشاد، ومواساة بالدعاء والاستغفار لهم، ومواساة بالتوجع لهم.

وعلى قدر الإيمان تكون هذه المواساة؛ فكلما ضعف الإيمان ضعفت المواساة، وكلما قوي قويت. وكان رسول الله ﷺ أعظم الناس مواساة لأصحابه بذلك كله، فلأتباعه من المواساة بحسب اتباعهم له. ودخلوا على بشر الحافي في يوم شديد البرد، وقد تجرد وهو ينتفض، فقالوا : ماهذا يا أبا نصر؟ فقال: ذكرت الفقراء وبردهم وليس لي ما أواسيهم فأحببت أن أواسيهم في بردهم"[٤]. فالمواساة والإيثار من أهم

---

(١) انظر: المرجع السابق ٢٦٣/١، ٢٦٤

(٢) شرح صحيح مسلم ١٣٠٢.

(٣) الجامع لأحكام القرآن، القرطبي، ٢٦/١٨.

(٤) الفوائد، ابن القيم، ٢٤٦، ٢٤٧.

الصفات الخلقية التي يجب أن يتحلى بها الداعية لما لهما من أثر عظيم في تأليف قلوب المدعوين وحملهم على قبول دعوته..

ثالثًا- من صفات الداعية: الكرم والسخاء:

هذا ما ورد في الحديث من قول الراوي: " وأن أبا بكر رضي الله عنه ، جاء بثلاثة، وانطلق النبي صلى الله عليه وسلم بعشرة"، قال النووي: "هذا مبين لما كان عليه النبي صلى الله عليه وسلم من الأخذ بأفضل الأمور والسبق إلى السخاء والجود، فإن عيال النبي صلى الله عليه وسلم كانوا قريبًا من عدد ضيفانه هذه الليلة فأتى بنصف طعامه أو نحوه، وأتى أبو بكر رضي الله عنه بثلث طعامه أو أكثر، وأتى الباقون بدون ذلك"[1]، "وإن صفة الكرم والسخاء من الصفات التي لها أثر فعال في اجتذاب القلوب النافرة وتأليف النفوس المتباعدة،

وَيُظْهِرُ عَيْبَ الْمَرْءِ فِي النَّاسِ بُخْلُهُ ... وَيَسْتُرُهُ عَنْهُمْ جَمِيعًا سَخَاؤُهُ

تَغَطَّ بِأَثْوَابِ السَّخَاءِ فَإِنَّنِي ... أَرَى كُلَّ عَيْبٍ فَالسَّخَاءُ غِطَاؤُهُ

وقد بلغ رسول الله صلى الله عليه وسلم المنتهى في الكرم والجود: "فعن جبير بن مطعم قال: بينما أسير مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ومعه الناس مقفلة من حنين، فعلقت الناس يسألونه حتى اضطروا إلى سمرة -اسم شجرة- فخطفت رداءه فوقف النبي صلى الله عليه وسلم فقال: "أعطوني ردائي، لو كان لي عدد هذه العضاة نعما لقسمته بينكم، ثم لا تجدوني بخيلاً ولا كذوبًا ولا جبانًا"[2]، فإذا اتصف الداعية بهذه الصفة باذلاً من ماله ما استطاع مستعينًا بأهل الخير والبذل كان حريًا بالنجاح والتوفيق وقبول الناس له وتأثيره في نفوسهم واستمالة قلوبهم إليه"[3].

رابعًا- من أساليب الدعوة: السؤال والجواب... والقسم:

قد ورد السؤال والجواب كأسلوب من أساليب الدعوة في الحديث من قول الراوي:

---

(١) شرح صحيح مسلم ١٣٠٢.

(٢) أخرجه البخاري ٦٨٢١.

(٣) صفات الداعية الناجح، صالح محمد العليوي، ط١، دار القاسم، الرياض، ١٤١٦هـ-١٩٩٥م، ص٧٠.

"قالت امرأته: ما حبسك عن أضيافك؟ قال: أو ما عشيتهم؟ قالت: أَبَوْا حتى تجيء"، وأيضًا من قول أبي بكر رضي الله عنه لامرأته. "يا أخت بني فراس، ما هذا؟ قالت: لا وقرة عيني، فهي الآن أكثر منها قبل ذلك بثلاث مرات"، وكذلك في قول الراوي: "فقالوا: أين رب المنزل؟ قال: اطعموا، وقوله: "فقال: ما صنعتم؟ فأخبروه" وأخيرًا في قول أبي بكر رضي الله عنه، "ويلكم مالكم لاتقبلون عنا قِرَاكم؟ هاتِ طعامَك فجاء به" والسؤال والجواب من الأساليب الدعوية المهمة في لفت انتباه المدعوين واستحضار أذهانهم فضلاً عن كونه أمرًا مهمًا جدًا لتلقف المعرفة واختزانها في الذاكرة، ثم لتطبيق إرشاداتها في السلوك فيجب على حامل الرسالة أن يستثمر هذا الاستعداد إلى أقصى حد ممكن"[1].

أما القسم كأسلوب من أساليب الدعوة فقد ورد في الحديث من قول أبي بكر رضي الله عنه: "والله لا أطعمه أبدًا" وأيضًا في قول الراوي: "فقال: " أي أبو بكر رضي الله عنه إنما انتظرتموني والله لا أطعمه الليلة. فقال الآخرون: والله لا نطعمه حتى تطعمه"، "والقسم هو الحلف واليمين"[2]، (وهو من الأساليب الدعوية التي يستعين بها الداعية لتأكيد خبر أو تعظيم شيء، أو جمع الانتباه حول غاية، فضلاً عن دوره في صناعة التأثير النفسي والعاطفي بواسطة المقسم به، والمقسم عليه وبهما معًا. الأمر الذي يجعل المدعو يتعلق بالدعوة ويؤمن بها)[3].

خامسًا- من موضوعات الدعوة: فضل وكرامة أبي بكر الصديق في تكثير الطعام:

عندما أرسل الله نبيه صلى الله عليه وسلم، اختصه برجال لم تشهد البشرية مثلهم، أقاموا الملة ونصروا السنة، وكان من خيرهم وأفضلهم أبو بكر رضي الله عنه، فهو أول من آمن برسول الله صلى الله عليه وسلم من الرجال، وأول الخلفاء الراشدين، وأول من جمع المصحف الشريف، وأول من أقام للناس حجهم في حياة رسول الله صلى الله عليه وسلم وبعده، صحب النبي صلى الله عليه وسلم قبل البعثة

---

(١) فقه الدعوة إلى الله، عبدالرحمن حنبكة، ٢/٥٩.

(٢) لسان العرب، ابن منظور، ج٢/٣٨١، مادة أقسم.

(٣) انظر: الدعوة الإسلامية أصولها ووسائلها، د. أحمد غلوش، ٣٢٩-٣٤٣.

وسبق إلى الإيمان، فكان أول القوم إسلامًا وأكملهم إيمانًا، وأعظمهم عناءً، وأفضلهم مناقب، وأكثرهم سوابق، وأرفعهم درجة، وأشبههم برسول الله ﷺ هديًا وخلقًا وسمتًا وفعلاً"[١].

قال ابن عثيمين: (فهو رضي الله عنه أفضل الصديقين منذ خلق الله آدم إلى أن يرث الله الأرض من عليها)[٢].

وقد بين الحق تبارك وتعالى عظيم فضله رضي الله عنه وكرامته له في تكثير الطعام بين يديه، وهذا ما ورد في الحديث من قول الراوي: "قال: وايم الله ما كنا نأخذ من لقمة إلا ربا من أسفلها أكثرُ منها، حتى تشبعوا، وصارت أكثر مما كانت قبل ذلك، فنظر إليها أبو بكر، فقال لامرأته: يا أخت بني فراس ما هذا؟ قالت: لا وقرة عيني لهى الآن أكثر منها قبل ذلك بثلاث مرات"، وفي الرواية: "إنها الآن لأكثر منها قبل أن نأكل"، قال النووي: (هذا الحديث فيه كرامة ظاهرة لأبي بكر الصديق ﷺ، وفيه إثبات كرامات الأولياء)[٣]، وقال ابن حجر: (والحاصل أن الله أكرم أبا بكر رضي الله عنه فأزال ما حصل له من حرج، فعاد مسرورًا، وانفك الشيطان مدحورًا. واستعمل الصديق مكارم الأخلاق فحَنَثَ نَفْسَه زيادة في إكرام ضيفانه ليحصل مقصوده من أكلهم)[٤]، وقد وقع في رواية الجرير عن مسلم أنه رضي الله عنه لما أصبح غدا على النبي ﷺ فقال: "يَا رَسُولَ اللهِ بَرُّوا وَحَنِثْتُ. قَالَ فَأَخْبَرَهُ فَقَالَ: ((بَلْ أَنْتَ أَبَرُّهُمْ وَأَخْيَرُهُمْ))[٥]. قال النووي: (أي أكثرهم طاعة، وخير منهم، لأنك حنثت في يمينك حنثًا مندوبًا إليه محثوثًا عليه، فأنت أفضل منهم)[٦]. وفي ذلك بيان على فضله رضي الله عنه وكرامة الله له".

---

(١) الإصابة ٨٠٤، ٨٠٥، سير أعلام النبلاء ٢١٥/١-٢٣٠، عظماء حول الرسول، خالد عبدالرحمن العك، ٢٦٥/١-٢٨٩.

(٢) شرح رياض الصالحين ١٥٧٦/٢.

(٣) شرح صحيح مسلم ١٣٠٣.

(٤) فتح الباري ٦٩٣/٦.

(٥) أخرجه مسلم ٢٠٥٧.

(٦) شرح صحيح مسلم ١٣٠٤.

الحديث رقم (١٥٠٦)

١٥٠٦- وعن أَبي هريرة رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رسول الله ﷺ: ((**لَقَدْ كَانَ فيما قَبْلَكُمْ مِنَ الأُمَمِ (نَاسٌ)** [١] **مُحَدَّثُونَ، فَإنْ يَكُ في أُمَّتِي أحدٌ فإنَّهُ عُمَرُ**)). رواه البخاريُّ[٢].

ورواه مسلم من رواية عائشة[٣]. وفي روايتهما[٤] قَالَ ابن وهب: ((**مُحَدَّثُونَ**)) أيْ مُلْهَمُونَ.

ترجمة الراوي:

أبو هريرة: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (٧).

أم المؤمنين عائشة بنت أبي بكر الصديق: تقدمت ترجمتها في الحديث رقم (٢).

غريب الألفاظ:

المحدثون: المُلْهَمُون: والمُلْهَم هو الذي يُلقى في نفسه الشيء فيُخبِرْ به حَدْسًا وفِراسة، وهو نوع يَخْتَصُّ به الله عز وجل من يشاء من عباده الذين اصطفَى، مثل عمر بن الخطاب رضي الله عنه كأنهم حدثوا بشيء فقالوا.

الشرح الأدبي

هذا هو الحديث الثاني في باب كرامات الأولياء وفضلهم، والكرامات جمع كرامة، وهي إحدى الخوارق للعادات: وهي كما قال العلماء خمس: إرهاص، ومعجزة، وكرامة، ومعونة، ومهونة، فالإرهاص: الخارق للعادة المتقدم على تحدي النبي ودعواه النبوة، والمعجزة: الخارق للعادة المقرون بالتحدي الواقع على طِبق ما ادَّعاه مع سلامة الأمر من المعارضة فيه، والكرامة: الخارق للعادة لا على سبيل التحدي،

---

(١) (ناس) لا توجد عند البخاري. وهذه الزيادة عند الحميدي في جمعه (٨١/٣، رقم ٢٢٦١)، وبهذه الزيادة رواها أحمد في فضائل الصحابة (٥٣٠) بإسناد حسن.

(٢) برقم (٣٤٦٩).

(٣) برقم (٢٣٩٨/٢٣).

(٤) بل في رواية مسلم، عقب الحديث رقم (٢٣٩٨/٢٣)، ولم يروها البخاري.

والمعونة: خارق للعادة يبدو على يد بعض المؤمنين كإنقاذ من مهلكة، وتخليص من ورطة بوجه خارق للعادة، والمهونة خارق للعادة على خلاف دعوى المتحدي كما وقع لمسيلمة الكذاب أنه تفل في بئر ليكثر ماؤها فغار[١].

ولنتأمل جماليات الأداء الأسلوبي في هذا الحديث النبوي الشريف الذي يوضح ما منَّ الله به على الفاروق عمر ﵁ من فراسة وفطانة وكرامة ومعونة وولاية: تؤيدها الأحداث، وتؤكدها الوقائع. وتبرهن عليها شهادة رسول الله ﷺ في هذا الحديث الذي تضمن جملتين، واللتين تشعان بهذا المضمون الصادق المنبئ عن فضل عمر ﵁ وقيمته في الإسلام، والجملة الأولى إخبارية مُصَدَّرة بالتأكيد حيث جاء قوله: "لقد كان فيما قبلكم من الأمم ناس محدثون": واقتران "قد" باللام يشعر بالقسم: والتقدير والله لقد كان قبلكم: وذلك للتأكيد على صدق الخبر وأهميته.

ولنتأمل ما تضمنته كلمة "محدثون": من دلالات، وما تفيض به من إشعاعات، فالمحدَّثون جمع: مُحدَّث: بفتح الدال وتشديدها: وهو المُلْهَم، وجاء في أساس البلاغة للزمخشري قوله: وكان عمر ﵁ مُحَدَّثًا أي صادق الحدْث، كأنما حدث بما ظن، والحدس: بالسين هو: الفراسة، وقيل: المحدث: هو الرجل الصادق الظن: وهو مَنْ أُلْقِي في رُوعِه شيء من قِبل الملأ الأعلى فيكون كالذي حدثه غيره، وقيل: هو من يجري الصواب على لسانه من غير قصد.

وهذه الشمائل والخصائص كانت من مميزات شخصية عمر ﵁، ولذلك قال رسول الله ﷺ في الجملة الثانية من الحديث: "فإن يك في أمتي أحد فإنه عمر"، والجملة صيغت في قالب الشرط والجواب، "وإن" هنا ليست للشك: ولكنها على سبيل الفرض والتقدير، وهذا من أدلة الإثبات لا النفي، ويؤيد ذلك المعنى ما أخرجه الترمذي بسنده عن عبدالله بن عمر ﵄ أن رسول الله ﷺ قال: ((إن الله جعل الحق على لسان عمر وقلبه))[٢].

---

(١) انظر: دليل الفالحين، ابن علان، ص١٥٥٩، ١٥٦٠.

(٢) أخرجه الترمذي، ٣٦٨٢، وابن ماجه، ١٠٨، وصححه الألباني، انظر: (صحيح سنن الترمذي، ٢٩٠٨).

وجواب الشرط جاء مؤكدًا بـ"إن" لبيان صدق هذا الخبر، وتوضيح أفضلية عمر بن الخطاب رضي الله عنه ، وحذفت صفةُ أحدٌ والتقدير: أحد محدث: أو أحد مثل الأناس المحدثين وهم الأنبياء الملهمون. فإنه عمر رضي الله عنه ، وكفاه هذا شرفًا وفخرًا... وكرامة ومعرفة.

المضامين الدعوية

أولاً: من موضوعات الدعوة: التحديث.

ثانيًا: من موضوعات الدعوة: منقبة عمر بن الخطاب رضي الله عنه في التحديث.

ثالثًا: من أساليب الدعوة: التبشير.

أولاً- من موضوعات الدعوة: التحديث:

هذا ما ورد في الحديث من قوله صلى الله عليه وسلم: "لقد كان فيما قبلكم من الأمم ناس محدثون"، قال النووي: (واختلف تفسير العلماء للمراد بمحدثون فقال: ابن وهب ملهمون وقيل: مصيبون وإذا ظنوا فكأنهم حدثوا بشيء فظنوا وقيل: تكلمهم الملائكة وجاء في رواية: متكلمون وقال البخاري: يجري الصواب على ألسنتهم وفيه إثبات كرامات الأولياء)[1]. وقال ابن حجر: (وقوله صلى الله عليه وسلم: "محدَّثون" بفتح الدال جمع محدث، واختلف في تأويله فقيل: ملهم، قاله الأكثر. قالوا: المحدث بالفتح هو الرجل الصادق الظن وهو من ألقى في روعه شيء من قبل الملأ الأعلى فيكون كالذي حدثه غيره به ...، وقيل من يجري الصواب على لسانه من غير قصد، وقيل مكلم أي تكلمه الملائكة بغير نبوة)[2].

وقال ابن هبيرة: (ومعنى قول ابن وهب: ملهمون، أن الله يلهمهم الصواب، وهذا تفسير حسن. وكان أبو عبدالله محمد بن يحيى يقول: المحدثون: هم الذين يمكنهم الصبر على حديث الناس، وعلى اختلاف أمورهم وضروب إراداتهم، فيكلمون العلماء بلسان العلم، والعامة بما يصلحهم، ونحو ذلك.

---

(١) شرح صحيح مسلم ١٤٦٦.

(٢) فتح الباري ٦٢/٧.

والذي أراه أنا في هذا مع كون الوجهين محتملين أن الله سبحانه يكلم عبده، إما على لسان آدمي أو غيره، ولقد كنت مرة مستلقيًا أسأل الله عز وجل حاجة في صدري في الليل، فسمعت جوابها بأذني يعدني نجازها إلى ميقات، فكان كما وُعِدت، وإني سمعت القول بما صيغته: إنه ليس في هذا الشهر، ولكن في الشهر الآخر، فكان كما سمعت ولم يعلم ما في نفسي لا ملك ولا شيطان، إنما يعلمه الله عز وجل وحده"[1].

وبين ابن القيم: (أن التحديث أخص من الإلهام عام للمؤمنين بحسب إيمانهم، فكل مؤمن فقد ألهمه الله رشده الذي حصل له به الإيمان. فأما التحديث: فالنبي ﷺ قال فيه: "إن يكن في هذه الأمة أحد فعمر" يعني من المحدثين. فالتحديث إلهام خاص وهو الوحي إلى غير الأنبياء إما من المكلفين، كقوله تعالى: ﴿وَأَوْحَيْنَآ إِلَىٰٓ أُمِّ مُوسَىٰٓ أَنْ أَرْضِعِيهِ﴾[2]، وقوله: ﴿وَإِذْ أَوْحَيْتُ إِلَى ٱلْحَوَارِيِّـۧنَ أَنْ ءَامِنُواْ بِى وَبِرَسُولِى﴾[3]، وإما من غير المكلفين، كقوله تعالى: ﴿وَأَوْحَىٰ رَبُّكَ إِلَى ٱلنَّحْلِ أَنِ ٱتَّخِذِى مِنَ ٱلْجِبَالِ بُيُوتًا وَمِنَ ٱلشَّجَرِ وَمِمَّا يَعْرِشُونَ﴾[4]. فهذا كله وحي إلهام"[5].

وقال ابن القيم: "إن مرتبة التحديث من مراتب الهداية وهي دون مرتبة الوحي الخاص، وتكون دون مرتبة الصديقين، كما كانت لعمر بن الخطاب رضي الله عنه، كما قال النبي ﷺ "إنه كان في الأمم قبلكم محدثون، فإن يكن في هذه الأمة فعمر بن الخطاب".

وسمعت ابن تيمية يقول: جزم بأنهم كائنون في الأمم قبلنا، وعلق وجودهم في هذه الأمة بإن الشرطية، مع أنها أفضل الأمم لاحتياج الأمم، قبلنا إليهم واستغناء هذه الأمة

---

(١) الإفصاح، ٦/٢٠١ بتصرف.

(٢) سورة القصص، آية: ٧.

(٣) سورة المائدة، آية: ١١١.

(٤) سورة النحل، آية: ٦٨.

(٥) مدارج السالكين ١/١١٠.

عنهم بكمال نبيها ورسالته، فلم يحوج الله الأمة بعده إلى محدّث ولا ملهم ولا صاحب كشف ولا منام فهذا التعليق لكمال الأمة واستغنائها لا لنقصها.

والمحدَّث هو الذي يحدَّث في سره وقلبه بالشيء فيكون كما يُحَدّث به.

قال شيخنا: والصديق أكمل من المحدث لأنه استغنى بكمال صديقيته. ومتابعته عن التحديث والإلهام والكشف فإنه قد سلّم قلبه كله وسره وظاهره وباطنه للرسول فاستغنى به عما منه[1].

قال: وكان هذا المحدث يعرض ما يحدث به على ما جاء به الرسول، فإن وافقه قَبِلَه وإلا رده فعلم أن مرتبة الصديقية فوق مرتبة التحديث.

قال: وأما ما يقوله كثير من أصحاب الخيالاتِ والجهالاتِ، حدثني قلبي عن ربي فصحيح أن قلبه حدثه ولكن عن من؟ عن شيطانه أو عن ربه؟ فإذا قال حدثني قلبي عن ربي، كان مسندًا الحديث إلى من لم يعلم أنه حدثه به، وذلك كذب، قال: ومحدث الأمة لم يكن يقول ذلك ولا تفوَّه به يوما من الدهر وقد أعاذه الله من أن يقول ذلك بل كتب كاتبه يومًا (هذا ما أرى الله أمير المؤمنين، عمر بن الخطاب فقال: لا. امحه واكتب: هذا ما رأى عمر بن الخطاب فإن كان صوابا فمن الله، وإن كان خطأ فمن عمر، والله ورسوله منه بريء) وقال في الكلالة (أقول فيها برأيي فإن يكن صوابًا فمن الله. وإن يكن خطأ فمني ومن الشيطان) فهذا قول المحدَّث بشهادة الرسول وأنت ترى الاتحادي والحلولي والإباحي الشطاح، والسماعي مجاهر بالقِحَة والفرية. يقول: حدثني قلبي عن ربي، فانظر إلى ما بين القائِلَيْن والمرتبَتيْن والقَوْلَيْن والحالين. وأعط كل ذي حق حقه، ولا تجعل الزغل الخالص شيئًا واحدًا"[2].

ثانيًا- من موضوعات الدعوة: منقبة عمر بن الخطاب رضي الله عنه في التحديث:

لقد كان التحديث بما يوافق الحق من أجلّ مناقب عمر رضي الله عنه وفضائله، وهذا ما

(١) قال محقق المدارج عبدالعزيز الجليل: إن المقصود: فاستغنى بكمال صديقته ومتابعته للرسول صلى الله عليه وسلم عن الذي يأتي من التحديث، مدارج السالكين، ١/١٠٢)

(٢) مدارج السالكين ١/١٠١-١٠٣.

أكده نص الحديث في قوله ﷺ : "لقد كان فيما قبلكم من الأمم ناس محدثون، فإن يكن في أمتي أحد فإنه عمر"، قال ابن عثيمين رحمه الله : "يعني: ملهمون للصواب، يقولون قولاً فيكون موافقًا للحق وهذا من كرامة الله للعبد أن الإنسان إذا قال قولاً، أو أفتى بفتوى، أو حكم بحكم، تبين له بعد ذلك أنه مطابق للحق، فعمر رضي الله عنه من أشد الناس توفيقًا للحق"(١)، وهذا ما أكده ابن عمر رضي الله عنه في قوله: "ما سمعت عمر رضي الله عنه يقول لشيء قط: إني لأظنه كذا إلا كان كما يظن"(٢)، "وعن حميد عن أنس رضي الله عنه قال: قال عمر رضي الله عنه : "وافقت ربي في ثلاث: فقلت يارسول الله: لو اتخذنا من مقام إبراهيم مصلى فنزلت: "واتخذوا من مقام إبراهيم مصلى"، وآية الحجاب، قلت يارسول الله: لو أمرت نساءك أن يحتجبن فإنه يكلمهن البر والفاجر، فنزلت آية الحجاب، واجتمع نساء النبي ﷺ في الغيرة عليه فقلت لهن: عسى ربه إن طلقكن أن يبدله أزواجًا خيرًا منكن، فنزلت هذه الآية"(٣).

قال ابن حجر: (في قوله: "وافقت ربي في ثلاث" أى وقائع، والمعنى وافقني ربي فأنزل القرآن على وفق ما رأيت، لكن لرعاية الأدب، أسند الموافقة إلى نفسه وأشار به إلى حدوث رأيه وقدم الحكم، وليس في تخصيص العدد بالثلاث ما ينفي الزيادة عليها، لأنه حصلت له الموافقة في أشياء غير هذه من مشهورها، "قصة أساري بدر"، "وقصة الصلاة على المنافقين"، وهما في الصحيح...)(٤).

وفي بيان ذلك قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ رضي الله عنهما: ((فَلَمَّا أَسَرُوا الأُسَارَىٰ قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ لأَبِي بَكْرٍ وَعُمَرَ: مَا تَرَوْنَ فِي هَٰؤُلاَءِ الأُسَارَىٰ؟ فَقَالَ أَبُو بَكْرٍ: يَا نَبِيَّ اللّهِ هُمْ بَنُو الْعَمِّ وَالْعَشِيرَةِ، أَرَىٰ أَنْ تَأْخُذَ مِنْهُمْ فِدْيَةً، فَتَكُونَ لَنَا قُوَّةً عَلَى الْكُفَّارِ، فَعَسَىٰ اللّهُ أَنْ يَهْدِيَهُمْ لِلإِسْلاَمِ. فَقَالَ رَسُولُ اللّهِ ﷺ: مَا تَرَىٰ؟ يَا ابْنَ الْخَطَّابِ! قُلْتُ: لاَ. وَاللّهِ يَا رَسُولَ

(١) شرح رياض الصالحين ١٥٧٩/٢.

(٢) أخرجه البخاري ٣٨٦٦.

(٣) أخرجه البخاري ٤٠٢.

(٤) فتح الباري ٦٠٢/١.

اللَّهِ! مَا أَرَى الَّذِي رَأَىٰ أَبُو بَكْرٍ، وَلَكِنِّي أَرَىٰ أَنْ تُمَكِّنَّا فَنَضْرِبَ أَعْنَاقَهُمْ، فَتُمَكِّنَ عَلِيًّا مِنْ عَقِيلٍ فَيَضْرِبَ عُنُقَهُ، وَتُمَكِّنِّي مِنْ فُلَانٍ (نَسِيبًا لِعُمَرَ) فَأَضْرِبَ عُنُقَهُ. فَإِنَّ هؤُلَاءِ أَئِمَّةُ الْكُفْرِ وَصَنَادِيدُهَا. فَهَوِيَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ مَا قَالَ أَبُو بَكْرٍ، وَلَمْ يَهْوَ مَا قُلْتُ. فَلَمَّا كَانَ مِنَ الْغَدِ جِئْتُ فَإِذَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ وَأَبُو بَكْرٍ قَاعِدَيْنِ يَبْكِيَانِ. قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ أَخْبِرْنِي مِنْ أَيِّ شَيْءٍ تَبْكِي أَنْتَ وَصَاحِبُكَ، فَإِنْ وَجَدْتُ بُكَاءً بَكَيْتُ، وَإِنْ لَمْ أَجِدْ بُكَاءً تَبَاكَيْتُ لِبُكَائِكُمَا. فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: أَبْكِي لِلَّذِي عَرَضَ عَلَيَّ أَصْحَابُكَ مِنْ أَخْذِهِمُ الْفِدَاءَ. لَقَدْ عُرِضَ عَلَيَّ عَذَابُهُمْ أَدْنَىٰ مِنْ هَذِهِ الشَّجَرَةِ (شَجَرَةٍ قَرِيبَةٍ مِنْ نَبِيِّ اللَّهِ) وَأَنْزَلَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿مَا كَانَ لِنَبِيٍّ أَن يَكُونَ لَهُۥٓ أَسْرَىٰ حَتَّىٰ يُثْخِنَ فِى ٱلْأَرْضِ﴾. إِلَىٰ قَوْلِهِ: ﴿فَكُلُوا۟ مِمَّا غَنِمْتُمْ حَلَٰلًا طَيِّبًا﴾[1]، فَأَحَلَّ اللَّهُ الْغَنِيمَةَ لَهُمْ))[2].

وعن عبدالله بن مسعود رضي الله عنه قوله: فَضَلَ النَّاسَ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ رضي الله عنه، بِأَرْبَعٍ: ثم ذكر من ذلك – قول: "بِذِكْرِ الأَسْرَى يَوْمَ بَدْرٍ، أَمَرَ بِقَتْلِهِمْ، فَأَنْزَلَ اللَّهُ، عَزَّ وَجَلَّ: ﴿لَّوْلَا كِتَٰبٌ مِّنَ ٱللَّهِ سَبَقَ لَمَسَّكُمْ فِيمَآ أَخَذْتُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾[3]"[4].

وفي بيان موافقته رضي الله عنه لما نزل من القرآن في منع الصلاة على المنافقين قال ابن عمر رضي الله عنهما: ((لما توفي عبدالله بن أبيّ بن سلول جاء ابنهُ عبدالله بنُ عبدالله إلى رسول الله ﷺ فسأله أن يعطيه قميصه أن يكفن فيه أباه، فأعطاه، ثم سأله أن يصلي عليه، فقام رسول الله ﷺ ليصلي عليه، فقام عمر فأخذ بثوب رسول الله ﷺ فقال: يا رسول الله، أتصلي عليه وقد نهاك الله أن تصلي عليه؟ فقال رسول الله ﷺ: إنما خيّرني الله وقال: ﴿ٱسْتَغْفِرْ لَهُمْ أَوْ لَا تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ إِن تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ سَبْعِينَ مَرَّةً﴾[5]، وسأزيد على السبعين)). قال: إنه منافق. فصلى عليه رسول الله ﷺ، فأنزل

---

(١) سورة الأنفال، الآيات: ٦٧-٦٩.

(٢) أخرجه مسلم، ١٧٦٣. جزء من حديث مطول.

(٣) سورة الأنفال، آية: ٦٨.

(٤) أخرجه أحمد ٤٥٦/١ رقم ٤٣٦٢، وقال محققو المسند، حسن لغيره ٢٧٢/٧.

(٥) سورة التوبة، آية: ٨٠.

الله: ﴿وَلَا تُصَلِّ عَلَىٰٓ أَحَدٍ مِّنْهُم مَّاتَ أَبَدًا وَلَا تَقُمْ عَلَىٰ قَبْرِهِۦٓ ۖ إِنَّهُمْ كَفَرُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَمَاتُوا۟ وَهُمْ فَٰسِقُونَ﴾[1]))[2].

قال النووي: (وجاءت موافقته في تحريم الخمر فهذه ست وليس في لفظه ما ينفي زيادة الموافقة والله أعلم)[3].

وقال ابن حجر: (وهذا دال على كثرة موافقته، وأكثر ما وقفنا منها بالتعيين على خمسة عشر لكن ذلك بحسب المنقول)[4].

وفي ذلك بيان على عظيم فضل عمر بن الخطاب رضي الله عنه ومنقبته في التحديث.

ثالثًا- من أساليب الدعوة: التبشير:

هذا ما ورد في الحديث من تبشيره صلى الله عليه وسلم لعمر بن الخطاب رضي الله عنه أنه من المحدّثين: (والبشارة: هى كل خبرٍ صدقٍ تتغير به بشرةُ الوجه، ويستعمل في الخير والشر، وفي الخير أغلب)[5]، (وقد وردت البشارة في القرآن على اثني عشر وجهًا لاثني عشر قومًا باثني عشرة كرامة، منها بشارة المستقيمين بثبات الولاية في قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ قَالُوا۟ رَبُّنَا ٱللَّهُ ثُمَّ ٱسْتَقَٰمُوا۟ تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ أَلَّا تَخَافُوا۟ وَلَا تَحْزَنُوا۟ وَأَبْشِرُوا۟ بِٱلْجَنَّةِ ٱلَّتِى كُنتُمْ تُوعَدُونَ﴾[6]،[7]، وقد أُمِر النبي صلى الله عليه وسلم بالبشارة، "فعن أبي موسى الأشعري رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم بعثه ومعاذًا إلى اليمن، فقال: يسرا ولا تعسرا، وبشرا ولا تنفرا وتطاوعا ولا تختلفا)[8]، والبشارة من الأساليب الدعوية التي تبعث في نفس المدعو البهجة وتجلب إليه الطمأنينة فيحمله ذلك على حب الأمر المدعو إليه وسرعة الامتثال له.

---

(١) سورة التوبة، آية: ٨٤.

(٢) أخرجه البخاري، ١٢٦٩، ٤٦٧٠، ٤٦٧٢، ٥٧٩٦، ومسلم، ٢٤٠٠.

(٣) شرح صحيح مسلم ١٤٦٦.

(٤) فتح الباري ٦٠٢/١.

(٥) التعريفات، الجرجاني، ٧١.

(٦) سورة فصلت، آية: ٣٠.

(٧) موسوعة نضرة النعيم ٧٨٠/٣.

(٨) أخرجه البخاري ٣٠٣٨، ومسلم ١٧٣٣.

الحديث رقم (١٥٠٧)

١٥٠٧- وعن جابر بن سَمُرَةَ رضي الله عنهما، قَالَ: شَكَا أهْلُ الكُوفَةِ سَعْدًا (يعني: ابنَ أَبي وقاص رضي الله عنه)[١]، إلَى عمر بن الخطاب رضي الله عنه فَعزَلَهُ، واسْتَعْمَلَ عَلَيْهِمْ عَمَّارًا، فَشَكَوا حَتَّى ذَكَرُوا أنَّهُ لا يُحْسِنُ يُصَلِّي، فَأَرْسَلَ إلَيْهِ، فَقَالَ: يَا أَبَا إسْحَاقَ، إنَّ هَؤُلاءِ يَزْعَمُونَ أنَّكَ لا تُحْسِنُ تُصَلِّي، فَقَالَ: أَمَّا أنا واللهِ فَإنِّي كُنْتُ أُصَلِّي بِهِمْ صَلاَةَ رسولِ الله صلى الله عليه وسلم، لا أُخْرِمُ عَنْها، أُصَلِّي صَلاَةَ العِشَاءِ فَأَرْكُدُ فِي الأُولَيَيْنِ، وَأُخِفُّ في الأُخْرَيَيْنِ.

قَالَ: ذَلِكَ الظَّنُّ بِكَ يَا أَبَا إسْحَاقَ، وأَرْسَلَ مَعَهُ رَجُلاً - أَوْ رِجَالاً - إلَى الكُوفَةِ يَسْأَلُ عَنْهُ أهْلَ الكُوفَةِ، فَلَمْ يَدَعْ مَسْجِدًا إلاَّ سَأَلَ عَنْهُ، وَيُثْنُونَ مَعْرُوفًا، حَتَّى دَخَلَ مَسْجِدًا لِبَنِي عَبْسٍ، فَقَامَ رَجُلٌ مِنْهُمْ، يُقَالُ لَهُ أُسَامَةُ بْنُ قَتَادَةَ، يُكَنَّى أَبَا سَعْدَةَ، فَقَالَ: أمَا إذْ نَشَدْتَنَا فَإنَّ سَعْدًا كَانَ لا يَسِيرُ بالسَّرِيَّةِ وَلاَ يَقْسِمُ بالسَّوِيَّةِ، وَلاَ يَعْدِلُ في القَضِيَّةِ. قَالَ سَعْدٌ: أمَا وَاللهِ لأَدْعُونَّ بِثَلاَثٍ: اللَّهُمَّ إنْ كَانَ عَبْدُكَ هَذَا كَاذِبًا، قَامَ رِيَاءً، وَسُمْعَةً، فَأَطِلْ عُمُرَهُ، وَأَطِلْ فَقْرَهُ، وَعَرِّضْهُ لِلْفِتَنِ. وَكَانَ بَعْدَ ذَلِكَ إذَا سُئِلَ يَقُولُ: شَيْخٌ كَبِيرٌ مَفْتُونٌ، أَصَابَتْنِي دَعْوَةُ سَعْدٍ.

قَالَ عَبدُ الملكِ (بن عُمَيْرٍ الراوي عن جابرِ بنِ سَمُرَةَ)[٢]: فَأنا رَأَيْتُهُ بَعْدُ قَدْ سَقَطَ حَاجِبَاهُ عَلَى عَيْنَيْهِ مِنَ الكِبَرِ، وإنَّهُ لَيَتَعَرَّضُ لِلْجَوارِي فِي الطُّرُقِ فَيَغْمِزُهُنَّ. متفق عَلَيْهِ[٣].

ترجمة الراوي:

جابر بن سمرة: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (١٤٨).

غريب الألفاظ:

لا أخرم عنها: لا أنقص منها[٤].

(١) هذه الزيادة من المؤلف.

(٢) هذه الزيادة من المؤلف.

(٣) أخرجه البخاري (٧٥٥) واللفظ له، ومسلم (٤٥٣/١٥٨) مختصرًا.

(٤) فتح الباري ٢٧٨/٢.

صلاتي العشاء: الظهر والعصر، وقيل المغرب والعشاء(١).

فأركد في الأولين: أطول القراءة في الركعتين الأوليين، أو أن المراد بالتطويل ما هو أعم من القراءة كالركوع والسجود(٢).

معروفًا: المعروف: اسم جامع لكل ما عرف من طاعة الله والتقرب إليه والإحسان إلى الناس، وكل ما ندب إليه الشرع والمعروف بمعنى النصفة وحسن الصحبة مع الأهل وغيرهم(٣).

نشدتنا: سألتنا وأقسمت علينا(٤).

السَّرِيَّةُ: طائفة من الجيش يبلغ أقصاها أربعمائة تبعث إلى العدو وجمعها السرايا(٥).

السوية: العدل والنصفة(٦).

السمعة: ما نُوِّه بذكره ليُرى ويسمع(٧).

فيغمزهنَّ: من الغمز ومن معانيه الإشارة كالرمز بالعين، أو الحاجب أو اليد(٨).

الشرح الأدبي

هذا الحديث تموج معانيه بكرامة: سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه، وفضله، واستجابة الله تعالى لدعوته: حيث تحققت كل الدعوات التي دعا بها على الرجل إن كان كاذبًا في التهم التي وجهها إلى سعد رضي الله عنه.

ويبدأ الحديث بحوار بين عمر بن الخطاب وسعد بين أبي وقاص رضي الله عنهما حول حقيقة التهم التي وجهها أهل الكوفة إليه، والحوار يتضمن عدة ظواهر أسلوبية تنبئ عن

---

(١) انظر: فتح الباري ٢/٢٧٨، ٢٧٩.

(٢) انظر: فتح الباري ٢/٢٧٩.

(٣) انظر: النهاية في (ع ر ف).

(٤) انظر: النهاية في (ن ش د).

(٥) النهاية في (س ر ي)، فتح الباري ٢/٢٨٠.

(٦) المعجم الوسيط في (س و ي).

(٧) القاموس المحيط في (س م ع).

(٨) ينظر النهاية في (غ م ز).

كياسة ابن الخطاب، وحدْسه وفراسته في الوصول إلى الحقيقة، ومن هذه الظواهر الأسلوبية:

أ- النداء في قول عمر رضي الله عنه: يا أبا إسحاق: وهو للملاطفة: وعدم الغلظة، وعدم تصديق الاتهام بأنه لا يحسن أن يصلي.

ب- التأكيد المشوب بالشك في صيغة الخبر المسوق لسعد، وجاء التأكيد مرتين حيث قال عمر رضي الله عنه: إن هؤلاء يزعمون أنك لا تحسن تصلي، فالتأكيد في بداية الجملة بـ"إن"، وفي وسطها بـ"أن"، ولكن هذا التأكيد لا يدل على صدق الخبر، لأن اختيار الفعل "يزعمون"، يوحي بأن عمر رضي الله عنه غير مصدق لما يقولون: ولم يقل: إن هؤلاء: يقولون: ولكن قال: يزعمون وقوله: هؤلاء: يشعر بعدم الاهتمام: ولم يقل: أهل الكوفة: لأن الذين ادعوا ذلك قلة قليلة وهم بنو عبس أو رجل منهم وهو أسامة بن قتادة.

ج- إجابة سعد: تتضمن تفصيل القول وتوضيح المشكلة، وبيان الحقيقة: فالتفصيل يتضح في قوله: "أما" وهي تتضمن الشرط والتفصيل والتأكيد، وقوله: "أنا"، يحدد المسؤولية، ويوحي بنفي التهمة، ثم القسم والتأكيد في قوله: "أما أنا والله فإني كنت أصلي بهم صلاة رسول الله صلى الله عليه وسلم" ليصبح الأمر أكثر صدقًا ووضوحًا، ولذلك أيده عمر وقال: ذلك الظن بك يا أبا إسحاق، واسم الإشارة هنا للبعيد يوحي بالتقدير والمكانة الرفيعة، والنداء فيه إعلاء من شأن: سعد، ونفي التهمة عنه.

ولنتأمل المشهد الثاني من مشاهد هذا الحديث الواقعي الذي يحكي عدْل عمر، وتقصِّيه للحقيقة، حيث أرسل من يسأل أهل الكوفة ليزداد اقتناع الناس بصواب موقف سعد بن أبي وقاص، وجاء في سياق هذا المشهد هذه الظواهر الأسلوبية:

أ- أسلوب القصر في قوله: فلم يدع مسجدًا إلا سأل عنه، "ويثنون معروفًا": وهذا الأسلوب يؤكد صواب موقف عمر، وصدق كلام ابن أبي وقاص.

ب- ادعاء أسامة بن قتادة، وإنكاره لفضل سعد صِيغَ في ثلاث جمل متوازية تتسم بالسجع والقصر، والإيقاع السريع، وقد بدأها بالتأكيد: ولكنها تُهَمٌ غير صحيحة، وبرغم ذلك ساقها في قالب إيقاعي، وتأثير صوتي حتى يضمن تصديق رسل الخليفة،

ولكنهم لم يصدقوه، وموقف سعد من هذه التهم يظهر كرامته وولايته حيث جاء في صيغة هذا الدعاء الصادق: "اللهم" وبدأ بالنداء، وبجملة الشرط، واسم الإشارة هذا لتحديد كذب هذا العبد، وجواب الشروط جاء في ثلاث جمل قصيرة ذات إيقاع صوتي مؤثر وسجع بليغ غير متكلف: فأطل عمره، وأطل فقره، وقد حدث ذلك ولقي الكاذب جزاءه حسرةً وندمًا.

فقه الحديث

١- حكم الغصب: اتفق الفقهاء على تحريم الغصب وتغليظ عقوبته[1].

٢- حكم غصب الأرض: ذهب جمهور الفقهاء المالكية، والشافعية، والحنابلة وأبو يوسف في قول، ومحمد بن الحنفية إلى القول بإمكان غصب الأرض[2]. واستدلوا على ذلك بحديث الباب، وبأن ما ضمن في البيع وجب ضمانه في الغصب كالمنقول، ولأن الأرض يمكن الاستيلاء عليها على وجه يحول بينها وبين مالكها[3].

وذهب أبو حنيفة وأبو محمد وأبو يوسف في قول إلى عدم إمكان غصب الأرض لأن من شروط الغصب أن يكون المغصوب منقولاً، والأرض ليست منقولاً[4].

والراجح هو رأي جمهور الفقهاء، لأن العبرة في الغصب هو عدم تمكين المالك من الانتفاع بملكه وهو متحقق في العقار والمنقول.

المضامين الدعوية

أولاً: من أساليب الدعوة: الحوار.

ثانيًا: من موضوعات الدعوة: تصرف الإمام على الرعية منوط بالمصلحة.

---

(١) بدائع الصنائع ١٤٨/٧، مواهب الجليل ٢٧٣/٥، مغني المحتاج ٣٣٤/٣-٣٣٥، المغني ١٣٩/٥، شرح صحيح مسلم ٤٩/١١.

(٢) بداية المجتهد ٢٥٨/٢، مغني المحتاج ٣٥٨/٣، المغني ١٤٠/٥، بدائع الصنائع ١٤٥/٧-١٤٦، شرح صحيح مسلم ٤٩/١١.

(٣) المغني ١٤١/٥.

(٤) بدائع الصنائع ١٤٥/٧-١٤٦.

ثالثًا: من موضوعات الدعوة: فضل ومكانة سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه.

رابعًا: من موضوعات الدعوة: الحرص على التثبت والتحقق في الأمور التي يتهم فيها المسلمون.

خامسًا: من موضوعات الدعوة: حرص الصحابة رضي الله عنهم على اتباع هدى النبي صلى الله عليه وسلم في الصلاة.

سادسًا: من موضوعات الدعوة: مراعاة سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه للعدل والإنصاف في الدعاء على من أغضبه وافترى عليه.

سابعًا: من موضوعات الدعوة: كرامة الله تعالى لسعد بن أبي وقاص رضي الله عنه في إجابة الدعاء.

أولاً- من أساليب الدعوة: الحوار:

قد ورد الحوار كأسلوب من أساليب الدعوة في الحديث من قول الراوي "فقال -أي عمر بن الخطاب رضي الله عنه-: "يا أبا إسحاق، إن هؤلاء يزعمون أنك لا تحسن تصلي، فقال: أما أنا والله فإني كنت أصلي بهم صلاة رسول الله صلى الله عليه وسلم، لا أخرم عنها".

(والحوار هو نوع من الحديث بين شخصين أو فريقين، يتم فيه تداول الكلام بينهما بطريقة متكافئة فلا يستأثر به أحدهما دون الآخر، ويغلب عليه الهدوء والبعد عن الخصومة والتعصب)[1].

(وقد دعا الإسلام إلى الحوار لا بين المسلمين فقط، بل دعا للحوار بينهم وبين غيرهم من الأجناس الأخرى، وحثهم على آداب الحوار، هذا الأمر أحد العوامل المهمة في انتشار الإسلام سواء في بداية عهده بل حتى في عصرنا الحاضر. قال تعالى: ﴿وَلَا تُجَادِلُوٓاْ أَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ إِلَّا بِٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُ إِلَّا ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ مِنۡهُمۡۖ وَقُولُوٓاْ ءَامَنَّا بِٱلَّذِيٓ أُنزِلَ إِلَيۡنَا وَأُنزِلَ إِلَيۡكُمۡ وَإِلَٰهُنَا وَإِلَٰهُكُمۡ وَٰحِدٞ وَنَحۡنُ لَهُۥ مُسۡلِمُونَ﴾[2])[3].

---

(١) الندوة العالمية للشباب الإسلامي، في أصول الحوار، الرياض: الندوة العالمية، ١٤١٥هـ، ص١١.

(٢) سورة العنكبوت، آية: ٤٦.

(٣) الحوار آدابه وتطبيقاته في التربية الإسلامية، خالد المغامسي، ص٢.

(والحوار المثمر يتم وفق أصول حتى يعطي الفائدة المنشودة منه، ومن هذه الأصول ضبط النفس، والاتفاق على أصول ثابتة يمكن الرجوع إليها والتزام القول الحسن وحسن الاستماع، وتجنب المقاطعة، وإشعار المحاور بالمحبة رغم الخلاف وعدم السخرية وإنهاء الحوار بأدب ولباقة)[١].

ومن هنا كان الحوار "هو القوى الكبرى في فن العلاقات الإنسانية... إنه المنهج الوحيد الذي تتحقق به المواجهة المباشرة بين القلوب والعقول، ولما كانت القلوب والعقول خاضعة للفطر السليمة من ناحية، وللتعاليم المنحرفة التي تطرأ عليها من ناحية أخرى، فقد وجب أن تكون الغلبة في النهاية للحوار الذي يستتير بهذه الفطرة السليمة، فلا تعود هناك أى حاجة إلى أساليب التخويف، والضغط المادي، والإثارة الوقتية التي تحدث أثارًا عابرة في النفوس، تذهب بذهاب العصر الذي ظهرت فيه"[٢]. فعلى الداعية أن يحرص على الأخذ بأسلوب الحوار لما له من وقع في نفوس المدعوين فضلاً عن إقناعهم. وفي ذلك عظيم الفائدة.

ثانيًا– من موضوعات الدعوة: تصرف الإمام على الرعية منوط بالمصلحة:

قد ورد ذلك في الحديث، من عزل عمر بن الخطاب لسعد بن أبي وقاص، وتولية عمارًا رضي الله عنهم بعد أن شكى أهل الكوفة سعدًا، قال ابن حجر: (وفي الحديث جواز عزل الإمام بعض عماله إذا اشْتُكِيَ إليه وإن لم يثبت عليه شيء إذا اقتضت ذلك المصلحة، قال مالك: قد عزل عمر سعدًا وهو أعدل من يأتي بعده إلى يوم القيامة ... والذي يظهر أن عمر عزله حسمًا لمادة الفتنة...، وقيل عزله إيثارًا لقربه منه لكونه من أهل الشورى، وقيل؛ لأن مذهب عمر أنه لا يستمر بالعامل أكثر من أربع سنين)[٣]. وقال

---

(١) انظر: المرجع السابق بتوسع ١٦٠-١٩٠.

(٢) عن مقال "السياسة الإعلامية في القرآن بين التاريخ والمعاصرة" للأستاذ محمد رمضان لاوند في كتاب (الإعلام الإسلامي والعلاقات الإنسانية)، ص ٢٤٢.، منظمة الندوة العالمية للشباب الإسلامي، ١٣٩٩هـ، نقلًا عن الدعوة الإسلامية الوسائل والأساليب، محمد خير رمضان، ص ١١٥.

(٣) فتح الباري ٢٨١/٢.

الزرقا: (في أن التصرف على الرعية منوط بالمصلحة، أي: إن نفاذ تصرف الراعي على الرعية ولزومه عليهم شاءوا أو أَبَوْا معلقٌ، ومتوقف على وجود الثمرة والمنفعة في ضمن تصرفه، دينية كانت أو دنيوية، فإن تضمن منفعة ما وجب عليهم تنفيذه، وإلا رد؛ لأن الراعي ناظر، وتصرفه حينئذ متردد بين الضرر والعبث، وكلاهما ليس من النظر في شيء)[1]، وفي ذلك بيان على أن تصرف الإمام في الرعية منوط بالمصلحة وهذا ما أظهره ابن حجر عن مالك.

ثالثًا- من موضوعات الدعوة: فضل ومكانة سعد بن ابي وقاص رضي الله عنه:

هذا ما يستفاد من نص الحديث وسياقه وفي بيان عظيم فضله رضي الله عنه ومكانته، قال عبدالله بن شداد "سمعت عليا يقول: ما جمع رسول الله ﷺ أبويه لأحد، غير سعد بن مالك، فإنه جعل يقول له: يوم أحد ((ارْمِ. فِدَاكَ أَبِي وَأُمِّي))"[2]، وعن قيس قال: ((سمعت سعدًا رضي الله عنه يقول: إني لأول العرب رمى بسهم في سبيل الله، وكنا نغزو مع النبي ﷺ وما لنا طعام إلا ورق الشجر، حتى إن أحدنا ليضع كما يضع البعيرُ أو الشاةُ، ما له خلط ثم أصبحت بنو أسد تعزرني على الإسلام؟ لقد خِبْتُ إذًا وضل عملي. وكانوا وشوا به إلى عمر، قالوا: لا يحسن يصلي))[3]. وقال سعيد بن المسيب. "سمعت سعد بن أبي وقاص يقول: ما أسلم أحد إلا في اليوم الذي أسلمت فيه، ولقد مكثت سبعة أيام، وإني لثلث الإسلام"[4]، وأما ما ورد في الحديث من عزل عمر رضي الله عنه له لم يكن ليقدح في فضله رضي الله عنه ومكانته، وهذا ما بينه عمر رضي الله عنه حين وفاته، فقال: "ما أجد أحدًا أحق بهذا الأمر، - أى الخلافة- من هؤلاء النفر، أو الرهط، الذين توفى رسول الله ﷺ، وهو عنهم راض، فسمى عليا وعثمان والزبير وطلحة وسعدًا و عبدالرحمن، وقال: يُشْهَدُكم عبدالله بن عمر، وليس له من الأمر شيء - كهيئة التعزية له - فإن أصابت

---

(١) شرح القواعد الفقهية، أحمد بن محمد الزرقا، ط٢، دار القلم -دمشق، ١٤٠٩هـ/١٩٨٩م، ص ٣٠٩، والأشباه والنظائر للسيوطي، ص ١٢٢.

(٢) أخرجه مسلم ٢٤١١.

(٣) أخرجه البخاري ٣٧٢٨.

(٤) أخرجه البخاري ٣٧٢٧.

الإمرة سعدًا فهو ذاك، إلا فليستعن به أيكم ما أمر، فإني لم أعزله عن عجز ولا خيانة"[١]. وهذا ما بينه ابن حجر في " قول مالك: قد عزل عمر سعدًا وهو أعدل من يأتي بعده إلى يوم القيامة... والذي يظهر أن عمر عزله حسمًا لماده الفتنة...، وقيل عزله إيثارًا لقربه منه لكونه من أهل الشورى، وقيل لأن مذهب عمر لا يستمر بالعامل أكثر من أربع سنين"[٢]، وفي ذلك بيان على عظيم فضل ومكانة سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه.

رابعًا- من موضوعات الدعوة: الحرص على التثبت والتحقق في الأمور التي يتهم فيها المسلمون:

هذا ما ورد في الحديث من تثبت عمر بن الخطاب رضي الله عنه لما ورد من شكاية أهل الكوفة لسعد بن أبي وقاص رضي الله عنه وذلك بإرساله رجالاً إلى أهل الكوفة يسألونهم عن سعد وسيرته، وقد أمر الحق تبارك وتعالى بالحرص على التثبت والتحقق في الأمور التي يتهم فيها المسلمون فقال: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِن جَآءَكُمۡ فَاسِقُۢ بِنَبَإٖ فَتَبَيَّنُوٓاْ أَن تُصِيبُواْ قَوۡمَۢا بِجَهَٰلَةٖ فَتُصۡبِحُواْ عَلَىٰ مَا فَعَلۡتُمۡ نَٰدِمِينَ ﴾[٣]، قال ابن كثير: (يأمر تعالى بالتثبت في خبر الفاسق ليحتاط له، لئلا يحكم بقوله، فيكون -في نفس الأمر- كاذبًا أو مخطئًا، فيكون الحاكم بقوله قد اقتفى وراءه، وقد نهى الله عز وجل عن اتباع سبيل المفسدين)[٤]، وقال ابن القيم "والنبأ" هو خبر الغائب عن المخبر إذا كان له شأن و "التبين" طلب بيان حقيقته والإحاطة بها علمًا"[٥]، فعلى المدعو أن يستجيب لأمر الله في التثبت والتحقق في الأمور التي يتهم فيها المسلمون.

خامسًا- من موضوعات المدعو: حرص الصحابة رضي الله عنهم على اتباع هدى النبي صلى الله عليه وسلم في الصلاة:

هذا ما أشار إليه الحديث من قول سعد رضي الله عنه "أما أنا والله فإني كنت أصلي بهم

---

(١) أخرجه البخاري ٢٧٠٠.

(٢) فتح الباري ٢/٢٨١.

(٣) سورة الحجرات، آية: ٦.

(٤) تفسير القرآن العظيم ٧/٣٧٠.

(٥) مدارج السالكين ١/٦٢٧.

صلاة رسول الله ﷺ، لا أخرم عنها، أصلي صلاتي العشاء، فأركد في الأوليين، وأخفف في الآخرين، قال ابن حجر في قوله: "ما أخرم" أى لا أنقص"[١]، وقال النووي: (في قوله "إني لأركد بهم في الأوليين" يعني أطولهما وأديمهما وأمدهما"، وقوله: وأخفف في الآخرين"، وفي رواية مسلم: "وأحذف في الآخرين"[٢]، يعني أقصرهما عن الأوليين لا أنه يخله بالقراءة ويحذفها كلها)[٣].

قال ابن القيم: "وكان هدية ﷺ الراتب في ذلك إطالة الركعتين الأوليين من الرباعية على الأخريين، وإطالة الأولى من الأوليين على الثانية، ولهذا قال سعد لعمر: أما أنا فأطيل في الأوليين، وأحذف في الآخرين، ولا آلُو أن أقتدي بصلاة رسول الله ﷺ"[٤].

وفي ذكر التثنية في قوله أصلي صلاتي العشاء، قال ابن حجر: "والمراد بهما الظهر والعصر ولا يبعد أن تقع التثنية في الممدود ويراد بهما المغرب والعشاء، ولكن يعكر عليه قوله للآخريين لأن المغرب إنما لها أخرى واحدة والله أعلم، وأبدى الكرماني لتخصيص العشاء بالذكر حكمة، وهو أنه لما أتقن فعل هذه الصلاة التي وقتها الاستراحة كان ذلك في غيرها بطريق الأولى وهو حسن، ويقال مثله في الظهر والعصر لأنهما وقت الاشتغال بالقائلة والمعاش. والأولى أن يقال: لعل شكواهم كانت في هاتين الصلاتين خاصة فلذلك خصها بالذكر"[٥]. وفي ذلك بيان على حرص الصحابة رضي الله عنهم على اتباع هدي النبي ﷺ في الصلاة.

سادسًا- من موضوعات الدعوة: مراعاة سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه للعدل والإنصاف في الدعاء على من أغضبه وافترى عليه:

هذا ما ورد في الحديث من قول الراوي: "فقام رجل منهم، يقال له: أسامة بن قتادة

---

(١) فتح الباري ٢/٢٧٨.

(٢) أخرجه مسلم ٤٥٣.

(٣) شرح صحيح مسلم ٤٥٣.

(٤) زاد المعاد ١/٢٥٠.

(٥) فتح الباري ٢/٢٧٨-٢٧٩.

يكنى "أبا سعدة"، فقال: أما إذ نشدتنا فإن سعدًا كان لا يسير بالسَّريَّة، ولا يقسم بالسوية، ولا يعدل في القضية. قال سعد: أما والله لأدعون بثلاث: اللهم إن كان عبدك هذا كاذبًا، قام رياء، وسمعة، فأطل عمره، وأطل فقره، وعرضه للفتن"، قال ابن حجر: (قوله "لا يسير بالسرية" الباء للمصاحبة والسرية بفتح المهملة وكسر الراء المخففة قطعة من الجيش، ويحتمل أن يكون صفة لمحذوف أي لا يسير بالطريقة السرية أي العادلة، والأول أولى لقوله بعد ذلك "ولا يعدل". والأصل عدم التكرار، والتأسيس أولى من التأكيد. ويؤيده رواية جرير وسفيان بلفظ "ولا ينفر في السرية)"[1]. وفي بيان عدل سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه وإنصافه في الدعاء على من أغضبه، قال ابن حجر في قوله: " (لأدعون بثلاث) أي عليك، والحكمة في ذلك أنه نفى عنه الفضائل الثلاث وهي الشجاعة حيث قال "لا ينفر" والعفة حيث قال "لا يقسم" والحكمة حيث قال " لا يعدل " فهذه الثلاثة تتعلق بالنفس والمال والدين، فقابلها بمثلها: فطول العمر يتعلق بالنفس، وطول الفقر يتعلق بالمال، والوقوع في الفتن يتعلق بالدين، ولما كان في الاثنتين الأوليين ما يمكن الاعتذار عنه دون الثالثة قابلهما بأمرين دنيويين والثالثة بأمر ديني، وبيان ذلك أن قوله " لا ينفر بالسرية " يمكن أن يكون حقًا لكن رأى المصلحة في إقامته ليرتب مصالح من يغزو ومن يقيم، أو كان له عذر كما وقع وهو في القادسية وقوله " لا يقسم بالسوية " يمكن أن يكون حقًا فإن للإمام تفضيل أهل الغناء "أى أهل النفع والكفاية"[2] في الحرب، والقيام بالمصالح، وقوله "لا يعدل في القضية " هو أشدها لأنه سلب عنه العدل مطلقا وذلك قدح في الدين، ومن أعجب العجب أن سعدا مع كون هذا الرجل واجهه بهذا وأغضبه، حتى دعا عليه في حال غضبه، راعى العدل والإنصاف في الدعاء عليه، إذ علقه بشرط أن يكون كاذبا، وأن يكون الحامل له على ذلك الغرض الدنيوي"[3].

---

(١) فتح الباري ٢/ ٢٨٠.

(٢) المعجم الوسيط ٦٦٥.

(٣) فتح الباري ٢/ ٢٨٠.

وهذا ما أمر الحق تبارك وتعالى به، فقال: ﴿وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَآنُ قَوْمٍ عَلَىٰٓ أَلَّا تَعْدِلُوا۟ ۚ ٱعْدِلُوا۟ هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ﴾[1]. قال ابن كثير: (أي لا يحملنكم بغض قوم على ترك العدل فيهم، بل استعملوا العدل في كل أحد، صديقًا كان أو عدوًا؛ ولهذا قال: "اعدلوا هو أقرب للتقوى" أي: عدلكم أقرب إلى التقوى من تركه)[2].

سابعًا- من موضوعات الدعوة: كرامة الله تعالى لسعد بن أبي وقاص رضي الله عنه في إجابة الدعاء:

هذا ما ورد في الحديث من قول سعد رضي الله عنه: أما والله لأدعون بثلاث: اللهم إن كان عبدك هذا كاذبًا، قام رياء، وسمعة، فأطل عمره، وأطل فقره، وعرضه للفتن. قال الراوي: وكان بعد ذلك إذا سئل يقول: شيخ كبير مفتون، أصابتني دعوة سعد. قال عبدالملك بن عمير الراوي عن جابر بن سمرة: فأنا رأيته بعد قد سقط حاجباه على عينيه من الكبر، وإنه ليتعرض للجواري في الطرق فيغمزهن"، وقد كان سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه مستجاب الدعوة، وذلك لقوله صلى الله عليه وسلم: "اللهم استجب لسعد إذا دعاك"[3]. قال ابن عثيمين: (فأجاب الله دعاءه، فكان هذا الرجل طويل العمر حتى إن حاجبيه سقطت على عينيه من الكبر، وكان فقيرًا، وعرض للفتن، حتى وهو في هذه الحال وهو كبير إلى هذا الحد كان يتعرض للجواري...، وكان يقول: شيخ مفتون كبير أصابتني دعوة سعد، فهذه من الكرامات التي أكرم الله بها سعد بن أبي وقاص)[4].

---

(١) سورة المائدة، آية: ٨.

(٢) تفسير القرآن العظيم ٦٢/٣.

(٣) أخرجه الترمذي، ٣٧٥١، وصححه الألباني (صحيح سنن الترمذي ٢٩٥٠).

(٤) شرح رياض الصالحين ١٥٨٢/٢.

الحديث رقم (١٥٠٨)

١٥٠٨- وعن عروة بن الزبير: أنَّ سعيد بن زيد بن عمرو بن نُفَيلٍ رضي الله عنه، خَاصَمَتْهُ أَرْوَى بِنْتُ أَوْسٍ[1] إِلَى مَرْوَانَ بْنِ الحَكَمِ، وادَّعَتْ أنَّهُ أخَذَ شَيْئًا مِنْ أرْضِهَا، فَقَالَ سعيدٌ: أنا كُنْتُ آخُذُ مِنْ أرْضِهَا شَيئًا بَعْدَ الَّذِي سَمِعْتُ مِنْ رسول الله ﷺ؟! قَالَ: مَاذَا سَمِعْتَ مِنْ رَسُولِ اللهِ ﷺ؟ قَالَ: سَمِعْتُ رسولَ اللهِ ﷺ يقول: ((**مَنْ أخَذَ شِبْرًا مِنَ الأرْضِ ظُلْمًا، طُوِّقَهُ إِلَى سَبْعِ أرَضِينَ**)) فَقَالَ لَهُ مَرْوَانُ: لا أسْألُكَ بَيِّنَةً بَعْدَ هَذَا، فَقَالَ سعيد: اللَّهُمَّ إنْ كَانَتْ كَاذِبَةً، فَأعْمِ بَصَرَهَا، وَاقْتُلْهَا فِي أرْضِهَا، قَالَ: فَمَا مَاتَتْ حَتَّى ذَهَبَ بَصَرُهَا، وَبَيْنَمَا هِيَ تَمْشِي فِي أرْضِهَا إذ وَقَعَتْ فِي حُفْرَةٍ فَمَاتَتْ. متفق عَلَيْهِ[2].

وفي روايةٍ لِمُسْلِمٍ[3] عن محمد بن زيد بن عبد الله بن عُمَرَ بِمَعْنَاهُ، وأنه رآها عَمْيَاءَ تَلْتَمِسُ الجُدُرَ تقولُ: أصابَتْنِي دَعْوَةُ سَعِيدٍ، وأنَّها مَرَّتْ عَلَى بِئْرٍ فِي الدَّارِ الَّتي خَاصَمَتْهُ فِيهَا، فَوَقَعَتْ فِيهَا، وكانتْ قَبْرَهَا.

ترجمة الراوي:

سعيد بن زيد بن عمرو: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (١٣٥٨).

غريب الألفاظ:

شبرًا: وهو ما بين رأس الخنصر والإبهام من كف مفتوح[4].

طوقه إلى سبع أرضين: أي يخسف الله به الأرض فتصير البقعة المغصوبة منها في عنقه كالطوق[5].

---

(١) عند مسلم: (أُويس) بدل: (أوس) قال ابن علان في دليل الفالحين (٣٢٢/٤): (أوس) بفتح، فسكون آخره سين مهملة، ورأيته بخط الحافظ ابن سيّد الناس في مؤلفه: (المقامات العليّة): أُوَيْس بالتصغير. وسماها الحافظ ابن حجر في الفتح (٢٩٥/٦) مرة: (أروى بنت أنيس)، وفي (١٠٤/٥) مرّة أخرى: أروى بنت أويس.

(٢) أخرجه البخاري (٣١٩٨)، ومسلم (١٦١٠/١٣٨) واللفظ له.

(٣) برقم (١٦١٠/١٣٨).

(٤) انظر: معجم لغة الفقهاء ٢٢٨.

(٥) النهاية ٥٧٠.

البَيِّنةُ: الحجة الواضحةُ[١].

تلتمس الجدُرَ: تدور حول الجُدُر -جمع جدار- وتمسكها[٢].

الشرح الأدبي

حين نتأمل جماليات الأداء في هذا الحديث الشريف نجده يموج بكثير من الظواهر الأسلوبية والفنية، والحديث في صياغته الكلية، محاورة أو مخاصمة بين سعيد بن زيد وأروى بنت أوس، حيث خاصمته إلى مروان بن الحكم، الخليفة الأموي، في العهد الثاني للدولة الأموية، وكانت الشكوى إليه وهو أمير على المدينة المنورة، ولنتأمل قول الراوي: "خاصمته" وادعت أنه أخذ شيئًا من أرضها، فقوله: "خاصمته" يفيد بأنها هي التي بدأت بالخصومة، وقوله: "وادَّعت" يوحي بعدم صدق دعواها، ولكنها أكدت هذه الدعوى الكاذبة في قول الراوي حكاية عنها أنه أخذ شيئًا من أرضها، ويأتي رد سعيد نافيًا هذه الدعوى، ولكن ليس في صيغة النفي المباشر، حيث صاغ قوله في أسلوب الاستفهام الإنكاري الذي يستبعد حصول هذا الفعل منه، حيث قال: "أنا آخذ من أرضها شيئًا بعد الذي سمعت من رسول الله ﷺ"، وفي الحديث بلاغة الحذف للإيجاز، حيث حذف معمول "سمعت"، وقيل: أبهمه للتشوق إليه فيسأل عنه فيذكره عن طلب فيكون أقر عند السامع، ولذلك سأله الأمير مروان بن الحكم، مبتدئًا الحوار المقنع الجميل: "ماذا سمعت من رسول الله ﷺ" وهذا استفهام حقيقي للوصول إلى الحقيقة، والوصول إلى الحكم الصائب في الفصل بين المتخاصمين.

ويصاغ قول رسول الله ﷺ في صيغة، الشرط والجواب، للإفادة بأنه لابد من الثواب أو العقاب على كل ما يقدمه الإنسان من خير أو شر، وجاء حديث رسول الله ﷺ مناسبًا للمقام، وبرهانًا على صدق كلام سعيد بن زيد رضي الله عنه، وكذب دعوى أروى بنت أوس، ولنتأمل هذا البيان النبوي الكريم، "من أخذ شبرًا من الأرض

---

(١) الوسيط في (ب ي ن).

(٢) مرقاة المفاتيح ١٠/٢٩٣.

ظلمًا طوقه إلى سبع أرضين"، وقوله: "شبرًا من الأرض" كناية عن منتهى القلة في المأخوذ، وقوله: "ظلمًا"، يحتمل أن يكون حالاً، أي حال كونه ظالمًا، ويمكن أن يكون تمييزًا أي بجهة الظلم.

وبناء الفعل للمفعول، في قوله: طُوّقَه: للعلم بالفاعل وهو الله سبحانه وتعالى.

ويتوج الحوار ببراءة سعيد بن زيد رضي الله عنه حيث قال له مروان، لا أسألك بينة بعد هذا؟؟.

وصيغة الدعاء التي توجه بها سعيد بن زيد رضي الله عنه مناجيًا ربه، وشاكيًا إليه أمر هذه المرأة، أظهرت كرامته وولايته، حيث استجاب الله تعالى لدعائه، حين نادى ربه: "اللهم إن كانت كاذبة فأعم بصرها، واقتلها في أرضها"، وقيل: أتى بـ"إن" الشرطية وهي للشك، مع أنه يعرف أنها كاذبة، لاحتمال صدقها في نفس الأمر بأن دخل بعض أرضها في أرضه غفلة أو فعله بعض الخدم من غير علم به.

ودعا عليها بالعمى وقتلها في أرضها، واستجاب الله تعالى له كرامةً ومعونة، وفضلاً وإنصافًا لأنه اقتدى برسول الله صلى الله عليه وسلم، وتمسك بالتوجيه النبوي الراشد، فما ماتت المرأة حتى ذهب بصرها، وقالت معترفة بذنبها: "أصابتني دعوة سعيد، وبينما هي تمشي في أرضها إذ وقعت في حفرة فماتت"، ولذلك صارت حكايتها مثلاً من أمثال العرب: فيقولون إذا دَعُوا: كعمى أروى، وكان أهل المدينة يقولون: عماه الله تعالى كعمى أروى، يريدون هذه القصة الواقعية، التي تبين كرامة أولياء الله تعالى وأحباب رسوله صلى الله عليه وسلم، وتحدد العقاب الذي يلحق بكل من يتهم المسلمين ويتجنى عليهم ويجحد فضلهم.

المضامين الدعوية

أولاً: من موضوعات الدعوة: التحذير من الادعاء والافتراء على المؤمنين.

ثانيًا: من مصادر الدعوة: السنة النبوية.

ثالثًا: من موضوعات الدعوة: الترهيب والتحذير من الظلم.

رابعًا: من موضوعات الدعوة: فضل وكرامة سعيد بن زيد رضي الله عنه.

أولاً- من موضوعات الدعوة: التحذير من الادعاء والافتراء على المؤمنين:

هذا ما يستفاد في الحديث من قول الراوي إن سعيد بن زيد بن عمرو بن نفيل رضي الله عنه خاصمته أروى بنت أوس إلى مروان بن الحكم، وادعت أنه أخذ شيئًا من أرضها. "والافتراء: هو العظيم من الكذب، ومعنى افترى: افتعل واختلق ما لا يصح أن يكون، وهذا أعم مما لا يجوز أن يقال ومالا يجوز أن يفعل. وإذا كان بحضرة المقول فيه: سمى بهتانًا"[١]. وقال ابن حجر: (قال ابن بطال: الافتراء الكذب العظيم الذي يتعجب منه)[٢]، وقد توعد الحق تبارك وتعالى لمن انتهج ذلك فقال: ﴿وَقَدْ خَابَ مَنِ ٱفْتَرَىٰ﴾[٣]، وقد ذم النبي صلى الله عليه وسلم الافتراء ورهب منه، وأمر بالبعد عنه، "فعن عبادة بن الصامت رضي الله عنه - وكان شهد بدرًا- وهو أحد النقباء ليلة العقبة، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال وحوله عصابة من أصحابه: "بايعوني على أن لا تشركوا بالله شيئًا ولا تسرقوا، ولا تزنوا، ولا تقتلوا أولادكم، ولا تأتوا ببهتان تفترونه بين أيديكم وأرجلكم، ولا تعصوا في معروف، فمن وفى منكم فأجره على الله، ومن أصاب من ذلك شيئًا فعوقب في الدنيا فهو كفارة له، ومن أصاب من ذلك شيئًا ثم ستره الله فهو إلى الله: إن شاء عفا عنه، وإن شاء عاقبه"، فبايعناه على ذلك)[٤].

قال ابن حجر: (في قوله صلى الله عليه وسلم "ولا تأتوا ببهتان"، "البهتان الكذب الذي يبهت سامعه، وخص الأيدي والأرجل بالافتراء لأن معظم الأفعال تقع بهما...، ويحتمل أن يكون المراد بما بين الأيدي والأرجل، القلب، لأنه هو الذي يترجم اللسان عنه، فلذلك نسب إليه الافتراء، كأن المعنى: لا ترموا أحدًا بكذب تزوّرُونه في أنفسكم ثم تبهتون صاحبه بألسنتكم)[٥].

---

(١) الكليات، للكفوي، ١٥٤.

(٢) فتح الباري ٤٤٩/١٢.

(٣) سورة طه، آية: ٦١.

(٤) أخرجه البخاري ١٨، ومسلم ١٧٠٩.

(٥) فتح الباري ٨٣/١.

ثانيًا- من مصادر الدعوة: السنة النبوية:

هذا ما يستفاد من الحديث من قول سعيد بن زيد ﷺ: "أنا كنت آخذ من أرضها شيئًا بعد الذي سمعت من رسول الله ﷺ؟ قال: -أي مروان- وما سمعت من رسول الله ﷺ قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول ... إلخ"، (والسنة النبوية هي كل ما أثر عن الرسول ﷺ من قول أو فعل أو تقرير أو صفة خِلقية أو خُلقية. وهي المصدر الثاني للداعية بعد القرآن الكريم وهي شارحة القرآن ومبينة له، ومفصلة لما أجمل منه، كما أنها قصة كفاح وخلاصة تجارب لأعظم داعية وأكرم عقل في الوجود، كما أنها نفحات قدسية وتوجيهات ربانية وتجليات إلهية لفهم القرآن، وتوجيهه في الحياة ليعمل عمله، في آلاء الكون، وسنن الاجتماع، وعلل النفوس، ومشكلات الحياة، وضروب الإصلاح، وسياسة الأمم ورسم الطريق المستقيم)[١].

ثالثًا- من موضوعات الدعوة: الترهيب والتحذير من الظلم:

هذا ما أشار إليه الحديث في قوله ﷺ: من أخذ شبرًا من الأرض ظلمًا، طوقه إلى سبع أرضين"، وفي رواية قال ﷺ: من اقتطع شبرًا من الأرض ظلمًا، طوقه الله إياه يوم القيامة من سبع أرضين"[٢]، قال النووي: (قال القاضي:... وأما التطويق المذكور في الحديث فقالوا: يحتمل أن معناه أنه يحمل مثله من سبع أرضين ويكلف إطاقه ذلك، ويحتمل أن يكون يجعل له كالطوق في عنقه، كما قال سبحانه وتعالى: ﴿سَيُطَوَّقُونَ مَا بَخِلُوا بِهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ﴾[٣]، وقيل معناه: أنه يطوق إثم ذلك ويلزمه كلزوم الطوق بعنقه، وعلى تقدير التطويق في عنقه، يطول الله تعالى عنقه، كما جاء في غلظ جلد الكافر، وعظم ضرسه، وفي هذه الأحاديث تحريم الظلم وتحريم الغصب وتغليظ عقوبته)[٤].

---

(١) الخطابة وإعداد الخطيب، د. توفيق الواعي، ١٢٣٧.

(٢) أخرجه البخاري ٢٤٥٢، مسلم ١٦١٠.

(٣) سورة آل عمران، آية: ١٨٠.

(٤) شرح صحيح مسلم ١٠٢١-١٠٢٢.

وقد حذر ورّهب النبي ﷺ من الظلم، وغَصْب الأرض ونحو ذلك، فقال: ((الظلم ظلمات يوم القيامة))[١]، وبين ﷺ أن للمظلوم في ذلك دعوة لا ترد، فعن ابن عباس رضي الله عنهما أن النبي ﷺ بعث معاذًا إلى اليمن، فقال: ((اتق دعوة المظلوم، فإنها ليست بينها وبين الله حجاب))[٢]. وقد حث النبي ﷺ على التحلل من الظلم ونحوه في الدنيا قبل الآخرة فقال: ((مَنْ كَانَتْ لَهُ مَظْلَمَةٌ لأَحَدٍ مِنْ عِرْضِهِ أَوْ شَيْءٍ فَلْيَتَحَلَّلْهُ مِنْهُ الْيَوْمَ، قَبْلَ أَنْ لاَ يَكُونَ دِينَارٌ وَلاَ دِرْهَمٌ، إِنْ كَانَ لَهُ عَمَلٌ صَالِحٌ أُخِذَ مِنْهُ بِقَدْرِ مَظْلَمَتِهِ، وَإِنْ لَمْ تَكُنْ لَهُ حَسَنَاتٌ أُخِذَ مِنْ سَيِّئَاتِ صَاحِبِهِ فَحُمِلَ عَلَيْهِ))[٣].

قال ابن حجر: (وقوله ﷺ: "من كانت له مظلمة لأخيه" اللام في قوله "له" بمعنى على، أي من كانت عليه مظلمة لأخيه، وقوله ﷺ: "من عرضه أو شيء" أي من الأشياء، وهو عطف العام على الخاص، فيدخل فيه المال بأصنافه والجراحات حتى اللطمة ونحوها، وقوله ﷺ: "قبل أن لا يكون دينار ولا درهم" يوم القيامة.

وقوله ﷺ: (أخذ من سيئات صاحبه) أي صاحب المظلمة (فحمل عليه) أي على الظالم، وفي رواية مالك "فطرحت عليه"، وهذا الحديث قد أخرج مسلم معناه من وجه آخر، وهو أوضح سياقا من هذا ولفظه: "المفلس من أمتي من يأتي يوم القيامة بصلاة وصيام وزكاة، ويأتي وقد شتم هذا، وسفك دم هذا وأكل مال هذا، فيعطي هذا من حسناته وهذا من حسناته، فإن فنيت حسناته قبل أن يقضي ما عليه أخذ من خطاياهم فطرحت عليه وطرح في النار)[٤]، ولا تعارض بين هذا وبين قوله تعالى: ﴿وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ﴾[٥]، لأنه إنما يعاقب بسبب فعله وظلمه، ولم يعاقب بغير جناية منه بل بجنايته، فقوبلت الحسنات بالسيئات على ما اقتضاه عدل الله تعالى في عباده[٦].

---

(١) أخرجه البخاري ٢٤٤٧.

(٢) أخرجه البخاري ٢٤٤٨.

(٣) أخرجه البخاري ٢٤٤٩.

(٤) أخرجه مسلم ٦٥٧٩.

(٥) سورة الزمر، آية: ٧.

(٦) فتح الباري ١٢٢/٥.

فعلى المرء أن يجتنب المظالم، وأن يسعى في ردها إلى أصحابها، حتى يتسنى له النجاة يوم القيامة، من ظلم مظلمته وسوء غائلته.

رابعًا- من موضوعات الدعوة: فضل وكرامة سعيد بن زيد رضي الله عنه:

الكرامة أمر خارق للعادة يظهره الله على يد ولي[1]. وهذا ما ظهر في الحديث من قول سعيد رضي الله عنه: اللهم إن كانت كاذبة فأعم بصرها، واقتلها في أرضها، قال الراوي: فما ماتت حتى ذهب بصرُها، وبينما هى تمشي في أرضها إذا وقعت في حفرة فماتت، وفي رواية مسلم قال الراويك وأنه رآها عمياء تلتمس الجُدُر تقول: أصابتني دعوة سعيد، وإنها مرت على بئر في الدار التي خاصمَتْه فيها، فوقعت فيها، وكانت قبرها.

"وسعيد بن زيد رضي الله عنه أحد العشرة المشهود لهم بالجنة، ومن السابقين الأولين البدريين، ومن الذين رضي الله عنهم ورضوا عنه"[2]، وهو القائل رضي الله عنه: ((أَشْهَدُ عَلَى التِّسْعَةِ أَنَّهُمْ فِي الجنَّةِ وَلَوْ شَهِدْتُ عَلَى العَاشِرِ لَمْ آثَمْ. قِيلَ وَكَيْفَ ذَلِكَ؟ قَالَ كُنَّا مَعَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ بِحِرَاءَ فقالَ اثْبُتْ حِرَاءُ فإنَّهُ لَيْسَ عَلَيْكَ إلاَّ نَبِيٌّ أَوْ صدِّيقٌ أَوْ شَهِيدٌ، قِيلَ وَمَنْ هُمْ؟ قَالَ: رَسُولُ اللَّهِ ﷺ وَأَبُو بَكْرٍ وعُمَرُ وَعُثْمَانُ وَعلِيٌّ وَطَلْحَةُ والزُّبَيْرُ وَسعْدٌ وَعبْدُ الرَّحْمنِ بنُ عَوْفٍ، قِيلَ فَمَنِ العَاشِرُ قالَ أَنَا))[3]. وقد أجاب الله تعالى دعائه كرامة له في قوله من الحديث: "اللهم إن كانت كاذبة فأعم بصرها، واقتلها في أرضها" قال ابن عثيمين: (فما كان لهذه المرأة إلا أن أعماها الله عز وجل قبل أن تموت، وبينما هى تمشي في أرضها ذات يوم إذ سقطت في بئر فماتت، فكانت البئر قبرها، في نفس الأرض التي كانت تخاصم سعيد بن زيد رضي الله عنه فيها، وهذا من كرامة الله عز وجل لسعيد بن زيد أن الله أجاب دعوته وشاهدها حيًا قبل أن يموت)[4].

---

(١) تيسير العزيز الحميد في شرح كتاب التوحيد لسليمان بن عبدالله بن محمد بن عبدالوهاب، ٣٦١/١، ط مكتبة الرياض الحديثة.

(٢) سير أعلام النبلاء، الذهبي، ١٢٤/١

(٣) أخرجه الترمذي ٣٧٥٧، وصححه الألباني (صحيح سنن الترمذي ٢٩٥٥).

(٤) انظر: شرح رياض الصالحين ١٥٨٤/٢.

الحديث رقم (١٥٠٩)

١٥٠٩- وعن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما ، قَالَ: لَمَّا حَضَرَتْ أُحُدٌ دعَانِي أَبِي من اللَّيلِ فَقَالَ: مَا أُرَانِي إلاَّ مَقْتُولاً فِي أوْلِ مَنْ يُقْتَلُ من أصْحَابِ النَّبيِّ ﷺ ، وإنِّي لا أَتْرُكُ بَعْدِي أَعَزَّ عَلَيَّ مِنْكَ غَيْرَ نَفْسِ رسول الله ﷺ ، وإنَّ عَلَيَّ دَيْنًا فَاقْضِ، وَاسْتَوْصِ بِأَخَوَاتِكَ خَيْرًا ، فَأَصْبَحْنَا ، فَكَانَ أَوَّلَ قَتِيلٍ، وَدَفَنْتُ مَعَهُ آخَرَ فِي قَبْرِهِ، ثُمَّ لَمْ تَطِبْ نَفْسِي أنْ أتْرُكَهُ مَعَ آخَرَ، فَاسْتَخْرَجْتُهُ بَعْدَ سِتَّةِ أشْهُرٍ، فإذا هُوَ كَيَوْمِ وَضَعْتُهُ غَيْرَ أُذنِهِ (فَجَعَلْتُهُ فِي قَبْرٍ عَلَى حِدَةٍ) [١]. رواه البخاريُّ[٢].

ترجمة الراوي:

جابر بن عبدالله الأنصاري: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (٤).

غريب الألفاظ:

أُحُد: الجبل الذي كانت عنده غزوة أحد التي وقعت ٣هـ[٣].

ما أراني: بضم الهمزة بمعنى الظن[٤].

على حِدةٍ: بمفردي، والحدة بمعنى التوحد[٥].

الشرح الأدبي

إن هذا الحديث صفحة مشرقة ناصعة من سجل الشهداء المُفْعَم بالبطولات والكرامات، والمفاخر والانتصارات، وهذه الصفحة يروي أحداثها الصحابي الجليل جابر بن عبدالله رضي الله عنهما ، حيث يحكي عن أبيه قصته هذه الكرامة الحقيقية التي مَنَّ الله تعالى عليه بها في غزوة أحد، وهذه القصة تتماوج أحداثها، وتتألق مشاهدها،

(١) هذه الزيادة عند البخاري برقم (١٣٥٢).

(٢) برقم (١٣٥١).

(٣) أطلس الحديث النبوي ٢٣، أطلس السيرة النبوية ١١٩، معجم لغة الفقهاء ٤٢٠.

(٤) فتح الباري ٣/٢٥٦.

(٥) انظر: القاموس المحيط في (و ح د).

وتفيض بكثير من جماليات الأسلوب، وأسرار التعبير، ولنتأمل قوله: "دعاني أبي من الليل"، والمراد في الليل أو في جزء من الليل لأن "من" إما أن تكون بمعنى في أو تكون للتبعيض؛ وأسلوب القصر في قوله: "ما أراني إلا مقتولاً في أول من يقتل": يكشف عن النية الصادقة والرغبة في الاستشهاد، والإقدام على القتال والدفاع عن الإسلام.

وقد تحقق لعبدالله رضي الله عنه ما أراد: وصدق حدْسُه، فكان أول قتيل، وفي قوله: "من أصحاب رسول الله ﷺ"، بيان بعد الإيهام في قوله: "في أول من يقتل"، وهذا البيان يوحي بأن هذا الشهيد يشعر بالشرف في استشهاده مع أصحاب رسول الله ﷺ الذين يدافعون عن راية الإسلام، ويوحي كذلك بأنه يبعد عن نفسه أي شبهة تلحقه بالفريق الآخر من المشركين والمنافقين.

ولنتأمل ما يوحي به أسلوب القصر من شدة المحبة لرسول الله ﷺ قبل محبة الابن، وهذه المحبة هي التي تدفعه إلى التضحية والاستشهاد في سبيل الله تعالى؛ حيث قال لابنه: وإني لا أترك بعدي أعز عليّ منك غيَر نَفْسِ رسول الله ﷺ، والقصر هنا طريقه النفي، "لا" والاستثناء "غير".

وتكرار التأكيد، في قوله: "وإني لا أترك"، و"إن عليّ دَينًا"، يرشد إلى حرص هذا الصحابي الشهيد على تأكيد محبته لرسول الله ﷺ، وحرصه كذلك على أن يموت وليس عليه دين لأحد، وأن يستوصي ابنه بأخواته خيرًا، وهذه الوصية التي تكرر فيها فعل الأمر مرتين، "فاقض واستوص بأخواتك خيرًا"، توحي بأن الرجل مُقدم على الاستشهاد وفي شجاعة وحب للإسلام، وشوق للقاء الله عز وجل، حيث الجزاء الأوفى.

والعطف بـ"الفاء" في قوله: "فأصبحنا فكان أول قتيل": يدل على سرعة الحركة، وسرعة المبادرة إلى القتال، والاستشهاد، وتتحقق الكرامة، ويتجلى الفضل، وتصدق النية.

والعطف بـ"ثم" في قوله: "ثم لم تطب نفسي" يوحي باتساع المدة الزمنية، حيث مرت ستةُ أشهر، وظهرت كرامة أخرى، وهي أن جسده وجد كيوم وضع في القبر غير أذنه، والعطف بالفاء في قوله: "فاستخرجته، فإذا هو، فجعلته في قبره يدل على تتابع

الأحداث، والإسراع في نقل جثمان الشهيد ودفنه عملاً بالسنة النبوية الشريفة، واتباعًا لتعاليم الإسلام في وجوب الإسراع في دفن الميت، والشهداء أحياء عند ربهم يرزقون، وهو فرحون بما أتاهم الله تعالى من فضله.

المضامين الدعوية

أولاً: من تاريخ الدعوة: غزوة أحد.

ثانيًا: من موضوعات الدعوة: فضل وكرامة عبدالله، والد جابر رضي الله عنهما.

ثالثًا: من موضوعات الدعوة: حرص أصحاب رسول الله ﷺ على الشهادة في سبيل الله.

رابعًا: من موضوعات الدعوة: أهمية قضاء الدَيْن عن الميت والشهيد.

أولاً- من تاريخ الدعوة: غزوة أحد:

هذا ما يستفاد في الحديث من قول جابر بن عبدالله رضي الله عنهما: لما حضَرْت أحدٌ دعاني أبي من الليل، "وقد كانت وقعة أحد في شوال سنة ثلاث من الهجرة، وكان سببها أن المشركين حين قتل من قتل من أشرافهم يوم بدر، ورجع قَفَلُهُم إلى مكة قال أبناء من قتل، ورؤساء من بقي: يا معشر قريش، إن محمدًا قد وَتَرَكم، وقتل خياركم فأعينونا بهذا المال على حربه فلعلنا ندرك منه ثأرنا بمن أصاب منا، ففعلوا، وخرجت قريش بحدّها وحديدها وأحابيشها في قريب من ثلاثة الآف، حتى نزلوا قريبًا من أحد تلقاء المدينة"[1]، "واستشار رسول الله ﷺ الناس، أيخرج إليهم أم يمكث بالمدينة؟ فأشار عبدالله بن أبيّ بالمُقَام بالمدينة، وأشار آخرون من الصحابة رضي الله عنهم ممن لم يشهد بدرًا بالخروج إليهم فنزل رسول الله ﷺ على رأيهم، وسار ﷺ في ألف من أصحابه، فلما كان "بالشوط"[2] رجع عبدالله بن أبي في ثلث الجيش مغضبًا لكونه لم يُرْجَع إلى قوله، وتهيأ رسول الله ﷺ للقتال وهو في سبعمائة من أصحابه، والرماه

---

(١) انظر: السيرة النبوية، ابن هشام، (٣/٢٤، ٢٣).

(٢) وهو اسم حائط من بساتين المدينة، النهاية في غريب الحديث والأثر، ابن الأثير، ٤٩٥.

يومئذ خمسون رجلاً"[١]، فقال لهم رسول الله ﷺ: ((انضحوا الخيل عنا ولا نؤتين من قبلكم والزموا مكانكم، إن كانت النوبة لنا أو علينا، وإن رأيتمونا تخطفنا الطير فلا تبرحوا مكانكم))[٢]. فلاح النصر للمسلمين وتخلف الرماة عن أمر النبي ﷺ، فانتهز خالد بن الوليد رضي الله عنه - قبل إسلامه - الموقف، وحقق التفافًا جعل المسلمين في موقف حرج، واستشهد حمزة، ومصعب بن عمير رضي الله عنهما. وقد استشهد من المسلمين يوم أحد سبعون شهيدًا"، ولكن على الرغم من الانتصار العسكري لقريش إلا أنها لم تستطع استئصال المسلمين، ولم يتحقق لها فتح طريق تجارة مكة.

ثانيًا- من موضوعات الدعوة: فضل وكرامة عبدالله، والد جابر رضي الله عنهما:

هذا ما أشار إليه الحديث من قول جابر بن عبدالله رضي الله عنهما: لما حضرت أحد دعاني أبي من الليل فقال: ما أراني إلا مقتولاً في أول من يقتل من أصحاب النبي ﷺ...، فكان أول قتيل؛ ودفنت معه آخر في قبره ثم لم تطب نفسي أن أتركه مع آخر، فاستخرجته بعد ستة أشهر، فإذا هو كيوم وضعته غير أذنه، فجعلته في قبر على حدة، قال ابن حجر: في بيان قوله ﷺ: "ما أُراني" "بضم الهمزة"، بمعنى الظن، "وذكر الحاكم في المستدرك" عن الواقدي أن سبب ظنه ذلك منام رآه أنه رأى مبشر بن عبدالمنذر -وكان ممن استشهد ببدر- يقول له: أنت قادم علينا في هذه الأيام، فقصها على النبي ﷺ فقال: هذه الشهادة"[٣]...)[٤]، وقال ابن حجر: (وفي الحديث كرامة لعبد الله رضي الله عنه وذلك بوقوع الأمر على ما ظن، وكرامته بكون الأرض لم تُبْلِ جسده مع لبثه فيها)[٥]، وقال ابن عثيمين: (وفي الحديث كرامة لأبي جابر وهو عبدالله بن حرام أنه رضي الله عنه صدق الله رؤياه، فصار أول قتيل في أحد، دفن ولم تأكل الأرض منه شيئًا إلا يسيرًا، وقد مضى عليه ستة أشهر وهذا من كراماته، واعلم أن الإنسان إذا

---

(١) البداية والنهاية، ابن كثير، ٢٣٨/٥.

(٢) أخرجه ابن إسحاق كما في سيرة ابن هشام، ٢٩/٣، بدون إسناد.

(٣) المستدرك على الصحيحين ٤٩٦٨، قال محقق المستدرك: قال الذهبي: بإسناده مظلم، انتهى.

(٤) فتح الباري ٢٥٦/٣.

(٥) انظر: فتح الباري ٢٥٨/٣.

دفن فإن الأرض تأكله "لا يبقى إلا عَجَبُ الذنب)[١]، قال النووي أي: (العظيم اللطيف في أسفل الصلب وهو: رأس العصعص... وهو أول ما يخلق من الآدمي، وهو: الذي يبقى منه ليعاد تركيب الخلق عليه)[٢]. (إلا الأنبياء - عليهم الصلاة والسلام - فإن الأرض لا تأكلهم، كما قال النبي ﷺ: "... إن الله حرم على الأرض أن تأكل أجساد الأنبياء)[٣]، أما غير الأنبياء، فإن الأرض تأكل أجسادهم، ولكن قد يمنع الله الأرض أن تأكل أحدًا كرامة له)[٤]، وهذا ما كان لعبدالله بن حرام رضي الله عنه.

ثالثًا- من موضوعات الدعوة: حرص أصحاب رسول الله ﷺ على الشهادة في سبيل الله:

هذا ما أشار إليه الحديث من قول جابر بن عبدالله رضي الله عنهما. "لما حَضَرَتُ أحدٌ دعاني أبي من الليل فقال: ما أراني إلا مقتولاً في أول من يقتل من أصحاب النبي ﷺ"، قال ابن حجر نقلاً عن ابن التين في قوله " ما أُرَاني"[٥] إنما قال ذلك بناء على ما كان عزم عليه، وفي ذلك بيان على حرصه رضي الله عنه على الشهادة في سبيل الله، وقد كان ذلك نهجًا وطريقًا لأصحاب رسول الله ﷺ، وليس أدل على ذلك من حرصهم رضي الله عنهم على الشهادة في نَهَاوَنْد، فبعد أن أرسل عمر بن الخطاب رضي الله عنه جيش المسلمين إلى نهاوند وقد أمَّرَ عليهم النعمان بن مُقرِّن المزني، أرسل إليهم بنذاذقان العلج - وهو رأس فارس وقائدهم والعلج هو الرجل من كفار العجم- أن أرسلوا إلينا يامعشر العرب رجلاً منكم نكلمه، فاختار الناس المغيرة بن شعبة رضي الله عنه، فأغلظ له بنذاذقان القول، فقال له المغيرة رضي الله عنه بعد أن حمد الله وأثنى عليه: "واللهِ ما أَخْطَأْتَ مِنْ صِفَتِنا ونَعْتِنا شيئًا، إنْ كُنَّا لأَبْعَدَ الناسِ دارًا، وأَشَدَّ الناسِ جُوعًا، وأعظمَ الناسِ شَقَاءً، وأبعدَ الناس مِنْ كُلِّ خَيْرٍ، حتى بَعَثَ اللهُ إلينا رسولا، فَوَعَدَنا النَّصْرَ في الدُّنْيَا والجَنَّةَ في الآخرةِ، فَلَمْ نَزَلْ نتعرفُ من رَبِّنَا مُذْ جَاءَنا رسولُه، الفَلْجَ

(١) أخرجه مسلم ٢٩٥٥.

(٢) شرح صحيح مسلم ١٧٠٦.

(٣) ابن ماجه ١٠٨٥، صححه الألباني (صحيح سنن ابن ماجه٨٨٩).

(٤) شرح رياض الصالحين ١٥٨٥/٢، ١٥٨٦.

(٥) فتح الباري ٢٥٦/٣.

- أي: الظفر والفوز- والنصرَ حتى أتيناكُمْ، وإنَّا واللَّهِ نَرَى لكُمْ مُلْكًا وعَيْشًا، لا نَرْجِعُ إلى ذَلِكَ الشقاءِ أَبَدًا، حتى نَغْلِبَكُمْ على ما في أَيْدِيكُمْ أو نُقْتَلَ في أَرْضِكُمْ"، وبعد أن تجيش جيش الإسلام عابرًا إلى نهاوند قال النعمان: اللهم إني أسألك أن تقر عيني اليوم بفتح يكون فيه عز الإسلام وأهله، وذل الكفر وأهله، ثم اختم لي على إثر ذلك بالشهادة، وقد استجاب الله للنعمان ففتحت نهاوند، واستشهد النعمان، فبلغ ذلك عمر بن الخطاب رضي الله عنه، فبكى واسترجع وقال: لمن أخبره بذلك. ومن ويحك؟ فقال: فلان وفلان وفلان، حتى عد ناسًا، ثم قال: وآخرين يا أمير المؤمنين: لا تعرفهم - يقصد بذلك من كتب الله لهم الشهادة- فقال عمر رضوان الله عليه وهو يبكي: لا يضرهم أن لا يعرفهم عمر لكن الله يعرفهم [1]، وفي ذلك بيان عظيم على حرص الصحابة رضي الله عنهم على بذل أنفسهم في سبيل الله وطلبهم للشهادة.

رابعًا- من موضوعات الدعوة: أهمية قضاء الدين عن الميت والشهيد:

هذا ما أشار إليه الحديث من قول عبدالله لابنه جابر رضي الله عنهما: وإنّ على دينًا فاقضِ، وقد أكد النبي صلى الله عليه وسلم على أهمية وضرورة قضاء الدين عن الميت والشهيد، فقال: "القتل في سبيل الله يكفر كل شيء إلا الدَيْن"[2]، وعن أبي قتادة، "أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قام فيهم فذكر لهم أن الجهاد في سبيل الله والإيمان بالله أفضل الأعمال، فقام رجل فقال: يا رسول الله! أرأيت إن قتلت في سبيل الله تكفر عني خطاياي؟ فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم: نعم، إن قتلت في سبيل الله، وأنت صابر محتسب مقبل غير مدبر إلا الدَيْن، فإن جبريل عليه السلام، قال لي ذلك"[3]، قال النووي في قوله صلى الله عليه وسلم "إلا الدين" "ففيه تنبيه على جميع حقوق الآدميين وأن الجهاد والشهادة وغيرهما من أعمال البر لا يكفر حقوق الآدميين، وإنما يكفر حقوق الله"[4].

---

(١) انظر: صحيح ابن حبان ٤٧٥٦، وقال محققو الصحيح إسناده قوي.

(٢) أخرجه مسلم ١٨٨٦.

(٣) أخرجه مسلم 5١٨٨.

(٤) شرح صحيح مسلم ١٢١١.

الحديث رقم (١٥١٠)

١٥١٠- وعن أنس رضي الله عنه: أنَّ رجلين مِنْ أصحاب النَّبيِّ صلى الله عليه وسلم، خَرَجَا مِنْ عِنْدِ النَّبيِّ صلى الله عليه وسلم، فِي لَيْلَةٍ مُظْلِمَةٍ وَمَعَهُمَا مِثْلُ الِمصْبَاحَيْنِ بَيْنَ أَيْديهِمَا. فَلَمَّا افْتَرَقَا، صَارَ مَعَ كُلِّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا وَاحِدٌ حَتَّى أتَى أهْلَهُ[1].

رواهُ البُخاريُّ مِنْ طُرُقٍ[2]؛ وفي بَعْضِهَا[3]: أنَّ الرَّجُلَيْنِ أُسَيْدُ بنُ حُضير، وَعَبّادُ بنُ بِشْرٍ رضي الله عنهما[4].

ترجمة الراوي:

أنس بن مالك: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (٤).

الشرح الأدبي

يقول رسول الله صلى الله عليه وسلم: "أصحابي كالنجوم" في الهداية، بأيهم اقتديتم اهتديتم، وهذا الحديث الشريف برهان ساطع، ودليل قاطع على أفضلية الصحابة الأخيار، الكرام الأطهار، فنورهم يسعى بين أيديهم، وكما أضاء الله تعالى قلوبهم بأنوار الإيمان، أضاء لهم ظلمات الليل ببصيرة العرفان، وعطاء الرحيم الرحمان، وبفضل حبهم للمصطفى العدنان صلى الله عليه وسلم.

والحديث يبدأ بتأكيد خبر هذه الكرامة، وذلك الفضل الكبير، حيث يؤكد أنس روايته في قوله: "أن رجلين"، والرجلان هما أسيد بن حضير، وعباد بن بشر، ولم يحدد في هذه الرواية لتعميم الفضل، وللإيحاء بأن أي رجلين من صحابة النبي صلى الله عليه وسلم

---

(١) أخرجه البخاري (٤٦٥).

(٢) أرقامها: (٤٦٥)، و (٣٦٣٩)، و (٣٨٠٥).

(٣) قال البخاري عقب الحديث رقم (٣٨٠٥): وقال معمر، عن ثابت، عن أنس، إنَّ أسيد بن حُضير ورجلًا من الأنصار. وقال حمّاد: أخبرنا ثابت، عن أنس: كان أسيد بن حُضير وعبّاد بن بشر عند النبي صلى الله عليه وسلم.

(٤) بل أكّد أنهما أسيد بن حُضير وعبّاد بن بشر، حيث ترجم للحديث بقوله: (باب: منقبة أسيد بن حضير وعبّاد بن بشر).

سينعمان بهذا الفضل، وذلك التكريم لأنهم كلهم، كالنجوم في الهداية، ولذلك زاد الأمر تأكيدًا بهذا البيان الذي حدد نوعية الرجلين، فهما من أصحاب النبي ﷺ، والأمر يزداد تأكيدًا، وفضلاً حين يحدد الراوي أنهما اكتسبا ذلك النور الحسي الذي أضاء لهما ظلمات الليل، وكأن في يد كل منهما مصباح، هذا النور اكتسباه لأنهما صحابيان، ولأنهما خرجا من عند النبي ﷺ، وتحديد الوقت الذي خرجا فيه، وطبيعته وهو في ليلة مظلمة يوحي بشدة إكرام الله تعالى لهذين الرجلين، وإسناد الإظلام إلى الليلة مجاز عقلي، لأن الليلة ذات ظلمة، وهي لا تظلم بنفسها، وجملة "ومعهما مثل المصباحين بين أيديهما"، في موقع الحال، فهي تصور هذين الصحابين حالة خروجهما من عند رسول الله ﷺ، والظلام دامس، ولكن الله تعالى أكرمهما بأن جعل النور يشع بين أيديهما.

وتكتمل مشاهد هذه القصة حينما يفترقان، لم ينقطع النور، ولم يستأثر به أحدهما دون الآخر.

ولكن صار مع كل واحد منهما مثل المصباح، والتعبير بقوله: "مع كل واحد منهما" يفيد التحديد والتخصيص، وقوله: "واحد"، أي مصباح، إشارة إلى أن هذا النور من كرم الله تعالى، وعطائه، وفيوضاته، فالله ولي الذين آمنوا يخرجهم من الظلمات إلى النور، والتعبير بقوله: "حتى أتى أهله"، يفيد الغائية. ويوحي بطول المسافة واتساع المساحة الزمنية، وفيه كذلك كناية عن السلامة والوصول والأمن والأمان، وبأن هذا النور الإلهي كان من أسباب حفظهما من شرور الظلام، وقِطَع الليل المظلم.

المضامين الدعوية

أولاً: من أساليب الدعوة: التوكيد.

ثانيًا: من موضوعات الدعوة: فضل وكرامة أسيد بن حضير، وعباد بن بشر رضي الله عنهما.

ثالثًا: من موضوعات الدعوة: بيان أن مبنى الكرامات على الإيمان والتقوى.

أولاً- من أساليب الدعوة: التوكيد:

قد ورد التوكيد كأسلوب دعوي في الحديث من قول أنس رضي الله عنه مؤكدًا كرامة

اثنين من أصحاب النبي ﷺ في خروجهم من عنده ﷺ في ليلة مظلمة ومعهما مثل المصباحين بين أيديهما، والتوكيد من الأساليب الدعوية الهامة التي تعين الداعية على تقوية كلامه وإثبات ما يدعو إليه في أذهان المدعوين.

ثانيًا- من موضوعات الدعوة: فضل وكرامة أسيد بن حضير، وعباد بن بشر رضي الله عنهما:

هذا ما ورد في نص الحديث من قول أنس رضي الله عنه: إن رجلين من أصحاب النبي ﷺ، خرجا من عند النبي ﷺ في ليلة مظلمة ومعهما مثل المصباحين بين أيديهما... إلخ"

وفي رواية: أن الرجلين أسيد بن حضير وعباد بن بشر. قال ابن عثيمين: "...، وهو حديث الرجلين أسيد بن حضير، وعباد بن بشر رضي الله عنهما، كانا عند النبي ﷺ في ليلة مظلمة، وكان في ذات الوقت ليس في الأسواق أنوار، بل ولا في البيوت مصابيح، فخرجا من عند النبي ﷺ في تلك الليلة، الليلة المظلمة، فجعل الله تعالى بين أيديهما مثل المصابيح...، وليس هذا من فعلهما ولا بسبب منهما، ولكن الله تعالى خلق نورًا يسعى بين أيديهُما، حتى تفرقا وتفرق النور مع كل واحد منهم، حتى بلغا بيوتهما، وهذا كرامة الله عز وجل لهما"[(١)]، "والكرامة: الاسم من كَرُم، والجمع كرامات، وهى ما يكرم الرب تبارك وتعالى به عباده من أنواع الإفضالات، وهى عامة وخاصة. فالعامة هى ما كرّم الله به بني آدم، وفضلهم به على غيرهم من هذه المخلوقات الأرضية، ومن ذلك اعتدال القامة، والخلق في أحسن تقويم، والعقل والمنطق، وتدبير المعاش وإصلاحه،... قال تعالى: ﴿ وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِيٓ ءَادَمَ وَحَمَلْنَٰهُمْ فِي ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ وَرَزَقْنَٰهُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَفَضَّلْنَٰهُمْ عَلَىٰ كَثِيرٍ مِّمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا ﴾[(٢)]، والخاصة وهى أفضلهما: ما يكرم الله تعالى به بعض عباده من هدايتهم إلى الإيمان، وتوفيقهم إلى طاعته تعالى بفعل المأمورات، وترك المنهيات فهذه الاستقامة على الإيمان والطاعة من أعظم الكرامات...، وأخص من هذه الكرامات، كرامة الإيمان والاستقامة، ما يكرم الله

(١) شرح رياض الصالحين، ٢/١٥٨٦.

(٢) سورة الإسراء، آية: ٧٠.

تعالى به بعض عباده زيادة على الإيمان والتقوى، من الورع والتقلل من المباحات والإكثار من نوافل العبادات من صلاة، وصدقات، ورباط، وجهاد، وصيام، وحج، وهؤلاء هم الموصوفون بالمقربين والسابقين في قوله تعالى: ﴿وَٱلسَّٰبِقُونَ ٱلسَّٰبِقُونَ ۝ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلْمُقَرَّبُونَ ۝ فِي جَنَّٰتِ ٱلنَّعِيمِ ۝ ثُلَّةٌ مِّنَ ٱلْأَوَّلِينَ ۝ وَقَلِيلٌ مِّنَ ٱلْآخِرِينَ﴾[(١)]... فهؤلاء في أعلى مرتبة من مراتب الولاية، إذا يعرفون باستقامتهم، واستجابة ربهم لهم فيما يسألونه ويطلبون، فلو سألوه زوال جبل لزال، ولو أقسموا عليه تعالى لأبرهم، وهم الذين يظهر الله تعالى على أيديهم ببركة دعائهم خوارق العادات"[(٢)]. وهذا ما ظهر في الحديث من كرامة الله تعالى لأسيد بن حضير، وعباد بن شبر رضي الله عنهما، من جعل بين أيديهما مثل المصابيح.

ثالثًا- من موضوعات الدعوة: بيان أن مبنى الكرامات على الإيمان والتقوى:

هذا ما يستفاد من الحديث في ذكر صحابيين جليلين، هما أسيد بن حضير وعباد بن بشر رضي الله عنهما، فأما أسيد بن حضير رضي الله عنه فقد حظى بقول النبي ﷺ: "نعم الرجل أسيد بن حضير"[(٣)]،

"وكان من أحسن الناس صوتًا بالقرآن"[(٤)]، وقد قرأ من القرآن ليلة فإذا مثلُ الظُلَّة فيها أمثال المصابيح، فلما أخبر النبي ﷺ عن ذلك، قال له: "تلك الملائكة دنت لصوتك، ولو قرأتَ لأصبحَتْ ينظر الناس إليها، لا تتوارى منهم"[(٥)]، وأما عباد بن بشر فقد فاز بدعوة النبي ﷺ "اللهم اغفر له"[(٦)]، "وهو الذي قالت فيه عائشة رضي الله عنها ثلاثة من الأنصار لم يكن أحد يعتد عليهم فضلاً، كلهم من بني عبد الأشهل، سعد بن

---

(١) سورة الواقعة، الآيات: ١٠-١٤.

(٢) عقيدة المؤمن، أبو بكر الجزائري، ط٢، مكتبة الكليات الأزهرية، ١٣٩٨هـ/١٩٧٨م، ص ١٧٥.

(٣) أخرجه الترمذي ٣٧٩٥، وصححه الألباني (صحيح سنن الترمذي ٢٩٥٩).

(٤) سير أعلام النبلاء، الذهبي، ٣٤١/١.

(٥) أخرجه البخاري ٥٠١٨.

(٦) أخرجه البخاري ٢٦٥٥.

معاذ، وعباد بن بشر، وأسيد بن حضير"[١]. "فكرامات الأولياء لابد أن يكون سببها الإيمان والتقوى فما كان سببه الكفر والفسوق والعصيان فهو من خوارق أعداء الله لا من كرامات أولياء الله"[٢]، وهذا ما أكده ابن حجر في قوله: "إن الذي استقر عند العامة أن خرق العادة يدل على أن من وقع له ذلك من أولياء الله تعالى، وهو غلط ممن يقوله، فإن الخارق قد يظهر على يد المبطل من ساحر وكاهن وراهب، فيحتاج من يستدل بذلك على ولاية أولياء الله تعالى إلى فارق، وأولى ما ذكروه أن يختبر حال من وقع له ذلك فإن كان متمسكا بالأوامر الشرعية والنواهي كان ذلك علامة ولايته ومن لا فلا"[٣].

---

(١) أخرجه ابن إسحاق في المغازي كما في الإصابة، ٧٦/١ ط الزيني، ومن طريقه الحاكم في المستدرك ٢٢٩/٣، وإسناده حسن فقد صرح ابن إسحاق بالتحديث فانتفت شبه تدليسه.

(٢) الفرقان بين أولياء الرحمن وأولياء الشيطان، ابن تيمية، مطبعة معارف لاهور، باكستان، ١٣٩٧هـ/١٩٧٧م، ص ١٧٠.

(٣) فتح الباري ٤٤٣/٧.

الحديث رقم (١٥١١)

١٥١١- وعن أَبي هريرة رضي الله عنه قَالَ: بعث رسول الله ﷺ عَشْرَة رَهْطٍ عَيْنًا سَرِيَّة، وأمَّرَ عَلَيْهَا[١] عاصِمَ بنَ ثَابِتٍ الأَنْصَارِيَّ رضي الله عنه، فانْطلقوا حَتَّى إِذَا كَانُوا بالْهَدْأَةِ[٢]؛ بَيْنَ عُسْفَانَ وَمَكَّةَ؛ ذُكِرُوا لِحَيٍّ مِنْ هُذَيْل يُقَالُ لَهُمْ: بَنُو لحيان، فَنَفَرُوا لَهُمْ[٣] بِقَرِيبٍ مِنْ مِئَةِ[٤] رَجُلٍ رَامٍ، فَاقْتَصُّوا آثَارَهُمْ[٥]، فَلَمَّا أَحَسَّ بِهِمْ عَاصِمٌ وأصْحَابُهُ، لَجَأُوا إِلَى مَوْضِعٍ[٦]، فَأَحاطَ بِهِمُ القَوْمُ، فَقَالُوا: انْزِلُوا فَأَعْطُوا بِأيْدِيكُمْ وَلَكُمُ العَهْدُ وَالمِيثَاقُ أنْ لا نَقْتُلَ مِنْكُمْ أحَدًا. فَقَالَ عَاصِمُ بنُ ثَابِتٍ: أَيُّهَا القَوْمُ، أَمَّا أنا، فَلاَ أنْزِلُ عَلَى ذِمَّةِ كَافِرٍ: اللَّهُمَّ أَخْبِرْ عَنَّا نَبِيَّكَ ﷺ، فَرَمَوهُمْ بِالنَّبْلِ فَقَتَلُوا عَاصِمًا[٧]، وَنَزَلَ إِلَيْهِمْ ثَلاَثَةُ نَفَرٍ عَلَى العَهْدِ والمِيثاقِ، مِنْهُمْ خُبَيْبٌ، وَزَيدُ بنُ الدَّثِنَةِ وَرَجُلٌ آخَرُ. فَلَمَّا اسْتَمْكَنُوا مِنْهُمْ أطْلَقُوا أوْتَارَ قِسِيِّهِمْ، فَرَبطُوهُمْ بِهَا. قَالَ الرَّجُلُ الثَّالِثُ: هَذَا أوَّلُ الغَدْرِ واللهِ لا أصْحَبُكُمْ إنَّ لِي بِهؤُلاءِ أُسْوَةً، يُرِيدُ القَتْلَى، فَجَرُّوهُ[٨] وعَالَجُوهُ، فأبى أنْ يَصْحَبَهُمْ، فَقَتَلُوهُ، وانْطَلَقُوا بِخُبَيبٍ، وزَيْدِ بنِ الدَّثِنَةِ، حَتَّى بَاعُوهُمَا بِمَكَّةَ بَعْدَ وَقْعَةِ بَدْرٍ؛ فابْتَاعَ بَنُو الحارِثِ بن عامِرِ بنِ نَوْفَلِ بنِ عبدِ مَنَافٍ خُبيبًا، وكان خُبَيْبٌ هُوَ قَتَلَ الحَارِثَ يَوْمَ بَدْرٍ. فَلَبِثَ خُبَيْبٌ عِنْدَهُمْ أسيرًا حَتَّى أجْمَعُوا عَلَى قَتْلِهِ، فاسْتَعَارَ مِنْ بَعْضِ بَنَاتِ الحَارِثِ مُوسَى يَسْتَحِدُّ بِهَا فَأَعَارَتْهُ، فَدَرَجَ بُنَيٌّ لَهَا وَهِيَ غَافِلَةٌ حَتَّى أتَاهُ، فَوَجَدَتْهُ مُجْلِسَهُ عَلَى فَخْذِهِ وَالموسَى بِيَدِهِ، فَفَزِعَتْ فَزْعَةً عَرَفَهَا خُبَيْبٌ. فَقَالَ: أتَخْشَيْنَ أن أقْتُلَهُ مَا كُنْتُ لأَفْعَلَ ذَلِكَ! قالت: واللهِ مَا رَأيْتُ أسيرًا خَيرًا مِنْ خُبَيْبٍ، فواللهِ لَقَدْ وَجَدْتُهُ يَومًا يَأْكُلُ

---

(١) لفظ البخاري: (عليهم).

(٢) عند البخاري زيادة: (وهو). وهي لا توجد عند الحميدي في جمعه.

(٣) إلى هنا لفظ البخاري برقم (٣٠٤٥).

(٤) في رواية شعيب برقم (٣٠٤٥): (مئتي).

(٥) عند البخاري زيادة: (حتى وجدوا مأكلهم التمر في منزل نزلوه، فقال: تمر يثرب).

(٦) في رواية شعيب: (إلى فدفد).

(٧) في رواية شعيب: (في سبعة).

(٨) لفظ البخاري في هذه الرواية: (فجرروه).

قِطْفًا مِنْ عِنَبٍ فِي يَدِهِ وإِنَّهُ لَمُوثَقٌ بِالحَدِيدِ وَمَا بِمَكَّةَ مِنْ ثَمَرَةٍ، وَكَانَتْ تَقُولُ: إِنَّهُ لَرِزْقٌ رَزَقَهُ اللَّهُ خُبَيْبًا. فَلَمَّا خَرَجُوا بِهِ مِنَ الحَرَمِ لِيَقْتُلُوهُ فِي الحِلِّ، قَالَ لَهُمْ خُبَيْبٌ: دَعُونِي أُصَلِّي رَكْعَتَيْنِ، فَتَرَكُوهُ، فَرَكَعَ رَكْعَتَيْنِ فَقَالَ: واللَّهِ لَوْلاَ أَنْ تَحْسَبُوا أَنَّ مَا بِي جَزَعٌ لَزِدْتُ: اللَّهُمَّ أَحْصِهِمْ عَدَدًا، وَاقْتُلهُمْ بِدَدًا، وَلاَ تُبْقِ مِنْهُمْ أَحَدًا. وقال:

فَلَسْتُ أُبَالِي حِيْنَ أُقْتَلُ مُسْلِمًا عَلَى أيِّ جَنْبٍ كَانَ فِي اللهِ مَصْرَعِي

وَذَلِكَ فِي ذَاتِ الإِلَهِ وإنْ يَشَأْ يُبَارِكْ عَلَى أَوْصَالِ شِلْوٍ مُمَزَّعِ[1]

[2] وكان خُبَيبٌ هُوَ الذي سَنَّ لِكُلِّ مُسْلِمٍ قُتِلَ صَبْرًا الصَّلاَةَ. وأخْبَرَ -يعني: النبيّ ﷺ - أصْحَابَهُ يَوْمَ أُصِيبُوا خَبَرَهُمْ، وَبَعَثَ نَاسٌ مِنْ قُرَيْشٍ إِلَى عَاصِمِ بنِ ثَابتٍ حِيْنَ حُدِّثُوا أَنَّهُ قُتِلَ أن يُؤْتَوا بِشَيءٍ مِنْهُ يُعْرَفُ، وكَانَ قَتَلَ رَجُلاً مِنْ عُظَمَائِهِمْ، فَبَعَثَ اللَّه لِعَاصِمٍ مِثْلَ الظُّلَّةِ مِنَ الدَّبْرِ فَحَمَتْهُ مِنْ رُسُلِهِمْ، فَلَمْ يَقْدِروا أَنْ يَقْطَعُوا مِنْهُ شَيْئًا. رواه البخاريُّ[3].

وفي الباب أحاديث كثيرةٌ صَحيحةٌ سَبَقَتْ فِي مَوَاضِعِها مِنْ هَذَا الكِتَابِ.

مِنْهَا: حديثُ الغُلامِ الَّذِي كَانَ يأتِي الرَّاهِبَ والسَّاحِرَ[4].

ومنْها: حَدِيثُ جُرَيْجٍ[5].

وحديثُ أَصْحابِ الغَارِ الذين أطْبقَتْ عَلَيْهِم الصَّخْرَةُ[6].

وَحديثُ الرَّجُلِ الَّذِي سَمِعَ صَوْتًا فِي السَّحَابِ يَقُولُ: اسْقِ حَدِيقَةَ فُلاَنٍ[7].

وَغَيْرُ ذَلِكَ. وَالدلائِل فِي البابِ كثيرةٌ مشهُورةٌ، وباللهِ التَّوفيقِ.

---

(١) الإصابة ١٢٦٣/٢، وحلية الأولياء ١١٣/١، والمنتظم ٢٠٢/٣.

(٢) عند البخاري زيادة: (ثمّ قام إليه أبو سروعة عقبة بن الحارث فقتله).

(٣) برقم (٣٩٨٩) وبرقم (٣٠٨٦)، انظر: الجمع للحميدي (٢٥٣/٣، رقم ٢٥٥٤).

(٤) تقدم برقم (٣٠).

(٥) تقدم برقم (٢٥٩).

(٦) تقدم برقم (١٢).

(٧) تقدم برقم (٥٦١).

ترجمة الراوي:

أبو هريرة: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (٧).

غريب الألفاظ:

رهط: الرهط من الرجال ما دون العشرة وقيل إلى الأربعين ولا تكون فيهم امرأة ولا واحد له من لفظه[١].

سَرِيّة: السريّة: طائفة من الجيش يبلغ أقصاها أربعمائة تبعث إلى العدو[٢].

عُسفان: موضع بين الجحفة ومكة المكرمة[٣].

الهدأة: محل بين مكة وعسفان[٤].

نفروا لهم: خرجوا لقتالهم[٥].

فاقتصوا: تتبعوا آثارهم[٦].

آثارهم: الآثار جمع أثر وهو بمعنى العلامة، من أثر المشي على الأرض[٧].

فأعطوا بأيديكم: كناية عن الدخول في الطاعة[٨].

الذمة: العهد والأمان والضمان[٩].

أوتار قسيهم: جمع وَتَر وهو معلّق القوس[١٠].

وعالجوه: صارعوه[١١].

---

(١) النهاية في (ر هـ ط).

(٢) النهاية في (س ر ي).

(٣) ينظر: أطلس الحديث النبوي ٢٦٩.

(٤) ينظر دليل الفالحين ١٥٦٧.

(٥) النهاية في (ن ف ر).

(٦) النهاية في (ق ص ص).

(٧) النهاية والوسيط في (أ ث ر).

(٨) دليل الفالحين ١٥٦٧.

(٩) النهاية في (ع ل ج).

(١٠) المعجم الوسيط في (و ت ر).

(١١) النهاية في (ع ل ج).

بدر: غزوة بدر، هي الغزوة التي كانت بين المسلمين وقريش في رمضان ٢هـ[١].

يستحد: من الاستحداد وهو حلق العانة بالحديد[٢].

فدرجُ بنَيٌّ لها: مشى مشية الصاعد في الدَّرَج، بُنَيّ: ولد صغير تصغير ابن[٣].

قطفًا: عنقودًا، وهو اسم لكل ما يقطف[٤].

لموثق بالحديد: مأسور مشدود في الحديد[٥].

جَزَع: الجَزَع: الحزن والخوف[٦].

واقتلهم بِددًا: جمع بِدَّةٍ، وهي النصيب، ومعناه اقتلهم حصصًا منقسمة لكل واحد منهم نصيب، ومن فتح الباءَ قال: معناه: متفرقين في القتل واحدًا بعد واحد من التبديد[٧].

مصرعى: موتى[٨].

أوصال: أعضاء جمع وِصل[٩].

شِلْو: الشِلْو: القطعة من اللحم[١٠].

ممزع: مقطع[١١].

الظُلَّةُ: السحاب[١٢].

---

(١) أطلس الحديث النبوي ٦٥.

(٢) النهاية في (ح د د).

(٣) انظر القاموس المحيط في (د ر ج)، المعجم الوسيط في (ب ن و).

(٤) النهاية في (ق ط ف).

(٥) النهاية في (و ث ق).

(٦) النهاية في (ج ز ع).

(٧) رياض الصالحين، النووي ٥١٨.

(٨) دليل الفالحين ١٥٦٩.

(٩) النهاية في (و ص ل).

(١٠) النهاية في (ش ل و).

(١١) النهاية في (م ز ع).

(١٢) رياض الصالحين، النووي ٥١٨.

الدَّبر: النحل[١].

قُتِل صبرًا: أصل الصبر الحبس، والقتل صبرًا: أن يُمْسَك ويُحْبس شيءٌ من ذوات الأرواح حيًا ثم يرمي بشيء حتى يموت والمعنى أنهم حبسوه حتى قتلوه[٢].

الشرح الأدبي

ما أعظم المشاهد الجليلة التي سطرها صحابة رسول الله ﷺ، وما أجمل وقائع السيرة النبوية العطرة التي تحفل بجلائل الأعمال، ونوادر المواقف، وأجلِّ العظات والعبر.

وهذا الحديث فصل واقعي مجيد من فصول تاريخ الدعوة الإسلامية، وقد جرت أحداثه في السنة الثالثة من الهجرة النبوية الشريفة، حيث قَدِم وفدٌ من قبائلَ عضل والقارة[٣] على رسول الله ﷺ يذكر أن أخبار الإسلام قد وصلتهم، وأنهم بحاجة إلى من يعلمهم شؤون هذا الدين، فبعث الرسول ﷺ نفرًا من أصحابه، وفيهم هذا الرهط، والرهط معناه، الجمع، وقال ثعلب: الرهط والنفر والقوم والمعشر والعشيرة معناهم الجمع وهو للرجال دون النساء.

وهذه القصة الواقعية تموج بكثير من الظواهر الفنية والأسلوبية، وتحتشد جوانبها بعناصر القصة ففيها.. الأمكنة، والشخصيات، والأحداث، والحوار، والحبكة والعقدة. والحل أو لحظة التنوير، وهي تتوج بإظهار كرامة الصحابة وبيان فضلهم، لأنهم من أصحاب رسول الله ﷺ، فالذي بعثهم هو رسول الله ﷺ، وهو الذي أَمَّر عليهم عاصم بن ثابت الأنصاري رضي الله عنه.

ومن الظواهر الأسلوبية في هذا الحديث القصص الواقعي التاريخي:

أ- الحوار بين وفد المسلمين "السرية" وبني لحيان من هذيل، وهذا الحوار يكشف عن صدق المسلمين[٤] وعن غدر الكفار الذين أعطوا المسلمين العهد والميثاق بأن لا يقتلوا منهم أحدًا، ولكنهم غدروا بهم وقتلوهم، وباعوا بعضهم في مكة.

---

(١) رياض الصالحين، النووي ٥١٨.

(٢)النهاية، ومختار الصحاح، والمعجم الوسيط في (ص ب ر)، و(ق ت ل).

(٣) برقم (٣٩٨٩) وبرقم (٣٠٨٦)، انظر: الجمع للحميدي (٣/٢٥٣، رقم ٢٥٥٤)..

(٤) برقم (٣٩٨٩) وبرقم (٣٠٨٦)، انظر: الجمع للحميدي (٣/٢٥٣، رقم ٢٥٥٤)..

ب- النداء والتأكيد في موقف عاصم ورفضه الإذعان للكفار، في قوله: "أيها القوم: أما أنا فلا أنزل على ذمة كافر"، وحذف حرف النداء لأن المقام مقام الإيجاز والاختصار والتحذير، وهو أميرهم، وقد تضمن كلام عاصم الشرط، والتأكيد من خلال هذا الأسلوب الشرطي، "وأما" للتفصيل والتوضيح.

ج- قولهم: "فأعطوا بأيديكم"، يتضمن الكناية عن الدخول في الطاعة، والباء مزيدة للتأكيد.

د- الدعاء الصادق المستجاب، حين دعا عاصم ربه، اللهم "أخبر عنا نبيك"، أي بالوحي إليه، وقد عرف رسول الله ﷺ خبر هؤلاء الصحابة، وذلك من معجزاته ﷺ ومن كرامات عاصم بن ثابت رضي الله عنه.

هـ- العطف بالفاء في قوله: "فرموهم بالنبل فقتلوا عاصمًا" يجسد غدر الكفار، وإسراعهم في القتل ونكث العهد، ويزداد الغدر حين استمكنوا منهم، وقتلوا الرجل الثالث، وباعوا خبيبًا وزيدًا بمكة.

و- العُقْدة: تتجلى في أحداث القصة، حيث المفارقة التي أفزعت الأم وهبت مذعورة حين رأت طفلها يجلس على فخذ خبيب رضي الله عنه وفي يده الموسى التي استعارها ليستحدَّ بها، وظنت المرأة أن خبيبًا سيقتل الطفل وينتقم لنفسه، ولكنها وقفت مندهشة حينما رأت خبيبًا يلاطف ابنها كأنه أب شفوق. وقال لها في صيغة الاستفهام الإنكاري، "أتخشين أن أقتله: ما كنت لأفعل ذلك".

ز- تكرار القسم والتأكيد في شهادة الأم لخبيب بعد موقفه الإيماني من الطفل: حيث أقرت بكرامة خبيب وولايته تقول: "والله ما رأيت أسيرًا خيرًا من خبيب، فوالله لقد وجدته يومًا يأكل قطفًا من العنب، وأنه لموثق بالحديد، وما بمكة من ثمرة، ودعاء خبيب على المشركين استجابه الله تعالى وهزمهم، وكذلك حمى عاصم منهم، وبعث له مثل الظلة من النحل، حتى لا يمثلوا بجثته؟!!؟

المضامين الدعوية

أولاً: من موضوعات الدعوة: الحكمة من بعث السرايا ودورها في الجهاد في سبيل الله.

ثانيًا: من موضوعات الدعوة: أهمية أخذ الحيطة والحذر وعدم الأمن لمكر الأعداء.

ثالثًا: من أهداف الدعوة: الحرص على سنن الفطرة.

رابعًا: من موضوعات الدعوة: بيان أخلاق الإسلام في عدم الغدر أو قتل الأولاد.

خامسًا: من موضوعات الدعوة: فضل وكرامة خبيب بن عدى رضي الله عنه.

سادسًا: من موضوعات الدعوة: فضل وكرامة عاصم بن ثابت رضي الله عنه.

أولاً- من موضوعات الدعوة: الحكمة من بعث السرايا ودورها في الجهاد في سبيل الله:

هذا ما يستفاد في الحديث من قول أبي هريرة رضي الله عنه: بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم، عشرة رهط عينًا سرية، والسرية في النهاية "هى طائفة من الجيش يبلغ أقصاها أربعمائة تبعث إلى العدو، وجمعها السرايا، سموًا بذلك لأنهم خلاصة العسكر وخيارهم، من الشيء السري النفيس، وقيل: سُموا بذلك لأنهم ينفذون سرًا وخفية"[1]، والحكمة من إرسال السرايا وتوجيهها يكمن في قوله تعالى: ﴿ تُرْهِبُونَ بِهِۦ عَدُوَّ ٱللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ وَءَاخَرِينَ مِن دُونِهِمْ لَا تَعْلَمُونَهُمُ ٱللَّهُ يَعْلَمُهُمْ ﴾[2]، "فبعد أن استقر أمر المسلمين أخذوا يرسلون سراياهم المسلحة تجوس خلال الصحراء المجاورة، وتخترق طريق القوافل المارة بين مكة والشام، وتستطلع أحوال القبائل الضاربة هنا وهناك، وكان الهدف من ذلك إشعار مشركي يثرب ويهودها وأعراب البادية الضاربين حولها بأن المسلمين أقوياء، وأنهم تخلصوا من ضعفهم القديم. ذلك الضعف الذي مكّن قريشًا في مكة، من مصادرة عقائدهم وحرياتهم واغتصاب دورهم، وأموالهم، ومن حق المسلمين أن يعنوا بهذه المظاهرات العسكرية على ضآلة شأنها، فإن المتربص بالإسلام في المدينة كثر، ولن يصدهم عن النيل منه إلا الخوف وحده"[3]. فكان للسرايا دور عظيم في الجهاد في سبيل الله.

---

(١) النهاية في غريب الحديث، ابن الأثير، ٤٢٧.

(٢) سورة الأنفال، آية: ٦٠.

(٣) فقه السيرة، محمد الغزالي، ٢١٢-٢١٣.

ثانيًا- من موضوعات الدعوة: أهمية أخذ الحيطة والحذر وعدم الأمن لمكر الأعداء:

هذا ما ورد في الحديث من قول الراوي "فأحاط بهم القوم، فقالوا: انزلوا، فأعطوا بأيديكم ولكم العهد والميثاق أن لا نقتل منكم أحدًا، فقال عاصم بن ثابت أيها القوم أما أنا، فلا أنزل على ذمة كافر"، قال ابن عثيمين: (أي لا أنزل على عهد كافر؛ لأن الكافر قد خان الله عز وجل، ومن خان الله خان عباد الله)[1].

"وقد وقع في رواية ابن إسحاق رضي الله عنه أن عاصم رضي الله عنه أخذ ينشد قائلاً:

مَا عِلَّتِي وَأَنَا جَلْدٌ نَابِلٌ ... وَالقَوْسُ فِيهَا وَتَرٌ عُنَابِلُ

تَزِلُّ عَنْ صَفْحَتِهَا المَعَابِلُ ... المَوْتُ حَقٌّ وَالحَيَاةُ بَاطِلُ

وَكُلُّ مَا حَمَّ الإِلَهُ نَازِلٌ ... بِالمَرْءِ وَالمَرْءُ إِلَيْهِ آيِلُ[2]

إِنْ لَمْ أُقَاتِلْكُمْ فَأُمِي هَابِلُ[3]

هابل: أي: فاقد: يقال: "هبلَتْه أمه. إذًا فقدته"[4].

قال ابن حجر: (وفي الحديث أن للأسير أن يمتنع من قبول الأمان ولا يمكن من نفسه ولو قتل، أنفة من أن يجري عليه حكم كافر، وهذا إذا أراد الأخذ بالشدة فإذا أراد الأخذ بالرخصة له أن يستأمن)[5].

وقد أمر الحق تبارك وتعالى المؤمنين باتخاذ الحيطة والحذر وعدم الأمن لمكر الأعداء من الكفار فقال: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ خُذُواْ حِذۡرَكُمۡ فَٱنفِرُواْ ثُبَاتٍ أَوِ ٱنفِرُواْ جَمِيعًا ﴾[6]، قال السعدي: (يأمر تعالى عباده المؤمنين بأخذ حذرهم من أعدائهم

---

(١) شرح رياض الصالحين ١٥٨٩/٢.

(٢) البداية والنهاية ٦٤/٤، والبدء والتاريخ ٢١٠/٤، والأبيات لعاصم ابن ثابت.

(٣) سيرة ابن هشام ١٢٤/٣.

(٤) النهاية في غريب الحديث والأثر، ابن الأثير، ٩٩٨.

(٥) فتح الباري ٤٤٤/٧.

(٦) سورة النساء، آية: ٧١.

الكافرين. وهذا يشمل الأخذ بجميع الأسباب، التي بها يستعان على قتالهم، ويستدفع مكرهم وقوتهم، من استعمال الحصون والخنادق، وتعلم الرمى والركوب، وتعلم الصناعات التي تعين على ذلك، وما به يعرف مداخلهم، ومخارجهم، ومكرهم والنفير في سبيل الله)[١]، ثم بين الحق تبارك وتعالى الحكمة من اتخاذ الحيطة والحذر فقال: ﴿وَدَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَوْ تَغْفُلُونَ عَنْ أَسْلِحَتِكُمْ وَأَمْتِعَتِكُمْ فَيَمِيلُونَ عَلَيْكُم مَّيْلَةً وَاحِدَةً﴾[٢].

ثالثًا- من أهداف الدعوة: الحرص على سنن الفطرة:

وهذا ما أشار إليه الحديث من حرص خبيب رضي الله عنه على الاستحداد، وقد ورد ذلك في قول الراوي: "فلبث خبيب عندهم أسيرًا حتى أجمعوا على قتله، فاستعار من بعض بنات الحارث موسى يستحد بها فأعارته. "قال ابن حجر: (في قول "ليستحد بها" أى يحلق عانته)[٣]، وقد حث النبي صلى الله عليه وسلم على الحرص على سنن الفطرة فقال: "الفطرة خمس - أو خمس من الفطرة- الختان والاستحداد ونتف الإبط، وتقليم الأظافر وقص الشارب"[٤]، قال ابن حجر: (ويتعلق بهذه الخصال مصالح دينية ودنيوية تدرك بالتتبع. منها تحسين الهيئة، وتنظيف البدن جملة وتفصيلاً، والاحتياط للطهارتين، والإحسان إلى المخالط والمقارن، بكف ما يتأذى به من رائحة كريهة، ومخالفة شعار الكفار أو المجوس واليهود والنصارى وعبَّاد الأوثان، وامتثال أمر الشارع، والمحافظة على ما أشار إليه قوله تعالى: ﴿وَصَوَّرَكُمْ فَأَحْسَنَ صُوَرَكُمْ﴾[٥]، لما في المحافظة على هذه الخصال من مناسبة ذلك، وكأنه قيل قد حسنّتُ صوركم فلا تشوهوها بما يقبحها، أو حافظوا على ما يستمر به حسنها وفي المحافظة عليها محافظة على المروءة وعلى التآلف المطلوب، لأن الإنسان إذا بدا في الهيئة الجميلة كان أدعى لانبساط النفس إليه، فيقبل

---

(١) تيسير الكريم الرحمن ١٥٠.

(٢) سورة النساء، آية: ١٠٢.

(٣) فتح الباري ٧/٤٤٢.

(٤) أخرجه البخاري ٥٨٨٩.

(٥) سورة غافر، آية: ٦٤.

قوله، ويحمد رأيه، والعكس بالعكس. وأما شرح الفطرة فقال الخطابي: ذهب أكثر العلماء إلى أن المراد بالفطرة هنا السنة، وكذا قال غيره، قالوا والمعنى أنها من سنن الأنبياء. وقالت طائفة المعنى بالفطرة الدين)[١]، فعلى المدعو أن يحرص على سنن الفطرة لما في ذلك من فضل عظيم.

رابعًا- من موضوعات الدعوة: بيان أخلاق الإسلام في عدم الغدر أو قتل الأولاد:

هذا ما أظهره خبيب رضي الله عنه في الحديث من قول الراوي: " فدرَجَ بُنَيٌّ لها وهي غافلةٌ حتى أتاهُ، فوجَدَتهُ مُجلسَهُ على فخذِهِ والموسى بيده، ففزِعتُ فَزعةً عرفَها خُبيب. فقال: أتخشَينَ أن أقتلَه؟ ما كنتُ لأفعلَ ذلك. قالت: واللهِ مارأيتُ أسيرًا قطُّ خيرًا من خُبَيب"، "وهذا ما أمر الله به النبي ﷺ، فعَنْ سُلَيْمَانَ بْنِ بُرَيْدَةَ عَنْ أَبِيهِ قَالَ كَانَ رَسُولُ اللهِ ﷺ إذَا أَمَّرَ أَميرًا عَلَى جَيْشٍ أَوْ سَرِيَّةٍ أَوْصَاه في خَاصَّتِهِ بتَقْوَى اللهِ وَمَنْ مَعَهُ منَ الْمُسْلِمِينَ خَيْرًا ثُمَّ قَالَ: اغْزُوا بِاسْمِ اللهِ فِي سَبِيلِ اللهِ قَاتِلُوا مَنْ كَفَرَ بِاللهِ اغْزُوا وَلاَ تَغُلُّوا وَلاَ تَغْدِرُوا وَلاَ تَمْثُلُوا وَلاَ تَقْتُلُوا وَلِيدًا"[٢]، قال النووي: (في قوله ﷺ: "ولا تغدروا" بكسر الدال، والوليد الصبي، وفي هذه الكلمات من الحديث فوائد مجمع عليها وهي تحريم الغدر وتحريم الغلول وتحريم قتل الصبيان إذا لم يقاتلوا وكراهة المثلة)[٣]. وقال ابن حجر: (في حديث أبي هريرة: وفيه الوفاء للمشركين بالعهد والتورع عن قتل أولادهم)[٤]. وما ذلك إلا لكمال وعظم خلق الإسلام.

خامسًا- من موضوعات الدعوة: فضل وكرامة خبيب بن عدى رضي الله عنه:

قد أشار الحديث إلى ذلك من قول الراوي: "قالت: والله ما رأيت أسيرًا خيرًا من خبيب، فوَاللهِ لَقَدْ وَجَدْتُهُ يَوْمًا يَأْكُلُ قِطْفًا مِنْ عِنَبٍ فِي يَدِهِ وَإِنَّهُ لَمُوثَقٌ بِالْحَدِيدِ وَمَا بِمَكَّةَ مِنْ ثَمَرَةٍ، وَكَانَتْ تَقُولُ: إِنَّهُ لَرِزْقٌ رَزَقَهُ اللهُ خُبَيْبًا"، قال ابن حجر: (القطف

---

(١) فتح الباري ٣٥١/١٠.

(٢) أخرجه مسلم ١٧٣١.

(٣) شرح صحيح مسلم ١١١٦.

(٤) فتح الباري ٤٤٤/٧.

بكسر القاف العنقود)[١]، وفي رواية ابن إسحاق: "وإن في يده لقطفًا من عنب مثل رأس الرجل"[٢]، قال ابن عثيمين: (قد هيأ الله سبحانه وتعالى له هذا العنب وهو أسير لا يملك لنفسه شيئًا لا يستطيع أن يخرج إلى السوق يشتري أو يطعم، تحت رحمة هؤلاء ...، وهذا كقصة مريم رضي الله عنها: ﴿كُلَّمَا دَخَلَ عَلَيْهَا زَكَرِيَّا ٱلْمِحْرَابَ وَجَدَ عِندَهَا رِزْقًا ۖ قَالَ يَـٰمَرْيَمُ أَنَّىٰ لَكِ هَـٰذَا ۖ قَالَتْ هُوَ مِنْ عِندِ ٱللَّهِ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ يَرْزُقُ مَن يَشَآءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾[٣]. فهذه من كرامة الله تعالى لخبيب رضي الله عنه)[٤]، وقد ذكر ابن حجر في الإصابة: (عن ابن أبي شيبة، وعن أبي يوسف أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أرسل المقداد والزبير في إنزال خبيب عن خشبته، فوصلا إلى التنعيم، فوجدا حوله أربعين رجلا نشاوى، فأنزلاه فحمله الزبير على فرسه وهو رطب لم يتغير منه شيء فنذر بهم المشركون، فلما لحقوهم قذفه الزبير فابتلعته الأرض فسمي: بليع الأرض أ. هـ، وذكر أيضًا أن خبيبا لما قتل جعلوا وجهه إلى غير القبلة فوجدوه مستقبل القبلة فأداروه مرارا ثم عجزوا فتركوه، وفي ذلك بيان على كرامة الله تعالى لخبيب رضي الله عنه وعظيم فضله)[٥].

سادسًا- من موضوعات الدعوة: فضل وكرامة عاصم بن ثابت رضي الله عنه:

هذا ما ورد في الحديث من قول الراوي " وبعث ناس من قريش إلى عاصم بن ثابت حين حُدِّثوا أنه قتل أن يأتوا بشيء منه يعرف، وكان قتل رجلاً من عظمائهم، فبعث الله لعاصم مثل الظلة من الدبر فحمته من رسلهم، فلم يقدروا أن يقطعوا منه شيئًا، ووقع عند ابن إسحاق "إن عاصمًا لما قتل أرادت هذيل أخذ رأسه؛ ليبيعوه من سلافة بنت سعد بن شهيد، وكانت قد نذرت حين أصاب ابنيها يوم أحد؛ لئن قدرت على رأس

---

(١) فتح الباري ٤٤٢/٧.

(٢) السيرة النبوية، ابن هشام، ١٢٧/٣

(٣) سورة آل عمران، آية: ٣٧.

(٤) شرح رياض الصالحين ١٥٩٠/٢.

(٥) الإصابة في تمييز الصحابة ٣٣٦.

عاصم لتشربن في قحفه الخمر -"وقحف الرأس: هو الذي فوق الدماغ. وقيل هو ما انفلق من جمجمته وانفصل-"[١].

فمنعته الدبر"[٢]، قال ابن حجر: في قوله: مثل الظلة من الدبر" "الظلة بضم المعجمة السحابة، والدبر بفتح المهملة وسكون الموحدة الزنابير، وقيل ذكور النحل، وقوله: "فحمته" أى منعته منهم"[٣]، وقال ابن إسحاق: (فلما حالت بينهم وبينه، قالوا: دعوه حتى يمسى فتذهب عنه فنأخذه فبعث الله الوادي، فاحتمل عاصمًا فذهب به، وقد كان عاصم قد أعطى الله عهدًا أن لا يمسه مشرك، ولا يمس مشركًا أبدًا؛ تنجسًا، فكان عمر بن الخطاب يقول حين بلغه أن الدبر منعته: يحفظ الله العبد المؤمن، كان عاصم نذر أن لا يمسه مشرك، ولا يمس مشركًا أبدًا في حياته، فمنعه الله بعد وفاته كما امتنع منه في حياته)[٤].

قال ابن حجر: (وفي الحديث: إثبات كرامة الأولياء.، وفيه استجابة دعاء المسلم وإكرامه حيًا وميتًا ...، وإنما استجاب الله له في حماية لحمه من المشركين ولم يمنعهم من قتله لما أراد من إكرامه بالشهادة، ومن كرامته حمايته من هتك حرمته بقطع لحمه)[٥]، وفي ذلك بيان على كرامة الله تعالى لعاصم بن ثابت رضي الله عنه وعظيم فضله.

---

(١) النهاية في غريب الحديث والأثر، ابن الأثير، ٧٣٣.

(٢) السيرة النبوية، ابن هشام، ١٢٥/٣.

(٣) فتح الباري ٤٤٤/٧.

(٤) السيرة النبوية، ابن هشام، ١٢٥/٣-١٢٦.

(٥) فتح الباري ٤٤٤/٧-٤٤٥.

الحديث رقم (١٥١٢)

١٥١٢- وعن ابن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، قَالَ: مَا سَمِعْتُ عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ يقولُ لِشَيءٍ قَطُّ: إنِّي لأَظُنُّهُ كَذَا، إلاَّ كَانَ كَمَا يَظُنُّ. رواه البخاري[1].

ترجمة الراوي:

عبدالله بن عمر بن الخطاب: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (١٢).

الشرح الأدبي

إن الفاروق عمر -كما يقول العقاد- كانت له فطنة الرجل العليم بنقائض الأخلاق، وخبايا النفوس، ولم يحكم عليها قط كأنه ينظر إليها من جانب واحد، أو يطبعها في تفكيره بطابع واحد، بل علم الدنيا، وعلم كيف يتقلب الإنسان، وراح في علمه هذا يراقب الناس مراقبة الحذور، وكانت له في استيحاء الخفايا قدرة تقرب من الإلهام أو من مكاشفة الغيب، لولا أنها تستند إلى التقدير الصحيح والظن المدعوم بالخبرة[2].

وهذا التصور لشخصية عمر ليست إطراءً من العقاد تدفع إليه المبالغة والتحيز والتعصب، ولكنه حقيقة واقعة تؤيدها الحوادث التاريخية، والمواقف العمرية المأثورة، ويكفي عمر بن الخطاب شهادة رسول الله ﷺ له، وقوله مشيدًا بحدْسه وفطنته، وقوة حجته وقدرته على استقراء الأحداث، واستخلاص الحقائق المطوية في تراكمات الزمن.

يقول المصطفى ﷺ "إن الله جعل الحق على لسان عمر وقلبه"[3]، ويقول -عليه الصلاة والسلام- عمر معي، وأنا معه، والحق بعدي مع عمر بن الخطاب حيث كان[4].

وفي ضوء هذه الصورة المتألقة بالفطنة والإلهام: للفاروق عمر الحاكم العادل

---

(١) برقم (٣٨٦٦).

(٢) انظر: عبقرية عمر، عباس محمود العقاد.

(٣) أخرجه الترمذي، ٣٦٨٢، من حديث عبدالله بن عمر، والحديث صححه الألباني، انظر(صحيح سنن الترمذي، ٢٩٠٨).

(٤) الطبراني ١٨/٢٨١، مجمع الزوائد ٩/٢٦.

الإمام، نقرأ دلالات هذا الحديث الشريف، ونتأمل جماليات الأسلوب فيه.

فالحديث يتكون من جملة واحدة صيغت في أسلوب القصر عن طريق النفي بما والاستثناء بإلا، والقصر هنا غايته التأكيد على دلالة المضمون في الحديث... وترسيخ حقيقة فطنة عمر وقوة حدْسه في أذهان الناس، وتحقق كل ما كان يتوقعه أو يذهب إليه من آراء، والراوي هو عبدالله بن عمر رضي الله عنهما فهو ليس بعيدًا عن مشاهدة أبيه، وسماعه، ومعايشته في كل لحظة، وهذا أكبر دليل على قوة هذه الخصلة التي صورها الشاعر العربي في قوله:

الألمعي الذي يظن بك الظن ... كأن قد رأى وقد سمعا[1]

وقوله: "لشيء قط"، يجعل هذا الأمر أكثر ثباتًا في الأذهان، و"قط" توحي بالاستقصاء، وقوله: "شيء": يفيد العموم والشمول حيث يشمل كل أمور الحياة المتشعبة والمتنوعة.

والتأكيد في قوله: "إني لأظنه"... ينفي أي شبهة يدعيها المغرضون حول شهادة ابن عمر لأبيه واللام في "لأظنه"، تؤكد المعنى وتشعر بالقسم وتجعل من الظن هنا مرحلة من مراحل اليقين، وليس تخمينًا أو افتراضًا يفتقد البرهان الساطع والدليل القاطع، وقوله: "إلا كان كما يظن" يجعل من الظن حقيقة، ومن الحدْس واقعًا.

وموافقات عمر للقرآن والسنة كثيرة، وكذلك مراجعاته ومناقشاته فيما يرد من أحكام لا تنجلي مآتيها ومراميها، فهو كما قالت عاتكة بنت زيد في رثائه:

رؤوف على الأدنى غليظ على العدى ... أخي ثقة في النائبات منيب[2]

---

(١) وفيات الأعيان ٢/٤١٧، والكامل في الأدب ٢/٢٢٠، والحماسة البصرية ١/٣٥٤.

(٢) تاريخ الطبري ٢/٥٧٥، والكامل في التاريخ ٢/٤٥٦.

المضامين التربوية في أحاديث الباب

أولاً- التربية العقائدية:

إن من أصول التربية الإسلامية التي يجب تربية النشء المسلم عليها، التربية العقائدية حيث يجب بيان العقيدة الصحيحة التي يؤمن بها المسلم ومما يرتبط بهذه العقيدة ما يتعلق بكرامة الأولياء، مما ورد في مجمل أحاديث الباب، حيث دلت على كمال قدرة الله تعالى ونفوذ مشيئته، لما يجريه تعالى من خوارق العادات على أيدي أوليائه المتبعين لأنبيائه صلوات الله وسلامه عليهم[(١)].

ولكن تربية النشء المسلم على الاعتقاد بكرامة الأولياء يجب أن تكون واضحة لا يكتنفها أي نوع من الغموض، أو تلك الخرافات والأباطيل التي يعتقدها العامة والدهماء من الناس، لذا ينبغي أن يعني القائمون على التربية بأهمية التركيز على ما يلي:

١- بيان حقيقة أولياء الرحمن حيث بين سبحانه ذلك في كتابه الكريم في قوله: ﴿أَلَآ إِنَّ أَوْلِيَآءَ ٱللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٦٢﴾ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَكَانُوا۟ يَتَّقُونَ ﴿٦٣﴾ لَهُمُ ٱلْبُشْرَىٰ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَفِى ٱلْـَٔاخِرَةِ ۚ لَا تَبْدِيلَ لِكَلِمَٰتِ ٱللَّهِ ۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ﴾[(٢)].

٢- بيان أن الولاية ضد العداوة، وأصل الولاية: المحبة والقرب، والولي لله هو الموافق المتابع له فيما يحبه ويرضاه، ويبغضه ويسخطه، ويأمر به وينهى عنه، فمن ادعى في نفسه ولاية الله ومحبته وهو لم يتبعه، فليس من أولياء الله[(٣)].

٣- التأكيد على أن أولياء الله هم المؤمنون المتقون، وبحسب إيمان العبد تكون ولايته لله تعالى، فمن كان أكمل إيمانًا وتقوى، كان أكمل ولاية لله، فالناس

---

(١) الموسوعة الأم في تربية الأولاد في الإسلام، د. أحمد مصطفى متولي، ١/١٨٢.

(٢) سورة يونس، آيات: ٦٢-٦٤.

(٣) الفرقان بين أولياء الرحمن وأولياء الشيطان، ابن تيمية، ٧، ٩.

متفاضلون في ولاية الله عز وجل، بحسب تفاضلهم في الإيمان والتقوى، وكذلك يتفاضلون في عداوة الله بحسب تفاضلهم في الكفر والنفاق، قال الله تعالى: ﴿وَإِذَا مَآ أُنزِلَتْ سُورَةٌ فَمِنْهُم مَّن يَقُولُ أَيُّكُمْ زَادَتْهُ هَٰذِهِۦٓ إِيمَٰنًا ۚ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ فَزَادَتْهُمْ إِيمَٰنًا وَهُمْ يَسْتَبْشِرُونَ ﴿١٢٤﴾ وَأَمَّا ٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ فَزَادَتْهُمْ رِجْسًا إِلَىٰ رِجْسِهِمْ وَمَاتُوا۟ وَهُمْ كَٰفِرُونَ﴾[(١)(٢)].

٤- ضرورة تصحيح الأفهام الخاطئة في عقول عامة المسلمين من المتربين والمتعلمين والتي منها أنه ليس لأولياء الله شيء يتميزون به عن الناس في الظاهر من الأمور المباحات، فلا يتميزون بلباس دون لباس إذا كان كلاهما مباحًا، ولا يحلق شعره أو تقصيره أو ظفره، إذا كان مباحًا، كما قيل: كم من صدّيق في قباء، وكم من زنديق في عباء.

وكذلك ضرورة تصحيح أن يكون المجنون وليًا لله، فإن كان لا يصح منه إيمان ولا تقوى، وقد رفع القلم عنه، فلا يصح شيء من عباداته باتفاق العلماء، فكيف نُثبت أنه وليًا لله!!!!، فالعاقل هو من يثبت للمجنون حاجته إلى علاج واستشفاء، أما الاحتجاج بأن للمجنون مكاشفة، أو نوعًا من تصرف، مثل أن يُرى أنه قد أشار إلى واحد، فمات أو صرع، فهذا الاحتجاج مردود بأن للكفار والمنافقين من المشركين وأهل الكتاب، لهم مكاشفات وتصرفات شيطانية، كالكهان والسحرة وعباد المشركين، وأهل الكتاب، فلا يجوز لأحد من المتربين والمتعلمين الاستدلال بمجرد ذلك على كون الشخص وليًا لله[(٣)].

ثانيًا: التربية على الإحسان الفردي:

هذا ما يجب غرسه كقيمة تربوية في نفس النشء المسلم، ومن شواهد ذلك في

---

(١) سورة التوبة، آيتان: ١٢٤، ١٢٥.

(٢) الفرقان، ابن تيمية، ٢٤.

(٣) انظر: الفرقان بين أولياء الرحمن وأولياء الشيطان، ابن تيمية، ٤٣، ٤٤، ٤٦ بتصرف.

أحاديث الباب قوله ﷺ: ((مَنْ كَانَ عِنْدَهُ طَعَامُ اثْنَيْنِ فَلْيَذْهَبْ بِثَالِثٍ، وَمَنْ كَانَ عِنْدَهُ طَعَامُ أَرْبَعَةٍ فَلْيَذْهَبْ بِخَامِسٍ بِسَادِسٍ، وقَالَ راوي الحديث: وَأَنَّ أَبَا بَكْرٍ جَاءَ بِثَلاثَةٍ، وَانْطَلَقَ النَّبِيُّ ﷺ بِعَشَرَةٍ، ...إلخ)).

"وفي ذلك تربية إسلامية على تكوين النفس الخيرة، المعطية الباذلة، النفس التي تعطي أكثر مما تطلب، وتنفق أكثر مما يجب عليها، بل تعطي بغير طلب ولا سؤال، وتنفق في السراء والضراء، بالليل والنهار، سرًا وعلانية، فيكون صاحبها بذلك محبًا للناس مما يحب لنفسه، بل يؤثر على نفسه ولو كان به خصاصة، وهو بذلك يعد المال وسيلة لا غية، وسيلة للإنفاق والبر بالناس، فيفيض قلبه بالخير فيضًا، ويبسط يده بالعطاء بسطًا، ابتغاء رضاء الله ومثوبته، لا حبًا في جاه، ولا طلبًا لسمعة أو شهرة، ولا خشية من عقوبة سلطان"[1].

وبذلك يغرس الإحسان في النفس غرسًا، وحتى يتسنى لدعاة التربية والتوجيه تربية النشء على الإحسان كخلق يقيم مبدأ التكافل الاجتماعي، وجب عليهم ما يلي:

١ - بيان ما ورد في آيات القرآن العظيم، وأحاديث الرسول الكريم ﷺ من ترغيب وترهيب في البذل والإنفاق، والتحذير من الشح والبخل بأروع الصور الفنية، وأبلغ الأساليب الأدبية، التي يذيب وعيدها القلوب الجامدة، ويحرك وعدها الأيدي الممسكة، فتفيض بالخير، وتنبسط بالعطاء[2].

٢ - بيان حال السلف الصالح في إحسانهم الفردي وتكافلهم الاجتماعي: "كما حكى عن الإمام الليث بن سعد أن أمواله كانت تدر عليه كل يوم نحو ألف دينار ومع هذا حكوا أنه لم تكن تجب عليه فيها زكاة؛ لأنه لم يكن يدعها حتى يحول عليها الحول بل يتصدق بكل ما جاءه من مال، وينفقه في سبيل الله، قالوا: وكان الليث لا يتكلم كل يوم حتى يتصدق على ثلاثمائة وستين مسكينًا. وحكي أن امرأة سألته شيئًا من عسل، فأمر لها بزق منه، فقيل له: إنها كانت تقنع بدون هذا. فقال: إنها

---

(١) مشكلة الفقر وكيف عالجها الإسلام، د. يوسف القرضاوي، ١٤٢ بتصرف يسير.

(٢) انظر: المرجع السابق، ١٤٣.

سألت على قدر حاجتها، ونحن نعطيها على قدر نعمة الله علينا"[١]، وبذلك يرسخ مفهوم الإحسان الفردي كقيمة تربوية في نفوس النشء المسلم، وتزكوا بذلك أخلاقهم.

ثالثًا- التربية بالاستفهام والسؤال:

إن المتربي والمتعلم في حاجة ماسة إلى معرفة كل ما غاب عنه وخفي، حتى يكمل له علمه، ويسد عليه جهله، وليس أنفع في ذلك ولا أجدى من استفهامٍ وسؤالٍ لعالم، يكشف ظلمة جاهل، ويسكن حيرة سائل.

ومن الشواهد على ذلك في أحاديث الباب، استفهام زوجة الصديق رضي الله عنهما بقولها: ((... ما حبسك عن أضيافك؟))، وكذلك استفهام الصديق رضي الله عنه بقوله: ((...أو ما عشيتم؟))، وقوله رضي الله عنه: ((... يا أخت بني فراس ما هذا؟!)).

لذا وجب على كل متربي ومتعلم أن يسأل ويستفهم عن كل ما غاب عنه وخفي، حتى يكون على علم وبينة.

رابعًا- التربية الجهادية:

إن من أبرز ما يجب أن يتربى عليه النشء المسلم، والذي ترائى من أحاديث الباب، التربية الجهادية، حيث قوله جابر بن عبدالله بن حرام رضي الله عنهما: ((لمَّا حَضرَ أُحُدٌ دعاني أبي مِنَ الليلِ فقال: ما أُراني إلاّ مَقتولاً في أوَّلِ مَن يُقتل مِن أصحابِ النبيِّ ﷺ.....))، وقول ضبيب رضي الله عنه:

فَلَسْتُ أُبَالِي حِينَ أُقْتَلُ مُسْلِمًا عَلَى أيِّ جَنْبٍ كَانَ لله مَصْرَعِي
وذَلِكَ في ذَاتِ الإلهِ وإنْ يَشأ يُبَارِكُ علَى أوْصَالِ شِلْوٍ مُمَزَّعِ

فتربية النفوس على الجهاد مما تشرف به الهمة، ويُرفع به الذل عن الأمة، وبه يحق الحق، ويرفع الظلم، وتصحو الأمة من رقدتها، وتنهض من كبوتها، وتستعيد أمجادها، وتصبح مهيبة الجانب موفورة الكرامة.

وهذا مما يؤكد أهمية تنمية روح الجهاد في نفوس النشء المسلم والتنفير من

---

(١) تربية الأولاد في الإسلام، عبدالله ناصح علوان، ٣٤١/١.

الركون إلى الدنيا وشهواتها، والترغيب في التضحية وبذل الأنفس والأموال ابتغاء مرضاة الله، وتعويد النشء المسلم وترويضه على التجلد والصبر والاخشوشان[1].



(١) انظر: الموسوعة الأم في تربية الأولاد في الإسلام، د. أحمد مصطفى متولي، ٢/٢٨٢-٢٨٤.